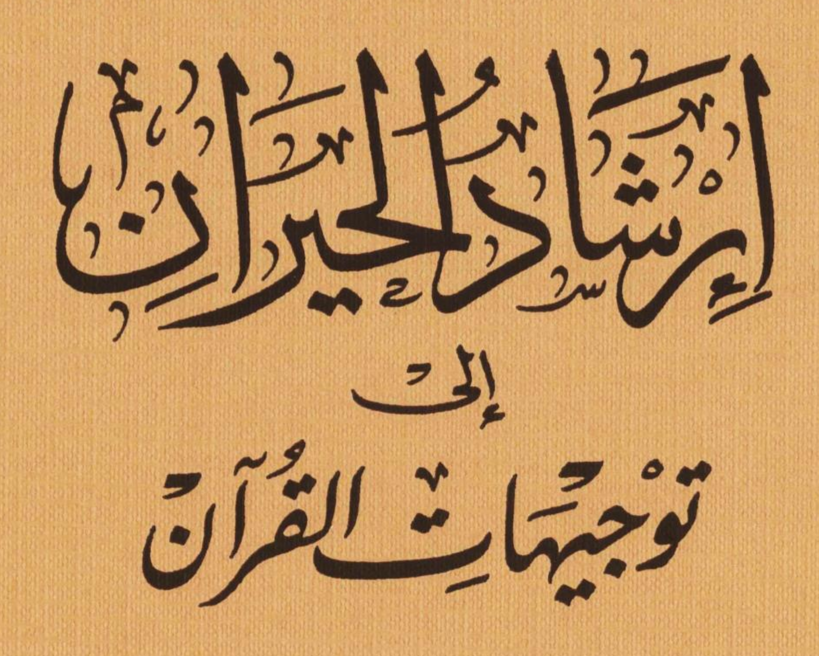
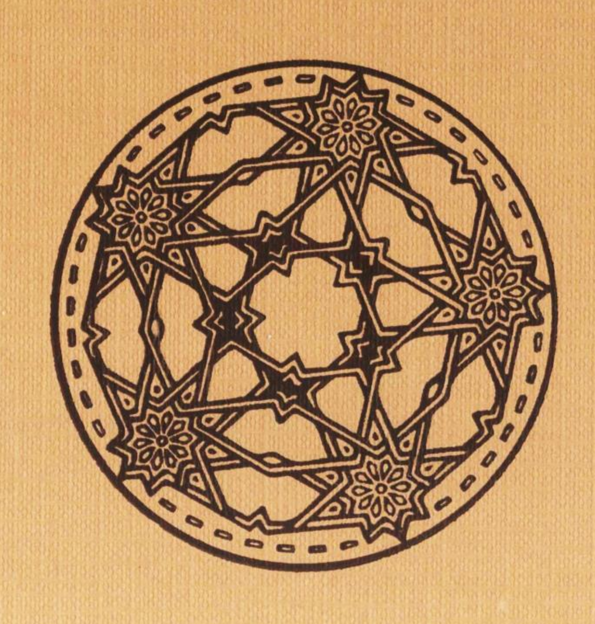


بقلم
فضيلة الشيخ
أحمد عبد السلام أبو مزيريق



دار المدار الإسلامي


إرشاد الحيران
إلى
توجيهات القرآن

إرشاد الحيران

إلى

توجيهات القرآن

11

بقلم

فضيلة الشيخ
أحمد عبد السلام أبو مزيريق

دار المدار الإسلامي

إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن 12/1
الشيخ أحمد عبد السلام أبو مزيريق

الطبعة الأولى
كانون الثاني/يناير/أي النار 2011 إفرنجي

موضوع الكتاب تفسير قرآني
تصميم الغلاف دار المدار الإسلامي
الحجم 17 × 24 سم
التجليد فنّي

ردمك ISBN 9959-29-182-0
(دار الكتب الوطنية/بنغازي ـ ليبيا)

رقم الإيداع المحلي 2003/5680

دار المدار الإسلامي
الصنائع، شارع جوستينيان، سنتر أريسكو، الطابق الخامس،
هاتف 04 03 75 1 961 + **خليوي** 89 39 93 3 961 +
05 03 75 1 961 + **فاكس** 07 03 75 1 961 +
ص.ب. 14/6703 بيروت ـ لبنان
بريد إلكتروني szrekany@inco.com.lb
الموقع الإلكتروني www.oeabooks.com

توزيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية
زاوية الدهماني، شارع أبي داود، بجانب سوق المهاري، طرابلس ـ الجماهيرية العظمى
هاتف وفاكس: 013 07 34 21 218 + **نقّال** 463 45 21 91 218 +
بريد إلكتروني: **oeabooks@yahoo.com**

1 ـ أظهر ما في سورة الأحقاف، تمييز سيىء الأعمال من محاسن الأوصاف



النص

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

* حمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (1) مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ (2) قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (3) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ (4) وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ (5) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (6) أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (7) قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (8)

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ
مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَآءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ
الظَّٰلِمِينَ ﴿9﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْراً مَّا سَبَقُونَا
إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿10﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ
كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَاماً وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَاناً عَرَبِيّاً
لِّتُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿11﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اللَّهُ
ثُمَّ اسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿12﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
الْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿13﴾ * وَوَصَّيْنَا
الْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْناً ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً ۖ
وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْراً ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ
أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ
الَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحاً تَرْضَىٰهُ
وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿14﴾
أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ يُتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنُ مَا عَمِلُواْ وَيُتَجَاوَزُ
عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ الْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿15﴾
وَالَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ
مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ
فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿16﴾ أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ

فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿17﴾
وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِنُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿18﴾
وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا
وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ
فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ﴿19﴾ ۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ
إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ
أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿20﴾ قَالُوٓاْ
أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿21﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ
قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿22﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ
بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿23﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا
فَأَصۡبَحُواْ لَا تَرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنَهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿24﴾
وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا
وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ
إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿25﴾
وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿26﴾
فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۖ بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ
وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿27﴾ وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا

مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ
وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (28) قَالُوا يَٰقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (29) يَٰقَوْمَنَا أَجِيبُوا
دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (30)
وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦ أَوْلِيَاءُ
أُولَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (31) * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ
وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْـِۧيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ (32) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ
قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (33)
فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل
لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً
مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَٰسِقُونَ (34)

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم**﴾: الكلام فيه كالذي، مر في مطلع السورة السابقة. ﴿**ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق**﴾: مثل قوله تعالى: وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين. ما خلقناهما إلا بالحق. ﴿**وأجل مسمى**﴾: هو يوم القيامة. ﴿**والذين كفروا عما أنذروا معرضون**﴾: والحال أنهم غير مؤمنين به. معرضون عنه. غير مستعدين له. ﴿**قل أرأيتم ما تدعون من**

دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض؟!.. أم لهم شرك في السموات؟!﴾.. فلا هذا ولا ذاك. **﴿ائتوني بكتاب من قبل هذا﴾**: لما بطل الدليل العقلي طلب منهم الدليل النقلي المنزل من عند الله قبل القرآن. **﴿أو أثارة من علم﴾**: بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين شاهدة باستحقاقهم العبادة، **﴿إن كنتم صادقين﴾** في دعواكم. **﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة؟!.. وهم عن دعائهم غافلون.. وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين.. وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين.. أم يقولون افتراه﴾**: انتقال من حكاية شناعتهم السابقة إلى حكاية ما هو أشنع منها.

﴿قل: إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً.. هو أعلم بما تفيضون فيه﴾.. أفاض الناسُ في الحديث: اندفعوا. وإفاضة المشركين في القرآن اندفاعهم فيه من القدح في وحي الله والطعن في آياته.. **﴿كفى به شهيداً بيني وبينكم.. وهو الغفور الرحيم.. قل ما كنت بدعا من الرسل﴾**.. البِدْعُ: الأول الذي لم يسبق.. محمد ﷺ لم يكن أول رسول إلى الناس.. بل سبقه كثيرون من الرسل. وما أدري ما يفعل بي ولا بكم.. إن أتبع إلا ما يوحى إليّ.. **﴿وما أنا إلا نذير مبين.. قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم؟! إن الله لا يهدي القوم الظالمين.. وقال الذين كفروا للذين آمنوا: لو كان خيراً ما سبقونا إليه.. وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم﴾**: كذب قديم. مثل قولهم: أساطير الأولين. **﴿ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة﴾**: رد لقولهم: هذا إفك قديم. **﴿وهذا كتاب مصدق﴾**: لما قبله من الكتب. **﴿لساناً عربياً﴾**: حال كون القرآن لساناً عربياً؛ لشدة وضوحه وقوة بيانه.. **﴿لتنذر الذين ظلموا﴾**: الخطاب موجه إلى الرسول المبلغ هذا الكتاب. **﴿وبشرى للمحسنين.. إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾**: جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم، والاستقامة في أمور الدين التي هي منتهى العمل.. **﴿فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾**: لا يخافون لحوق مكروه في المستقبل، ولا يحزنون من فوات محبوب في الماضي. **﴿أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون.. ووصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾**: أمرناه أمراً قاطعاً بأن يحسن بوالدَيْهِ فعلاً وقولاً.. **﴿حملته أمه كرهاً﴾**: أيام الحمل الأولى يعتري الأم مرض

الوحم.. ﴿**ووضعته كرهاً**﴾: شدة ألم الوضع ـ الطلق ـ وما تكابده الأم.. ﴿**وحمله وفصاله ثلاثون شهراً**﴾: كل هذه المدة تلاقي المرأة فيها ضعفاً ومشقة بسبب الحمل والرضاع.. والفِصال: الفِطام بناء ومعنًى. ﴿**حتى إذا بلغ أشده**﴾: بلوغ الأشد يبتدي من العشرين ويشتد في الأربعين.. وقبل هذه المرحلة طفولة وشباب. وبعدها كهولة وشيخوخة حسبما فُصّل في هذا الكتاب!!..

﴿**قال رب أوزعني**﴾: ألهمني. ﴿**أن أشكر نعمتك**﴾: شكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي.. ﴿**وأن أعمل صالحاً ترضاه**﴾: ألهمني عملاً صالحاً مرضياً لك. ﴿**وأصلح لي في ذريتي**﴾: من تمام نعمة الله على المؤمن صلاح الأبوين وصلاح الذرية من الجنسين. ﴿**إني تبت إليك وإني من المسلمين.. أولئك الذين يتقبل عنهم أحسنُ ما عملوا.. ويتجاوز عن سيئاتهم**﴾: بقيت لهم الحسنات، وغفرت لهم السيئات.. فصاروا أصحاب الجنات.. خالدين فيها.. ﴿**وعد الصدق الذي كانوا يوعدون.. والذي قال لوالديه: أفّ لكما!**﴾.. أُفٍّ: كلمة تكرُّهٍ وتضجُّر وتأزُّم وتبرُّم من شيء يتنفر منه من سوء منظر أو رائحة أو سماع كلمة.. وصِيَغُ هذه الكلمة كثيرة حتى وصلت إلى الأربعين صيغة. ﴿**أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي؟!. وهما يستغيثان الله.. ويلك! آمن، إن وعد الله حق.. فيقول: ما هذا إلا أساطير الأولين.. أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين.. ولكل درجات مما عملوا.. ولنوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون.. ويوم يعرض الذين كفروا على النار.. أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا.. واستمتعتم بها.. فاليوم تجزون عذاب الهون**﴾.. الهُونُ: الخزي والذلّ والمهانة والهوان والاحتقار الشديد. ﴿**بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون.. واذكر أخا عاد**﴾: هُوداً عليه السلام: ﴿**إذ أنذر قومه بالأحقاف**﴾: جمع حِقْف. وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء. مأخوذ من احقوقف الشيء إذا ارتفع. ﴿**وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه**﴾: وقد سبقت الرسل هود أو استمرت بعده تنذر قومها مثله: ﴿**ألا تعبدوا إلا الله، إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم.. قالوا: أجئتنا لتأفكنا عن ءالهتنا؟!.. فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين.. قال: إنما العلم عند الله.. وأبلغكم ما أرسلت به.. ولكني أراكم قوماً تجهلون**﴾.. الجهل: يطلق على عدم العِلم وعدم الحِلم.. ﴿**فلما رأوه عارضاً**﴾: سحاباً ظاهراً في أفق

السماء. ﴿**مستقبل أوديتهم**﴾: متوجهاً نحو أوديتهم التي تسقي أرضهم. ﴿**قالوا هذا عارض ممطرنا**﴾: استبشروا خيراً.. ﴿**بل هو ما استعجلتم به**﴾: رد لزعمهم بخيبة رجاءهم: ﴿**ريح فيها عذاب أليم!.. تدمّر كل شيء بأمر ربها!.. فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم.. كذلك نجزي القوم المجرمين.. ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه**﴾: ولقد مكنا عادا في حياة ما مكناكم فيه من السعة والبسطة والصحة وسائر مباديء التصرفات في هذه الحياة! ﴿**وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة.. فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء؛ إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون.. ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى.. وصرفنا الآيات.. لعلهم يرجعون.. فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة؟!**﴾.. فهلاّ نصرهم وخلصهم من العذاب الذين اتخذوهم ءالهة تقرُّباً بها إلى الله حيث كانوا يقولون: ﴿**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى بل ضلوا عنهم.. وذلك إفكهم.. وما كانوا يفترون.. وإذْ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن**﴾..

صرفنا إليك: أقبلنا بهم نحوك.. والنفَرُ: ما دون العشرة من الرجال، وأطلق على الجن تشبيهاً بالإنس. وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه. يستمعون القرآن.. ﴿**فلما حضروه قالوا أنصتوا**﴾.. أنصت: سكت. ﴿**فلما قُضِيَ ولوا إلى قومهم منذرين: قالوا يا قومنا: إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه.. يهدي إلى الحق، وإلى طريق مستقيم.. يا قومنا أجيبوا داعي الله وءامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم.. ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض.. وليس له من دونه أولياء.. أولئك في ضلال مبين.. أو لم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض، ولم يَعْيَ بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى.. بلى إنه على كل شيء قدير**﴾.. ولم يَعْيَ: لم يتعب. يُقال: عيّ بالأمر وعَيِيَ: عجز عنه ولم يطق إحكامه. ﴿**ويوم يعرض الذين كفروا على النار.. أليس هذا بالحق؟!.. قالوا بلى... وربنا!. قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون.. فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل**﴾.. أولو العزم: أهل الثبات والحزم وشدة التحمل لمشاق ما يلاقونه. وأولو العزم من الرسل: الذين عزموا على أمر الله فيما عهد إليهم. والمشهور: أنهم محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح ـ عليهم السلام ـ ﴿**ولا تستعجل لهم.. كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من**

نهار. . بلاغ﴾: كفاية في الموعظة. . **﴿فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾**: فلا يَهلِك اللهُ إلا القوم الفاسقين!. . والمفردات هنا أكثرها واضحة.

مبحث الإعراب

﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم: تقدم إعراب مثله في بدء السورة السابقة. **﴿ما خلقنا السماوات﴾** فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي. **﴿والأرض﴾** معطوف على السماوات **﴿وما﴾** في محل نصب عطف على السماوات. **﴿بينهما﴾** متعلق بمحذوف صلة ما. **﴿إلا بالحق﴾** متعلق بخلقنا، وإلا ملغاة. **﴿وأجل﴾** معطوف على الحق. **﴿مسمى﴾** نعت لأجل مجرور بكسرة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين. **﴿والذين﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿كفروا﴾** صلةُ الذين. **﴿عما﴾** متعلق بمعرضون. . **﴿أنذروا﴾** الفعل ونائب الفاعل صلةُ ما. **﴿معرضون﴾** خبر المبتدأ. وجملة والذين كفروا عما أنذروا معرضون حال من الجمل السابقة. **﴿قل: أرأيتم﴾** فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستفهام. **﴿ما﴾** في محل نصب مفعول به. **﴿تدعون﴾** فعل وفاعل. والجملة صلةُ ما. **﴿من دون﴾** متعلق بتدعون. **﴿الله﴾** مضاف إلى دون. **﴿أروني﴾** فعل أمر. والواو فاعل. والنون للوقاية. وياء المتكلم في محل نصب مفعول به. **﴿ماذا﴾** اسم استفهام مفعول مقدم **﴿خلقوا من الأرض﴾** بيان لماذا. **﴿أم لهم﴾** متعلق بمحذوف خبر مقدم. **﴿شرك﴾** مبتدأ مؤخر. **﴿في السماوات﴾** متعلق بمحذوف نعت لشرك، والجملة معطوفة بأم على ما قبلها. **﴿ائتوني﴾** إعرابه مثل إعراب أروني السابق. **﴿بكتاب﴾** متعلق بائتوني. **﴿من قبل﴾** متعلق بمحذوف نعت لكتاب **﴿هذا﴾** في محل جر مضاف إلى قبل. **﴿أو أثارة﴾** معطوف على كتاب. **﴿من علم﴾** متعلق بمحذوف نعت لأثارةٍ. **﴿إن كنتم﴾** كان واسمها دخل عليها حرف الشرط. **﴿صادقين﴾** خبر كان. وجواب الشرط محذوف دل عليه ائتوني. **﴿ومن﴾** اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. **﴿أضلُّ﴾** خبره. **﴿ممّن﴾** متعلق بأضل. **﴿يدعو﴾** فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. والجملة صلة مَنْ. **﴿من دون﴾** متعلق بيدعو **﴿الله﴾** مضاف إلى دون. **﴿من﴾** اسم موصول في محل نصب مفعول به. **﴿لا يستجيب﴾** فعل مضارع منفي بلا، والفاعل ضمير يعود على من. والجملة صلة مَنْ. **﴿له إلى يوم﴾** متعلقان بالفعل قبلهما.

﴿**القيامة**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**عن دعائهم**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**غافلون**﴾ خبر المبتدإِ. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**وإذا حشر الناس**﴾ الفعل ونائب الفاعل فعل شرط إذا. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**لهم**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**أعداء**﴾ خبر كان. وجملة كانوا لهم أعداء جواب شرط إذا. ﴿**وكانوا**﴾.. ﴿**بعبادتهم**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**كافرين**﴾ خبر كان. وجملة وكانوا بعبادتهم كافرين معطوفة على جملة كانوا لهم أعداءً. وجملة وإذا حُشِرَ الناس كانوا لهم أعداء معطوفة على الجمل السابقة.. ﴿**وإذا تتلى**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول دخل عليه الظرف المتضمن معنى الشرط. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بتتلى. ﴿**آياتنا**﴾ نائب الفاعل. ﴿**بينات**﴾ حال من آياتنا. ﴿**قال الذين**﴾ فعل وفاعل. والجملة جواب شرط إذا، ﴿**كفروا**﴾.. ﴿**للحق**﴾ متعلق بقال. ﴿**لما**﴾ في محل نصب ظرف متعلق بقال. ﴿**جاءهم**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الحق. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**سحر**﴾ خبر. ﴿**مبين**﴾ نعت لسحر. وجملة هذا سحر مبين مقول القول. ﴿**أم يقولون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف أم المتضمن معنى الإضراب. ﴿**افتراه**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الرسول المفهوم من سياق الكلام. والضمير المتصل بالفعل مفعول. وهو يعود على القرءان المفهوم كذلك من السياق، وجملة افتراه مقول القول. ﴿**قل**﴾.. ﴿**إن افتريتُه**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الشرط. ﴿**فلا تملكون**﴾ فعل وفاعل منفي بلا. والفاء رابطة للجواب. ﴿**لي من الله**﴾ متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿**شيئاً**﴾ مفعول به. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أعلم**﴾ خبر. ﴿**بما**﴾ متعلق بأعلم. ﴿**تفيضون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلةُ ما. ﴿**فيه**﴾ متعلق بتفيضون. ﴿**قل**﴾.. ﴿**كفى**﴾ فعل ماض. ﴿**به**﴾ الضمير عائد على الله جر بحرف الجر الزائد في محل رفع فاعل كفى. ﴿**شهيداً**﴾ حال من الفاعل. ﴿**بيني**﴾ متعلق به. ﴿**وبينكم**﴾ معطوف على بيني. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الغفور**﴾ خبر. ﴿**الرحيم**﴾ خبر ثانٍ. ﴿**قل**﴾.. ﴿**ما كنت**﴾ كان واسمها. وما نافية. ﴿**بدعا**﴾ خبر كان. ﴿**من الرسل**﴾ متعلق «ببدعا» ﴿**وما أدري**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المتكلم. وما حرف نفي. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به ﴿**يفعل**﴾ فعل مضارع مبنيّ للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على ما. والجملة صلة ما. ﴿**بي**﴾ متعلق بيفعل. ﴿**ولا بكم**﴾ معطوف على بي. ﴿**إن**﴾

حرف نفي. ﴿أتبع﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المتكلم. ﴿إلا﴾ ملغاة. ﴿ما﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿يوحى﴾ فعل مضارع مبنيّ للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على ما. ﴿إليّ﴾ متعلق بيوحى. وجملة يُوحَى صلة ما. ﴿وما أنا﴾ في محل رفع مبتدأ دخل عليه حرف النفي. ﴿إلاّ نذير﴾ خبر المبتدإ. ﴿مبين﴾ نعت لنذير. ﴿قل﴾. . ﴿أرأيتم﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿إن﴾ حرف شرط. ﴿كان﴾ اسم كان ضمير يعود على القرءان. ﴿من عند﴾ متعلق بمحذوف خبر كان. ﴿الله﴾ مضاف إلى عند. ﴿وكفرتم﴾ فعل وفاعل. والجملة معطوفة على إن كان من عند الله. ﴿به﴾ متعلق بكفرتم. ﴿وشهد شاهد﴾ فعل وفاعل. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿من بني﴾ متعلق بشهد.

﴿إسرائيل﴾ مضاف إلى بني، مجرور بالفتحة للعلمية والعجمة. ﴿على مثله﴾ متعلق بشهد. ﴿فآمن﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الشاهد. والجملة مرتبة على ما قبلها. ﴿واستكبرتم﴾ فعل وفاعل. والجملة معطوفة على آمن. وجواب الشرط مقدر. . ﴿إن الله﴾ إنّ واسمها. ﴿لا يهدي﴾ فعل مضارع منفي بلا. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر إنّ. وجملة إن الله لا يهدي تعليل ودليل على جواب الشرط. ﴿القوم﴾ مفعول به. ﴿الظالمين﴾ نعت للقوم. ﴿وقال الذين﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿كفروا﴾. . ﴿للذين﴾ متعلق بقال. ﴿ءامنوا﴾. . ﴿لو﴾ حرف امتناع لامتناع متضمن معنى الشرط. ﴿كان﴾ اسمها محذوف. أي: لو كان القرءانُ. ﴿خيراً﴾ خبر كان. ﴿ما سبقونا﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي. والجملة جواب شرط لو. ﴿إليه﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿وإذ﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. خافض لشرطه منصوب بجوابه. ﴿لم يهتدوا﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي الجازم. ﴿به﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿فسيقولون﴾ فعل وفاعل دخل عليه السين وفاء الربط والجملة جواب شرط إذ. ﴿هذا﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿إفك﴾ خبره. ﴿قديم﴾ نعت لإفك. والجملة مقول القول. ﴿ومن قبله﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم.

﴿كتاب﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿موسى﴾ مضاف إلى كتاب. . ﴿إماماً﴾ حال من كتاب. ﴿ورحمةً﴾ معطوف على الحال. ﴿وهذا﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿كتاب﴾ خبره. ﴿مصدق﴾ نعت لكتاب. ﴿لساناً﴾ حال من كتاب مصدق. ﴿عربياً﴾ نعت

له. لتنذر فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام. والفاعل ضمير يعود على الرسول. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور باللام متعلق بمصدق. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول به.

﴿**ظلموا**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة الموصول. ﴿**وبشرى**﴾ معطوف على المصدر المجرور. ﴿**للمحسنين**﴾ متعلق ببشرى. ﴿**إن الذين**﴾ إن واسمها. ﴿**قالوا**﴾ صلة الذين. ﴿**ربُّنا**﴾ مبتدأ. ﴿**الله**﴾ خبره. والجملة مقول القول. ﴿**ثم استقاموا**﴾ فعل وفاعل معطوف على قالوا بثُمّ. ﴿**فلا خوف**﴾ مبتدأ دخل عليه حرف النفي وفاء الربط. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإِ. ﴿**ولا هم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**يحزنون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر المبتدإِ. وجملة ولا هم يحزنونِ معطوفة على جملة فلا خوف عليهم. ﴿**أولئك**﴾ مبنيٌّ على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿**أصحاب**﴾ خبره. ﴿**الجنة**﴾ مضاف إلى أصحاب. ﴿**خالدين**﴾ حال من أصحاب. ﴿**فيها**﴾ متعلق بالحال. ﴿**جزاء**﴾ مفعول مطلق. ﴿**بما**﴾ متعلق بجزاء. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**يعملون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة كانوا يعملون صلةُ ما. ﴿**ووصينا الإنسان**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**بوالديه**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**حسناً**﴾ مفعول ثانٍ. . ﴿**حملته**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**أمه**﴾ فاعل. ﴿**كرهاً**﴾ حال من أمه. ﴿**ووضعته كرهاً**﴾ معطوف على حملته أمه كرهاً. وهو مثله في الإعراب. ﴿**وحمله**﴾ مبتدأ. ﴿**وفصاله**﴾ معطوف عليه. ﴿**ثلاثون**﴾ خبر المبتدإِ. ﴿**شهراً**﴾ تمييز. ﴿**حتى**﴾ حرف غاية معطوف على فعل مقدّر. والتقدير: استمرّت حياته حتى إذا اشتدّ. . ﴿**إذا بلغ**﴾ جملة شرطية. ﴿**أشدَّه**﴾ مفعول به. ﴿**وبلغ أربعين**﴾ معطوف على بلغ أشده. ﴿**سنةً**﴾ تمييز. ﴿**قال**﴾ جواب شرط إذا. ﴿**رب**﴾ منادى. حذف منه حرف النداء وياء المتكلم المضاف إليه. ﴿**أوزعني**﴾ فعل دعاء، والفاعل ضمير يعود على رب. والنون للوقاية. وياء المتكلم في محل نصب مفعول به. ﴿**أن أشكر**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والفاعل ضمير المتكلم. ﴿**نعمتك**﴾ مفعول به. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول بأوزعني. أي: ألهمني شكر نعمتك. ﴿**التي**﴾ في محل نصب نعت لنعمتك.

﴿**أنعمت**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة التي. ﴿**عليّ**﴾ متعلق بأنعمت.

﴿**وعلى والدي**﴾ معطوف على عَلَيَّ. ﴿**وأن أعمل**﴾ معطوف على أن أشكر. ﴿**صالحاً**﴾ مفعول به. ﴿**ترضاه**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير المخاطب. يعود على ربّ. وجملة ترضاه نعت لـ «صالحاً» ﴿**وأصلح**﴾ فعل دعاء معطوف على أوزعني. ﴿**لي في ذريتي**﴾ متعلقان بأصلح. ﴿**إني**﴾ إنّ واسمها. ﴿**تبت**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر إنّ. ﴿**إليك**﴾ متعلق بتبت. ﴿**وإني.. من المسلمين**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ. وهي معطوفة على ما قبلها ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع خبر المبتدإِ. ﴿**يُتقبل**﴾ فعل مضارع مبنيّ للمجهول. ﴿**عنهم**﴾ متعلق به ﴿**أحسنُ**﴾ نائب الفاعل. ﴿**ما**﴾ في محل جر مضاف إلى أحسن. ﴿**عملوا**﴾ صلة ما. وجملة الفعل ونائب الفاعل. صلة الذين. ﴿**ويتجاوز**﴾ معطوف على يتقبل. ﴿**عن سيئاتهم**﴾ متعلق بيُتجاوز. ﴿**في أصحاب**﴾ متعلق بمحذوف حال من الذين يتقبل. ﴿**الجنة**﴾ مضاف لأصحاب. ﴿**وعد**﴾ مفعول مطلق لفعل مقدر. ﴿**الصدْق**﴾ مضاف إلى وعد. ﴿**الذي**﴾ في محل نصب نعت لوعد. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**يوعدون**﴾ جملة الفعل ونائب الفاعل خبر كان. وجملة كانوا يوعدون صلة الموصول. والعائد محذوف أي الذي كانوا يوعدونه على ألسنة الرسل. ﴿**والذي**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**قال**﴾.. صلةُ الذي ﴿**لوالديه**﴾ متعلق بقال. ﴿**أف**﴾ اسم فعل ـ أفَّ يؤُفُّ أفاً ـ ﴿**لكما**﴾ متعلق بأفٍّ. ﴿**أتعدانني**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والنون الأولى نون الرفع. والنون الثانية نون الوقاية. والهمزة للاستفهام. ﴿**أن أخرج**﴾ فعل مضارع مبنيّ للمجهول منصوب بأن. ونائب الفاعل ضمير المتكلم. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول ثانٍ. ﴿**وقد خلت القرون**﴾ فعل وفاعل. والجملة حال من نائب الفاعل. ﴿**من قبلي**﴾ متعلق بخلت. ﴿**وهما**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**يستغيثان الله**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر المبتدإِ. ﴿**ويلك**﴾ منادى منصوب بالفتحة.. ﴿**آمن**﴾ فعل أمر. وفاعله ضمير المخاطب. ﴿**إن وعد**﴾ إنّ واسمها. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى وعد.

﴿**حق**﴾ خبر إنّ. والجملة تعليل. ﴿**فيقول**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الذي قال لوالديه.. والجملة مرتبة بالفاء على ما قبلها. ﴿**ما**﴾ حرف نفي. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**إلا**﴾ ملغاة. ﴿**أساطير**﴾ خبر المبتدإِ. ﴿**الأولين**﴾ مضاف إلى أساطير. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ، ﴿**الذين**﴾ في

محل رفع خبر المبتدإِ. والجملة خبر والذي قال لوالديه.. ﴿**حق**﴾ فعل ماض. ﴿**عليهم**﴾ متعلق به. ﴿**القول**﴾ فاعل. والجملة صلة الذين. ﴿**في أمم**﴾ متعلق بحق. ﴿**قد خلت**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف التحقيق. والفاعل ضمير يعود على أمم. ﴿**من قبلهم**﴾ متعلق بخلت. وجملة قد خلت نعت لأمم. ﴿**من الجن والإنس**﴾ بيان لأمم، ﴿**إنهم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**خاسرين**﴾ خبر كان. وجملة كانوا خاسرين خبر إنّ. وجملة إنهم كانوا خاسرين تذييل معلل لما سبقه. ﴿**ولكلّ**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**درجات**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**مما**﴾ متعلق بمحذوف نعت لدرجات. ﴿**عملوا**﴾ صلة ما. ﴿**ولنوفيهم**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل نحن. ﴿**أعمالهم**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**لا يظلمون**﴾ الفعل ونائب الفاعل خبر المبتدإِ. والجُمَل الثلاث معطوفة بالواو على ما سبق من الفريقين السابقين: المحسن بوالديه والمسيء.. ﴿**ويوم**﴾ ظرف متعلق بفعل مقدر؛ ﴿**يعرض**﴾ فعل مضارع مبنيّ للمجهول. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع نائب الفاعل. ﴿**كفروا**﴾.. ﴿**على النار**﴾ متعلق بيعرض. ﴿**أذهبتم طيّباتكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة مقول قول مقدر؛ والتقدير: يُقال يوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم ﴿**في حياتكم**﴾ متعلق بأذهبتم. ﴿**الدنيا**﴾ نعت لحياتكم. ﴿**واستمتعتم**﴾ فعل وفاعل. والجملة معطوفة على جملة أذهبتم. ﴿**بها**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**فاليوم**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**تُجْزَون**﴾ من الفعل ونائب الفاعل. ﴿**عذاب**﴾ مفعول به. ﴿**الهون**﴾ مضاف إلى عذاب. ﴿**بما**﴾ متعلق بتجزون. ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**تستكبرون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وكان واسمها وخبرها صلة ما. ﴿**في الأرض بغير**﴾ متعلقان بتستكبرون. ﴿**الحق**﴾ مضاف إلى غير. ﴿**وبما كنتم تفسقون**﴾ معطوف على بما كنتم تستكبرون.. ﴿**واذكر**﴾ فعل أمر. ﴿**أخَا**﴾ مفعول به منصوب بالألف. ﴿**عاد**﴾ مضاف إليه.

﴿**إذ**﴾ مبنيّ على السكون في محل نصب ظرف متعلق باذكر. ﴿**أنذر**﴾ فعل ماضٍ. والفاعل ضمير يعود على «أخا عاد». وهو هود ـ عليه السلام ـ ﴿**قومَه**﴾ مفعول به. ﴿**بالأحقاف**﴾ متعلق بأنذر. ﴿**وقد خلت النذر**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق. والواو للحال. والجملة حال من فاعل أنذر. ﴿**من بين**﴾ متعلق بخلت. ﴿**يديه**﴾ مضاف إلى بين. ﴿**ومن خلفه**﴾ معطوف على من بين يديه. ﴿**ألاّ**﴾

تعبدوا﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النهي الجازم. وأن مفسرة لأنذر. **﴿إلاّ الله﴾** مفعول به. **﴿إني﴾** إنّ واسمها. **﴿أخاف﴾** فعل مضارع. والفاعل ضمير المتكلم. والجملة خبر إنّ. وجملة إني أخاف تعليل للنهي. **﴿عليكم﴾** متعلق بأخاف. **﴿عذاب﴾** مفعول به. **﴿يوم﴾** مضاف إلى عذاب. **﴿عظيم﴾** نعت ليوم. **﴿قالوا﴾**.. **﴿أجئتنا﴾** فعل وفاعل ومفعول. دخل عليه حرف الاستفهام. والجملة مقول القول. **﴿لتأفكنا﴾** فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير المخاطب. **﴿عن ءالهتنا﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿فَأْتِنَا﴾** فعل أمر مرتب على ما قبله بالفاء. والضمير المتصل به مفعول **﴿بما﴾** متعلق بفعل الأمر. **﴿تعدنا﴾** فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير المخاطب. **﴿إن كنت﴾** كان واسمها. دخل عليها حرف الشرط. **﴿من الصادقين﴾** متعلق بمحذوف خبر كان. وجواب الشرط محذوف دل عليه فَأْتِنَا بما تعدنا. **﴿قال﴾**.. **﴿إنما العلم﴾** مبتدأ دخل عليه حرف الحصر. **﴿عند﴾** متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. **﴿الله﴾** مضاف إلى الظرف. وجملة إنما العلم عند الله مقول القول. **﴿وأبلغكم﴾** فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير المتكلم. **﴿ما﴾** في محل نصب مفعول ثانٍ. **﴿أرسلت﴾** الفعل ونائب الفاعل صلة ما. **﴿به﴾** متعلق بأرسلت. **﴿ولكني﴾** لكن واسمها **﴿أراكم﴾** فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول أول. والفاعل ضمير المتكلم. والجملة خبر لكنّ. **﴿قوماً﴾** مفعول ثانٍ. **﴿تجهلون﴾** فعل وفاعل. والجملة نعت لـ «قوماً» **﴿فلما رأوه﴾** فعل وفاعل ومفعول فعل شرط لمّا. والفاء فصيحة. **﴿عارضاً﴾** حال من المفعول. **﴿مستقبل﴾** حال ثانية.

﴿أوديتهم﴾ مضاف إلى مستقبل. **﴿قالوا﴾** جواب شرط لمّا. **﴿هذا﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿عارض﴾** خبر المبتدإ. والجملة مقول القول. **﴿ممطرنا﴾** نعت لعارض. **﴿بل﴾** حرف إضراب وعطف. **﴿هو﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿ما﴾** اسم موصول في محل رفع خبر المبتدإ. **﴿استعجلتم﴾** فعل وفاعل. والجملة صلةُ ما. **﴿به﴾** متعلق باستعجلتم. **﴿ريح﴾** بدل من ما. **﴿فيها﴾** متعلق بمحذوف خبر مقدم. **﴿عذاب﴾** مبتدأ مؤخر. **﴿أليمٌ﴾** نعت لعذاب. وجملة فيها عذاب أليم نعت لريح. **﴿تدمر﴾** فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على ريح. **﴿كل﴾** مفعول به. **﴿شيء﴾** مضاف إلى كل. والجملة نعت ثان لريح. **﴿بأمر﴾** متعلق بتدمر.

﴿**ربها**﴾ مضاف إلى أمر. ﴿**فأصبحوا**﴾ أصبح واسمها. والفاء للتعقيب. ﴿**لا ترى**﴾ فعل مضارع منفي بلا. والفاعل ضمير المخاطب. والجملة خبر أصبح. ﴿**إلا مساكنهم**﴾ مفعول به. ﴿**كذلك**﴾ الكاف في محل نصب نعت لمفعول مطلق. وذلك في محل جر بالكاف. ﴿**نجزي**﴾ فعل مضارع، والفاعل نحن. ﴿**القوم**﴾ مفعول به. ﴿**المجرمين**﴾ نعت للقوم. أي: نجزي القوم الظالمين جزاء مثل ما ذكر من جزاء عاد. ﴿**ولقد مكناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف. ﴿**فيما**﴾ متعلق بمكناهم. ﴿**إنْ**﴾ حرف نفي ـ ما ـ ﴿**مكناكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**فيه**﴾ متعلق بالفعل قبله والجملة صلة ما الموصولة. ﴿**وجعلنا**﴾ فعل وفاعل. معطوف على مكناهم. ﴿**لهم**﴾ متعلق بجعلنا. ﴿**سمعاً**﴾ مفعول به. ﴿**وأبصاراً وأفئدة**﴾ معطوفان على «سمعا» ﴿**فما أغنى**﴾ فعل ماض منفيّ بما. والفاء للتعقيب. ﴿**سمعُهم**﴾ فاعل. ﴿**ولا أبصارُهم ولا أفئدتهم**﴾ معطوفان على سمعهم. ﴿**من شيء**﴾ مفعول به جر بحرف الجر الزائد. ﴿**إذ**﴾ ظرف متعلق بما قبله، قصد به التعليل. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**يجحدون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. ﴿**بآيات**﴾ متعلق بيجحدون. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى آيات. ﴿**وحاق**﴾ فعل ماض. ﴿**بهم**﴾ متعلق بحاق. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل رفع فاعل حاق. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**به**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**يستهزئون**﴾ الجملة من الفعل والفاعل خبر كان. وجملة كانوا به يستهزئون صلة ما. ﴿**ولقد أهلكنا ما**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف. ﴿**حولكم**﴾ متعلق بمحذوف صلةُ ما. ﴿**من القرى**﴾ بيان لما. ﴿**وصرفنا الآيات**﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف على أهلكنا ما حولكم.

﴿**لعلهم**﴾ لعل واسمها. ﴿**يرجعون**﴾ الجملة من الفعل والفاعل خبر لعل. وجملة لعلهم يرجعون تعليلية. ﴿**فلولا نصرهم**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف التخصيص وفاء التعقيب. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع فاعل نصر. ﴿**اتخذوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة الموصول. ﴿**من دون**﴾ متعلق باتخذوا. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى دون. ﴿**قرباناً**﴾ حال من المفعول الأول المقدر في اتخذوا. أي: اتخذوهم.. ﴿**آلهة**﴾ مفعول ثانٍ. والمعنى: فهلاّ نصرهم الذين اتخذوهم آلهة من دون الله متقرباً بهم إليه؟!.. ﴿**بل ضلوا عنهم**﴾.. ﴿**وذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**إفكهم**﴾ خبره. ﴿**وما**﴾ في محل رفع معطوف على

إفكهم. ﴿**كانوا يفترون**﴾ الجملة من كان واسمها وجملة خبرها صلة ما. ﴿**وإذ**﴾ ظرف للزمن الماضي متعلق بفعل أمر مقدر. والتقدير: واذكر لقومك وَقْتَ ﴿**صرفنا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**إليك**﴾ متعلق بصرفنا. ﴿**نفراً**﴾ مفعول به. ﴿**من الجن**﴾ متعلق بمحذوف نعت لـ «نفراً» ﴿**يستمعون القرءان**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة حال من «نفراً» لتخصصه بالنعت. ﴿**فلما حضروه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. فعل شرط لما. والفاء للتعقيب. ﴿**قالوا**﴾.. جواب الشرط. ﴿**أنصتوا**﴾ أمر موجه من بعض النفر إلى البعض الآخر. ﴿**فلما قُضِيَ**﴾ فعل ماض مبني للمجهول مرتب على ما قبله. ﴿**ولّوْا**﴾ فعل وفاعل. جواب شرط لمّا. ﴿**إلى قومهم**﴾ متعلق بولوا. ﴿**منذرين**﴾ حال من فاعل ولّوْا. ﴿**قالوا**﴾.. ﴿**يا قومنا**﴾.. ﴿**إنا**﴾.. ﴿**سمعنا كتاباً**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر إنّ. ﴿**أنزل**﴾ فعل ماضي مبنيّ للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على كتاب. وجملة أنزل نعت لكتاب ﴿**من بعد**﴾ متعلق بأنزل. ﴿**موسى**﴾ مضاف إلى بعد ﴿**مصدقاً**﴾ حال من ضمير كتاب. ﴿**لما**﴾ متعلق بمصدق. ﴿**بين**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**يديه**﴾ مضاف إلى بين. ﴿**يهدي**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على كتاب. والجملة حال ثانية. ﴿**إلى الحق**﴾ متعلق بيهدي.

﴿**وإلى طريق**﴾ معطوف على إلى الحق. ﴿**مستقيم**﴾ نعت لطريق. ﴿**يا قومنا: أجيبوا**﴾.. ﴿**داعيَ**﴾ مفعول به. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى داعي. ﴿**وآمنوا**﴾.. ﴿**به**﴾ متعلق بآمنوا. ﴿**يغفر**﴾ فعل مضارع مجزوم في جواب الأمر. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**لكم من ذنوبكم**﴾ متعلقان بيغفر. ﴿**ويجركم**﴾ معطوف على يغفر: ﴿**من عذاب**﴾ متعلق بيجركم. ﴿**أليم**﴾ نعت لعذاب. ﴿**ومن**﴾ اسم شرط جازم. ﴿**لا يُجِبْ**﴾ فعل الشرط. ﴿**والفاعل**﴾ ضمير يعود على مَنْ. ﴿**داعي**﴾ مفعول به. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى داعي. ﴿**فليس بمعجز**﴾ خبر ليس مجرور بحرف الجر الزائد في محل نصب. واسم ليس ضمير يعود على مَنْ. وجملة ليس واسمها وخبرها جواب الشرط. والفاء رابط للجواب. ﴿**في الأرض**﴾ متعلق بمعجز. ﴿**وليس له**﴾ متعلق بمحذوف خبر ليس مقدم. ﴿**من دونه**﴾ متعلق بما بعده ﴿**أولياء**﴾ اسم ليس. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**في ضلال**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإِ. ﴿**مبين**﴾ نعت لضلال. ﴿**أو لم يروا**﴾ فعل وفاعل. دخل عليه حرف النفي الجازم وواو العطف وحرف الاستفهام. ﴿**أن الله**﴾

أن واسمها. ﴿**الذي**﴾ في محل نصب نعت للهِ. ﴿**خلق**﴾. . صلة الموصول. ﴿**السماوات**﴾ مفعول به. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات ﴿**ولم يعْي**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم. والفاعل ضمير يعود على الله ﴿**بخلقهن**﴾ متعلق بيعي. ﴿**بقادر**﴾ خبر إنّ. جُرَّ بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿**على أن يُحْيِي**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والفاعل ضمير يعود على الله. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بعلى متعلق بقادر. ﴿**الموتى**﴾ مفعول به. ﴿**بلى**﴾ جواب ﴿**إنه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**على كل شيء**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**قدير**﴾ خبر إنّ ﴿**ويوم**﴾ ظرف متعلق بيقال مقدر. ﴿**يعرض**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع نائب الفاعل. ﴿**كفروا**﴾. . صلة الموصول. ﴿**على النار**﴾ متعلق بيعرض. ﴿**أليس هذا**﴾ ليس واسمها دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**بالحق**﴾ خبر ليس. وجملة أليس هذا بالحق مقول لقولٍ مقدّر؛ والتقدير: يقال للذين كفروا يوم يعرضون على النار: أليس هذا بالحق؟!. ﴿**قالوا**﴾. . ﴿**بلى**﴾. . ﴿**وربّنا**﴾ قسم. ﴿**قال**﴾. . ﴿**فذوقوا**﴾. . ﴿**العذاب**﴾ مفعول به. ﴿**بما**﴾ متعلق بذوقوا. ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها.

﴿**تكفرون**﴾. . الجملة خبر كان. وجملة كان واسمها وخبرها صلة ما. ﴿**فاصبر**﴾ الأمر موجه من الله إلى رسوله. والفاء واقعة في جواب شرط مقدر. ﴿**كما**﴾ الكاف في محل نصب نعت لمفعول مطلق مقدر؛ والتقدير: صبراً مثل صبر. . ما مصدرية. . ﴿**صبر أولو**﴾ فعل وفاعل. ﴿**العزم**﴾ مضاف إلى أولو ﴿**من الرسل**﴾ متعلق بمحذوف حال من أولوا العزم. ﴿**ولا تستعجل**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. والواو للعطف. والفاعل ضمير المخاطب الموجه إليه الأمر. ﴿**لهم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**كأنّهم**﴾ كأنّ واسمها. ﴿**يوم**﴾ ظرف متعلق بما يأتي من قوله: لم يلبثوا. . ﴿**يرون ما**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**يوعدون**﴾ جملة الفعل ونائب الفاعل صلة ما. ﴿**لم يلبثوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي الجازم. والجملة خبر كأنّ. ﴿**إلا ساعة**﴾ مفعول به. ﴿**من نهار**﴾ متعلق بمحذوف نعت لساعة. والمعنى: كأنهم لم يلبثوا إلا ساعة كائنة من نهار يوم يرون ما يوعدون من العذاب الدائم. ﴿**بلاغ**﴾ خبر لمبتدإ محذوف: هذا بلاغ. ﴿**فهل يهلك**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول دخل عليه حرف الاستفهام وفاء التعقيب. ﴿**إلا القوم**﴾ نائب الفاعل. ﴿**الفاسقون**﴾ نعت للقوم.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**حم تنزيل من الكتاب العزيز الحكيم**﴾: ارتبط أول هذه السورة بآخر السورة التي قبلها بقوله تعالى: العزيز الحكيم. كما تشابهت السورتان في المطلع: حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم. وسورة الأحقاف هذه سابع سورة ابتدأت بحم. حرف الحاء من أقصى الحلق. وحرف الميم من آخر الفم ـ الشفتين ـ تقوية في شدة أداء العبارة!. ﴿**ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى**﴾: فصلت هذه الآية عما قبلها؛ لما فيها من الدليل على صحة تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم. الذي فيه الخبر بكون الصانع لهما هو الله.

وأنه يبعث من في القبور.. ﴿**والذين كفروا عما أنذروا معرضون**﴾: وصل شطر الآية بالعطف على ما قبله؛ لما فيه من معنى الحال الذي فيه المنكرون لما جاء به القرءان.. ﴿**قل أرأيتم ما تدعون من دون الله؟**﴾: استفهام توبيخي موجه إلى الذين كفروا المعرضين عن دعوة الحق، المغترّون بحالهم وما هم عليه من الباطل: ﴿**أروني ماذا خلقوا من الأرض؟!**﴾ جملة استفهامية مؤكدة لما قبلها.. فهل لهذه المعبودات مخلوقات في الأرض؟!.. ﴿**أم لهم شرك في السماوات؟**﴾: لا هذا ولا ذاك!.. وإنما هي أوهام لا دليل عليها من عقل!. ﴿**ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين**﴾: هذا تبكيت للمشركين بتعجيزهم عن الإتيان بسند نقلي بعد تبكيتهم بالتعجيز عن الإتيان بسند عقلي والمعنى: ائتوني بكتاب إلهي كائن من قبل هذا الكتاب الناطق بالتوحيد وإبطال الشرك دالٍّ على صحة دينكم.. فإن لم يكن كتاب يدل على صحة ما أنتم عليه، ائتوني ببقية بقيت من علم الأولين تشهد بصحة عبادتكم للأصنام... إن كنتم صادقين في دعواكم فلتأتوني بما يدل على صحة عبادتكم.. فإنها لا تصح ما لم يقم عليها برهان عقلي أو سلطان نقلي. وحيث لم يقم عليها شيء منهما.. وقد قامت على خلافها أدلة العقل والنقل؛ تبين بطلانها!.. ﴿**ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون؟!..**﴾ فهذه الآية موصولة بما قبلها؛ زيادة في الإنكار والنفي.. فهم أضل من كل ضال حيث تركوا عبادة خالقهم السميع القادر المجيب الخبير إلى عبادة مصنوعهم العاري عن السمع والقدرة والاستجابة.. إلى يوم القيامة!.. ﴿**وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء**

وكانوا بعبادتهم كافرين﴾!﴿. . فيا خيبة الأمل ويا ضيعة الرجاء!!. . **﴿وإذا تتلى عليهم ءاياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين﴾**: هذه الآية موصولة بالعطف على ءاية ومن أضل ممن يدعو من دون الله. . . الخ. وهذا انتقال إلى إبطال ضلال آخر من ضلالهم. وهو ضلال التكذيب بالقرءان. **﴿أم يقولون: افتراه؟!.﴾** إضرابٌ وانتقالٌ من حكاية شناعتهم السابقة إلى حكاية ما هو أشنع وأفظع من ضلال أقوالهم. . ففي العبارة زيادة توبيخ وتعجيب!. **﴿قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً﴾**: هذا رد على زعمهم الباطل. . فلو فرض وحصل مني ما قلتم. . **﴿فلا تملكون لي من الله شيئاً هو أعلم بما تفيضون فيه. . كفى به شهيداً بيني وبينكم. . وهو الغفور الرحيم. . قل: ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم. . إن أتبع إلا ما يوحى إليّ وما أنا إلا نذير مبين﴾**: في هاتين الآيتين بيان موقف الرسول مع قومه المنكرين المكذبين.

﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله. . فآمن واستكبرتم؟!﴾. . فهذا الكلام استدراج للمشركين المخاطبين للرسول؛ لأجل إقناعهم والوصول بهم إلى الحق. . وجملة **﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾** تذييل مبين لعلة سبب إنكارهم. وهو الظلم والبهتان بعد بيان الحق بالحجة والبرهان. **﴿وقال الذين كفروا للذين ءامنوا: لو كان خيراً ما سبقونا إليه﴾**: هذا الكلام حكاية لبعض آخر من أقوال المشركين. . في حق القرءان والمؤمنين به. . قالوه زعماً منهم أن الرياسة الدينية مما تُنالُ بأسباب دنيوية؛ كما قالوا: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم؟!. **﴿وإذ لم يهتدوا به فسيقولون: هذا إفك قديم﴾**: وصل هذا الكلام بالعطف على صدر الآية. . فقد استوفوا بمزاعمهم وجوه الطعن في القرآن. فقالوا: سحر مبين. . وقالوا: افتراه. . وقالوا: لو كان خيراً ما سبقونا إليه. . وبقي أن يقولوا: هو إفك قديم!. وقد نبّه الله على أن مزاعمهم كلها ناشئة عن كفرهم واستكبارهم بقوله: قال الذين كفروا. . وكفرتم به. . واستكبرتم. . وإذ لم يهتدوا به!. **﴿ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة. وهذا كتاب مصدق، لساناً عربياً؛ لتنذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين﴾**: اتبع إبطال ترهاتهم الطاعنة في القرءان بهذا الكلام المفيد. . فهو زيادة الإبطال لمزاعمهم، بالتذكير بنظير القرءان ومثيل له من كتب الله تعالى. وهو التوراة؛ مع التنويه بالقرءان ومزيته. . فوصلت هذه الآية بالعطف على التي قبلها

لارتباطها بها في إبطال مزاعم المشركين؛ وفي أنه ناظرة إلى قوله تعالى: وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله.. وتقديم «من قبله» للاهتمام بهذا الخبر محل القصد من الآية. ﴿**إن الذين قالوا: ربنا الله.. ثم استقاموا.. فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾: استئناف بياني. أوثر بصريحه جانبُ المؤمنين من المستمعين للقرآن؛ لأنهم لما سمعوا البشرى تطلعوا إلى صفة البشرى وتعيين المحسنين ليضعوا أنفسهم في حق مواضعها، وتعريفهم بطريق الموصولية. لما تؤذن به الصلة من تعليل كرامتهم عند الله تعالى.

وجملة «ثم استقاموا» ارتقاء بالتدرج إلى أقصى المراتب. واستحضارهم بطريق اسم الإشارة في قوله: ﴿**أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها**﴾؛ للتنبيه على أنهم أحرياء بما يرد من الإخبار عنهم بما بعد الإشارة. ﴿**ووصينا الإنسان بوالديه حسناً.. حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً.. وحمله وفصاله ثلاثون شهراً**﴾: صدر هذه الآية موصول بالعطف على ما قبله.. وجملة ﴿**حتى إذا بلغ أشده**﴾.. غاية لما سبقها.. فحتّى هنا ابتدائية؛ ومعناها معنى فاء التفريع على الكلام المتقدم؛ وإذ كانت حتى لا يفارقها معنى الغاية كانت مؤذنة هنا بأن الإنسان تدرج في أطواره من وقت فصاله إلى أن بلغ أشده.. وجملة ﴿**وبلغ أربعين سنة**﴾ بينت هذه الغاية ووضحتها.. وجملة ﴿**قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك**﴾.. الخ، الآية جواب شرط إذا.. وجملة ﴿**أولئك الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا**﴾، وما عطف عليها استئناف بياني فيه معنى التذييل. وجمع أولئك الذين يُتقبّل عنهم باعتبار جنس الإنسان المتصف بالوصف المحكي عنه. وما في اسم الإشارة من معنى البعد للإشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الدرجات العالية. ﴿**والذي قال لوالديه: أفٍّ لكما!!.. أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي؟!**﴾.. وهذا الكلام مقابل للكلام الذي سبقه من فعل المحسن بوالديه. وهو عمل المسيء بوالديه. والموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك القول. وكلمة أفٍّ: هو صوت يصدر من الشخص عند بلوغ غاية التنفّر والتضجُّر والاشمئزاز من شيء لا يتحمّله. وزاد على هذه الكلمة الفظيعة إنكارَه على والديه نصيحتهما له وإشفاقهما عليه بما هو أنكر وأنكى من قوله أفّ!!.. ﴿**أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس، إنهم كانوا خاسرين**﴾: القول في أولئك هنا مثل القول في أولئك هناك باعتبار كل منهما بما يليق به من حسن الجزاء وإساءته؛

لهذا عطف عليه قوله: ﴿**ولكل درجات مما عملوا، ولنوفيهم أعمالهم، وهم لا يظلمون**﴾. . فَتَنْوِينُ كلٍّ تنوين عِوَضٍ عما يضاف إليه كل. وهو مقدر يعلم من السياق. أي: ولكلٍّ الفريقين: المؤمن البار بوالديه المؤمن بوعد ربه. . والكافر الجامع بين جحود البعث والعقوق بوالديه! وعبر بالدرجات تغليباً لجانب المؤمنين المحسنين، وإشادةً بهم. . فالمؤمنون في أعلى الدرجات والكافرون في أسفل الدركات. ﴿**ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها. . فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون**﴾: في هذا الكلام قول مقدر عامل في الظرف وفي جملة أذهبتم طيباتكم. . والتقدير: ويقال للذين كفروا يوم يعرضون على النار: أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا. . وصورة العرض على النار تمثيل. مثل ما يعرض الجيش على الساحة. وفي الكلام تهكم بهم.

﴿**واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف ـ وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه: ألا تعبدوا إلا الله، إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم**﴾: وصلت هذه الآية بالعطف على ما سبقها من الكلام الموجه إلى المشركين من أهل مكة موعظة وتذكيراً وتحذيراً مما سيحل بهم مثل ما حل بالأمم قبلهم من العذاب. . فجملة وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه معترضة بين جملة إذ أنذر قومه وجملة ألا تعبدوا إلا الله؛ مسارعة إلى ما ذكر من التقرير والتأكيد، وإيذاناً باشتراكهم في العبارة المحكية. والمعنى: واذكر يا محمد لقومك إنذار هودٍ قومَه عاقبةَ الشرك والعذابَ العظيمَ وقد أنذر من تقدَّمَه من الرسل ومن تأخر عنه قومهم مثل ذلك. وَسِيقَتْ أيضاً مَسَاق الحجة على رسالة محمد ﷺ وعلى عناد قومه. ولها أيضاً مقام التسلية للرسول على ما تلقاه به قومه من العناد: ﴿**قالوا: أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا. . فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين؟!**﴾. . فهذه الجملة جواب عن قول هود: ألا تعبدوا إلا الله. ولذلك فعل قالوا مفصولاً على طريق المحاورة. والاستفهام إنكاري. والمجيء مستعار للقصد لطلب أمر عظيم. شبه طرُوُّ الدعوة بعد أن لم يكن يدعو بها بمجيء جاءٍ لم يكن في ذلك المكان. وهذا الإنكار تعريض بالتكذيب. . فلذلك فرع عليه «فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين!. . فصرحوا بتكذيبه بطريق المفهوم. ﴿**قال: إنما العلم عند الله**﴾، وإنما أنا نذير مبين: هكذا يرد عليهم هود بأنه لا دخل له في هذا الأمر. . وإنما عليه البلاغ

فقط. ﴿**وأبلغكم ما أرسلت به، ولكني أراكم قوماً تجهلون!!.. فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا: هذا عارض ممطرنا**﴾: الكلام مرتب على كلام قبله مقدر. والتقدير: فأتاهم العذاب الذي وعدوا به فلما رأوه.. ﴿**بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم**﴾ قال هود ـ عليه السلام ـ ضارباً عن قولهم: ليس الأمر كذلك.. وإنما هو ما استعجلتم به.. والفاء في قوله تعالى: فأصبحوا.. فصيحة. أي: فجاءتهم الريح فدمرتهم فأصبحوا.. وجملة ﴿**كذلك نجزي القوم المجرمين**﴾ تذييل مقرر لمضمون ما حصل.

﴿**ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه**﴾: هذا استخلاص لموعظة المشركين بمثل عاد.. فعاد أقوى وأكثر من قريش. ﴿**وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة.. فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء؛ إذ كانوا يجحدون بآيات الله، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون!!.. ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى، وصرفنا الآيات، لعلهم يرجعون**﴾: هذه الآية موصولة بالعطف على آية واذكر أخا عاد.. وكنّى عن إهلاك الأقوام بإهلاك قراهم مبالغة في استئصالهم.. ﴿**فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة؟!**﴾.. فهذا تفريع على ما تقدم من الموعظة بعذاب عاد المفصل، وبعذاب أهل القرى المجمل. فُرِّعَ عليه توبيخُ موجه إلى آلهتهم إذ قعدوا عن نصرتهم!.. والمقصود بهذا التوبيخ تخطئة الأمم الذين اتخذوا الأصنام للنصر والدفع.. وذلك مستعمل تعريضاً بالسامعين المماثلين لهم في عبادة آلهة من دون الله اسْتِتْمَاماً للموعظة والتوبيخ بطريق التنظير وقياس التمثيل!. ولذلك عقب بقوله: ﴿**بل ضلوا عنهم، وذلك إفكهم وما كانوا يفترون.. وإذْ صرفنا إليك نفراً من الجن، يستمعون القرءان.. فلما حضروه قالوا أنصتوا.. فلما قُضِيَ ولوا إلى قومهم منذرين: قالوا يا قومنا: إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه. يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم. يا قومنا: أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم. ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء. أولئك في ضلال مبين**﴾: هذه الآيات موصولة بالعطف على آيات قصة عاد.. فهو عطف قصة على قصة. والتقدير: واذكر لقومك وقت صرفنا إليك جماعة من الجن..

﴿**أو لم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعْيَ بخلقهن بقادرٍ على أن**

يحيي الموتى؟!.. بلى إنه على كل شيء قدير﴾: هذا عود على بدْءٍ.. فقد ابتدئت السورة بالاحتجاج على البعث بقوله تعالى: ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى.. ويتصل بقوله: والذي قال لوالديه: أُفّ لَكُمَا أتعدانني أن أخرج؟!.. والواو عاطفة جملة الاستفهام.. وهو استفهام إنكاري.. وجملة بلى إنه على كل شيء قدير جواب لما تضمنه الاستفهام عن مدى عموم القدرة على كل شيء.. فهو البرهان الدال على المقصود. **﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار: أليس هذا بالحق؟!﴾**..

فعندما ذكر في الآية السابقة الاستدلال على إمكان البعث ذكر هنا ما يحصل للذين كفروا فيه عندما يقع بالفعل! وذلك جمعاً بين الاستدلال والإنذار. وجملة **﴿قالوا: بلى.. وربنا﴾** جواب الاستفهام الموجه إليهم.. وأقسموا عليه طمعاً في الخلاص أو التخفيف.. **﴿قال: فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾**: تيئيس لهم وردّ لمطمعهم السخيف؛ لما في هذا من الإهانة والتوبيخ لهم. والفاء في قوله تعالى: **﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل، ولا تستعجل لهم﴾**، جواب شرط مقدر. والتقدير: إذا كان عاقبة أمر الكفرة ما ذكر فاصبر على ما يصيبك من جهتهم كما صبر أولوا الثبات والحزم من الرسل.. **﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار!!.. بلاغ.. فهل يهلك إلا القوم الفاسقون؟﴾**.. فجملة هذا الكلام مفرع على ما سبق من الكلام في هذه السورة من تكذيب المشركين برسالة محمد ﷺ واستهزائهم بما جاء في القرءان من وعيد وتهديد.. وفي هذا الكلام محسّن براعة المقطع!!.. فالفاسقون هم الكافرون المعرضون.. ففيه رد العجز على الصدر!

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم. ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى، والذين كفروا عما أنذروا معرضون..﴾: في هذا التوجيه عرض آيات القرءان وعرض آيات الأكوان. وكلا العرضين قائم على الحق وعلى التدبير. وكلاهما مفتوح ومعروض على الأسماع والأنظار.. فكلاهما كتابان معروضان لذوي الأبصار. ويدل كتاب الكون على صدق الكتاب المتلو وما فيه من إنذار وتبشير: والذين كفروا عما أنذروا

معرضون!!.. فهذا هو العجب المستنكر في ظل تلك الإشارة إلى الكتاب المنزل والكتاب المنظور!. والكتاب المنزل المتلوّ يقرر أن الله واحد لا يتعدد، وأنه رب كل شيء، بما أنه خالق كل شيء، ومدبر كل شيء، ومقدر كل شيء. وكتاب الكون الحي ينطق بهذه الحقيقة ذاتها.. فنظامه وتنسيقه وتناسقه كلها تشهد بوحدانية الصانع المقدر المدبّر؛ الذي يصنع على علم، ويبدع على إدراك وإتقان. وطابع الصنعة واحد في كل ما يصنع وما يبدع.. فكيف يتخذ الناس آلهة من دونه؟!.. وماذا صنع هؤلاء الآلهة، وماذا أبدعوا؟!.. فهذا هو الكون قائماً معروضاً على الأنظار والقلوب.. فماذا لهم فيه؟ وأيّ قسم من أقسامه أنشأوا؟!: **﴿قل أرأيتم ما تدعون من دون الله؟ أروني ماذا خلقوا من الأرض؟.. أم لهم شرك في السماوات؟﴾**.. فهذا تلقين من الله تعالى لرسوله؛ ليواجه القوم بشهادة كتاب الكون المفتوح. الكتاب الذي لا يقبل الجدل والمغالطة.. والذي يخاطب الفطرة بمنطقها.. فلن يملك إنسان أن يزعم أن تلك المعبودات قد خلقت من الأرض شيئاً.. ولن يملك إنسان كذلك أن يزعم أن لتلك المعبودات شركة في خلق السماوات أو في ملكيتها. والله منزل هذا القرءان يعلم أثر النظر في الكون على قلوب البشر. ومن ثَمّ يوجههم إلى كتاب الكون ليتدبّروه ويستشهدوه ويستمعوا إلى إيقاعاته المباشرة في القلوب.. ثم يأخذ الطريق على ما قد يطرأ على بعض النفوس من انحراف بعيد.. فقد يصل بها هذا الانحراف إلى أن تزعم هذا الزعم أو ذاك بلا حجة ولا دليل. يأخذ عليها الطريق فيطالبها بالحجة والدليل؛ ويعلمها في الوقت طريقة الاستدلال الصحيح؛ ويأخذها بالمنهج في النظر والحكم والتقدير: **﴿ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين﴾**.. فإما كتاب من عند الله صادق. وإما بقية من علم مستيقن ثابت. وكل الكتب المنزلة قبل القرءان تشهد بوحدانية الله الخالق المبدع المدبر المقدر؛ وليس فيها من كتاب يقر خرافة الآلهة المتعددة، أو يقول بأن لها في الأرض خلقاً أو في السماوات شركاً! وليس هنالك من علم ثابت يؤيد مثل ذلك الزعم المتهافت. وهكذا يواجههم القرءان بشهادة هذا الكون. وهي شهادة حاسمة جازمة. ويأخذ عليهم طريق الادّعاء بلا بينة. ويعلمهم منهج البحث الصحيح في آية واحدة قليلة الكلمات واسعة المدى قوية الإيقاع حاسمة الدليل.. ثم يأخذ بهم إلى نظرة موضوعية في حقيقة هذه الآلهة المدعاة، منددأ بضلالهم في اتخاذها.

وهي لا تستجيب لهم ولا تشعر بدعائهم في الدنيا.. ثم هي تخاصمهم يوم القيامة وتنكر دعواهم في عبادتها: ﴿**ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون؟ وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين**﴾.. فهكذا يوقفهم القرءان وجهاً لوجه أمام حقيقة دعواهم ومآلها في الدنيا والآخرة. بعد ما أوقفهم أمام الحقيقة الكونية التي تنكر هذه الدعوى وترفضها. وفي كلتا الحالتين تبرز الحقيقةُ الثابتة.. وإذا كان القرءان يندد بضلال من يدعون من دون الله ءالهة لا يستجيبون لهم إلى يوم القيامة كان هذا وارداً في المعبودات التي عرفها العرب عند نزول هذا القرءان.. فإن النص أوسع مدلولاً وأطول مَدىً من الواقع المحدد بالزمان والمكان.. فمن أضل ممن يدعو من دون الله أحداً في أي زمان وفي أيّ مكان؟!.. فالشرك ليس مقصوراً على صُوَرِه الساذجة التي عرفها المشركون من العرب.. فكم من مشكرين يشركون مع الله ذوي سلطان، أو ذوي جاه، أو ذوي مال؟.. يرجونهم ويتوجهون إليهم بالدعاء! وكلهم أعجز من أن يستجيبوا لدعاتهم استجابة حقيقية. وكلهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً.. فدعاؤهم شرك. والرجاء فيهم شرك. والخوف منهم شرك. ولكنه شرك خفي يزاوله الكثيرون وهم لا يشعرون!.. ثم يمضي السياق يتحدث عن موقف المشركين من رسول الله وما جاء به من الحق، بعدما تحدث عن واقعهم وتهافت عقيدتهم. ويقرر قضية الوحي كما قرر قضية التوحيد: ﴿**وإذا تتلى عليهم ءاياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم: هذا سحر مبين**﴾.. فيبدأ الحديث عن قضية الوحي بترذيل مقولتهم عنه واستنكار استقبالهم له؛ وهو آيات بينات لا لبس فيها ولا غموض ولا شبهة فيها ولا ريبة.. ثم إنه الحق الذي لا مرية فيه، وهم يقولون لتلك الآيات ولهذا الحق: هذا سحر مبين! وهكذا يبدأ الهجوم منذ البدء على تقوّلهم الظالم وادعائهم القبيح الذي لا يستند إلى شبهة ولا ظل من دليل.. ثم يرتقي في إنكار مقولتهم الأخرى: ﴿**أم يقولون: افتراه؟!**﴾.. فلا يسوقها في صيغة الخبر.. بل في صيغة الاستفهام.

كأنّ هذا القول لا يمكن أن يقال.. وبعيد أن يقال!!.. فيبلغ بهم التطاول أن يقولوا هذه المقولة التي لا تخطر على بال!. ويأمر الله رسوله أن يرد عليهم بأدب النبوة الذي يَنمّ عن حقيقة شعوره بربه وشعوره بوظيفته: ﴿**قل: إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً**﴾.. فهو الرد اللائق بنبيء يتلقى من ربه ولا يرى في

الوجود غيره.. فهو رد كذلك منطقي يدركه المخاطبون به لو حكّموا عقولهم فيه يجيبهم به.. ثم يترك أمرهم لله: ﴿**هو أعلم بما تفيضون فيه.. كفى به شهيداً بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم**﴾.. فهذا رد فيه تحذير وترهيب. وفيه إطماع وتحضيض. يأخذ على القلب مسالكه.. ثم يمضي معهم في مناقشة القضية ـ قضية الوحي ـ من زاوية أخرى واقعية مشهودة.. فماذا ينكرون من أمر الوحي والرسالة؟ ولِمَ يعجلون بتهمة السحر أو تهمة الافتراء؟ وليس في الأمر غريب ولا عجيب!: ﴿**قل: ما كنت بدعا من الرسل، وما أدري ما يفعل بي ولا بكم**﴾.. محمد ﷺ ليس أول رسول.. فقد سبقته الرسل. وأمره كأمرهم وما كان بدعاً من الرسل. بشر يعلم الله أنه أهل للرسالة فيوحى إليه فيصدع بما يؤمر. هذا هو جوهر الرسالة وطبيعتها.. يمضي في سبيله يبلغ رسالة ربه حسبما أوحى بها إليه: ﴿**إن أتبع إلا ما يوحى إليّ**﴾.. فهو يمضي وفق الإشارة وحسب التوجيه، واثقاً بربه مستسلماً لإرادته مطيعاً لتوجيهه يضع خطاه حيث قادها الله.. فهو واقف أبداً عند حدوده وحدود وظيفته: ﴿**وما أنا إلا نذير مبين**﴾.. ثم يواجههم شاهد قريب، لِشهادته قيمتُها؛ لأنه من أهل الكتاب يعرفون طبيعة التنزيل: ﴿**قل: أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به، وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله.. فآمن واستكبرتم؟!.. إن الله لا يهدي القوم الظالمين**﴾.. فقد آمن بعض أهل الكتاب على قلة في العهد المكي من بني إسرائيل.. فكان لإيمانهم قيمتهُ وحجته في وسط المشركين الأميين.. فهذا الأسلوب في الجدل يراد به زعزعة الإصرار والعناد في نفوس أهل مكة، وإثارة التخوّف في نفوسهم، والتحرّج من المضيّ في التكذيب. ما دام أن هذا القرآن يحتمل أن يكون من عند الله حقّاً. كما يقول محمدٌ ﷺ وفي هذه الحالة تكون العاقبة وخيمة.. فأولى لهم أن يحتاطوا لهذا الفرض، الذي قد يصح.. فيحل بهم كل ما ينذرهم به. ولقد سلك القرآن شتى السبل، واتبع شتى الأساليب، ليواجه شكوك القلب البشري وانحرافاته وآفاته، ويأخذ عليها المسالك، ويعالجها بكل أسلوب.

وبعد ذلك يمضي السياق في استعراض مقولات المشركين عن هذا القرءان وعن هذا الدين.. فيحكي اعتذارهم عن التكذيب به والإعراض عنه اعتذار المستكبر المتعالي على المؤمنين: ﴿**وقال الذين كفروا للذين ءامنوا: لو كان خيراً ما سبقونا إليه**﴾.. فالأمر ليس كذلك.. فما كان يمنعهم عنه أنهم يشكون فيه، أو

يجهلون الحق الذي يقوم عليه.. إنما كان هو الكبر عن الإذعان. إنه الهوى، يتعاظم أهل الكبر أن يذعنوا للحق، وأن يستمعوا لصوت الفطرة.. وهو الذي يملي عليهم العناد والإعراض، واختلاق المعاذير والادعاء بالباطل على الحق وأهله.. فهم لا يسلمون أبداً أنهم مخطئون، وهم يجعلون من ذواتهم محوراً للحياة كلها يدورون حوله ويريدون أن يديروا حوله الحياة: ﴿**وإذ لم يهتدوا به فسيقولون: هذا إفك قديم**﴾.. فلا بد من عيب في الحق ما داموا لم يهتدوا به، ولم يذعنوا له! لا بد من عيب في الحق؛ لأنهم لا يجوز أن يخطئوا! وهم في نظر أنفسهم، أو فيما يريدون أن يوحوا به للجماهير مقدسون معصومون لا يخطئون!!.. ويختم السياق هذه الجولة في قضية الوحي والرسالة بالإشارة إلى كتاب موسى وتصديق هذا القرآن له: ﴿**ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة.. وهذا كتاب مصدق، لساناً عربياً**﴾.. فالتوراة باعتباره منزلاً من الله وهو إمام ورحمة.. والقرءان مصدق للأصل الأول، والمنهج الإلهي، وللاتجاه الأصيل الذي تُوجِّه البشريةُ إليه.. والإشارة إلى عروبة القرءان للامتنان على العرب وتذكيرهم بنعمة الله عليهم ورعايته لهم وعنايته بهم.. ثم بيان لوظيفة الرسالة ووظيفة صاحبها: ﴿**لتنذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين**﴾.. وفي نهاية هذا التوجيه الأول يصور السياق للناس جزاء المحسنين، ويفسر لهم هذه البشرى التي يحملها إليهم هذا الكتاب بشرطها. وهو الاعتراف بربوبية الله وحده والاستقامة على المنهج الذي جاء به هذا الكتاب: ﴿**إن الذين قالوا: ربنا الله.. ثم استقاموا.. فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾.. فقولة ربنا الله؛ ليست كلمة تقال.. بل إنها ليست مجرد عقيدة في الضمير.. إنما هي منهج كامل للحياة. يشمل كل نشاط فيها وكل اتجاه وكل حركة وكل خالجة. وتقيم ميزاناً للتفكير والشعور، وللناس والأشياء، وللأعمال والأحداث، وللروابط والوشائج في كل هذا الوجود.. ثم استقاموا.. وهذه أخرى.. فالاستقامة والاطراد والثبات على هذا المنهج درجة بعد اتخاذ المنهج. استقامة النفس وطمأنينة القلب، واستقامة العمل والسلوك على المنهج المختار. والاستقامة عليه درجة بعد معرفته واختياره. والذين يقسم الله لهم المعرفة والاستقامة هم الصفوة المختارة وهؤلاء لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. وفيم الخوف وفيم الحزن..

والمنهج واصل، والاستقامة عليه ضمان الوصول: ﴿**أولئك أصحاب الجنة**

خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون﴾.. فكلمة يعملون توضح معنى ربنا الله ومعنى الاستقامة على هذا المنهج في الحياة.. فهي تشير إلى أن هناك عملاً، كان الخلود في الجنة جزاؤه. عملاً منبعثاً من ذلك المنهج. ومن ثَمّ ندرك أن الكلمات الاعتقادية في هذا الدين ليست مجرد ألفاظ تقال باللسان.. فشهادة أن لا إله إلا الله ليست عبارة ولكنها منهج.. فإذا ظلت مجرد عبارة فليست هي ركن الإسلام المطلوب المعدود في أركان الإسلام. ومِنْ ثَمّ ندرك القيمة الحقيقية لمثل هذه الشهادة التي ينطق بها اليوم ملايين.. ولكنها لا تتعدى شفاههم ولا يترتب عليها أثر في حياتهم، وهم يحيون على منهج جاهلي شبه وثني، بينما شفاههم تنطق بمثل هذه العبارة الجوفاء!. أن لا إله إلا الله.. أو ربنا الله.. منهج حياة. هذا ما ينبغي أن يستقر في الضمائر والأخلاد؛ كي تبحث عن المنهج الكامل الذي تشير إليه مثل هذه العبارة وتتحراه.

التوجيه الثاني: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً.. حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة، قال رب: أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي، وأن أعمل صالحاً ترضاه، وأصلح لي في ذريتي، إني تبت إليك وإني من المسلمين..﴾: في هذا التوجيه إظهار الفرق بين نموذجين مختلفين في حسن العمل وسيئه.. فبدأ السياق ببيان أول النشأة الأولى وهما في أحضان الأم حملاً ووضعاً ورضاعاً وفصالاً.. فهذا المشهد يسير مع الفطرة في استقامتها وانحرافها، وفيما تنتهي إليه حين تستقيم، وفيما تنتهي إليه حين تنحرف.. ويبدأ السياق بالوصية بالوالدين. وكثيراً ما ترد هذه الوصية لاحقة للكلام عن العقيدة في الله أو مصاحبة لهذا الحديث. ذلك أن وشيجة الأبوة والبنوة هي أول وشيجة بعد وشيجة الإيمان في القوة والأهمية، وأولاها بالرعاية والتشريف. وفي هذا الاقتران دلالتان: أولاهما هي هذه. والثانية أن آصرة الإيمان هي الأولى وهي المقدمة.. ثم تليها آصرة الدم في أوثق صورها. وفي هذا التوجيه نموذجان من الفطرة البشرية: في النموذج الأول تلتقي آصرة الإيمان وآصرة الوالدين في طريقهما المستقيم المهتدي الواصل إلى الله. وفي الثاني تفترق آصرة النسب عن آصرة الإيمان فلا تلتقيان. والنموذج الأول مصيره الجنة ونصيبه البشرى.

والنموذج الثاني مصيره النار ونصيبه استحقاق العذاب.. وهذه الوصية هي

وصية لجنس الإنسان كله قائمة على أساس إنسانيته بدون حاجة إلى أية صفة أخرى وراء كونه إنساناً. وهي وصية بالإحسان مطلقة من كل شرط ومن كل قيد.. فصفة الوالدية تقتضي هذا الإحسان بذاتها. وهي وصية صادرة من خالق الإنسان. وتتكرر في القرءان الكريم وفي حديث الرسول الوصيةُ بالإحسان بالوالدين، ولا ترد وصية الوالدين بالأولاد إلا نادرة ولمناسبة حالات معينة. ذلك أن الفطرة وحدها تتكفل برعاية الوالدين للأولاد رعاية تلقائية مندفعة بذاتها لا تحتاج إلى مُثير. والإسلام يجعل الأسرة هي اللبنة الأولى في بنائه، والمحضن الذين تدرج فيه الفراخ وتكبر. وتتلقّى رصيدها من الحب والتعاون والتكافل والبناء. والطفل الذي يُحرم من محضن الأسرة ينشأ شاذاً غير طبيعي في كثير من جوانب حياته. وأول ما يفقده في أيّ محضن آخر غير محضن الأسرة هو شعور الحب والعطف والحنان.. ثم يخلص السياق من هذه الوقفة أمام الوصية بالوالدين إلى مرحلة النضج والرشد مع استقامة الفطرة واهتداء القلب: حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب: أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه.. ففي الأربعين من العمر تكتمل جميع القوى والطاقات.. ويُصَوِّرُ القرءانُ لنا خوالج النفس المستقيمة، وهي في مفرق الطريق: بين شطر من العمر ولى، وشطر يكاد آخره يبتدىء وهي تتوجه إلى الله: رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ.. فهي دعوة القلب الشاعر بنعمة ربه المستعظم المستكثر لهذه النعمة التي تَغمره وتغمر والديه قبله.. فهي قديمة العهد به، المستقل المستصغر لجهده في شكرها.. وأن أعمل صالحاً ترضاه: وهذه أخرى.. فهو يطلب العون للتوفيق إلى عمل صالح يبلغ من كماله وإحسانه أن يرضاه ربه. فرضى ربه هو الغاية التي يتطلع إليها، وهو وحده الرجاء الذي يأمل فيه، وأصلح لي في ذريتي: وهذه ثالثة. وهي رغبة القلب المؤمن في أن يتصل عمله الصالح في ذريته. والذرية الصالحة أمل العبد الصالح.

والدعاء هنا يمتد من الوالدين إلى الذرية لتتصل الأجيال المتعاقبة في طاعة الله. والتوبة والإسلام هي المقدمة التي يتقدم بها بين هذا الدعاء؛ إني تبت إليك وإني من المسلمين.. فذلك شأن العبد الصالح، صاحب الفطرة السليمة المستقيمة مع ربه.. فأما شأن ربه معه فقد أفصح عنه هذا القرءان: **﴿أولئك الذين يُتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيآتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي**

كانوا يوعدون﴾، فالجزاء بحساب أحسن الأعمال! والسيآت مغفورة متجاوز عنها! والمآل إلى الجنة مع أصحابها الأصليين! ذلك وفاء بوعد الصدق الذي وُعدوه في الدنيا! ولن يخلف الله وعده. وهو جزاء الفيض والوفر والإنعام!.. فأما النموذج الآخر فهو نموذج الانحراف والفسوق والضلال: **﴿والذي قال لوالديه: أفٍّ لكما! أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي﴾**؟!.. فالوالدان مؤمنان والولد العاقّ يجحد برّهما أول ما يجحد.. فيخاطبهما بالتأفف الجارح الخشن الوقح: أفٍّ لكما!.. ثم يجحد الآخرة بالحجة الواهية: أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي؟!.. فالوالدان يريان الجحود ويسمعان الكفر، ويفزعان مما يقوله الولد العاق لربه ولهما، ويرتعش حسهما لهذا التهجم والتطاول ويهتفان به: **﴿وهما يستغيثان الله: ويلك! آمن. إن وعد الله حق..﴾** فيبدو في حكاية قولهما الفزع من هول ما يسمعان! بينما هو يصرّ على كفره ويلجّ في جحوده: **﴿فيقول: ما هذا إلا أساطير الأولين﴾**. وهنا يعاجله السياق بمصيره المحتوم: **﴿أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين..﴾** فالقول الذي حُقّ على هذا وأمثاله هو العقاب الذي ينال الجاحدين المكذبين. وهم كثير. خلت بهم القرون من الجن والإنس. حسب وعيد الله الصادق الذي لا يُخلف ولا يتخلف، إنهم كانوا خاسرين. وأية خسارة أكبر من خسارة الإيمان واليقين في الدنيا.. ثم خسارة الرضوان والنعيم في الآخرة.. ثم العذاب الذي يحق على الجاحدين المنحرفين؟!!..

ثم بعد بيان العاقبة والجزاء إجمالاً للمهتدين والضالين يصور النص دقة الحساب والتقدير لكل فرد من هؤلاء وهؤلاء على حدة: **﴿ولكل درجات مما عملوا ولنوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون..﴾** فلكل فَرْد درجته ومنزلته.. ولكل فرد عمله في حدود ذلك الإجمال في جزاء كل فريق.. فهذان النموذجان عامان في الناس؛ ولكن مجيئهما في هذا الأسلوب الذي يكاد يحدد شخصين بذواتهما أوقع وأشد إحياءً للمثل كأنه واقع!. ثم يقفهم وجهاً لوجه أمام مشهد شاخص لهم في يوم الحساب الذي كانوا يجحدونه وينكرون وقوعه: **﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها.. فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون..﴾** فالمشهد سريع حاسم: ولكنه يتضمن لفتة عميقة عريضة: إنه مشهد العرض على النار، مثل

ما يعرض الجنود في ساحة العرض على النظار. . فهو عرض على النار وفي مواجهتها وقبل دخولهم فيها. . فهنا يسمعون ما يقال لهم عن سبب عرضهم عليها وسوقهم للدخول فيها: أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها. . فقد كانوا يملكون الطيبات إذن. . ولكنهم استنفدوها في الحياة الدنيا. . فلم يدخروا للآخرة منها شيئاً. . واستمتعوا بها غير حاسبين للآخرة فيها حساباً. استمتعوا بها استمتاع الأنعام للحصول على اللذة بالمتاع، غير ناظرين فيها للآخرة، ولا شاكرين الله نعمته، ولا متورعين فيها عن فاحش أو حرام. ومن ثَمّ كانت لهم دنيا ولم تكن لهم آخرة. واشتروا تلك اللمحة الخاطفة على الأرض بذلك الأمد الهائل الذي لا يعلم حدوده إلا الله. وكل عبد يستكبر في الأرض؛ فإنما يستكبر بغير حق. . فالكبرياء لله وحده، وليست لأحد من عباده في كثير أو قليل. وعذاب الهون هو الجزاء العدل على الاستكبار في الأرض. . فجزاء الاستكبار الهوان. وجزاء الفسوق على منهج الله وطريقه الانتهاء أيضاً إلى هذا الهوان!. . فهكذا ينتهي هذا التوجيه الثاني من السورة يعرض ذينك النموذجين ومصيرهما في النهاية. وبهذا المشهد المؤثر للمكذبين بالآخرة، الفاسقين عن منهج الله المستكبرين عن طاعته. وهي لمسة للقلب البشري تستجيش الفِطَرَ السليمةَ القويمةَ لارتياد الطريق الواصل المأمون!.

التوجيه الثالث: ﴿واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف ـ وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ـ ألا تعبدوا إلا الله. إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم. .﴾:
في هذا التوجيه جولةٌ في مجال آخر، تخدم القضية التي تعالجها السورة من الاستقامة والانحراف. . فهي جولة في مصرع عاد ومصارع القرى غيرها حول مكة. . فقد وقفوا من رسولهم وأخيهم هود موقف المشركين من رسولهم وأخيهم محمد. . واعترضوا اعتراضاتهم، وأجابهم نبيهم بما يليق به من أدب النبوءة في حدود بشريته وحدود وظيفته. . ثم أخذهم ما أخذهم من العذاب المدمر حين لم يسمعوا النذير. . فلم تُغْنِ عنهم قوتهم. . ولم يغن عنهم ثراؤهم. . ولم ينتفعوا بسمعهم وأبصارهم وأفئدتهم. . ولم تغن عنهم آلهتهم التي اتخذوها تقرباً إلى الله بزعمهم!. وكذلك يوقف المشركين في مكة أمام مصارع أسلافهم ممن كانوا أمثالهم. . فأخو عاد هو هود. يذكره القرءان هنا بصفته، صفة الأخوة لقومه؛ ليصور صلة الود بينه وبينهم، وصلة القرابة التي كانت كفيلة بأن تعطفهم إلى دعوته، وتحسن ظنهم بها وبه. وهي ذات الصلة بين محمد وقومه الذين يقفون

منه موقف الملاحاة والخصومة.. فالله سبحانه وتعالى يوجه رسوله محمداً ﷺ أن يذكر أخا عاد وإنذاره لقومه بالأحقاف. يذكّره ليتأسى بأخ له من الرسل لقي مثلما يلقى من إعراض قومه.. ويُذكّره ليذكّر المشركين في مكة بمصير الغابرين من زملائهم وأمثالهم، على مقربة منهم ومن حولهم.. فقد أنذر أخو عاد قومه، ولم يكن أول نذير لقومه.. فقد سبقته الرسل إلى أقوامهم.. قريباً منه وبعيداً عنه.. في الزمان وفي المكان.. فالنذارة متصلة، وسلسلة الرسالة ممتدة. والأمر ليس بدعاً ولا غريباً.. فهو معهود مألوف. أنذرهم ما أنذر به كلُّ رسول قومَه: ألاّ تعبدوا إلا الله.. وحذرهم مثل ما حذر به كل رسول قومه: إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم!!.. فعبادة الله وحده عقيدة في الضمير ومنهج في الحياة؛ والخروج عنها تنتهي إلى العذاب العظيم في الدنيا، أو في الآخرة، أو فيهما على السواء. والإشارة إلى اليوم «عذاب يوم عظيم» تعني حين تُطلق، يومَ القيامة وهو أشد وأعظم!..

فماذا كان جواب قومه على التوجيه إلى الله والإنذار بعذابه؟! ﴿**قالوا: أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا؟ فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين**﴾!. سوء الظن وعدم الفهم والتحدّي للنذير واستعجال العذاب الذي ينذرهم به والاستهزاء والتكذيب وإصرار على الباطل واعتزاز!.. فأما هود النبئ فيتلقى هذا كله في أدب النبئ وفي تجرده من كل ادعاء وفي الوقوف عند حده لا يتعداه: ﴿**قال: إنما العلم عند الله، وأبلغكم ما أرسلت به..**﴾ إنما أنذركم بالعذاب كما كلفت أن أنذركم. ولست أعلم متى يحين موعده ولا كيف يكون شكله.. فعلم ذلك عند الله تعالى. وإنما أنا مبلغ عن الله. لا أدّعي علماً ولا قدرة مع الله.. ﴿**ولكني أراكم قوماً تجهلون..**﴾ فأيّ حماقة وأيّ جهل أشد من استقبال النذير الناصح والأخ القريب بمثل هذا التحدّي والتكذيب؟!. ويجمل السياق هنا ما كان بين هود وقومه من جدل طويل؛ ليمضي إلى النهاية المقصودة أصلاً في هذا المقام، رداً على التحدّي والاستعجال: ﴿**فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا: هذا عارض ممطرنا**﴾، وجاءهم الرد بلسان الواقع: ﴿**بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها..**﴾ فهي الريح الصرصر العاتية التي ذكرت في سورة أخرى. كما جاء في صفتها: ﴿ما تذر من شيء أَتَتْ عَلَيْه إلا جعلته كالرميم﴾ والنص القرءاني يصور الريح حيّة مدركة مأمورة بالتدمير. وقد أدّت الريح ما أمرت به..

فدمّرت كل شيء.. ﴿**فأصبحوا لا ترى إلا مساكنَهم..**﴾ فأما هم، وأمّا أنعامهم، وأما أشياؤهم فلم يعد شيء منه يراه الناظر.. إنما هي المساكن قائمة خاوية موحشة.. ﴿**كذلك نجزي القوم المجرمين**﴾: تلك سنّة جارية وقدر مطّرد في المجرمين!. وعلى مشهد الدمار والخراب يلتفت السياق إلى أمثالهم الحاضرين، يلمس قلوبهم بما ترتعش منه القلوب: ﴿**ولقد مكناهم فيما إن مكّنّاكم فيه.. وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء..**﴾ فهؤلاء الذين دمرتهم الريح المأمورة بالتدمير مكناهم فيما لم نمكّنكم فيه.. إجمالاً.. من القوة والمال والعلم والمتاع. وءاتيناهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة. والقرءان يعبر عن قوة الإدراك مرّة بالقلب. ومرة بالفؤاد. ومرة باللب. ومرة بالعقل. وكلها تعني الإدراك في صورة من صوره.. ولكن هذه الحواس والمدارك لم تنفعهم في شيء؛ إذ أنهم عطلوها وحجبوها: ﴿**إذ كانوا يجحدون بآيات الله.. وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون..**﴾ ثم يختم السياقُ هذا الشوط من التوجيه الثالث بالعبرة الكلية لمصارعَ مَنْ حولهم من القرى، من عاد ومن غير عاد: ﴿**ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات، لعلهم يرجعون..**﴾ فقد أهلك الله القرى التي كذبت رسلها في الجزيرة العربية التي كانت حول أهل مكة. كعاد بالأحقاف في الجنوب. وثمود في الشمال. وسبإ باليمن. ومدين وقرى قوم لوط بجنوب الشام.

ولقد نوع الله في آياته لعل المكذبين يرجعون إلى ربهم ويثوبون.. ولكنهم مضوا في ضلالتهم.. فأخذهم العذاب الأليم، ألواناً وأنواعاً.. فكان مشركوا مكة يتسامعون بها ويرون ءاثارها غادين رائحين. وهنا يلفتهم إلى الحقيقة الواقعة.. فقد دمر الله على المشركين قبْلَهم وأهلكهم دون أن تنجيهم آلهتهم التي كانوا يتخذونها من دون الله، زاعمين أنهم يتقربون بها إليه ـ سبحانه وتعالى ـ وهي تستنزل غضبه ونقمته: ﴿**فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة**﴾؟!.. فهم لم ينصروهم.. بل ضلوا عنهم.. وتركوهم وحدهم، لا يعرفون طريقاً إليهم أصلاً فضلاً على أن يأخذوا بيدهم وينجدوهم من بأس الله: ﴿**وذلك إفكهم وما كانوا يفترون..**﴾ فهو إفك، وهو افتراء. وذلك مآله. وتلك حقيقته.. الهلاك والتدمير. فماذا ينتظر المشركون الذين يتخذون من دون الله آلهة بدعوى أنهم تقربهم من الله زلفى! وهذه هي العاقبة وهذا هو المصير!..

التوجيه الرابع: ﴿**وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرءان..**﴾: في هذا التوجيه قصة النفر من الجن مع هذا القرءان حين صرفهم الله لاستماعه؛ فلم يملكوا أنفسهم من التأثر والاستجابة والشهادة للقرآن بأنه الحق.. فاطمأنت قلوبهم إلى الإيمان. وانصرفوا إلى قومهم منذرين.. فمقالة هؤلاء النفر من الجن ـ مع خشوعهم عند سماع القرآن ـ تتضمّن أسس الاعتقاد الكامل: تصديق الوحي.. ووحدة العقيدة بين التوراة والقرآن.. والاعتراف بالحق الذي يهدي إليه.. والاعتراف بالآخرة.. وما ينتهي إلى المغفرة وما ينتهي إلى العذاب من الأعمال.. فهذه الأسس التي تتضمنها السورة كلها، والقضايا التي تعالجها في سائر أشواطها وتوجيهاتها.. كلها جاءت على لسان النفر من الجن، من عالم آخر غير عالم الإنسان. إنّ ذكر القرآن لحادث صرف نفر من الجن ليستمعوا القرآن من النبئ، وحكاية ما قالوا وما فعلوا.. هذا وحده كافٍ بذاته لتقرير وجود الجن. ولتقرير وقوع الحادث. ولتقرير أن الجن هؤلاء يستطيعون أن يستمعوا للقرآن بلفظه العربي المنطوق كما يلفظه رسول الله. ولتقرير أن الجن خلق قابلون للإيمان والكفران، مستعدون للهدى وللضلال.

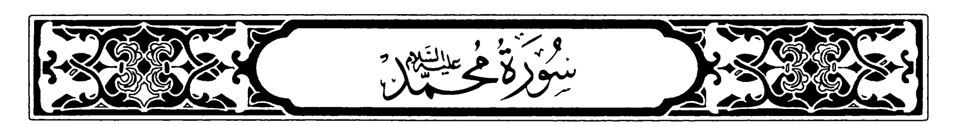
لقد كان تدبيراً من الله أن يصرف هؤلاء النفر من الجن إلى استماع القرآن، لا مصادفة عابرة. وكان في تقدير الله أن تعرف الجن نبأ الرسالة الأخيرة كما عرفت من قبلُ رسالةَ موسى. وأن يؤمن فريق منهم وينجوا من النار المعدة لشياطين الجن كما هي معدّة لشياطين الإنس. ويصور النص ما وقع في حس هذا النفر من الجن من القرآن من الروعة والتأثر والرهبة والخشوع: ﴿**فلما حضروه قالوا: أنصتوا.. فلما قُضِيَ ولّوا إلى قومهم منذرين..**﴾ فهاتان الجملتان الشرطيتان تصوّران الأثر الذي انطبع في نفوسهم من الإنصات للقرآن منتبهين حتى النهاية.. فلما انتهت التلاوة لم يلبثوا أن سارعوا إلى قومهم، وقد حملت نفوسهم ومشاعرهم من القرآن ما لا تطيق السكوت عليه وإبلاغه للآخرين في جدّ واهتمام: ﴿**قالوا يا قومنا: إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه، يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم..**﴾ فهم إذنْ كانوا يعرفون كتاب موسى.. فأدركوا الصلة بين الكتابين بمجرد سماع هذا القرءان.. فشهادة هؤلاء الجن البعيدين نسبياً عن مؤثرات الحياة البشرية بمجرد تذوقهم للقرآن ذات دلالة وذات إيحاء عميق.. ثم مضوا في نذارتهم لقومهم في حماسة المقتنع المندفع الذي يحس أن عليه واجباً في النذارة

لا بد أن يؤديه: ﴿**يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم..**﴾ فقد اعتبروا نزول هذا الكتاب إلى الأرض دعوة من الله لكل من بلغته من إنس وجن. واعتبروا محمداً ﷺ ـ داعياً لهم إلى الله بمجرد تلاوته لهذا القرءان واستماع الثقلين له.. وآمنوا كذلك بالآخرة.. وعرفوا أن الإيمان والاستجابة لله يكون معهما غفران الذنب والإجارة من العذاب. ﴿**ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين**﴾: هذه تكملة لنذارة النفر لقومهم.. فقد دعوهم إلى الاستجابة والإيمان.. فعليهم أن يبينوا لهم أن عدم الاستجابة وَخِيمُ العاقبة. وأن الذي لا يستجيب لا يعجز الله أن يأتي به ويوقع عليه الجزاء ويذيقه العذاب الأليم.. فلا يجد له من دون الله أولياء ينصرونه أو يعينونه.

وأن هؤلاء المعرضين ضالون ضلالاً مبيناً عن الصراط المستقيم. ﴿**أو لم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى؟. بلى**﴾: وهذه لفتة إلى كتاب الكون المنظور الذي ورد ذكره في أول السورة. وكثيراً ما يتضمن السياق القرءاني مثل هذا التناسق بين قول مباشر في السورة، وقول مثله يجيء تعليقاً على قصة.. فيتم التطابق بين مصدرين على الحقيقة الواحدة. وكتاب الكون يشهد بالقدرة المبدعة ابتداء لهذا الخلق الهائل: السماوات. ويوحى للحس البشري بيسر الإحياء بعد الموت. وهذا الإحياء هو المقصود. وصياغة القضية في أسلوب الاستفهام والجواب أقوى وآكد في تقرير هذه الحقيقة.. ثم يجيء التعقيب الشامل: ﴿**إنه على كل شيء قدير..**﴾ فتضم الإحياء وغيره في نطاق هذه القدرة الشاملة.. لكل شيء كان أو يكون. وعند ذكر الإحياء يرتسم مشهد الحساب كأنه شاخص للعيون: ﴿**ويوم يعرض الذين كفروا على النار..**﴾ فيبدأ هذا المشهد حكايةً، أو مقدّمةً لحكاية.. فبينما السامع في انتظار وصف ما يكون إذ المشهد يشخص بذاته، وإذا الحوار قائم في المشهد المعروض: ﴿**أليس هذا بالحق**﴾؟.. فيا له من سؤال.. بل يا لها من قارعة للذين كانوا يكذبون ويستهزئون ويستعجلون! واليوم تلوى أعناقهم على الحق الذي كانوا ينكرون: ﴿**قالوا: بلى.. وربنا..**﴾ فيأتي الجواب يحمل الخزي والمذلة والارتياع! وهكذا هم يقسمون: وربنا!.. ربهم الذي كانوا لا يستجيبون لداعيه، ولا يستمعون لكتابه، ولا يعترفون له بربوبية.. ثم هم اليوم يقسمون به على الحق

الذي أنكروه!. عندئذ يبلغ السؤال غاية من الترذيل والتقريع، ويقضي الأمر وينتهي الحوار: ﴿**قال: فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون**..﴾ فهي «كلمةٌ وردُّ غطاها» كما يقال!. الجريمة ظاهرة.. الجاني معترف.. فإلى الجحيم!. وسرعة المشهد هنا مقصودة.. فالمواجهة حاسمة. ولا مجال لأخذ ولا رد. لقد كانوا ينكرون.. فالآن يعترفون.. والآن يذوقون!!.. وعلى هذا المشهد الحاسم في مصير الذين كفروا، وعلى مشهد الإيمان من معشر عالم آخر.. وفي ختام السورة التي عرضت مقالات الكافرين عن الرسول وعن القرءان الكريم.. يجيء الإيقاع الأخير، توجيهاً للرسول أن يصبر عليهم ولا يستعجل لهم.. فقد رأوا ما ينتظرهم، وهو منهم قريب: ﴿**فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم**..﴾ فهو طريق شاق: طريق هذه الدعوة، وطريق مرير.. حتى تحتاج نفس كنفس محمد ﷺ في تجردها وانقطاعها للدعوة، وفي ثباتها وصلابتها، وفي صفائها وفي شفافيتها، تحتاج إلى التوجيه الرباني بالصبر وعدم الاستعجال على خصوم الدعوة المتعنتين. وهو على كل حال تشجيع وتصبير وتأسية وتسلية.. ثم تطمين: ﴿**كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار**..﴾ فهو أمد قصير: ساعة من نهار! وإنها حياة خاطفة تلك التي يمكنونها قبل الآخرة. وإنها لتافهة لا تترك وراءها من الوقع والأثر في النفوس إلا ما تتركه ساعة من نهار.. ثم يلاقون المصير المحتوم.. ثم يلبثون في الأبد الذي يدوم. وما كانت تلك الساعة إلا بلاغاً قبل أن يحق الهلاك والعذاب الأليم. ﴿**بلاغ.. فهل يُهلك إلا القوم الفاسقون**﴾؟!..

2 ـ أظهر ما في سورة القتال بيان الفرق بين أهل الهدى وأهل الضلال



النص

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿1﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿2﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿3﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴿4﴾ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قَٰتَلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿5﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿6﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿7﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿8﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿9﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿10﴾ * أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَٰفِرِينَ

أَمْثَالُهَا ﴿11﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿12﴾
إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ
وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿13﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ
ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿14﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ
مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿15﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ
ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ
لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى
وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ
وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿16﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ
حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿17﴾
وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿18﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ
إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ
ذِكْرَىٰهُمْ ﴿19﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ
وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿20﴾ * وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ
سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ
فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ

لَهُمْ ﴿21﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ
خَيْرًا لَّهُمْ ﴿22﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا
أَرْحَامَكُمْ ﴿23﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿24﴾
أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿25﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا
عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿26﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ ﴿27﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ
وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿28﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ
وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿29﴾
أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿30﴾
وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿31﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ
وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿32﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا
عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا
اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿33﴾ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿34﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا
عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿35﴾
فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ

وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿36﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿37﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿38﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿39﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم**﴾ يعم كل من كفر وصد الناس عن الإيمان. والصد هنا: المنع والكف. أضل أعمالهم: أبطلها وأحبطها وجعلها ضائعة لا أثر لها أصلاً. ﴿**والذين ءامنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيآتهم وأصلح بالهم**﴾: هذا مقابل ما قبله. وإصلاح البال: تحسين الحال التي عليها المؤمن من التوفيق للإيمان والعمل الصالح. ﴿**ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم**﴾: بيان لحال الكافرين وحال المؤمنين والفرق بين الفريقين. ﴿**كذلك يضرب الله للناس أمثالهم**﴾: مثل ذلك الضرب البديع يبين الله أحوال الفريقين وأوصافهما الجارية مجرى الأمثال في الغرابة. ﴿**فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب**﴾: أمر بالقتال وبيان لكيفية القتل بضرب رقاب أهل الكفر. وهذا مرتب على ما قبله من تصدي أهل الكفر لمنع الناس من الإيمان.. ﴿**حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق**﴾: غاية لما يؤول إليه أمر القتال.

والإثخان: الإكثار من القتل والضرب حتى يلقوا بأنفسهم إلى الأسر: فشدوا

الوثاق: فاسروهم واحفظوهم. والوثاق: اسم لما يوثق به من القيود.. ﴿**فإما منّا بعدُ وإما فداء**﴾: تفصيل لما يكون بعد الأسر. وهو المن عليهم بإطلاقهم.. والفداء بغيرهم من أسرى المسلمين.. ﴿**حتى تضع الحرب أوزارها**﴾: إلى أن تنتهي الحرب بينكم وبين الكافرين. ووضع أوزار الحرب: نهاية ما عند الكافرين من السلاح والقوة والمنعة. ﴿**ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم.. ولكن ليبلو بعضكم ببعض**﴾: الأمر ذلك: حيث أمركم الله بقتالهم وأسرهم. ولو يشاء الله لانتصر منهم بالهلاك والاستئصال دونكم. ولكن لم يرد هذا وإنما أراد أن يكون القتال اختباراً وإظهاراً لقوتكم.. فابتلاكم بالكافرين لتجاهدوهم فتستوجبوا الثواب العظيم.. ﴿**والذين قاتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم**﴾: في هذا الكلام تشجيع للمؤمنين في قتال الكافرين تطميناً لهم وتأييداً لموقفهم بإصلاح البال في الدنيا بالنصر وفي الآخرة بجزيل الأجر بدخول الجنة التي عرفوها من بيان القرءان لها. ﴿**يا أيها الذين ءامنوا أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**﴾: زيادة في التشجيع والتأييد. ونصر المؤمنين لله: الدفاع عن دين الله. ونصر الله للمؤمنين: انتصارهم على الكافرين. وتثبيت الأقدام: الثبات في الحرب والوقوف بحزم أمام الأعداء. ﴿**والذين كفروا فتعساً لهم وأضل أعمالهم**﴾: مقابل ثبات المؤمنين تعاسة الكافرين وخذلانهم.. فالتعس: الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط. وإضلال الأعمال: الخيبة الشاملة للهزيمة والقتل والأسر وسوء المصير!: ﴿**ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم**﴾!: ذلك ما ذكر من التَّعْسِ وإضلال الأعمال بسبب أنهم كرهوا القرءان الذي أنزله الله مخالفاً لما هم عليه من الضلال. ﴿**أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها**﴾: هذا مثل يضربه الله للكافرين المعارضين للقرءان. وقد تكرر هذا المثل في القرآن كثيراً.. ﴿**ذلك بأن الله مولى الذين ءامنوا**﴾: ناصرهم ومؤيدهم. ﴿**وأن الكافرين لا مولى لهم**﴾: لا ناصر لهم يدفع عنهم ما حل بهم.. ﴿**إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار**﴾: هذا بيان لحكم ولاية الله للمؤمنين وثمرتها في الآخرة.

﴿**والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم**﴾!.. ﴿**وكأين**﴾: كلمة مركبة من الكاف وأيّ. بمعنى كم الخبرية. أي: وكم من أهل

قرية هم أشد قوة من أهل قريتك ـ مكة ـ الذين كانوا سبباً لإخراجك منها. . ﴿**أهلكناهم. . فلا ناصر لهم. . أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم**﴾؟: تقرير لتباين حالي فريق أهل الهدى وأهل الضلال. ﴿**مثل الجنة التي وعد المتقون: فيها أنهار من ماء غير آسن**﴾: ماء غير متغير اللون والطعم والرائحة. ﴿**وأنهار من لبن لم يتغير طعمه**﴾: لبن لم يكن حامضاً ولا قارصاً كريها متعفناً. . ﴿**وأنهار من خمر لذة للشاربين**﴾: خمر لذيذة المذاق. . ليس لها لذع ولا احتراق. وخالية من غائلة السُّكْر والتعب والإرهاق. ﴿**وأنهار من عسل مصفى**﴾: عسل صاف غير مشوب بما يكدّر صفوه. . ﴿**ولهم فيها من كل الثمرات**﴾: أنواع الثمرات غير المحدودة. . ﴿**ومغفرة من ربهم**﴾: ثواب نفسي بعد الثواب الحسّي!. ﴿**كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميماً فقطع أمْعَاءَهُم**﴾: وعيد بالعذاب الأليم بعد الوعد بالثواب العظيم!. . ﴿**ومنهم من يستمع إليك**﴾: فريق من أهل الضلال ظهر في المدينة. وهم المنافقون الذين أظهروا الإسلام وأخفوا الكفر. كانوا يحضرون مجلس الرسول ويستمعون إلى ما يقول. . حتى إذا خرجوا من عنده قالوا للصحابة المخلصين: ﴿**ماذا قال آنفاً**﴾؟!. . وآنفاً: ظرف بمعنى «وقتاً» مؤتنفاً. وهو الوقت المتقدم. مأخوذ من الأنف المتقدم في الوجه. ﴿**أولئك الذين طبع الله على قلوبهم**﴾. . الطبع على القلوب: ختمها بعلامة على غلقها وعدم قبولها ما يغيرها. ﴿**واتبعوا أهواءهم. . والذين اهتدوا زادهم هدى. . وءاتاهم تقواهم**﴾: وهم الذين تفتحت قلوبهم لقبول هدى القرءان. . فازدادوا خيراً على خير. . ﴿**فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة**﴾: ما ينظر الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم شيئاً غير الساعة تبغتهم بغتة. . ﴿**فقد جاء أشراطها**﴾. . أشراط الساعة علامات وقوعها بما جاء في القرآن موضحاً بالحجة والدليل والبرهان. . ﴿**فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم**﴾؟!. .

فهذا حكم بخطئهم وفساد رأيهم في تأخير التذكر إلى إتيان الساعة، ببيان استحالة نفع التذكر حينئذ. ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله**﴾: إذا علمت أن مدار السعادة هو الإيمان والطاعة، ومناط الشقاوة هو الكفر والعصيان فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه. ﴿**واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات**﴾: الاستغفار من أجلّ القربات وهو المقدم في الأعمال الصالحات، ومن أول الواجبات. ﴿**والله يعلم متقلبكم ومثواكم**﴾: الله يعلم كُلاً من مراحل

الانتقال ومواطن الاستقرار. لكل أحوال الإنسان. **﴿ويقول الذين ءامنوا لولا نزلت سورة﴾**: هلاّ نزلت سورة نُؤمر فيها بالجهاد؟.. **﴿فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشّي عليه من الموت﴾**: فإذا جاء الأمر بالقتال ظهر على وجوه المنافقين الخوف والذعر مثل من أصابته غشية الموت.. **﴿فأولى لهم﴾**: دعاء عليهم بهذه الكلمة. **﴿طاعة وقول معروف﴾**: شأن هذا الأمر طاعة وقول معروف بلا تردّد ولا تملّص ولا خوف!.. **﴿فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم﴾**: فإذا جدّ الجدّ وتحقق الأمر بالقتال ظهر الخوف والجبن من المنافقين.. فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم.. **﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾**: هذا لوم وعتاب وتقريع لكل من يتولى ويعرض عن الجهاد والقتال بجد وحزم وعزم.. **﴿أولئك الذين لعنهم الله فأصمّهم وأعمى أبصارهم!.. أفلا يتدبرون القرءان؟ أم على قلوب أقفالها؟!.. إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدَى﴾**: هذا الكلام يشمل المنافقين وأهل الكتاب. **﴿الشيطان سول لهم﴾**: سهّل لهم أعمال الكفر. **﴿وأملى لهم﴾**: أرخى لهم الزمام وبعّدَ لهم الأماني. **﴿ذلك﴾**: إشارة إلى ما ذكر من ارتدادهم عن الهدَىٰ وتوغلهم في الضلال: **﴿بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله: سنطيعكم في بعض الأمر﴾**: قال المنافقون الذين ارتدوا على أدبارهم لليهود الذين كرهوا ما نزل الله: سنطيعكم.. **﴿والله يعلم أسرارهم﴾**: حيث كانوا يقولون ذلك الكلام سراً. مثل قوله تعالى: **﴿وإذا لقوا الذين ءامنوا قالوا: آمنا.. وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا: إنا معكم فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم﴾**: فكيف حالهم في هذا الوقت الرهيب الفظيع؟!.. **﴿ذلك﴾**: الأمر الذي عليه المنافقون حال التوفّي.. كائن بسبب **﴿أنهم اتبعوا ما أسخط الله! وكرهوا رضوانه.. فأحبط أعمالهم. أم حسب الذين في قلوبهم مرض: أن لن يخرج الله أضغانهم﴾**: هم المنافقون الذين فصلت أحوالهم الشنيعة.

وصفوا بوصفِهم السابق؛ لكونه مداراً لِما نُعِيَ عليهم بقوله تعالى: أن لن يخرج الله أضغانهم.. والأضغان: جمع ضِغْن. وهو الحقد والكراهة الشديدة على الإسلام والمسلمين. **﴿ولو نشاء لأريناكهم.. فلعرفتهم بسيماهم﴾**: حيث تظهر على كل منافق علامة تميزه من المؤمن الصادق.. ولكن الله لم يشأ ذلك فبقي المنافق مغموراً بين صفوف المؤمنين لا يعلمه إلا القليل من الذين لهم معرفة دقيقة

بأحوال المنافقين. . ﴿**ولتعرفنهم في لحن القول**﴾: حيث تظهر أمارة على نفاقهم في توريتهم وتعريضهم باللحن والتمويه. . فلحن القول: تحريفه عن ظاهر معناه الأصلي إلى معنًى آخر خفيّ. ﴿**والله يعلم أعمالكم**﴾: ما ظهر منها وما بطن فيجازيكم عليها بحسب ما فيها من خير أو شر. ﴿**ولنبلوَنّكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين، ونبلو أخباركم**﴾: الكلام شامل لكل مخاطب بالقرءان. والابتلاء: الامتحان والاختبار لتظهر الأشياء بما هي عليه من خير أو شرّ. وبلاء الأخبار: إظهار صحتها وصدقها وإبطالها وكذبها. ﴿**إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدَىٰ لن يضروا الله شيئاً وسيحبط أعمالهم**﴾: هذا الكلام موجه إلى جميع الكفار وفي مقدمتهم اليهود الذين وقفوا ضد الدعوة وحاولوا بكل ما أوتوا أن يقضوا عليها، بدليل قوله تعالى: لن يضروا الله شيئاً. وهو مثل قوله تعالى في سورة آل عمران في شأن اليهود: ﴿**لن يضروكم إلا أذًى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم**﴾: هذا الكلام موجه إلى المؤمنين بعد الكلام على المنافقين واليهود. . فالمؤمن لا يبطل عمله بأي سبب من أسباب الإبطال: مثل الكافر والمنافق. . ﴿**إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله. . ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم**﴾: هذا حكم يعم جميع الكافرين من كل صنف وفي كل زمان ومكان. . ﴿**فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم، وأنتم الأعلون، والله معكم، ولن يتركم أعمالكم**﴾: في هذا الكلام تحريض المؤمنين على الوقوف أمام الكفار المحاربين، موقف القوة والعزة. لا موقف الهوان والذلة. . فأنتم الأعلون. . والله معكم بالنصر والحماية. . ولن يتركم أعمالكم. . بل يزيد من ثوابها أضعافاً مضاعفة.

فالوتر: كون الشيء فرداً بإضاعة ما يزيده. ﴿**إنما الحياة الدنيا لعب ولهو**﴾: ليس للدنيا صفة إلاّ هاتين الصفتين: اللعب المضني المتعب المرهق المهلك. واللهو المخيب للأمل ومضيع لكل ما يفيد. ﴿**وإنْ تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم**﴾: كلام موجه لجميع الناس. . فلا يخص نوعاً ولا جيلاً وإنما هو عام للكل في كل زمان ومكان. . فالإسلام لا يأخذ مال الناس لمنفعته. . ولكن يطلب المال منهم لمنفعتهم هم: ﴿**إن يسألكموها فيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا ويخرج أضغانكم**﴾. . فالإحفاء هنا: المبالغة في طلب المال. وهو سبب في

إظهار البخل وإثارة الحقد والبغض كما هو معروف في جابي الضرائب مع أرباب الأعمال. ﴿**هاأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله.. فمنكم من يبخل**﴾: كلام موجه لكل مخاطب يبين فيه لهم أن الناس حريصون على المال متمسكون به فلو أحفاهم في السؤال لبخلوا.. ولكنه يدعوهم للإنفاق في سبيل الله ومع هذا.. فيبخل بعض الناس ويأتي بكثير من المعاذير: ﴿**ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه**﴾: ومن يبخل بالإنفاق في سبيل الله فقد ضيّع الخير الكثير على نفسه: ﴿**والله الغني وأنتم الفقراء**﴾.. فالإنفاق القليل يعود بالخير الكثير لمن يحتاج إليه.. أما الله تعالى فلا يحتاج إلى شيء.. وأنتم وحدكم المحتاجون: ﴿**وإن تتولّوا يستبدل قوماً غيركم.. ثم لا يكونوا أمثالكم**﴾!.

مبحث الإعراب

﴿**الذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**كفروا**﴾.. صلة الموصول. ﴿**وصدوا**﴾ معطوف على كفروا. ﴿**عن سبيل**﴾ متعلق بصدوا. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سبيل. ﴿**أضل**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر المبتدإ. ﴿**أعمالهم**﴾ مفعول به. ﴿**والذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**آمنوا**﴾.. صلة الذين. ﴿**وعملوا**﴾ معطوف على آمنوا. ﴿**الصالحات**﴾ مفعول به. ﴿**وآمنوا**﴾ معطوف على ما قبله. ﴿**بما**﴾ متعلق بآمنوا. ﴿**نُزّل**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على ما. ﴿**على محمد**﴾ متعلق بِنُزِّلَ. وجملة نزل صلة ما. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الحق**﴾ خبره. ﴿**من ربهم**﴾ متعلق بمحذوف حال من الحق. وجملة وهو الحق من ربهم معترضة لا محل لها من الإعراب. ﴿**كفّر**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر المبتدإ! ﴿**عنهم**﴾ متعلق بكفر.

﴿**سيئاتهم**﴾ مفعول به منصوب بالكسرة. ﴿**وأصلح**﴾ معطوف على كفر. ﴿**بَالَهُمْ**﴾ مفعول به. وجملة والذين آمنوا وعملوا الصالحات.. الخ معطوفة على جملة الذين كفروا وصدوا عن سبيل. الخ. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**بأن الذين**﴾ أن واسمها. ﴿**كفروا**﴾.. صلة الذين. ﴿**اتبعوا الباطل**﴾ فعل وفاعل ومفعول. وجملة اتبعوا الباطل خبر أنَّ. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء متعلق بمحذوف خبر المبتدإ ـ ذلك ـ أي: ذلك كائن بسبب اتباع

الذين كفروا الباطل. ﴿**وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق**﴾ معطوف على أن الذين كفروا اتبعوا الباطل. وهو مثله في الإعراب، ﴿**من ربهم**﴾ متعلق بمحذوف حال من الحق. ﴿**كذلك**﴾ الكاف في محل نصب نعت لمفعول مطلق. وذلك في محل جر بالكاف. ﴿**يضرب الله**﴾ فعل وفاعل. ﴿**للناس**﴾ متعلق بيضرب. ﴿**أمثالهم**﴾ مفعول به. ﴿**فإذا**﴾ في محل نصب. ظرف متضمن معنى الشرط. والفاء للعطف والترتيب على ما قبله. ﴿**لقيتم**﴾ فعل الشرط. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**كفروا**﴾. . صلة الذين ﴿**فضرب**﴾ مفعول مطلق دل على فعل مقدّر. وهو جواب شرط إذا. والفاء رابطة. ﴿**حتى**﴾ حرف غاية وعطف. ﴿**إذا**﴾ مثل ما سبقه. ﴿**أثخنتموهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول فعل شرط إذا. ﴿**فشدوا**﴾ فعل أمر جواب شرط إذا. والفاء رابطة. ﴿**الوثاق**﴾ مفعول به. ﴿**فإما مَنّاً**﴾ مفعول مطلق دخل عليه حرف التفصيل وفاء التعقيب. ﴿**بعد**﴾ ظرف مبني على الضم في محل نصب لحذف المضاف إليه ونيّة معناه. متعلق بما قبله. ﴿**وإما فداء**﴾ معطوف على إمّا منّاً. ﴿**حتى**﴾ حرف جر ينصب الفعل بعده بأن مضمرة. ﴿**تضع الحرب أوزارها**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والفعل مؤوّل مع أن بمصدر مجرور بحتى. والتقدير: إلى وقت وضع الحرب أوزارها. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع خبر لمبتدإٍ محذوف. أي الأمرُ ذلك. ﴿**ولو يشاء الله**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف لو المتضمن معنى الشرط. ﴿**لانتصر**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة جواب شرط لو. واللام رابطة. ﴿**منهم**﴾ متعلق بانتصر. والجملة معطوفة على ما قبلها بالواو، ﴿**ولكن**﴾ استدراك على ما قبله. ﴿**ليبلو**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والفاعل ضمير يعود على الله.

﴿**بعضكم**﴾ مفعول به. ﴿**ببعض**﴾ متعلق به. وأن المضمرة بعد اللام مؤولة بما بعدها بمصدر مجرور باللام متعلق بفعل مقدر، والتقدير: ولكن أمركم بقتالهم لأجل بلائكم بالكافرين؛ بأن تجاهدوهم فتصيبوا الثواب بالنصر أو الشهادة. ﴿**والذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**قاتلوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة الموصول. ﴿**في سبيل**﴾ متعلق بقاتلوا. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سبيل. ﴿**فلن يضل**﴾ فعل مضارع منصوب بلن. والفاء للربط بين الجملتين. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**أعمالهم**﴾ مفعول به. وجملة فلن يضل أعمالهم خبر المبتدإِ ـ الذين قاتلوا في سبيل ـ. وجملة والذين قاتلوا في سبيل الله معطوفة على ما سبق من الكلام.

﴿**سيهديهم**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف السين. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة بيان لما قبلها. ﴿**ويصلح بالهم**﴾ معطوف على سيهديهم. ﴿**ويدخلهم الجنة**﴾ مفعول ثانٍ. والجملة معطوفة على ما قبلها بالقسم الأخروي من ثواب القتال. ﴿**عرّفها**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة بيانية. ﴿**لهم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**يا أيها**﴾ منادى مبني على الضم في محل نصب. وها حرف تنبيه. ﴿**الذين**﴾ نعت لأي. ﴿**آمنوا**﴾ . . صلة الذين. ﴿**إن تنصروا الله**﴾ فعل وفاعل ومفعول. دخلت عليه إن الشرطية الجازمة. ﴿**ينصركم**﴾ فعل مضارع مجزوم بالسكون، والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة جواب شرط إنْ. ﴿**ويثبت**﴾ معطوف على ينصرْكم. ﴿**أقدامكم**﴾ مفعول به. ﴿**والذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**كفروا**﴾ . . صلة الذين. ﴿**فتعسا**﴾ مفعول مطلق بفعل مقدر. وهو خبر المبتدإِ. والفاء للربط. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لـ «تعساً» أي: تعساً مستحقاً لهم. ﴿**وأضل**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**أعمالهم**﴾ مفعول به. والجملة معطوفة على المعنى المأخوذ من «تعساً لهم» أي: أهلكهم الله هلاكاً مستحقاً لهم، وأضل أعمالهم. وجملة والذين كفروا فتعساً لهم وأضل أعمالهم معطوفة على جملة إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**بأنهم**﴾ أنّ واسمها. ﴿**كرهوا ما**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر أنّ. ﴿**أنزل الله**﴾ صلة ما. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء متعلق بمحذوف خبر المبتدإِ ـ ذلك ـ أي: ذلك كائنٌ بسبب كراهتهم ما أنزل الله. ﴿**فأحبط**﴾ الله ﴿**أعمالهم**﴾ . . مرتب على كرهوا ما أنزل الله. ﴿**أفلم يسيروا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي الجازم وفاء التعقيب وحرف الاستفهام. ﴿**في الأرض**﴾ متعلق بالفعل قبله.

﴿**فينظروا**﴾ فعل وفاعل مرتب على يسيروا ﴿**كيف**﴾ . . ﴿**كان**﴾ . . ﴿**عاقبة**﴾ : تقدم إعراب مثل هذه الجملة. ﴿**الذين**﴾ في محل جر مضاف إلى عاقبة. ﴿**من قبلهم**﴾ متعلق بمحذوف صلة الذين. ﴿**دمّر الله**﴾ فعل وفاعل. والجملة بيانية. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بدمر. ﴿**وللكافرين**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**أمثالُها**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**ذلك**﴾ . . ﴿**بأن الله**﴾ . . ﴿**مولى**﴾ خبر أنّ مرفوع بضمة مقدرة على الألف ﴿**الذين**﴾ في محل جر مضاف إلى مولى. ﴿**آمنوا**﴾ . . ﴿**وأن الكافرين**﴾

معطوف على أن الله. ﴿**لا مولى**﴾ لا واسمها ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر لا. وجملة لا مولى لهم خبر أنّ. وإعراب: ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا.. مثل إعراب: ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم. ومثل: ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله ﴿**إن الله**﴾ إنّ واسمها. ﴿**يدخل**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر إنّ. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول أول. ﴿**آمنوا**﴾.. ﴿**وعملوا**﴾ معطوف على آمنوا. ﴿**الصالحات**﴾ مفعول به. ﴿**جنات**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**تجري**﴾ فعل مضارع. ﴿**من تحتها**﴾ متعلق بتجري. ﴿**الأنهار**﴾ فاعل. والجملة نعت لجنات. ﴿**والذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**كفروا**﴾.. ﴿**يتمتعون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر المبتدإ. ﴿**ويأكلون**﴾ معطوف على يتمتعون. ﴿**كما**﴾ الكاف في محل نصب نعت لمفعول مطلق مقدر. وما مصدرية ﴿**تأكل الأنعام**﴾ فعل وفاعل. مؤول مع ما بمصدر مجرور بالكاف. والتقدير: ويأكلون أكلاً مثلَ أكل الأنعام. ﴿**والنار**﴾ مبتدأ. ﴿**مثوى**﴾ خبره مرفوع بضمة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمثوى. بمعنى مقرٌّ لهم. وجملة والنار مثوى لهم في موضع الحال من واو يأكلون. ﴿**وكأين**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**من قرية**﴾ تمييز.

﴿**هي**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أشد**﴾ خبره. ﴿**قوة**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**من قريتك**﴾ متعلق بأشد. ﴿**التي**﴾ في محل جر نعت لقريتك. ﴿**أخرجتك**﴾ فعل ماضٍ. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على قريتك. والجملة صلة التي. ﴿**أهلكناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر المبتدإ. «كأين». ﴿**فلا ناصر**﴾ لا واسمها. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر لا. والجملة مرتبة بالفاء على أهلكناهم. ﴿**أفمن**﴾ في محل رفع مبتدأ دخل عليه حرف التعقيب وحرف الاستفهام. ﴿**كان**﴾ اسم كان ضمير يعود على مَن. ﴿**على بينة**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان. ﴿**من ربه**﴾ متعلق بمحذوف نعت لبينة. وجملة كان على بينة من ربه صلة مَنْ. ﴿**كمن**﴾ الكاف في محل رفع خبر المبتدأ. ومَنْ في محل جر بالكاف. ﴿**زين**﴾ فعل ماض مبنيّ للمجهول. ﴿**له**﴾ متعلق بزين. ﴿**سوءُ**﴾ نائب الفاعل. والجملة صلة مَنْ ﴿**عمله**﴾ مضاف إلى سوء. ﴿**واتبعوا أهواءهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة معطوفة على جملة زين له سوء عمله. ﴿**مثل**﴾ مبتدأ. ﴿**الجنة**﴾ مضاف إلى مثل. ﴿**التي**﴾ في محل جر نعت للجنة. ﴿**وعد المتقين**﴾

الجملة من الفعل ونائب الفاعل صلة الموصول. وخبر المبتدإِ مقدر. والتقدير: مثل الجنة التي وعد المتقون التى تسمعون من أوصافها: ﴿**فيها**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**أنهار**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**من ماء**﴾ متعلق بمحذوف نعت لأنهار. ﴿**غير**﴾ نعت لماء. ﴿**آسن**﴾ مضاف إلى غير، ﴿**وأنهار من لبن**﴾ معطوف على أنهار من ماء. ﴿**لم يتغير طعمه**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي الجازم. وجملة لم يتغير طعمه نعت للبن. ﴿**وأنهار من خمر**﴾ عطفه مثل عطف وأنهار من لبن. ﴿**لذّة**﴾ نعت لخمر. ﴿**للشاربين**﴾ متعلق بلذة. ﴿**وأنهار من عسل**﴾ مثل ما سبقه في العطف. ﴿**مصفًّى**﴾ نعت لعسل مجرور بكسرة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين. وجملة فيها أنهار وما عطف عليه تفسير لخبر المبتدإ المقدّر. ﴿**ولهم فيها**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدّم. ﴿**من كل**﴾ مبتدأ مؤخر مجرور بحرف الجر الزائد في محل رفع. ﴿**الثمرات**﴾ مضاف إلى كل. وجملة ولهم فيها من كل الثمرات معطوفة على جملة فيها أنهار. ﴿**ومغفرةٌ**﴾ معطوف على المبتدإ «من كل الثمرات» ﴿**من ربهم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لمغفرة.

﴿**كمن**﴾ الكاف في محل رفع خبر لمبتدإٍ مقدر؛ والتقدير أَمَنْ هو خالد في هذه الجنة مثلُ الذي ﴿**هو خالدٌ**﴾ الجملة من المبتدإِ والخبر صلة مَنْ. ﴿**في النار**﴾ متعلق بخالد. ﴿**وسقوا**﴾ الفعل ونائب الفاعل معطوف على خالد. ﴿**ماء**﴾ مفعول به. ﴿**حميماً**﴾ نعت له ﴿**فقطع**﴾ فعل ماض مرتب على سُقُوا. والفاعل ضمير يعود على ماءً. . ﴿**أمعاءَهم**﴾ مفعول به. ﴿**ومنهم**﴾ ـ بعضُهم ـ مبتدأ. ﴿**من**﴾ اسم موصول في محل رفع خبر. ﴿**يستمع**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. والجملة صلة الموصول. ﴿**إليك**﴾ متعلق بيستمع. ﴿**حتى**﴾ حرف غاية وعطف. ﴿**إذا خرجوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه الظرف المتضمن معنى الشرط. ﴿**من عندك**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل. جواب شرط إذا. ﴿**للذين**﴾ متعلق بقالوا. ﴿**أوتوا**﴾ الفعل ونائب الفاعل صلة الموصول. ﴿**العلم**﴾ مفعول به. ﴿**ماذا**﴾ اسم استفهام في محل نصب مفعول مقدم ﴿**قال**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على المخاطب بقوله تعالى عندك. وهو الرسول ﷺ ﴿**آنفاً**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بقال. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع خبر. ﴿**طبع الله**﴾ فعل وفاعل. صلة الذين. ﴿**على قلوبهم**﴾ متعلق بطبع. ﴿**واتبعوا أهواءهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف على طبع. . ﴿**والذين**﴾

في محل رفع مبتدأ. ﴿**اهتدوا**﴾ فعل وفاعل. صلة الموصول. ﴿**زادهم**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول أول. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**هدى**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**وآتاهم تقواهم**﴾ معطوف على زادهم هدى.. ﴿**فهل**﴾ ما. ﴿**ينظرون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**إلا الساعة**﴾ مفعول به. ﴿**أن تأتيهم**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على الساعة. ﴿**بغتة**﴾ حال من الساعة. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب بدل من الساعة. أي: لا ينظرون إلا إتيان الساعة مباغتة لهم؛ ﴿**فقد جاء أشراطها**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق وفاء التعليل. ﴿**فأنّى لهم**﴾ خبر مقدم. ﴿**إذا**﴾ ظرف ﴿**جاءتْهم**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على الساعة. ﴿**ذكراهم**﴾ مبتدأ مؤخر.

﴿**فاعلم**﴾ أمر موجه من الله إلى رسوله. بفاء التعقيب ﴿**أنّه**﴾ أنّ واسمها. ﴿**لا إله**﴾ لا واسمها. ﴿**إلا الله**﴾ خبرُ لا. وجملة لا إله إلا الله خبر أنّ. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول باعلم. ﴿**واستغفر**﴾ معطوف على اعلم. ﴿**لذنبك**﴾ متعلق باستغفر. ﴿**وللمؤمنين**﴾ معطوف على ذنبك. ﴿**والمؤمنات**﴾ معطوف على المؤمنين. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**يعلم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر المبتدإ. ﴿**متقلبكم**﴾ مفعول به. ﴿**ومثواكم**﴾ معطوف على متقلبكم. ﴿**ويقول الذين**﴾ فعل وفاعل. ﴿**آمنوا**﴾.. صلة الموصول. ﴿**لولا نُزّلت سورة**﴾ الفعل ونائب الفاعل دخل عليه حرف التحضيض. وهو مقول القول. ﴿**فإذا أنزلت سورة**﴾ جملة الفعل ونائب الفاعل فعل شرط إذا. والفاء للتعقيب. ﴿**محكمة**﴾ نعت لسورة ﴿**وذُكرَ**﴾ معطوف على أنزلت. ﴿**فيها**﴾ متعلق بذكر ﴿**القتال**﴾ نائب الفاعل. ﴿**رأيت الذين**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة جواب شرط إذا. ﴿**في قلوبهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**مرض**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة صلة الموصول. ﴿**ينظرون**﴾ فعل وفاعل. والجملة حال من الذين في قلوبهم مرض. ﴿**إليك**﴾ متعلق بينظرون. ﴿**نظر**﴾ مفعول مطلق. ﴿**المغشيّ**﴾ مضاف إلى نظر. ﴿**عليه من الموت**﴾ متعلقان بالمغشي. ﴿**فأولى**﴾ مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على الألف. ﴿**لهم**﴾ متعلق بأولى. ﴿**طاعة**﴾ خبر المبتدإِ. ﴿**وقول**﴾ معطوف على طاعة. ﴿**معروف**﴾ نعت لقول. ﴿**فإذا عزم الأمر**﴾ فعل وفاعل دخل عليه الظرف المتضمن معنى الشرط. والفاء

للتعقيب. ﴿**فلو صدقوا الله**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الشرط «لو» ﴿**لكان**﴾ اسم كان ضمير يعود على الصدق الدال عليه الفعل. ﴿**خيراً**﴾ خبر كان. ﴿**لهم**﴾ متعلق بالخبر. وجملة لكان خيراً لهم جواب الشرط ـ لو ـ والرابط اللام. وجملة الشرط وجوابه جواب شرط إذا. والرابط الفاء. ﴿**فهل عسِيتم**﴾ عسى واسمها دخل عليها حرف الاستفهام وفاء التعقيب. ﴿**إن توليتم**﴾ جملة شرطية معترضة. وجوابها محذوف دل عليه ما قبلها. ﴿**أن تفسدوا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه أن المصدرية الناصبة. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب خبر عسى. ﴿**في الأرض**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**وتقطعوا أرحامكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف على الفعل قبله. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع خبره. ﴿**لعنهم**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الله**﴾ فاعل.

﴿**فأصمّهم**﴾ مرتب على لعنهم. ﴿**وأعمى أبصارهم**﴾ معطوف على أصمّهم. ﴿**أفلا يتدبّرون القرءان**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي وفاء التعقيب وحرف الاستفهام. ﴿**أم على قلوب**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**أقفالُها**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة معطوفة بأم على ما قبلها. ﴿**إن الذين**﴾ إنّ واسمها. ﴿**ارتدوا**﴾ فعل وفاعل صلة الموصول ﴿**على أدبارهم من بعد**﴾ متعلقان بارتدوا. ﴿**ما**﴾ في محل جر مضاف. ﴿**تبيّن**﴾ فعل ماض. ﴿**لهم**﴾ متعلق به. ﴿**الهدى**﴾ فاعل تبين. أي: من بعد الهُدَىٰ الذي تبين لهم. ﴿**الشيطانُ**﴾ مبتدأ. ﴿**سوّل**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الشيطان. ﴿**لهم**﴾ متعلق بسول. والجملة خبر المبتدأ. وجملة الشيطان سول لهم خبر إنّ في إنّ الذين ارتدّوا.. ﴿**وأملى لهم**﴾ معطوف على سوّل لهم. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**بأنهم**﴾ أن واسمها. ﴿**قالوا**﴾.. ﴿**للذين**﴾ متعلق بقالوا ﴿**كرهوا ما**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول. ﴿**نزّل الله**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. وجملة قالوا للذين.. خبر أنّ. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**سنطيعكم**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل نحن. والجملة مقول القول. ﴿**في بعض**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**الأمر**﴾ مضاف إلى بعض. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**يعلم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر المبتدإ ﴿**أسرارَهم**﴾ مفعول به. وجملة والله يعلم أسرارهم تذييل.

﴿**فكيف**﴾ اسم استفهام في محل رفع خبر مقدم لمبتدإٍ مقدّر: فكيف حالُهم ﴿**إذا توفتهم الملائكة**﴾؟!.. ﴿**يضربون وجوههم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة حال من الملائكة. ﴿**وأدبارهم**﴾ معطوف على وجوههم. ﴿**ذلك**﴾ .. ﴿**بأنهم**﴾.. ﴿**اتبعوا ما**﴾.. ﴿**أسخط الله**﴾: إعراب هذا مثل ما تقدم.. ﴿**وكرهوا رضوانه**﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف على «اتبعوا ما أسخط الله». ﴿**فأحبط**﴾ الله ﴿**أعمالهم**﴾ مرتب على ما قبله. ﴿**أم حسب الذين**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه أم المنقطعة. ﴿**في قلوبهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**مرض**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة صلة الموصول. ﴿**أنْ**﴾ مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن.

﴿**لن يخرج الله أضغانهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي الناصب. والجملة خبر أن المخففة. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول بحسب. وتقدير الكلام. بل أحسب الذين في قلوبهم مرض عدمَ إخراج الله أضغانَهم؟!.. ﴿**ولو**﴾ حرف امتناع لامتناع متضمن معنى الشرط، ﴿**نشاء**﴾ فعل الشرط. والفاعل نحن. ﴿**لأريناكهم**﴾ فعل وفاعل ومفعولان جواب شرط لو. واللام للربط. ﴿**فلعرفتهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول مفرع على الجواب داخل في جواب شرط لو. ﴿**بسيماهم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ولتعرفنّهم**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. واللام واقع في جواب قسم مقدر.. والفعل ضمير المخاطب.. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**في لحن**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**القول**﴾ مضاف إلى لحن. والجملة معطوفة بالواو على ما قبلها. ﴿**والله**﴾.. ﴿**يعلم**﴾.. ﴿**أعمالكم**﴾.. تقدم إعراب مثلها. ﴿**ولنبلوَنّكم**﴾.. ﴿**حتى نعلم**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى. والفاعل نحن. مثله في نبلونّكم. ﴿**المجاهدين**﴾ مفعول به. ﴿**منكم**﴾ متعلق بالمجاهدين. ﴿**والصابرين**﴾ معطوف على المجاهدين. ﴿**ونبلو**﴾ معطوف على نعلم. ﴿**أخباركم**﴾ مفعول به. والمعنى: والله لنختبرنكم بالجهاد والتكاليف إلى إظهار علمنا للعيان بجهادكم وصبركم وإظهار حقيقة أخباركم الشاملة لكل ما يصدر منكم. ﴿**إن الذين**﴾.. ﴿**كفروا**﴾.. ﴿**وصدوا**﴾ معطوف على كفروا ﴿**عن سبيل**﴾ متعلق بصدوا. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سبيل.. ﴿**وشاقوا الرسول**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**من بعد**﴾ متعلق بشاقوا.. ﴿**ما**﴾ في محل جر مضاف إلى بعد. ﴿**تبين**﴾ فعل ماض. ﴿**لهم**﴾ متعلق بتبين. ﴿**الهدى**﴾

فاعل تبين. والجملة صلة ما. ﴿**لن يضروا الله**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي الناصب ﴿**شيئاً**﴾ مفعول ثانٍ. وجملة لن يضروا الله شيئاً خبر إنّ. . ﴿**وسيحبط**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**أعمالهم**﴾ مفعول به. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ تقدم إعراب مثل هذا الكلام في أول السورة. ﴿**أطيعوا الله**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**وأطيعوا الرسول**﴾ معطوف على ما قبله.

﴿**ولا تبطلوا أعمالكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النهي الجازم. وجملة النهي معطوفة على جملة الأمر. ﴿**إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله**﴾: تقدم إعراب مثل هذا الكلام قريباً. ﴿**ثم ماتوا**﴾ مرتب على كفروا. ﴿**وهم كفّار**﴾ جملة المبتدإِ والخبر في موضع الحال من الفاعل في ماتوا. ﴿**فلن يغفر الله**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي الناصب. ﴿**لهم**﴾ متعلق بالفعل قبله. والجملة خبر إنّ. . والفاء رابطة بين المبتدإِ والخبر. لشبه الجملة بالجملة الشرطية. ﴿**فلا تهنوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النهي الجازم. والفاء للتعقيب. ﴿**وتدعوا**﴾ معطوف على ما قبله. ﴿**إلى السلم**﴾ متعلق بالفعل قبله ﴿**وأنتم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الأعلون**﴾ خبر المبتدإِ. أصل الأعلون: الأعلوُون، تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً فالتقى ساكنان الألف وواو الرفع. فحذف الألف وظهر سكون الواو. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**معكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإِ. ﴿**ولن يَتِرَكُمْ**﴾ فعل مضارع منصوب بلن. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**أعمالكم**﴾ مفعول ثانٍ. وهذه الجمل الثلاث عطفت بالواو على قوله: فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم. وهو أمر لا يدعوا إلى الوهن والإذعان للسلم. ﴿**إنما الحياة**﴾ مبتدأ دخل عليه حرف الحصر. ﴿**الدنيا**﴾ نعت للحياة. ﴿**لعب**﴾ خبر المبتدإِ. ﴿**ولهو**﴾ معطوف على لعب. ﴿**وإن تؤمنوا**﴾ جملة شرطية. ﴿**وتتقوا**﴾ معطوف على تؤمنوا. ﴿**يؤتكم**﴾ فعل مضارع مجزوم في جواب الشرط. والضمير المتصل به مفعول أول. والفاعل ضمير يعود على الله المفهوم من تؤمنوا. . ﴿**أجوركم**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**ولا يسألكم**﴾ فعل مضارع معطوف على جواب الشرط. والضمير المتصل به مفعول أول. ﴿**أموالكم**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**إن يسألكموها**﴾ جملة شرطية. وضمير الخطاب مفعول أول. وضمير الغيبة مفعول ثانٍ. ﴿**فيحفكم**﴾ مرتب على فعل الشرط مجزوم مثله بحذف الياء فيه، وبالجزم في يسألْ. . والفاعل ضمير

يعود على الله. والضمير المتصل بِيُحْفِكُمْ مفعول. ﴿**تَبْخَلُوا**﴾ فعل وفاعل جواب شرط إن مجزوم بحذف النون. ﴿**ويخرج**﴾ معطوف على جواب الشرط مجزوم بالسكون. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**أضغانكم**﴾ مفعول به. ﴿**ها أنتم**﴾ في محل رفع مبتدأ.

﴿**هؤلاء**﴾ في محل رفع خبره. ﴿**تدعون**﴾ الفعل ونائب الفاعل جملة مقررة لما قبلها. ﴿**لتنفقوا**﴾ الفعل منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. وواو الجماعة فاعل. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور باللام متعلق بتدعون. ﴿**في سبيل**﴾ متعلق بتنفقوا. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سبيل. ﴿**فمنكم**﴾ ـ بعضكم ـ مبتدَأ. ﴿**من**﴾ اسم موصول في محل رفع خبر المبتدإِ. ﴿**يبخل**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. والجملة صلة الموصول. وجملة فمنكم من يبخل مفرعة على جملة تدعون لتنفقوا. . ﴿**ومن يبخل**﴾ جملة شرطية. . ﴿**فإنما يبخل**﴾ جواب الشرط. والفاء للربط. ﴿**عن نفسه**﴾ متعلق بيبخل. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**الغني**﴾ خبره. ﴿**وأنتم الفقراء**﴾ الجملة من المبتدإِ والخبر معطوفة على ما قبلها. وجملة والله الغني وما عطف عليها تذييل مقرر لمضمون ما قبله. ﴿**وإن تتولوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الشرط الجازم، ﴿**يستبدل**﴾ فعل مضارع مجزوم في جواب الشرط. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**قوماً**﴾ مفعول به. ﴿**غيركم**﴾ نعت للمفعول. ﴿**ثم لا يكونوا**﴾ جملة يكون واسمها معطوفة بثم على جواب الشرط. ﴿**أمثالكم**﴾ خبر يكون. وجملة وإن تتولَّوا. . الخ معطوفة على جملة وإن تؤمنوا وتتقوا. . الخ.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم. .**﴾: ففي أول هذه السورة ربط واضح بآخر السورة السابقة التي فيها ﴿**فهل يهلك إلا القوم الفاسقون**﴾. وهو جامع لكل فاسق. والفاسق هو الخارج عن سبيل الله. وفي أول هذه السورة الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله. وفي السورة السابقة هلاك الفاسقين. وفي هذه السورة ضياع أعمال الكافرين. وابتداءُ الكلام في هذه السورة بالموصول وصلته المتضمنة كفر الذين كفروا ومناواتهم لدين الله تشويق لما يَرِدُ بعده من الحكم المناسب للصلة، وإيماء بالموصول وصلته إلى علة الحكم عليه بالخبر. وفيه براعة

استهلال للغرض المقصود. وقد اشتملت هذه الجملة على ثلاثة أوصاف: الكفر، والصد عن سبيل الله، وضلال الأعمال الناشىء عن إضلال الله إياهم. وأضيف السبيل إلى الله لأنه الدين الذي ارتضاه الله لعباده. واستعير اسم السبيل للدين لأن الدين يوصل إلى رضَى الله كما يوصل السبيلُ السائرَ إلى بغيته.

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نُزّل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم﴾: هذا مقابل فريق الذين كفروا وصدّوا.. الخ. وإيراد الموصول وصلته للإيماء إلى وجه بناء الخبر وعلته. وقد جاء في مقابلة الأوصاف الثلاثة التي أثبتت للذين كفروا بثلاثة أوصاف ضدها للمؤمنين. وهي الإيمان مقابل الكفر والإيمان بما أنزل على محمد مقابل الصد عن سبيل الله. وعملُ الصالحات مقابل بعض ما تضمنه أضل أعمالهم. وكفر عنهم سيئاتهم مقابل بعض أُخرى مما تضمنه أضل أعمالهم. وأصلح بالهم مقابل بقية ما تضمنه أضل أعمالهم. وزيد في جانب المؤمنين التنويه بشأن القرءان بالجملة المعترضة ـ وهو الحق من ربهم ـ. والتعبير بإصلاح البال تعبير جامعٌ. يجمع صلاحَ الأمورِ كلها؛ لأن تصرفات الإنسان تأتي على حسب رأيه. **﴿ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل. وأن الذين ءامنوا اتبعوا الحق من ربهم﴾**: إشارة إلى ما مَرّ من إضلال الأعمال، وتكفير السيئات وإصلاح البال. وهو تبيين للسبب الأصيل في إضلال أعمال الكفار وإصلاح بال المؤمنين. والإتيان باسم الإشارة لتمييز المشار إليه أكمل تمييز. **﴿كذلك يضرب الله للناس أمثالهم﴾**: هذا تذييل مقرر لمضمون ما قبله. والمعنى: مثل هذا التبيين يبين الله للناس أحوالهم.. فلا يبقوا في غفلة عن شؤون أنفسهم محجوبين عن تحقق كنههم بحجاب التعوّد؛ لئلا يختلط الخبيث بالطيب. **﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب.. حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق.. فإما منًّا بعدُ وإما فداء.. حتى تضع الحرب أوزارها﴾**: هذا تعقيب على ما سبق من ذكر موقف أهل الهدى وأهل الضلال. وبيان الفرق بين الموقفين المتضادين المتنافرين المتنازعين.. فإن ضلال أعمال الكفرة وخيبتهم، وصلاح أحوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب أن يرتب على كل من الموقفين ما يليق من الأحكام.. فهنا جاء الحكم بضرب الرقاب في المواجهة المسلحة حتى إذا ضعفوا وقل عددهم وضعفت عُدّتهم فشدوا عليهم بالوثاق في أمرهم.. فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها.. فالمعنى: أنهم يقتلون ويؤسرون حتى لا يبقى

للمشركين شوكة وقوة يصدون بها الناس عن الدخول في الإسلام. وهذه الحرب ابتدأت بغزوة بدر واختتمت بفتح مكة وغزوة حنين وحصار الطائف. وبعدها.. فلم يبق للعرب المشركين قوة.. فدخل الناس في دين الله أفواجاً.. ﴿**ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم..**﴾.

﴿**ولكن ليبلو بعضكم ببعض**﴾: أراد الله ذلك الأمر بقتال المشركين لتِجاهدوهم فتستوجبوا الثواب العظيم بموجب الوعد.. فبلاكم بالكافرين، وبَلَى الكافرين بكم: ولكن ليبلو بعضكم ببعض. كما جاء في آية التوبة: ﴿**قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين. ويذهب غيظ قلوبهم والذين قاتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم، سيهديهم ويصلح بالهم، ويدخلهم الجنة عرفها لهم**﴾: هذا الكلام موصول بالعطف على ما قبله عطف العام على الخاص.. فالأول: القتال خاص بالعرب المشركين. والثاني: عام لقتال جميع الكافرين.. مثل ما جاء في آية التوبة أيضاً: ﴿**يا أيها الذين، آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة، واعلموا أن الله مع المتقين**﴾. وهو وعد عام بالنصر والفتح والغلبة وسعة الملك وصلاح الحال في الدنيا، وبدخول الجنة التي عرفوا وصفها وحقيقتها كما بينها لهم القرءان بما فيها من خيرات ونفحات وروح وريحان.. فكلمة عرّفها لهم لها مغزيان معروفان من الروح والريحان!. ﴿**يأيها الذين ءامنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**﴾: استئناف ابتدائي جاء ترغيباً في الجهاد العام.. وبياناً لغيب النصر الموعود به للمؤمنين الصادقين. وافْتُتِح الترغيب بندائهم بصلة الإيمان اهتماماً بهذا الكلام. ﴿**والذين كفروا فتعساً لهم وأضل أعمالهم: ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم**﴾: هذا مقابل قوله تعالى: والذين قاتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم.. فالذين كفروا مقابل الذين آمنوا الذين قاتلوا في سبيل الله. والتعس مقابل الثبات. وضلال الأعمال وخيبة الآمال مقابل صلاح الأعمال وحسن المآل وصلاح البال..

ثم بين سبب سوء حالهم وخيبة آمالهم بأنهم كرهوا ما أنزل الله.. فكان ذلك سبب بطلان أعمالهم!. ﴿**أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها**﴾: تعقيب على ما سبق من موقف الكافرين الكارهين ما أنزل الله بتهديدهم بالتدمير الشامل كما دمر على الأمم المكذبة للرسل من قبلهم.. فجملة دمر الله عليهم مستأنفة استئنافاً بيانياً مبنياً على

سؤال هنا من الكلام؛ كأنه قيل: كيف كان عاقبتهم؟ فقيل استأصل الله تعالى عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم.. فكلمة دمر عليهم أوقع في المعنى من دمّرهم!.. ﴿**ذلك بأن الله مولى الذين ءامنوا وأن الكافرين لا مولى لهم**﴾: فصل هذا الكلام فلم يعطف على ما قبله؛ لأنه جاء بين السبب الذي من أجله دمر على الكافرين وأيّد بنصره المؤمنين في الدنيا.. فأما في الآخرة فهو ما بينه الله تعالى بقوله: ﴿**إن الله يدخل الذين ءامنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار. والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام، والنار مثوى لهم**﴾!. فهو بيان لحكم ولاية الله تعالى للمؤمنين وثمرتها الأخروية. ولحكم عدم ولايته للكافرين.. فهم في الدنيا كالأنعام غافلين عن عاقبتهم السيئة: يأكلون ويتمتّعون!.. والنار مثوى لهم في الآخرة! ﴿**وكأين من قرية هي أشدّ قوة من قريتك التي أخرجتك: أهلكناهم.. فلا ناصر لهم**﴾: هذه الآية موصولة بالعطف على آية أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها. وما بينهما استطراد اتصل بعضه ببعض... وكلمة كأيّنْ تدل على كثرة العدد، وهذا إطناب في الوعيد؛ لأن مقام التهديد والتوبيخ يقتضي الإطناب. ومفاد هذه الآية مؤكّد لمفاد آية أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها. فحصل توكيد ذلك بما هو مقارب له من إهلاك الأمم ذوات العدد من القرى القوية التي هي أشد قوة من قريش أهل القرية الواحدة. والمعنى: وكم من أهل قرية هم أشد قوة من أهل قريتك الذين كانوا سبباً في خروجك من بينهم. ووصف القرية الأولى بشدة القوة وتعددها للإيذان بأولية الثانية منها بالإهلاك لضعف قوتها وتفردها. كما أن وصف الثانية بإخراج الرسول منها للإيذان بأوليتها بالإهلاك لقوة جنايتهم بسبب تعدّيهم على إخراج صاحب القرية الحقيقي ـ قريتك ـ! وجملة فلا ناصر لهم بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الأعوان والأنصار إثر بيان عدم خلاصهم من العذاب بأنفسهم. والفاء لتركيب ذكرِ ما بالغير على ذكرِ ما بالذات. وهو حكاية حال ماضية. ﴿**أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم**﴾؟: هذه الآية مفرعة على ما سبق من الكلام. مقررة لتباين حالي أهل الهدى وأهل الضلال. وكون الأولين في أعلى عليين، والآخرين في أسفل سافلين. وهي بيان لعلة ما لكل منهما من الحال والمآل.

وجمع الضميرين في «واتبعوا أهواءهم» باعتبار معنى مَنْ. كما أن أفراد الأولين كان على بينة من ربه كمن زين له.. باعتبار لفظ مَنْ. والاستفهام مستعمل في إنكار المماثلة التي يقتضيها كاف التشبيه. ﴿**مثل الجنة التي وعد المتقون**﴾: استئناف بياني؛ لأن ما جرى من ذكر الجنة في قوله تعالى: إن الله يدخل الذين ءامنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار مما يستشرف السامع إلى تفصيل بعض صفاتها.. ومثلها: وصفها العجيب الشأن. وجملة ﴿«**فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفًّى**..﴾ مفسرة للمثل التي وصفت به الجنة. وفي هذا التمثيل لما يجري مجرى الأشربة في الجنة بأنواع ما يُسْتطاب منها ويُستلذّ في الدنيا، وبالتخلية عما يُنَغِّصُها وينقصها، والتحْلية بما يوجب غزارتها ودوامها. ومع هذه الأشربة الثمرات الكثيرة الجميلة في لونها اللذيذة في طعمها: ﴿**ولهم فيها من كل الثمرات**﴾. ومع هذه الثمار وتلك الأنهار ما هو فوق كل اعتبار: ﴿**ومغفرة من ربهم**..﴾ فهي مغفرة عظيمة لا يقادر قدرها.. فهي عظيمة في ذاتها. عظيمة في مصدرها!: ومغفرةٌ من ربهم. ﴿**كمن هو خالد في النار وسُقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم**﴾: أمَن هو خالد في هذه الجنة حسبما جرى به الوعد، كمن هو خالد في النار كما نطق به الوعيد: والنار مثوى لهم.. وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم؟!!.. ﴿**ومنهم من يستمع إليك.. حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم: ماذا قال ءانفاً**﴾؟!: وهذا صنف آخر من الكافرين الذين أسروا الكفر وتظاهروا بالإيمان. وقد كان المنافقون بعد الهجرة مقصودين من لفظ الكفار.. فوصف القرءان موقفهم في حضرة الرسول. وبعد ما ينصرفون.. ﴿**أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم**﴾: استئناف بياني؛ لأن قولهم: ماذا قال آنفاً سؤال غريب، من شأنه إثارة سؤال من يسأل عن سبب حصوله. ﴿**والذين اهتدوا زادهم هدى وءاتاهم تقواهم**﴾: هذه الآية جاءت معترضة بين الكلام على المنافقين.. والمقصود منها مقابلة فريق الضلالة بفريق الهداية على الأسلوب الذي أقيمت عليه هذه السورة.. ﴿**فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها.. فأنّى لهم إذا جاءتهم ذكراهم**﴾: هذه الآية مفرعة على ما مضى من وصف أحوال الكافرين الشاملة لأحوال الفريقين. والاستفهام إنكاري مشوب بتهكم.

وجملة فقد جاء أشراطها تعليل لمفاجأة الساعة. وفرع عليه قوله: فأنّى لهم إذا جاءتهم ذكراهم. وأنى اسم يدل على الحالة، ويضمن معنى الاستفهام كثيراً. وهو هنا استفهام إنكاري. وهذا حكم بخطئهم وفساد رأيهم في تأخير التذكر إلى مجيء الساعة بيان استحالة نفع التذكر حينئذٍ، مثل قوله تعالى في سورة الفجر: يومئذ يتذكر الإنسان وأنّى له الذكرى؟!.. وجملة إذا جاءتهم معترضة بين المبتدأ وخبره، وفيه رمز إلى غاية سرعة مجيء الساعة. ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم**﴾: هذه الآية جاءت مفرعة على جميع ما ذكر قبلها من حال المؤمنين وحال الكافرين من عواقب ذلك ووعده ووعيده أن أمر الله رسوله بالثبات على ما له من العلم بوحدانية الله، وعلى ما هو ودأبه من التواضع لله بالاستغفار له وللمؤمنين والمؤمنات، وجملة والله يعلم متقلبكم ومثواكم تذييل جامع لأحوال ما تقدّم. ﴿**ويقول الذين آمنوا: لولا نزلت سورة؟!.. فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغْشيِّ عليه من الموت.. فأولى لهم**﴾: هذه الآية موصولة بالعطف على ما قبلها من الأمر بالجهاد وقتال الكافرين.. تبين موقف الفريقين من المؤمنين والمنافقين.. فالمؤمنون يتمنون نزول الآيات الآمرة بالقتال. والمنافقون تظهر عليهم علامة الجزع والهلع عند نزول الآيات المحكمات الآمرات بالقتال مثل الآيات التي في هذه السورة وفي غيرها مثل آيات التوبة والأحزاب وغيرها من الآيات البينات المحكمات... فأولى لهم ﴿**طاعة وقول معروف**﴾. لا الجبن والجزع والهلع والخوف!.. ﴿**فإذا عزم الأمر**﴾: هذا تفريع على وصف حال المنافقين من الهلع والفزع عند سماع ذكر القتال. وجملة ﴿**فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم**﴾ دليل جواب إذا.. وتقدير الكلام: فإذا عزم الأمر كذبوا وأخلفوا.. فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم!.. ﴿**فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم**﴾؟!.. فهذا الكلام موجه إلى المنافقين الذين في قلوبهم مرض على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب المباشر؛ لقصد تأكيد التوبيخ والتقريع.

والاستفهام مستعمل في التكذيب لما يتعذرون به لانخذالهم وتملصهم والتهرب من الدفاع عن الإسلام. والمعنى: إن حصل منكم هذا توقع منكم الإفساد في الأرض وتقطيع الأرحام بعدم الدفاع عن العِرْض!.. فلذلك جيء في

هذا الاستفهام بحرف هل الدالة على التحقيق؛ لأنها في الاستفهام بمنزلة قد في الخبر. ﴿**أولئك الذين لعنهم الله.. فأصمهم وأعمى أبصارهم**﴾: هذه الآية فصلت فلم تعطف؛ لما فيها من كمال الاتصال بما قبلها.. فالإشارة فيها إلى الذين في قلوبهم مرض المتولّين عن الدفاع عن الإسلام، الموالين الذين يصدون عن سبيل الله. والتفت الكلام من الخطاب إلى الغيبة إيذاناً بأنّ ذكْرَ فظائعهم وفصائحهم أوجب إسقاطهم عن ربية الخطاب.. حتى ولو بالتهكم والتقريع.. مع مناسبة ذكر أحوالهم الفظيعة لغيرهم! وهي اللعن والإصمام والإعماء!!.. ﴿**أفلا يتدبرون القرءان.. أم على قلوب أقفالها**﴾: الجملة الأولى معقبة على موقف المنافقين من القرءان جاءت على أسلوب الاستفهام التعجيبي من سوء علمهم بالقرآن ومن إعراضهم عن سماعه. والجملة الثانية جاءت باستفهام دال على انتقال حال أسوأ مما قبله حيث وضعت على قلوبهم أقفال تمنع دخول أي شيء فيه فائدة لهم.. فكان سبباً في بعدهم عن الهدى وعدم سماعهم لندائه وعدم رؤيتهم لطريقه!. فلو تدبر هؤلاء المنافقون القرآن وفتحوا له قلوبهم لما أبعدهم الله وأضلّهم وأصمهم وأعمى أبصارهم.. ﴿**إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم**﴾: في هذه الآية ذكر سبب ما حصل للمنافقين من إعراض عن الهدى هو الشيطان الذي سهل لهم ركوب العظائم، وأملى لهم حيث مد لهم في الأماني والآمال والأمان بما لهم من قوة ومال وجاهٍ! وها هم اليهود يطلبون نجدتهم ونصرتهم: ﴿**ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله: سنطيعكم في بعض الأمر.. والله يعلم أسرارهم.. فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم**﴾؟!: بعد ما ذكر حالهم في الدنيا عقب على ذلك بما ينالهم في النهاية بما ينالهم من سوء العاقبة.. فكيف حالهم حينذاك؟!. ﴿**ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم**﴾: ذلك ما حصل نهاية الأمر حاصل بسبب اتباعهم ما نهى الله عنه وكراهة ما أمرهم به من طاعة الله ورسوله..

فأحبط ما عملوا من كيد ومكر بالإسلام والمسلمين. ولما كان كيدهم خطيراً، وكبر على الرسول ما هم عليه من الحقد والضغينة وما هم فيه من الأمن تحت يدٍ أمينة حذرهم الله من مغبة ما هم عليه حين يكشف أسرارهم الكمينة: ﴿**أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم**﴾؟!.. وهو انتقال من التهديد والوعيد إلى الإنذار بأن الله مطلع على ما يضمره المنافقون من الكفر

والمكر والكيد ليعلموا أن أسرارهم غير خافية: ﴿**ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم**..﴾ ولكن لم نشأ ذلك.. ﴿**ولتعرفنّهم في لحن القول**﴾: ميزتهم التي يعرفهم بها الرسول تظهر في أقوالهم الدالة على ما في نفوسهم دون إرادة منهم. ﴿**والله يعلم أعمالكم**﴾: هذا تذييل مقرر لمضمون ما سبق.. فهو لعمومه خطاب لجميع الأمة. والمقصود منه التعليم والتنبيه والتحذير.. ففيه كناية عن لازمه وهو الوعيد. ﴿**ولنبلونكم.. حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم**﴾: هذه الآية موصولة بالعطف على ما قبلها من قوله تعالى: والله يعلم أعمالكم.. فهو احتراس مما قد يتوهم السامعون من قوله والله يعلم أعمالكم من الاستغناء عن التكليف.. فبين الله من هذه الآية أن من حكمته في هذه التكاليف أن يظهر أثر علم الله بأحوال الناس. وحتى حرف انتهاء، فما بعدها غاية للفعل الذي قبلها. وهي هنا مستعملة في معنى لام التعليل؛ تشبيهاً لعلة الفعل بغايته. ﴿**إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئاً وسيحبط أعمالهم**﴾: عاد هنا الكلام إلى الكافرين الصرحاء بعد الكلام على المنافقين عودا على بدء. وهو رد العجز على الصدر؛ لتهوين أمرهم في نفوس المسلمين.. فبعد أن أخبر الله عنهم: أنه أضل أعمالهم وأنهم اتبعوا الباطل، وأمر بضرب رقابهم وأن التعس لهم. وحقّرهم بأنهم يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام.. وأن الله أهلك قرى هي أشد منهم قوة، بعد ذلك ثنى عنان الكلام إلى الذين كفروا ليبين الله للمسلمين بأنهم في هذه المآزق التي بينهم وبين الكافرين لا يلحقهم منهم أدْنَى ضُرٍّ. فالآية استئناف ابتدائي. وهي توطئة لقوله فيما يأتي: فلا تهنوا..

﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم**﴾: هذه الآية جاءت معترضة بين آية إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول الخ، وبين آية إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار.. الخ. وجه الخطاب فيها إلى المؤمنين بالأمر بطاعة الله وطاعة رسوله، وتجنب ما يبطل به الأعمال الصالحة اعتباراً بما حُكي من حال الكافرين في الصد عن السبيل ومشاقة الرسول.. فوصف الإيمان مقابل وصف الكفر. وطاعة الله مقابل الصد عن سبيل الله. وطاعة الرسول مقابل مشاقة الرسول. والنهي عن إبطال الأعمال مقابل بطلان أعمال الذين كفروا. ﴿**إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا**

وهم كفار فلن يغفر الله لهم﴾: هذه الآية تكملة لآية إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئاً وسيحبط أعمالهم؛ لأن الآية الأولى مسوقة لبيان عدم الاكتراث بهم.. فلا ضرر من مشاقتهم..

ولبيان أن الله تعالى مبطل أعمالهم.. والآية الثانية مسوقة لبيان عدم انتفاعهم بما هم فيه من متاع الحياة الدنيا؛ لأن النار مثوى لهم. وهو حكم يعمّ كل من مات على الكفر من كل جيل وفي كل عصر. **﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم﴾**: هذه الآية جاءت مركبة بالفاء على ما قبلها عطف نهي على أمر.. فطاعة الله وطاعة الرسول موجبة للعزة والكرامة.. فأنتم الأعلون والله معكم!!.. ولن يتركم أعمالكم.. فلا تخشوا نقصاً.. **﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾**: هذه الجملة تعليل لما تضمنه قوله: فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم.. **﴿وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم﴾**: هذا الكلام موصول بالعطف على ما قبله من الأمر بالطاعة والنهي عن الاستسلام والخضوع والضراعة لأجل التشبث بحياة لا نفع منها ولا مناعة!.. فالإيمان والتقوى والإنفاق في سبيل الله هي خير وسيلة للمستوى الرفيع في الدنيا والآخرة: **﴿ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتوَلَّوْا يستبدل قوماً غيركم ثُمَّ لا يكونوا أمثالكم﴾**!..

فهذه الآية جاءت خاتمة بما يشبه التهديد لمن يدعى الإسلام ويتظاهر به وهو يبخل بماله ويغلب عليه حب الدنيا الذي هو لعب ولهو.. فهذه الآية في الختام ترتبط بأول السورة يُظلّلُها جوّ القتال وما فيه من بذل النفوس وإنفاق المال. وهكذا يتناسق الموضوع والصور والظلال والإيقاع في سورة القتال.. ففي آخرها براعة الختام؛ كما في أولها براعة الاستهلال!!. وفي كليهما رد للعجز على الصدر، كما هو مقتضى الحال!..

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم..﴾: في

هذا التوجيه افتتاح يمثل الهجوم بلا مقدمة ولا تمهيد. وإضلال الأعمال الذي يواجه به الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ـ سواء صدوا هم، أم صدوا وصدوا غيرهم ـ يفيد ضياعَ هذه الأعمال وبطلانَها. غير أن هذا المعنى يتمثل في حركة.. فإذا بنا نرى هذه الأعمال شاردة ضالة، ونلمح عاقبة هذا الشرود والضلال فإذا هي الهلاك والضياع. وهي حركة تخلع ظل الحياة على الأعمال.. فكأنما هي شخوص حية أضلَّتْ وأُهلِكَتْ. وتعَمِّق المعنى وتلقي ظلاله ظلال معركة شرد فيها الأعمال عن القوم والقوم عن الأعمال حتى تنتهي إلى الضلال والضياع. وهذه الأعمال التي أضلّها الله هي التي كانوا يأملون من ورائها الخير، والتي يبدو على ظاهرها الصلاح.. فلا قِيمَة لِعَمل صالح من غير إيمان.. فهذا الصلاح شكلي لا يعبّر عن حقيقة وراءه.. فلا بد من الإيمان ليشد النفس إلى أصل وفق المنهج الإلهي الذي يجعل العمل صحيحاً بمقوماته وأهدافه ونتائجه. كما هو مؤسس في الجانب الآخر: ﴿**والذين ءامنوا وعملوا الصالحات وءامنوا بما نزل على محمد..**﴾ فالإيمان الأول يشمل الإيمان بما نزل على محمد.. ولكن السياق يبرزه ويظهره ليصفه بصفته: ﴿**وهو الحق من ربهم..**﴾ فيؤكد هذا المعنى ويقرره. وإلى جوار الإيمان المستكن في الضمير العملُ الظاهر في الحياة. وهو ثمرة الإيمان الدالة على وجوده وحيويته وانبعاثه. وهؤلاء: ﴿**كفر عنهم سيئاتهم**﴾. وذلك في مقابل إبطال أعمال الذين كفروا ـ ولو كانت حسنات في شكلها وظاهرها ـ وبينما يبطل العمل ـ ولو كان صالحاً ـ من الكافرين فإن السيئة تغفر للمؤمنين. وهو تقابلٌ تامٌّ مطلق يبرز قيمة الإيمان وقدره عند الله وفي حقيقة الحياة. وإصلاح البال نعمة كبرى تَلي نعمةَ الإِيمان في القدر والقيمة والأثر: ﴿**وأصلح بالهم..**﴾ والتعبير يُلقي ظلال الطمأنينة والراحة والثقة والرضى والسلام.

ومتى صلح البال استقام الشعور وحَسُن التفكير واطمأن القلب والضمير وارتاحت المشاعر وهدأت الأعصاب؛ ورضيت النفس واستمتعت بالأمن والسلام.. وماذا بعد هذا من نعمة أو متاع؟!.. ولم كان هذا.. وكان ذاك؟.. إنها ليست المحاباة وليست المصادفة وليست المجازفة.. إنما هو أمر له أصله الثابت المرتبط بالناموس الأصيل الذي عليه الوجود يوم خلق الله السماوات والأرض بالحق، وجعل الحق هو الأساس: ﴿**ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم..**﴾ فالباطل ليست له جذور ضاربة في كيان

هذا الوجود. ومن ثم.. فهو ذاهبٌ هالك؛ وكل من يتبعه وكل ما يصدر عنه ذاهب هالك كذلك. ولما كان الذين كفروا اتبعوا الباطل فقد ضلت أعمالهم ولم يبق لهم منها شيءٌ ذو غِنَاءٍ. والحق ثابت تقوم عليه السماوات والأرض، وتضرب جذوره في أعماق هذا. ومن ثَمّ يبقى كل ما يتصل به ويقوم عليه، ولما كان الذين ءامنوا اتبعوا الحق من ربهم فلا جرم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم.. فهو أمر واضح مقرر يقوم على أصوله الثابتة ويرجع إلى أسبابه الأصيلة: ﴿**كذلك يضرب الله للناس أمثالهم**..﴾ وكذلك يضع لهم القواعد التي يقيسون إليها أنفسهم وأعمالهم.. فيعلمون المثل الذي ينتمون إليه ويقاسون عليه ولا يحتارون في الوزن والقياس!.. ألم تر كيف ضرب الله مثلاً: كلمة طيبة كشجرة طيبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون. ومَثَلُ كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثّت من فوق الأرض ما لها من قرار؟!..

ذلك الأصل الذي قررته الآية الأولى في السورة يُرتب عليه توجيهُ المؤمنين لقتال الكافرين.. فالذين آمنوا على الحق الثابت الذي ينبغي أن يتقرر في الأرض ويستعلي ويهيمن على أقدار الناس والحياة ليصل الناسَ بالحق وليقيم الحياة على أساسه.. والذين كفروا على الباطل الذي ينبغي أن يزول وتذهب آثاره من الحياة: ﴿**فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب**..﴾ فاللقاء المقصود في الآية هنا هو اللقاء للحرب والقتال لا مجرد اللقاء.. فحتَّى نزولِ هذه السورة كان المشركون في مكة وما حولها منهم المحارب ومنهم المعاهد ومنهم المحايد؛ ولم تكن بعدُ قد نزلت سورة «براءة» التي تُنهي عهود المشركين وتأمر بقتل المشركين أنى وجدوا في بلاد العرب، أو أسلموا كي تخلص القاعدة فيها للإسلام. وضرب الرقاب المأمور به عند اللقاء يجيء بعد عرض الإسلام عليهم وإيبائهم له وإعراضهم عنه.. فهو تصوير لعملية القتل بصورتها الحسية المباشرة، وبالحركة التي تمثلها تمشياً مع جوّ السورة وظلالها.. ﴿**حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق**﴾: الإثخان: شدّة التقتيل حتى تتحطم قوة العدوّ وتتهاوى.. فلا تعود به قدرة على هجوم أو دفاع. وعندئذٍ ـ لا قبله ـ يؤسر من استأسر ويشد وثاقه.. فأمّا والعدوّ ما يزال قوياً فالإثخان والتقتيل يكون الهدف لتحطيم ذلك الخطر.. فالإثخان أولاً لتحطيم قوة العدوّ وكسر شوكته؛ وبعد ذلك يكون الأسر. والحكمة ظاهرة؛ لأنّ إزالة القوة

المعتدية المعادية للإسلام هي الهدف الأول من القتال. وبخاصة حين كانت القوة العددية للأمة المسلمة قليلة محدودة. وكانت الكثرة للمشركين. وكان قتل محارب يساوي شيئاً كبيراً في ميزان القوى حينذاك.. فأما الحكم في الأسرى بعد ذلك فتحدده هذه الجملة، وهي النص القرءاني الوحيد المتضمن حكم الأسرى: ﴿**فإما مَنّاً بعد وإما فداء**..﴾ فهذا النص هو الوحيد المتضمن حكم الأسرى.. وسائر النصوص التي تتضمن القتل أو الاسترقاق لها حالات أخرى غير حالة الأسر. وهذا النص هو الأصل الدائم في الأسر، وما وقع بالفعل خارجاً عنه كان لمواجهة حالات خاصة وأوضاع وقتية. مثل قتل بعض الأسرى بسبب أعمال سابقة تقتضي الحكم بالقتل. وحكم الاسترقاق له حكم خاص، مثل أن يكون الرق عادة من عادات المحارب.. فيعامل فيه بالمثل.. وذلك هو الحكم الماضي بين المسلمين والكفار ما دام الحرب بينهم: ﴿**حتى تضع الحرب أوزارها**..﴾ فهي القاعدة الكلية الدائمة. ذلك أن الجهاد ماض.. حتى تكون كلمة الله هي العليا.. فالله سبحانه وتعالى لا يُكلّف المؤمنين هذا الأمر ولا يفرض عليهم هذا الجهاد ليستعين بهم على الذين كفروا.. فهو سبحانه قادر على أن يقضي عليهم قضاء مباشراً.. إنما هو ابتلاء واختبار لعباده بعضهم ببعض: ﴿**ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض**..﴾ فهؤلاء الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وأمثالُهم في الأرض كلها في كل زمان من البغاة الطغاة المفسدين الذين يظهرون في ثوب البطش والاستكبار ويتراءون لأنفسهم وللضالين من أتباعهم قادرين أقوياء.

إن هؤلاء جميعاً حفنة من الخلق تعيش على ظهر هذه الهباءة الصغيرة المسماة بالأرض.. فلا يبلغ هؤلاء ومَنْ وراءَهم من الأتباع أن يكونوا شيئاً أصلاً حين يقفون أمام قوّة الله!. إنما يتخذ الله المؤمنين ـ حين يأمرهم بضرب رقاب الكافرين وشد وثاقهم بعد إثخانهم ـ سِتَاراً لقدرته، ولو شاء لانتصر من الكافرين جهرة.. ولكنه يريد لعباده المؤمنين الخير. وهو يبتليهم ويصلحهم ويُيَسّر لهم أسباب الحسنات.. فمن ثَمّ تكشف عن جزاء الذين قاتلوا في سبيل الله: ﴿**والذين قاتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم**..﴾ فالقتال في سبيل الله شاهد للإيمان الحقيقي. والنتيجة واحدة صلاح البال بعد الهداية وتكفير السيئات. وهو في مقابل ما جاء عن الذين كفروا أنه أضل أعمالهم.. ﴿**سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم**..﴾ ففي البداية الهداية وصلاح البال، وفي النهاية الجنة التي عرفوها

من أوصاف القرءان إيّاها لَهُمْ قبل الانتقال. . فهذا تعريف الله الجنة للذين قاتلوا في سبيله، وهذه هي نهاية الهداية الممتدّة وإصلاح البال المستمر. . حتى وصلوا إلى المستقر الأخير. .

التوجيه الثاني: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم. .﴾: في هذا التوجيه يتوجه النداء للمؤمنين يُحرّضهم فيه على التجرد لله بالإخلاص في القتال، والاتجاه إلى نصرة نهجه في الحياة، ويعدُهم على هذا النصرَ والتثبيت في المعركة. . فنصر الله يتحقق بنصر شريعته ومنهاجه، ومحاولة تحكيمها في الحياة كلها بدون استثناء. . فهذا هو نصر الله في واقع الحياة. . فهذا شرْطُ الله على الذين آمنوا. . فأما شرطه لهم فهو النصر وتثبيت الأقدام، وعد الله لا يخلفه. ذلك حين يصح أن المؤمنين وفّوا بالشرط. . ثُمَّ نقف لحظةً أمامَ لفتة خاصة في التعبير: «ينصركم، ويثبت أقدامكم» إن الظن يذهب لأول وهلة أن تثبيت الأقدام يسبق النصر ويكون سبباً فيه؛ وهذا صحيح. ولكن تأخير ذكره في العبارة يوحي بأن المقصود معنًى آخرَ من معاني التثبيت. معنى التثبيت على النصر وتكاليفه. . فالنصر ليس نهاية المعركة بين الكفر والإيمان وبين الحق والضلال. . فلِلنّصر تكاليفه في ذات النفس وفي واقع الحياة. للنصر تكاليفه في عدم الزهوّ به والبطر، وفي عدم التراخي بعده والتهاون.

وكثير من النفوس يثبت على المحنة والبلاء، ولكن القليل هو الذي يثبت على النصر والنّعماء. وصلاح القلوب وثباتها على الحق بعد النصر منزلة أخرى وراء النصر!. . **﴿والذين كفروا فتعساً لهم وأضل أعمالهم﴾**: وذلك عكس النصر وتثبيت الأقدام. . فالدعاء بالتعس قضاء من الله سبحانه بالتعاسة والخيبة والخذلان. وإضلال الأعمال ضياع بعد ذلك وفناء. . **﴿ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾**: هذا تصوير لما يعتمل في قلوبهم ويختلج في نفوسهم من الكراهية لما أنزل الله من قرءان وشريعة ومنهج واتجاه، وهذا هو الذي يدفع بهم إلى الكفر والعناد والخصومة والملاحاة، وهي حالة كثير من النفوس الفاسدة التي تكره بطبعها ذلك النهج السليم القويم. وتصادمه من داخلها بحكم مغايرة طبيعتها لطبيعته. وهي نفوس يلتقي بها الإنسان كثيراً في كل زمان وفي كل مكان. ويحس منها النفرة والكراهية لهذا الدين وما يتصل به. . حتى إنها لتفزع من مجرد ذكره

كما لو كانت قد لدغتها العقارب! ونتجنب أن يجيء ذكره أو الإشارة إليه فيما تسمع حولها من حديث!.. ولعلنا نشاهد في هذه الأيام حالة من هذا الطراز لا تخفى على أهل البصيرة!.. وكان جزاء هذه الكراهية لما أنزل الله أن أحبط الله أعمالهم. وإحباط الأعمال تعبير تصويري على طريقة القرءان الكريم في التعبير بالتصوير.. فالحبوط انتفاخ بطون الماشية عند أكلها نوعاً من المرعى سام. ينتهي بها إلى الموت والهلاك، وكذلك أعمال الكافرين انتفخت وورمت وانبعجت.. ثم انتهت إلى الهلاك والضياع! إنها صورة وحركة ونهاية مطابقة لحال من كرهوا ما أنزل الله.. ثم تعاجبوا بالأعمال الضخام، المنتفخة كبطون الأنعام حين ترعى من ذلك النبت السام!.. ثم يلوي أعناقهم إلى مصَارع الغابرين قبلهم في شدة وعنف: ﴿**أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها**..﴾ فهي لفتة عنيفة مروعة. فيها ضجة وفرقعة. وفيها مشهد للذين من قبلهم يدمر عليهم كل ما حولهم وكل ما لهم.. فإذا هم أنقاض متراكمة، وإذا هم تحت هذه الأنقاض المتراكمة، وذلك المشهد الذي يرسمه التعبير مقصود بصورته هذه وحركته. والتعبير يحمل في إيقاعه وجرسه صورة هذا المشهد وفرقعته في انقضاضه وتحطمه!. وعلى مشهد التدمير والتحطيم والردم يلوح للحاضرين من الكافرين ولكل من يتصف بهذه الصفةِ بعدُ بأنها في انتظارهم هذه الوقعة المدمرة التي تدمر عليهم كل شيء وتدفنهم بين الأنقاض: وللكافرين أمثالها.

وتفسير هذا الأمر الهائل المروع الذي يدمر الكافرين وينصر المؤمنين هو القاعدة الأصيلة الدائمة: ﴿**ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم**..﴾ فمن كان الله مولاه وناصرَه فحسْبُه. وفيه الكفاية والغناء! ومن لم يكن الله مولاه فلا مولى له! ولو اتخذ الإنس والجن كلَّهم أولياء! فهو في النهاية مضيع عاجز ولو تجمعت له كل أسباب الحماية وكل أسباب القوة التي يعرفها الناس!.. ثم يوازن بين نصيب الذين آمنوا ونصيب الذين كفروا من المتاع بعد ما بين نصيب هؤلاء وهؤلاء فيما يشتجر بينهم من قتال ونزال؛ مع بيان الفارق الأصيل بين متاع ومتاع: ﴿**إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار، والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام، والنار مثوى لهم**..﴾ فالذين آمنوا وعملوا الصالحات يتمتعون في الأرض أحياناً من أطيب المتاع؛ ولكن

الموازنة هنا إنما تقوم بين النصيب الحقيقي الضخم للمؤمنين ـ وهو نصيبهم في الجنة ـ والنصيب الكلي للكافرين الذي لا نصيب لهم سواه. ونصيب المؤمنين يتلقونه من يد الله في جنات تجري من تحتها الأنهار.. فالله هو الذي يدخلهم.. فهو إذن نصيب كريم علوي رفيع؛ وهم ينالونه من بين يدي الله في علاه جزاء على الإيمان والصلاح، متناسقاً في رفعته وكرامته مع الارتفاع المنطلق من الإيمان والصلاح. ونصيب الذين كفروا متاع وأكل «كما تأكل الأنعام».. وهو تصوير زريء يذهب بكل سمات الإنسان ومعالمه؛ ويلقي ظلال الأكل الحيواني الشره، والمتاع الحيواني الغليظ بلا تذوق ولا تعفف عن جميل أو قبيح.. فهو المتاع الذي لا ضابط له من إرادة ولا من اختيار ولا حارس عليه من تقوى ولا رادع عنه من ضمير!. والحيوانية تتحقق في المتاع والأكل، ولو كان هناك ذوق مرهف للطعوم وحس مدرب في اختيار صنوف المتاع..

فالفارق الرئيسي بين الإنسان والحيوان: أن للإنسان إرادة وهدفاً وتصوراً خاصاً للحياة يقوم على أصولها الصحيحة المتلقاة من الله خالق الحياة: **﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾** فإذا فقد هذا كله فَقَدَ أهم خصائص الإنسان المميزة لجنسه، وأهم المزايا التي من أجلها كرمه الله!. وتعترض سلسلة الموازنات بين الذين آمنوا والذين كفروا لفتةٌ إلى القرية التي أخرجت الرسول ﷺ وموازنة بينها وبين القرى الهالكة وكانت أشد قوة منها: **﴿وكأيّن من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم﴾**: فهي آية جاءت تسلية للرسول تهون من شأن المعارضين له الجبارين الذين وقفوا في وجه الدعوة وآذوا أصحابها.. حتى هاجروا من أرضهم وأهلهم وأموالهم فراراً بعقيدتهم.. ثم يمضي السياق في الموازنة بين حال الفريقين، ويعلّل: لمّا كان الله ولي المؤمنين يدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار في الآخرة بعد النصر والكرامة في الدنيا؟ ولمّا كان الذين كفروا لا مولى لهم مُعرَّضين للهلاك في الدنيا ـ بعد حياة حيوانية هابطة ـ وللعذاب في الآخرة والنوى في النار والإقامة!: **﴿أفمن كان على بينة من ربه، كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم﴾**؟!.. فهو فارق أصيل في الحالة التي عليها الفريقان، وفي المنهج والسلوك سواء.. فالذين آمنوا على بينة من ربهم، رأوا الحق وعرفوه واستيقنوا من مصدره واتصلوا بربهم فتلقوا عنه وهم على يقين مما يتلقون، غير مخدوعين ولا مضللين، والذين كفروا زين لهم سوء أعمالهم فرأوها حسنة وهي

سيئة. ولم يروا ولم يستيقنوا.. واتبعوا أهواءهم.. بلا ضابط يرجعون إليه ولا أصل يقيسون عليه، ولا نور يكشف لهم الحق من الباطل! أهؤلاء كهؤلاء؟!.. فهم يختلفون حالاً ومنهجاً واتجاهاً.. فلا يمكن أن يتفقوا ميزاناً ولا جزاء ولا مصيراً!!.. وهذه صورة من صور التفرقة بين هؤلاء وهؤلاء في المصير: ﴿**مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات. ومغفرة من ربهم. كمن هو خالد في النار، وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم**﴾؟!.. فهنا نوعان من الجزاء: هذه الأنهار المختلفة الأجناس من ماء غير آسن، ولبن لم يتغير طعمه، وخمر لذه للشاربين، وعسل مصفى.. ومع هذه الأنهار كل الثمرات شهيّة الطعم نقية اللون سهلة التناول.. ومع هذا وذاك مغفرة من ربهم ورضوان من الله أكبر!.. والنوع الآخر: هذا العذاب الخالد في النار وهذا الماء الحار المقطع الأمعاء!.. فهي صورة حسية عنيفة من العذاب تناسب جوّ سورة القتال وتناسب غلظ طبيعة القوم، وهم يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام.. فالجوّ جوٌّ متاع غليظ وأكل غليظ. والجزاء ماء حار فظيع يقطع الأمعاء التي كانت تَحُشُّ وتلتهم الأكل كالأنعام!.. فلن يكون هؤلاء كأولئك في الجزاء، كما أنهم في الحال والمنهج ليسوا سواء!..

التوجيه الثالث: ﴿**ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً**﴾؟ في هذا التوجيه جولة مع المنافقين وموقفهم مع رسول الله ﷺ ومع القرآن.. ثم موقفهم من الجهاد الذي فرضه الله على المسلمين لإعلاء كلمة الله، وأخيراً موقفهم من اليهود وتآمرهم معهم سراً للإيقاع بالإسلام والمسلمين. وحركة النفاق حركة مدنية لم يكن لها وجود في مكة بالمعنى المتعارف عليه في المدينة؛ لأنه لم يكن هناك ما يدعو إليها.. فالمسلمون في مكة كانوا في موقف المضطهد الذي لا يحتاج أحد أن ينافقه.. فلما أعز الله الإسلام والمسلمين بالمهاجرين والأنصار، وظهر عند أول اصطدام بين المسلمين والكفار بوادر التفوق والانتصار؛ اضطر ناس ممن كرهوا للرسول وللإسلام أن يعز ويستعلي، ولم يملكوا في الوقت أن يجهروا بالعداوة اضطروا إلى التظاهر بالإسلام على كره وهم يضمرون الحقد والبغضاء يتربصون بالرسول وأصحابه الدوائر. وكان وجودُ اليهود في المدينة وتمتعهم فيها بقوة عسكرية ـ سلاح ـ وقوة اقتصادية

مشجعاً للمنافقين. وسرعان ما جمعتهم البغضاء والحقد.. فأخذوا في حبك المآمرات ودس الدسائس في كل مناسبة تعرض.. فهذا أحد المواضع التي وردت فيها الإشارة إلى المنافقين، والإشارة كذلك إلى اليهود بعد ذلك. ولفظة ﴿**ومنهم**﴾ إشارة للذين كفروا الذين كان يدور الحديث عنهم في الجولة السابقة في السورة. باعتبار أن المنافقين في الحقيقة فرقة من الكفار مستورة الظاهر، والله يتحدث عنها بحقيقتها في هذه الآية. وسؤالهم بعد استماعهم للرسول يدل على أنهم كانوا يتظاهرون تظاهراً بأنهم يلقون سمعهم وبالهم للرسول وقلوبهم لاهية غافلة..

كما أنه قد يدل من جانب آخر على الغمز الخفي اللئيم؛ إذ يريدون أن يقولوا بسؤالهم هذا لأهل العلم: إن ما يقوله محمد لا يُفهم.. فها هم أولاء مع استماعهم له لا يجدون له فحوى ولا يمسكون منه بشيء.. كذلك قد يعنون بهذا السؤال السخرية من احتفال أهل العلم بكل ما يقوله محمد وحرصهم على استيعاب معانيه وحفظ ألفاظه ـ كما كان حال الصحابة مع كل كلمة يتلفظ بها الرسول الكريم ـ فهم يسألونهم أن يعيدوا ألفاظه التي سمعوها على سبيل السخرية الظاهرة أو الخفية.. فكل هذه الاحتمالات والتوجيهات تدل على اللؤم والخبث والانطماس والهوى الدفين: ﴿**أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم..**﴾ فذلك حال المنافقين.. فأما حال المؤمنين المهتدين فهو على النقيض: ﴿**والذين اهتدوا زادهم هدى وءاتاهم تقواهم..**﴾ فترتيب الوقائع في الآية يستوقف النظر.. فالذين اهتدوا بدأوا هم بالاهتداء.. فكافأهم الله بزيادة الهُدَى. وكافأهم بما هو أعمق وأكمل: وآتاهم تقواهم.. فالهدى والتقوى حالة تقابل حالة النفاق والغفلة في الآية السابقة.. ثم يعود السياق بعد هذه اللفتة إلى الحديث عن أولئك المنافقين المطموسين الغافلين الذين يخرجون من مجلس الرسول ولم يعوا مما قال شيئاً ينفعهم ويهديهم.. فيذكرهم بما ينتظر الناس من حساب وجزاء: ﴿**فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها..**﴾ فماذا ينتظر هؤلاء الغافلون؟ ما ينظرون إلا الساعة: أن تأتيهم.. فقد جاء أشراطها. فالقرءان بينها للناس بياناً كاملاً.. والرسول ﷺ تحدث عنها بقوله: بعثت أنا والساعة كهاتين، وأشار بأصبعيه السبابة والتي تليها.. فما عاد لعاقل أن يغفل عنها.. حتى تأخذه بغتة.. ﴿**فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم**﴾؟: إنها الهزة القوية العنيفة التي يُخرجُ الغافلين من غفلتهم، والتي تنفق كذلك مع طابع السورة العنيف.. ثم يتجه

الخطاب إلى الرسول وإلى من معه من المهتدين المتقين المتطلعين، ليأخذوا طريقاً ءاخر: طريق العلم والمعرفة والذكر والاستغفار، والشعور برقابة الله وعلمه الشامل المحيط؛ ويعيشوا بهذه الحساسية يرتقبون الساعة وهم حذرون متأهبون: ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله**. .﴾

فهذا التوجيه إلى تذكر الحقيقة الأولى التي يقوم عليها أمر الدعوة. . وعلى أساس العلم بهذه الحقيقة واستحضارها في الضمير تبدأ التوجيهات الأخرى: ﴿**واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات**. .﴾ فالاستغفار عبادة يطالب بها كل مؤمن. والرسول أول المؤمنين وأول العابدين ومكلف مثل جميع المكلفين. . فهو ذكر وشكر على الغفران. . ثم هو التلقين المستمر لمن يعرفون منزلة الرسول عند ربه. . ويرونه يُوجَّهُ إلى الذكر والاستغفار لنفسه. . ثم للمؤمنين والمؤمنات، وهو المستجاب الدعوة عند ربه. . فيشعرون بنعمة الله عليهم بهذا الرسول الكريم. . ويفضل الله عليهم وهو يوجهه لأن يستغفر لهم ليغفر لهم!. . واللمسة الأخيرة في هذه التوجيهات: ﴿**والله يعلم متقلبكم ومثواكم**. .﴾ حيث يشعر القلب المؤمن بالطمأنينة والخوف جميعاً: الطمأنينة وهو في رعاية الله حيثما تقلّب أو ثوى. . والخوف من هذا الموقف الذي يحيط به علم الله ويتعقبه في جميع حالاته، ويطلع على سره ونجواه. إنها التربية: التّربية باليقظة الدائمة والحساسية المرهفة، والتطلع والحذر والانتظار. وينتقل السياق إلى تصوير موقف المنافقين من الجهاد، وما يعتمل في نفوسهم من جُبن وخور وذعر وهلع عند مواجهة هذا التكليف ويكشف دخيلتهم في هذا الأمر كما يكشف لهم ما ينتظرهم لو ظلوا على هذا النفاق، ولم يخلصوا ويستجيبوا ويصدقوا الله عندما يعزم الأمر ويتحتم الجهاد: ﴿**ويقول الذين آمنوا: لولا نزلت سورة. . فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشيّ عليه من الموت**. .﴾ فتطلع الذين آمنوا إلى نزول سورة تبين أمراً من أمور الجهاد وتفصل قضية من قضايا القتال تعبيرٌ عن شوقهم إلى سورة جديدة من هذا القرءان الذي يحبونه ويجدون في كل سورة منه زاداً جديداً حبيباً. . فإذا أنزلت سورة محكمة فاصلة بينة لا تحتمل تأويلاً، وذكر فيها القتال. . فإذا بأولئك المنافقون يفقدون تماسكهم ويسقط عنهم ستار الرياء الذي يتسترون به؛ وينكشف جزعهم وضعف نفوسهم من مواجهة هذا التكليف؛ ويبدون في حالة تزري بالرجال، يصورها التعبير القرءاني المبدع صورة

فريدة كأنها معروضة للأنظار: رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشيِّ عليه من الموت. وهو تعبير لا تمكن محاكاته ولا ترجمته إلى أيّ عبارة أخرى.

وهو رسم الخوف إلى حد الهلع، والضعف إلى حد الرعشة، والتخاذل إلى حد الغشية!. وهي صورة خالدة لكل نفس خوّارة لا تعتصم بإيمان، ولا بفطرة صادقة، ولا بحياء تتجمل به أمام الخطر. وهي هي طبيعة المرض والنفاق!. وبينما هم في هذا التخاذل والتهافت والانهيار تمتد إليهم يد الإيمان بالزاد الذي يقوي العزائم ويشد القوائم لو تناولوه بإخلاص: ﴿**فأولى لهم طاعة وقول معروف.. فإذا عزم الأمر.. فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم..**﴾ فأولى لهم من هذه ومن هذا الخوف والخور ومن هذا الجزع والفزع والهلع ومن هذا النفاق: أولى لهم طاعة وقول معروف.. طاعة تستسلم لأمر الله عن طمأنينة وتنهض بأمره عن ثقة. وقول معروف يشِي بنظافة الحس واستقامة القلب وطهارة الضمير. وأولى لهم إذا عزم الأمر وجدّ الجد وواجهوا الجهاد أن يصدقوا الله: يصدقوه عزيمة ويصدقوه شعوراً فيربط على قلوبهم ويشد من عزائمهم ويثبت أقدامهم ويُيَسّر المشقة عليهم ويهوّن الخطر الذي يتمثلونه غُولاً تَفغَر فاهَا لتلتهمهم، ويكتب لهم إحدى الحسنيين: النجاة والنصر، أو الاستشهاد والجنة.. فهذا هو الأولى. وهذا هو الزاد الذي يقدمه الإيمان فيقوّي العزائم ويشد القوائم ويذهب بالفزع ويحل محله الثبات والاطمئنان. وبينما هو يتحدث عنهم يلتفت إليهم مباشرة ليخاطبهم مُقرّعاً مهدداً بسوء العاقبة لو قادهم حالهم هذا إلى النكسة والتولي والكفر، وخلع ذلك الستار الرقيق من الإسلام: ﴿**فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم**﴾؟.. فهذا التعبير يفيد ما هو متوقّع من حال المخاطبين. ويلوح لهم بالنذير والتحذير.. احذروا فإنكم منتهون إلى أن تعودوا إلى الجاهلية التي كنتم فيها: تفسدون في الأرض وتُقطّعون أرحامكم كما كان شأنكم قبل الإسلام. وهذا ما عليه العرب في هذه الأيام!!.. وبعد هذه اللفتة المفزعة المنذرة لهم يعود إلى الحديث عنهم لو انتهوا إلى هذا الذي حذرهم إياه: ﴿**أولئك الذين لعنهم الله..**﴾ فأولئك الذين يظلون في مرضهم ونفاقهم حتى يتولوا عن هذا الأمر الذي دخلوا فيه بظاهرهم ولم يصدقوا الله فيه ولم يستيقنوه لعنهم الله وطردهم وحجبهم عن الهدى: ﴿**فأصمهم وأعمى أبصارهم..**﴾ فلم يعد لهذه الحواس وظيفة لأنها

لم تعد تؤدي هذه الوظيفة. ويتساءل في استنكار ﴿**أفلا يتدبرون القرءان**﴾؟!..

فتدبير القرءان يزيل الغشاوة ويفتح النوافذ، ويسكب النور ويحرك المشاعر، ويستجيش القلوب ويخلص الضمير، وينشىء حياة للروح تنبض بها وتشرق وتستنير.. ﴿**أم على قلوب إقفالها**﴾؟!.. فهي تحول بينها وبين القرءان، وبين النور. ويمضي السياق في تصوير حال المنافقين وبيان سبب توليهم عن الإيمان بعد إذ شارفوه.. فهو تآمرهم مع اليهود ووعدهم لهم بالطاعة فيما يدبرون: ﴿**إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبيّن لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم أسرارهم..**﴾ فالتعبير يرسم معنى رجوعهم عن الهدى بعد ما تبين لهم في صورة حركة حسية: حركة الارتداد على الأدبار. ويكشف عما وراءها من وسوسة الشيطان وتزيينه وإغرائه.. فإذا ظاهر هذه الحركة وباطنها مكشوفان مفهومان! وهم المنافقون الذين يتخفّون ويتستّرون.. ثم يذكر السبب الذي جعل للشيطان عليهم هذا السلطان، وانتهى بهم إلى الارتداد على الأدبار بعد ما عرفوا الهدى وتبيّنوه.. فاليهود في المدينة هم أول من كرهوا ما نزل؛ لأنهم كانوا يتوقعون أن تكون الرسالة الأخيرة فيهم، وأن يكون خاتم الرسل منهم؛ وكانوا يستفتحون على الذين كفروا ويوعدونهم ظهور النبئ الذي يقودهم ويمكّن لهم في الأرض، ويسترجع مُلكهم وسُلطانهم.. فلما اختار الله آخر رسله من غير اليهود كرهوا رسالته.. حتى إذا هاجر إلى المدينة كرهوا هجرته التي هددت ما بقي لهم من مركز فيها. ومن ثَمّ كانوا إلْباً عليه منذ أول يوم، وشنوا عليه حرب الدس والمكر والكيْد حينما عجزوا عن مناصبته العداء جهرة في ميادين القتال؛ وانضم إليهم كل حانق وكل منافق، وظلت الحرب سجالاً بينهم وبين رسول الله.. حتى أجلاهم في آخر الأمر عن بلاد العرب ـ الجزيرة ـ وخلّصها للإسلام. والله يعلم أسرارهم: هذا التعقيب كله تهديد.. فأين يذهب تآمرهم وكيف تنفعُهم أسرارهم، وهو مكشوف لعلم الله، ومعرّض لقوّة الله؟!..

ومن الغريب والعجيب أن المنافقين من العرب الذين يدّعون التمسك بالإسلام وحمايتهم له لا زالوا في هذا الموقف وعلى هذا القول: سنطيعكم في بعض الأمر. وما تمكن اليهود في فلسطين إلا بخيانة حكام العرب الخونة المنافقين المرتدين على أدبارهم.. فلعنة الله عليهم أجمعين!..

ثم يأتي التهديد السافر بجند الله، والمتآمرون في نهاية الحياة: ﴿**فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم**﴾؟!.. فهو مشهد مفزع معيّن وهم يحتضرون ولا حول لهم ولا قوة وهم في نهاية حياتهم على هذه الأرض.. فيا لها من مأساة!: ﴿**ذلك بأنّهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه.. فأحبط أعمالهم..**﴾ فهم الذين أرادوا لأنفسهم هذا المصير واختاروه. هم الذين عمدوا إلى ما أسخط الله من نفاق. ومعصية وتآمر مع أعداء الله وأعداء دينه ورسوله فاتّبعُوه. وهم الذين كرهوا رضوان الله فلم يعملوا له.. فأحبط أعمالهم التي كانوا يعجبون بها ويتعاجبون! ويحسبونها مهارة وبراعة، وهم يتآمرون على المؤمنين ويكيدون.. فإذا بهذه الأعمال تتضخم وتنتفخ.. ثم تهلك وتضيع!. وفي نهاية الشوط يتهددهم بكشف أمرهم للرسول وللمسلمين الذين يعيشون بينهم متخفّين؛ يتظاهرون بالإسلام وهم له كائدون: ﴿**أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم؟. ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم..**﴾ فقد كان المنافقون يعتمدون على إتقانهم فنَّ النفاق، وعلى خفاء أمرهم في الغالب على المسلمين.. فالقرءان يُسفّه ظنهم أن هذا الأمر سيظل خافياً.. ويهددهم بكشف حالهم وإظهار أضغانهم وأحقادهم على المسلمين. ويقول لرسوله: لو نشاء لكشفنا لك عنهم بذواتهم وأشخاصهم.. حتى لترى أحدهم فتعرفه من ملامحه.. ومع هذا فإن لهجتهم ونبرات صوتهم وإمالتهم للقول عن استقامته، وانحراف منطقهم في خطابك سَيَدُلُّك على نفاقهم: ﴿**ولتعرفنّهم في لحن القول..**﴾ ثم يعرّج السياق على علم الله الشامل بالأعمال وبواعثها: ﴿**والله يعلم أعمالكم..**﴾ فلا تخفى عليه منها خافية.

التوجيه الرابع: ﴿**ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم..**﴾: في هذا التوجيه وعْدٌ من الله بالابتلاء: ابتلاء الأمة الإسلامية كلها؛ لينكشف المجاهدون والصابرون ويتميزوا وتصبح أخبارهم معروفة، ولا يقع الالتباس في الصفوف ولا يبقى مجال لخفاء أمر المنافقين ولا أمر الضعاف والجزعين. والله يعلم حقائق النفوس ومعادنها ويطلع على خفاياها وخباياها، ويعلم ما يكون أمرها علمه بما هو كائن فعلاً.. فما هذا الابتلاء؟.. ولمن يكون العلم من ورائه بما يتكشف عنه؟.. فالله تعالى يأخذ البشر بما هو في طوقهم، وما هو من طبيعتهم واستعدادهم وهم لا يعلمون عن الحقائق المستكنّة ما

يعلمه.. فلا بد لهم من تكشف الحقائق ليدركوها ويعرفوها ويستيقنوها.. ثم ينتفِعُوا بها. والابتلاء بالسراء والضراء، وبالنعماء والبأساء، وبالسعة والضيق، وبالفرج والكرب.. كلها تكشف عما هو مخبوء من معادن النفوس؛ وما هو مجهول من أمرها.. حتى عن أصحابها.

أما المراد بعلم الله لِما تنكشف عنه النفوس بعد الابتلاء فهو تعلق علمه بها في حالتها الظاهرة التي يراها الناس عليها. ورؤية الناس لها في صورتها التي تدركها مداركهم هو الذي يؤثر فيهم ويكشف مشاعرهم ويوجه حياتهم بوسائلهم الداخلة في طوقهم. وهكذا تتِمّ حكمة الله في الابتلاء. ﴿**إنّ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئاً وسيحبط أعمالهم**﴾: هذه الآية حكمها شامل لجميع الكافرين السابقين منهم واللاحقين. وبالخصوص اليهود الملاعين وهم الذين يقفون دائماً في مقدمة المشاقين!!.. فهو قرار من الله مؤكد، ووعد منه واقع: أن الذين كفروا ووقفوا في وجه الحق أن يبلغ إلى الناس، وصدوا الناس بالقوة أو المال أو الخداع أو أية وسيلة من الوسائل، وشاقوا الرسول محمداً ﷺ في حياته بإعلان الحرب عليه، والمخالفة عن طريقه، والوقوف في غير صفه.. أو بعد وفاته بمحاربة دينه وشريعته ومنهجه والمتبعين لسنته والقائمين على دعوته.. وذلك من بعد ما تبين لهم الهدى.. وعرفوا أنه الحق؛ ولكنهم اتبعوا الهوى وجمح بهم العناد، وأعماهم الغرض، وقادتهم المصلحة العاجلة. قرارٌ من الله مؤكد ووعد من الله واقع: أن هؤلاء لن يضروا الله شيئاً.. فهم أضأل وأضعف من أن يُذكروا في مجال ضرر الله - سبحانه وتعالى - فليس هذا هو المقصود.. إنما المقصود أنهم لن يضروا دين الله ولا منهجه ولا القائمين على دعوته، ولن يحدثوا حدثاً في نواميسه وسنته مهما بلغ من قوتهم، ومهما قدروا على إيذاء بعض المسلمين فترة من الوقت.. فإن هذا بلاء وقتيٌّ يقع بإذن الله تعالى لحكمة يريدها؛ وليست ضراً حقيقياً لناموس الله وسنته ونظامه ونهجه وعباده القائمين على نظامه ونهجه.. والعاقبة مقررة: وسيحبط أعمالهم.. فتنتهي إلى الخيبة والدمار، كما تنتهي الماشية التي ترعى ذلك النبات السام فتسقط وتنهار!. والدليل على ذلك ما نسمعه اليوم بما يقع بين فصائل المسلمين وجحافل الكفار!!..

وفي ظل هذا المصير المخيف للذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا

الرسول.. يلتفت السياق إلى الذين آمنوا ليحذرهم مغبة هذا المصير.. ويوجههم إلى طاعة الله وطاعة الرسول: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم**..﴾ فهذا التوجيه يُوحِي بأنه كان في الجماعة المسلمة يومئذٍ من لا يتحرى الطاعة الكاملة.. أو من تثقل عليه بعض التكاليف، وتشق عليه بعض التضحيات التي يقتضيها جهاد هذه الطوائف القوية المختلفة التي تقف للإسلام وتناوشه من كل جانب!.. ثم بين الله لهم في الآية التالية مصير الذين كفروا على مختلف ألوانهم ومكانهم وزمانهم إذا ماتوا على كفرهم فلن يغفر الله لهم: ﴿**إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله.. ثم ماتوا وهم كفار.. فلن يغفر الله لهم**..﴾ فالفرصة متاحة فقط للمغفرة في هذه الدنيا؛ وباب التوبة يظل مفتوحاً للكافر وللعاصي.. حتى يغرغر.. فإذا بلغت الروحُ الحلقومَ فلا توبة ولا مغفرة.. فقد ذهبت الفرصة التي لا تعود. ﴿**فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم، وأنتم الأعلون**﴾: فهذا هو الذي يحذر المؤمنين إياه، ويضع أمامهم مصير الكافرين ليحذروا شَبَحَهُ من بعيد.. فأنتم الأعلون فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم. أنتم الأعلون منهجاً وهدفاً وغايةً. وأنتم الأعلون شعوراً وخُلقاً وسلوكاً.. ثم.. أنتم الأعلون قوة ومكاناً ونصرة.. فمعكم القوة الكبرى: ﴿**والله معكم**..﴾ فلستم وحدكم.. إنكم في صحبة العلي الجبار القادر القهار. وهو لكم نصير حاضر معكم يدافع عنكم.. فما يكون أعداؤكم هؤلاء والله معكم؟!. وكل ما تبذلون وكل ما تفعلون، وكل ما يصيبكم من تضحيات محسوب لكم لا يضيع منه شيء عليكم: ﴿**ولن يتركم أعمالكم**..﴾ فلن يقطع منها شيئاً لا يصل إليكم أثره ونتيجته وجزاؤه.. فعلام يهن ويضعف ويدعو إلى السلم من يقرر الله له أنه الأعلى وأنه معه وأنه لن يفقد شيئاً من عمله.. فهو مكرّم منصور مأجور؟!. هذه هي اللمسة الأولى. واللمسة الثانية تهوين من شأن هذه الحياة الدنيا التي قد يصيبهم بعض التضحيات فيها.

وتوفية كاملة في الآخرة للأجور مع عدم إبهاضهم ببذل المال مقابل هذه الأجور: ﴿**إنما الحياة الدنيا لعب ولهو**..﴾ فالحياة الدنيا لعب ولهو حين لا يكون وراءها غاية أكرم وأبقى. حين تعاش لذاتها مقطوعة عن منهج الله فيها. ذلك المنهج الذي يجعلها مزرعة الآخرة ويجعل إحسان الخلافة فيها هو الذي يستحق وراثة الدار الباقية. وهذا هو الذي تشير إليه الفقرة التالية في الآية: ﴿**وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم.. ولا يسألكم أموالكم**..﴾ فالإيمان والتقوى في الحياة

الدنيا هو الذي يخرجها عن أن تكون لعباً ولهواً، ويطبعها بطابع الجد ويرفعها عن مستوى المتاع الحيواني إلى مستوى الخلافة الراشدة المتصلة بالملإ الأعلى. ويومئذٍ لم يكن ما يبذله المؤمن المتقي من عرض هذه الحياة الدنيا ضائعاً ولا مقطوعاً.. فعنه ينشأ الأجر الأوفى في الدار الأبقى. ومع هذا.. فإن الله لا يسأل الناس أن يبذلوا أموالهم كلها ولا يشق عليهم في فرائضه وتكاليفه لعلمه سبحانه بشحّ نفوسهم فطرة وخلقة، وهو لا يكلف نفساً إلا وسعها. وهو أرحم بهم من أن يكلفهم بذلها كلها.. فتضيق صدورهم وتظهر أضغانهم: ﴿**إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم**﴾. وفي النهاية يواجه السياق الناس المخاطبين بالقرءان بواقع حالهم تِجَاهَ دعوتهم إلى البذل في سبيل الله، ويعالج شح النفوس بالمال بالوسائل القرآنية؛ كما عالج شحها في ذات النفس عند الجهاد: ﴿**ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه**﴾.. فالآية ترسم صورة لواقع الجماعة المسلمة يومذاك، ولواقع الناس تجاه الدعوة إلى البذل في كل بيئة.. فهي تقرر أن منهم من يبخل. ومعنى هذا أن هنالك من لا يبخلون بشيء. وقد كان هذا واقعاً، سجلته الروايات الكثيرة الصادقة، وسجله القرءان في مواضع أخرى. وقد حقق الإسلام في هذا المجال مثلاً تحسب من خوارق الأمثال في البذل والتضحية عن رِضى وعن فرح بالبذل والعطاء. ولكن هذا لم يمنع أن يكون هنالك من يبخل بالمال. والقرءان يعالج هذا الشح في هذه الآية: ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه.. فما يبذله الناس إن هو إلا رصيد لهم مذخور يجدونه يوم يحتاجون إلى الرصيد.. فإذا بخلوا بالمال فإنما يبخلون عن أنفسهم وإنما يقللون من رصيدهم.. فالله لا يطلب إليهم البذل إلا وهو يريد لهم الخير.. فما يناله شيء مما يبذلون وما هو في حاجة إلى ما ينفقون: ﴿**والله الغني وأنتم الفقراء**﴾.. فهو الذي أعطاكم أموالكم.. فهو الذي يتفضل به عليكم. ففيم البخل إذن وفيم الشح؟!.. ثم الكلمة الأخيرة وهي فصل الخطاب: ﴿**وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم**﴾.. فإن اختيار الله لكم بحمل دعوته تكريمٌ ومنٌّ وعطاء.. فإذا لم تحاولوا أن تكونوا أهلاً لهذا الفضل. وإذا لم تنهضوا بتكاليف هذه المكانة. وإذا لم تدركوا قيمة ما أُعطيتم فيهون عليكم كل ما عداه.. فإن الله يسترد كل ما وهب، ويختار غيركم لهذه المنة ممن يقدّر فضل الله. إن الإيمان هبة ضخمة لا يعدلها في هذا الوجود شيء.

والحياة رخيصة والمال زهيد حين يوضع الإيمان في كفة، ويوضع في الكفة الأخرى كل ما عداه. ومن ثَمّ كان هذا الإنذار أهول ما يواجهه المؤمن وهو يتلقاه من الله!.

3 ـ سورة الفتح المدنيّة

بشرت بجميع الفتوح الإسلامية!



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (1) لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (2) وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (3) هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (4) لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا (5) وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (6) وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (7) * إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (8) لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (9) إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (10)

سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا
يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ
ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿11﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن
يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ
السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿12﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا
لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿13﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿14﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ
إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ
قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ
تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿15﴾ قُل
لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ
تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا
وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿16﴾ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ
حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
نُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ نُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿17﴾
* لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ
فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿18﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا
وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿19﴾ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا

فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ
وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿20﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ
أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿21﴾
وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا
وَلَا نَصِيرًا ﴿22﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ
وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿23﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ
عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿24﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ
وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ
فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ
لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿25﴾
إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ
ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ
وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿26﴾ * لَّقَدْ صَدَقَ
ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ

لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (27) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (28) مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (29)

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً. .**﴾ الفتح: النصر. مأخوذ من فتح باب الدار. وضده: أغلق الباب. والمراد بالفتح المبين هنا: جميع ما فتح الله لرسوله من الفتوح وللمؤمنين من بعده. . ﴿**ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخّر**﴾: هذا غاية للفتح من حيث أنه مترتب على سعي الرسول ﷺ ﴿**ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً وينصرك الله نصراً عزيزاً**﴾: تكملة لمعنى الفتح المبين!. ﴿**هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم**﴾: هذا بيان لما أفاض الله على المؤمنين من مبادىء الفتح من الثبات والطمأنينة. ﴿**ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عليماً حكيماً**﴾: بيان لما ظهر من المؤمنين من قوة وبسالة وثبات في ميادين الجهاد مع ما هم فيه من قلة وضعف: ﴿**ليدخل المؤمنين**

والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً﴾: وعد بثواب الآخرة بعد الوعد بثواب الدنيا من النصر والفتح المبين. وباجتماعهما يجتمع الفوز العظيم.

﴿ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات، الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً﴾: هذا ما أعد للمنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات من عقاب الدنيا والآخرة مقابل ما أُعد للمؤمنين والمؤمنات!. **﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾**: بيان لوظائف الرسول ﷺ الثلاث: شهادته وبشارته ونذارته.. لمن آمن به بالخير، وعلى من كفر به بالشر. **﴿لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً﴾**: بيان لكيفية الإيمان برسالة الرسول: وهو الإيمان بالله ورسوله بتقوية دينه وتعظيمه وتنزيهه بالصلاة له في الأوقات المحددة «بكرة وأصيلاً» والمراد هنا: صلاة الصبح وصلاة العصر؛ كما ورد في الحديث الصحيح: إن الملائكة يجتمعون في هذين الوقتين.. **﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم﴾**: هذه المبايعة التي وقعت من الصحابة مع الرسول تحت الشجرة في الحديبية التي حصل فيها الصلح بينهم وبين أهل مكة.. **﴿فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنؤتيه أجراً عظيماً﴾**: لما كان هذا العهد هو عهد الله فلمن يوفي به الأجر العظيم، ولمن ينقضه العقاب الأليم!.. فمن نكث فإنما ينكث على نفسه.. يقال: نكث العهد والحبل نقضه فانتكث. والنكث هنا: نكث العهد. **﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب: شغلتنا أموالنا وأهلونا.. فاستغفر لنا﴾**: هؤلاء الأعراب الذين تخلفوا عنك حين أمرتهم بالخروج معك إلى مكة معتمراً غير محارب سيقولون لك هذا الكلام.. **﴿يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾**: هذا تكذيب لهم في قولهم: شغلتنا أموالنا.. الخ. **﴿قل: فمن يملك لكم من الله شيئاً؟ إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً﴾**: هذا رد على اعتذارهم الباطل.. **﴿بل كان الله بما تعملون خبيراً﴾**: هذا إضراب عما قالوا.. وبيان لكذبه بعد بيان بطلانه على تقدير صدقه أي: ليس الأمر كما تقولون.. بل كان الله خبيراً بجميع ما تعملون.. فمن جملتها تخلفكم عن الخروج.. **﴿بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً﴾**: هذا إظهار لما في قلوبهم من الخوف من

قريش وظنهم السوء بالرسول والمؤمنين.. **﴿وظننتم ظن السَّوْء وكنتم قوماً بوراً﴾**: مكتوباً عليهم الخسارة والبوار!. والبؤر بالضم: الرجل الفاسد والهالك لا خير فيه. يستوي فيه الاثنان والجمع والمؤنث.

﴿ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيراً﴾: في هذا الكلام تقرير لما سبق من هلاك المتخلفين لكفرهم ونفاقهم. **﴿ولله ملك السماوات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفوراً رحيماً.. سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها: ذرونا نتبعكم﴾**: حكاية لما سيقوله المخلفون عند انطلاق المسلمين إلى غزوة خيبر وما حصل فيها من مغانم: ذرونا نتبعكم!. **﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾** عندما خص غنائم خيبر بمن حضر بيعة الرضوان تحت الشجرة في الحديبية. وليس لغيرهم حظ فيها.. فهؤلاء المخلفون يريدون أن يغيروا هذا الوعد الذي جاء في القرءان كلام الله. **﴿قل: لن تتبعونا.. كذلكم قال الله من قبل.. فسيقولون: بل تحسدوننا. بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً﴾**!: هذا رد حاسم لقولهم الباطل.. ووصْفٌ لهم بما هو أعظم من الحسد وأطم! وهو الجهل المفرط وسوء الفهم في حقيقة الأمر!.. **﴿قل للمخلفين من الأعراب: ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد، تقاتلونهم أو يسلمون﴾**: وجه الخطاب إلى الرسول ليقول للمخلفين من الأعراب: إنكم مدعوون في المستقبل إلى قتال قوم أقوياء ذوي بأس شديد.. الخ، والظاهر من هذا الكلام أن جميع سكان الجزيرة العربية من البوادي مدعوون إلى الجهاد في سبيل الله بعد توبتهم وحسن إسلامهم: إلى قتال الروم والفرس والترك وغيرهم من الأمم الذين واجهوا المسلمين في فتوحاتهم الظافرة القاهرة «تقاتلونهم أو يسلمون!». **﴿فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً، وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً﴾**: هذا وعدووعيد فيه ترغيب وترهيب وتحريض وتحذير!. **﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾**: هذه العاهات الثلاث عذر يبيح التخلف عن الغزو، الأعمى عاهته في عينيه. والأعرج عاهته في رجليه. والمريض عاهته في جميع جسمه قد تكون دائمة وقد تزول بالشفاء.. فينتهي العذر بانتهاء العاهة المبيحة للتخلف. **﴿ومن يطع الله ورسوله ندخلْه جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول نعذبه عذاباً أليماً﴾**: هذا وعد ووعيد يعم كل من أمر بالقتال في كل زمان ومكان..

فمن أطاع في الجهاد فقد أطاع الله ورسوله في كل مراد. ومن تول عنه فقد عرض نفسه لآلام غلاظ شداد!.. ﴿**لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة.. فعلم ما في قلوبهم.. فأنزل السكينة عليهم**﴾: مبايعة المؤمنين تحت الشجرة في الحديبية تسمى بيعة الرضوان. ورضي الله عن المؤمنين في هذه البيعة التنويه بما فيهم من الأوصاف الحميدة، وتأييدهم بالثبات والطمأنينة. وجزاؤهم بالنصر والفتح القريب. وتبشيرهم بمغانم في المستقبل لا تعد ولا تحصى.. ﴿**وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها.. فعجل لكم هذه**﴾: غنيمة خيبر. وهي أكبر غنيمة غنمها المسلمون.. ﴿**وكف أيدي الناس عنكم**﴾: بسقوط خيبر وصلح الحديبية.. فاليهود ومشركوا مكة كانوا أقوى جبهة مناوئة للإسلام.. ﴿**ولتكون آية للمؤمنين..**﴾ فليس بعد سقوط هاتين الجبهتين مانع من دخول الناس في دين الله أفواجاً.. ﴿**ويهديكم صراطاً مستقيماً.. وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديراً**﴾: وغنيمة أخرى لم تقدروا على أخذها قد أحاط الله بها فاستولى عليها وأظفركم بها.. ﴿**ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً: سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً.. وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً.. هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام**﴾: منعوكم من دخول المسجد الحرام وصدوا الهَدْيَ كذلك حال كونه معكوفاً.. ﴿**أن يبلغ محله**﴾: محبوساً من بلوغ محلّهُ الذي يحل فيه نحره. ﴿**ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم**﴾: لولا كراهته أن تهلكوا ناساً مؤمنين بين الكافرين غير عالمين بهم فيصيبكم بذلك مكروه لما كف أيديكم عنهم. لكن كفها عنهم ﴿**ليدخل الله في رحمته من يشاء.. لو تزيلوا**﴾: لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض ﴿**لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً.. إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية**﴾: حين جعل الذين كفروا في قلوبهم الأَنَفَة والتكبر وعدم الانصياع للحق ثابتة راسخة لا تزول عنهم: ﴿**حمية الجاهلية**﴾!.. فهذه الحمية هي الحمية الناشئة من العادات الجاهلية التي لا تستند إلى عقل ولا إلى شرع!..

﴿**فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين**﴾: رتب هذا على ما قبله لبيان حسن صُنْعِ الرسول والمؤمنين، وسوء صنع الكافرين. فثبت المؤمنون على

عهدهم: ﴿**وألزمهم كلمة التقوى**..﴾ ونقض الكافرون العهد ولم يراعوا شروطه.. ﴿**وكانوا أحقّ بها وأهلها**﴾: أحقّ بها من الكافرين الذين تمسكوا بحمية الجاهلية!.. ﴿**وكان الله بكل شيء عليماً**﴾: لا يخفى عليه شيء من عمل هؤلاء وأولئك.. فيجازي كلاً بما يستحق.. ﴿**لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق: لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله، آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون.. فعلم ما لم تعلموا.. فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً**﴾: لقد حقق الله رؤيا رسوله التي رءاها في منامه: أنه وأصحابه دخلوا مكة ءامنين قد حلق بعضهم رؤوسهم، وبعضهم قد قصّروا شعورهم.. فكان فتح خيبر قبل فتح مكة.. فانتهى أمر اليهود قبل نهاية أمر المشركين.. ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً**﴾: ظهور رسول الله على اليهود وعلى المشركين من العرب كان أول ظهور دين الإسلام.. ثم تتابع ظهوره على سائر الأديان من الروم والفرس والهند وغيرهم من كل دين وملة.. وكفى بالله شهيداً!!.. ﴿**محمد رسول الله**﴾: ذلك الرسول محمد.. حتى لا يقول أحد: إنه غيرُه!. ﴿**والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم**﴾: هذه شهادة على صحة رسالة محمد ﷺ ببيان صفة أصحابه الذين معه. وهي شدتهم على الكفار. ورحمتهم بالمؤمنين وبأنفسهم: رحماء بينهم: ﴿**تراهم ركعاً سجداً: يبتغون فضلاً من الله ورضواناً: سيماهم في وجوههم من أثر السجود: ذلك مثلهم في التوراة**﴾!.. هذه صفتهم في أنفسهم.. وهذه صفتهم في التوراة قبل نزول القرءان!.. ﴿**ومثلهم في الإنجيل: كزرع أخرج شطأه**﴾: تفرع بعضه من بعض فزاد.. ﴿**فآزره**﴾: فقواه.. ﴿**فاستغلظ**﴾: فزاد غلاظة وشدة.. ﴿**فاستوى على سوقه**﴾: فاستقام وارتفع. والسوق: جمع ساق. وهي قصبة الزرع التي على رأسها السنبلة. ﴿**يعجب الزراع**﴾: يعجبهم بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره.. ﴿**ليغيظ بهم الكفار**﴾: جعلهم الله على هذه الصفات لأجل إغاظة الكفار منهم. والغيظ الغضب والحقد والكراهية الكامنة في نفوس الكافرين من المؤمنين إلى يوم الدين. ﴿**وعد الله الذين ءامنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً**﴾!!: معنى الكلمات واضح.

مبحث الإعراب

﴿**إنا**﴾ إن واسمها. ﴿**فتحنا**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر إنّ. ﴿**لك**﴾ متعلق بفتحنا. ﴿**فتحاً**﴾ مفعول مطلق ﴿**مبيناً**﴾ نعت له. ﴿**ليغفر**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. ﴿**لك**﴾ متعلق بيغفر. ﴿**الله**﴾ فاعل. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول به. ﴿**تقدم**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على ما. والجملة صلة الموصول. وأن ما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بفتحنا. أي: فتح الله لك لأجل غفرانه ذنبك ما تقدم منه وما تأخر. ﴿**من ذنبك**﴾ متعلق بتقدم. ﴿**وما تأخر**﴾ معطوف على ما تقدم. وهو مثله في الإعراب. ﴿**ويتم**﴾ معطوف على ليغفر. ﴿**نعمته**﴾ مفعول به. ﴿**عليك**﴾ متعلق بيتمّ. ﴿**ويهديك**﴾ مثل ما قبله.. ﴿**صراطاً**﴾ مفعول ثانٍ بيهديك. والمفعول الأول الضمير المتصل بالفعل. ﴿**مستقيماً**﴾ نعت للمفعول الثاني. ﴿**وينصرك الله**﴾ فعل وفاعل معطوف مثل الفعلين قبله. ﴿**نصراً**﴾ مفعول مطلق. ﴿**عزيزاً**﴾ نعت له. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع خبر. ﴿**أنزل**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الذي. والجملة صلة الموصول. ﴿**السكينة**﴾ مفعول به. ﴿**في قلوب**﴾ متعلق بأنزل. ﴿**المؤمنين**﴾ مضاف إلى قلوب. ﴿**ليزدادوا إيماناً**﴾ فعل وفاعل ومفعول. واللام جارٌّ لمصدر مؤول مع أن متعلق بأنزل. ﴿**مع**﴾ متعلق بمحذوف نعت «لإيماناً» ﴿**إيمانِهم**﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿**ولله**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**جنود**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**السماوات**﴾ مضاف إلى جنود. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**وكان الله**﴾ كان واسمها. ﴿**عليماً حكيماً**﴾ خَبَرانِ لِكان. والجملة تذييل. ﴿**ليدخل**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**المؤمنين**﴾ مفعول به. ﴿**والمؤمنات**﴾ معطوف عليه. ﴿**جنات**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**تجري**﴾ فعل مضارع. ﴿**من تحتها**﴾ متعلق به. ﴿**الأنهار**﴾ فاعل. والجملة نعت لجنات. والكلام في جملة ليدخل المؤمنين مثل الكلام في جملة ليغفر لك الله.. ﴿**خالدين**﴾ حال من المؤمنين.. ﴿**فيها**﴾ متعلق بالحال. ﴿**ويكفر**﴾ معطوف على يدخل. ﴿**عنهم**﴾ متعلق بيكفّر. ﴿**سيئاتِهم**﴾مفعول به منصوب بالكسرة. ﴿**وكان ذلك**﴾ كان واسمها. ﴿**عند الله فوزاً**﴾ خبر كان.

﴿**عظيماً**﴾ نعت له. والظرف المضاف متعلق به. ﴿**ويعذب**﴾ معطوف على يدخل. ﴿**المنافقين**﴾ مفعول به. ﴿**والمنافقات**﴾ معطوف عليه. ﴿**والمشركين والمشركات**﴾ معطوف على المنافقين والمنافقات. ﴿**الظانين**﴾ نعت للمنافقين. . ﴿**بالله**﴾ متعلق بالظانّين. ﴿**ظن**﴾ مفعول مطلق. ﴿**السوء**﴾ مضاف إليه. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**دائرة**﴾ مبتدأ مؤخر ﴿**السوء**﴾ مضاف إلى دائرة. ﴿**وغضب الله**﴾ فعل وفاعل. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بغضب. ﴿**ولعنهم**﴾ معطوف على غضب الله عليهم. ﴿**وأعد**﴾ معطوف كذلك. ﴿**لهم**﴾ متعلق بأعدّ. ﴿**جهنم**﴾ مفعول به. ﴿**وساءت**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على جهنم. ﴿**مصيراً**﴾ منصوب على التمييز. والمقصود بالذم مقدر. والتقدير: وجهنم ساءت مصيراً. ﴿**ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً**﴾ هذه الآية مثل آيةٌ «ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عليماً حكيماً في الإعراب. ﴿**إنا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**أرسلناك**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر إنّ. ﴿**شاهداً**﴾ حال من المفعول. ﴿**ومبشراً**﴾ معطوف على «شاهداً». ﴿**ونذيراً**﴾ معطوف على «مبشراً» ﴿**لتؤمنوا**﴾ فعل وفاعل. والفعل مجزوم بلام الأمر. ﴿**بالله**﴾ متعلق بتؤمنوا. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف على اللهِ. ﴿**وتعزروه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. معطوف على تؤمنوا. ﴿**وتوقروه**﴾ كذلك ﴿**وتسبحوه**﴾ أيضاً. . ﴿**بكرة**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بتسبحوه. ﴿**وأصيلاً**﴾ معطوف على بكرة. ﴿**إن الذين**﴾ إنّ واسمها. ﴿**يبايعونك**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول. ﴿**إنما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**يبايعون الله**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر إنَّ. ﴿**يد**﴾ مبتدأ مرفوع بالضمة. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى يد. ﴿**فوق**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإِ. ﴿**أيديهم**﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿**فمن نكث**﴾ فعل ماض. دخل عليه اسم الشرط. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**فإنما ينكث**﴾ فعل مضارع دخلت عليه أداة الحصر والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**على نفسه**﴾ متعلق بينكث. وجملة فإنما ينكث على نفسه جواب شرط مَنْ. والفاء رابطة. ﴿**ومن أوفى**﴾ جملة شرطية معطوفة على جملة فمن نكث. . ﴿**بما**﴾ متعلق بأوفى.

﴿**عاهد**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. والجملة صلة ما. ﴿**عليه**﴾ متعلق بعاهد. ﴿**الله**﴾ مفعول به. ﴿**فسنؤتيه**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿**أجراً**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**عظيماً**﴾ نعت

له. وجملة فسنؤتيه أجراً عظيماً جواب شرط مَنْ. والفاء رابطة للجواب لوجود السين. **﴿سيقول﴾** فعل مضارع. **﴿لك﴾** متعلق به. **﴿المخلفون﴾** فاعله. **﴿من الأعراب﴾** متعلق بالفاعل. **﴿شغلتنا﴾** فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. **﴿أموالنا﴾** فاعل. **﴿وأهلونا﴾** معطوف على أموالنا. مرفوع بالواو ملحق بجمع المذكرالسالم. وجملة شغلتنا أموالنا وأهلونا مقول القول. **﴿فاستغفر﴾** أمر مرتب على ما قبله. **﴿لنا﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿يقولون﴾** فعل وفاعل. **﴿بألسنتهم﴾** متعلق بيقولون. **﴿ما﴾** في محل نصب مفعول. **﴿ليس﴾** اسم ليس ضمير يعود على ما. **﴿في قلوبهم﴾** متعلق بمحذوف خبر ليس. وجملة ليس في قلوبهم صلة ما. **﴿قل﴾**. . **﴿فمن﴾** اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. والفاء للتعقيب. **﴿يملك﴾** فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على مَنْ **﴿لكم من الله﴾** متعلقان بيملك. **﴿شيئاً﴾** مفعول به. وجملة يملك خبر المبتدإ. **﴿إن أراد﴾** فعل ماض دخل عليه حرف الشرط. والفاعل ضمير يعود على الله. **﴿بكم﴾** متعلق بأراد. **﴿ضراً﴾** مفعول به. **﴿أو أراد بكم نفعاً﴾** معطوف على ما قبله وهو مثله في الإعراب. وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله. . **﴿بل كان الله﴾** كان واسمها دخل عليها حرف الإضراب. **﴿بما﴾** متعلق بالخبر بعده. **﴿تعملون﴾** فعل وفاعل. والجملة صلة ما **﴿خبيراً﴾** خبر كان **﴿بل ظننتم﴾** فعل وفاعل دخل عليه حرف الإضراب. **﴿أن لن ينقلب الرسول﴾** فعل وفاعل. والفعل منصوب بلن وأن مصدرية يؤول ما بعدها بمصدر منصوب مفعول به. والمعنى: بل ظننتم عدم انقلاب الرسول. **﴿والمؤمنون﴾** معطوف على الفاعل. **﴿إلى أهليهم﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿أبداً﴾** ظرف زمان. **﴿وزين﴾** فعل ماض مبنيّ للمجهول. **﴿ذلك﴾** في محل رفع نائب الفاعل. **﴿في قلوبكم﴾** متعلق بزُيِّن. والجملة معطوفة على ما قبلها، **﴿وظننتم ظن﴾** فعل وفاعل ومفعول. **﴿السوء﴾** مضاف إلى ظن. والجملة معطوفة كذلك. **﴿وكنتم﴾** كان واسمها. **﴿قوماً﴾** خبرها. **﴿بُوراً﴾** نعت للخبر. والجملة معطوفة على ظننتم ظن السوء. **﴿ومن لم يؤمن﴾** فعل مضارع مجزوم بلم دخلت عليه مَن الشرطية. والفاعل ضمير يعود على مَنْ.

﴿بالله﴾ متعلق بيؤمن. **﴿ورسوله﴾** معطوف على الله. **﴿فإنا﴾** إن واسمها. **﴿أعتدنا﴾** فعل وفاعل. والجملة خبر إنّ. وجملة فإنا أعتدنا جواب شرط مَنْ. والفاء رابطة للجواب. **﴿للكافرين﴾** متعلق بـ**﴿أعتدنا﴾**. **﴿سعيراً﴾** مفعول به.

﴿ولله﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿ملك﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿السماوات﴾ مضاف إلى ملك. ﴿والأرض﴾ معطوف على السماوات. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿يغفر﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿لمن﴾ متعلق بيغفر. ﴿يشاء﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة صلة مَنْ. وجملة يغفر لمن يشاء بيانية. ﴿ويعذب﴾ معطوف على يغفر. ﴿من﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿يشاء﴾ مثل يشاء السابقة. ﴿وكان الله﴾ كان واسمها ﴿غفوراً رحيماً﴾ خبران لكان. والجملة تذييل. ﴿سيقول المخلفون﴾ فعل وفاعل. ﴿إذا﴾ ظرف متعلق بيقول. ﴿انطلقتم﴾ فعل وفاعل. ﴿إلى مغانم﴾ متعلق بانطلقتم. ﴿لتأخذوها﴾ فعل وفاعل ومفعول. والفعل منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. وتؤول بما بعدها بمصدر مجرور بلام التعليل متعلق بانطلقتم. ﴿ذرونا﴾ أمر موجه إلى المخاطبين. وهم رسول الله وأصحابه من الذين بايعوا في الحديبية تحت الشجرة. ﴿نتبعْكم﴾ فعل مضارع مجزوم في جواب الأمر. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل نحن. وجملة ذرونا نتبعْكم مقول القول. ﴿يريدون﴾ فعل وفاعل. ﴿أن يبدلوا كلام﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه أن المصدرية الناصبة. ﴿الله﴾ مضاف إلى كلام. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول بيريدون. وجملة يريدون بيانية. ﴿قل.. لن تتبعونا﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي الناصب. وجملة لن تتبعونا مقول القول. ﴿كذلكم﴾ الكاف في محل نصب نعت لمفعول مطلق من: ﴿قال الله﴾ فعل وفاعل. أي: قال الله قولاً مثل هذا القول. ﴿من قبل﴾ متعلق بقال. ﴿فسيقولون﴾ فعل وفاعل دخل عليه فاء التعقيب والسين. ﴿بل تحسدوننا﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الإضراب. ﴿بل كانوا﴾ كان واسمها. وبل للإضراب بعد الإضراب السابق. ﴿لا يفقهون﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة خبر كان. ﴿إلا قليلاً﴾ نعت لمفعول مطلق مقدر. أي: لا يفهمون إلا فهماً قليلاً.

﴿قل للمخلفين﴾ متعلق بقل. ﴿من الأعراب﴾ متعلق بالمخلفين. ﴿ستدعون﴾ الفعل ونائب الفاعل في محل نصب مقول القول ـ قل ـ. ﴿إلى قوم﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿أولي﴾ نعت لقوم. ﴿بأس﴾ مضاف إلى أولي. ﴿شديد﴾ نعت لبأس. ﴿تقاتلونهم﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿أو يسلمون﴾ معطوف على ما قبله. ﴿فإن تطيعوا﴾ جملة شرطية دخل عليها فاء التعقيب. ﴿يؤتكم﴾ فعل مضارع

مجزوم جواب الشرط. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الله**﴾ فاعل. ﴿**أجراً**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**حسناً**﴾ نعت له. ﴿**وإن تتولّوا**﴾ جملة شرطية معطوفة على ما قبلها. ﴿**كما**﴾ الكاف بمعنى مثل. وما مصدرية. وما بعدها: ﴿**توليتم**﴾ يسبك مع ما بمصدر مضاف إلى الكاف. أي: وإن تتولوا مثل توليتكم ﴿**من قبل**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**يعذبكم**﴾ فعل مضارع مجزوم جواب الشرط. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**عذاباً**﴾ مفعول مطلق. ﴿**أليماً**﴾ نعت له. ﴿**ليس على الأعمى**﴾ متعلق بمحذوف خبر ليس مقدم. ﴿**حرج**﴾ اسمها مؤخر. ﴿**ولا على الأعرج حرج**﴾ معطوف على ما قبله. ﴿**ولا على المريض حرج**﴾ مثلُه. ﴿**ومن يطع**﴾ فعل مضارع مجزوم وحرك بالكسرة لالتقاء الساكنين. فعل الشرط. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**اللهَ**﴾ مفعول به. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف على الله. ﴿**نُدخلْه**﴾ فعل مضارع مجزوم. جواب الشرط. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل نحن ﴿**جنات**﴾ مفعول ثان. ﴿**تجري**﴾ فعل مضارع. ﴿**من تحتها**﴾ متعلق بتجري. ﴿**الأنهار**﴾ فاعل. والجملة نعت لجنات. ﴿**ومن يتولّ**﴾ فعل الشرط مجزوم بحذف الألف. ﴿**نُعذبْه**﴾ جواب الشرط مجزوم بالسكون. ﴿**عذاباً أليماً**﴾ مفعول مطلق ونعته. ﴿**لقد رضي الله**﴾ فعل وفاعل، دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم. ﴿**عن المؤمنين**﴾ متعلق برضي. وكذلك.

﴿**إذ يبايعونك**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**تحت**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**الشجرة**﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿**فعلم**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة مرتبة بالفاء على جملة يبايعونك. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**في قلوبهم**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**فأنزل**﴾ مرتب بالفاء على علم. ﴿**السكينة**﴾ مفعول به. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بأنزل. ﴿**وأثابهم**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول أول. ﴿**فتحاً**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**قريباً**﴾ نعت له. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**ومغانم**﴾ معطوف على المفعول الثاني. ﴿**كثيرة**﴾ نعت لمغانم. ﴿**يأخذونها**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**وكان الله عزيزاً حكيماً**﴾ الجملة من كان واسمها وخبرها تذييل. ﴿**وعدكم**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول أول. ﴿**الله**﴾ فاعل. ﴿**مغانم**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**كثيرة**﴾ نعت لمغانم. ﴿**تأخذونها**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**فعجّل**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**لكم**﴾ متعلق بعجّل. ﴿**هذه**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**وكفّ**﴾ فعل ماض. معطوف

على عجّل. ﴿**أيدي**﴾ مفعول به. ﴿**الناس**﴾ مضاف إلى أيدي. ﴿**عنكم**﴾ متعلق بكفّ. ﴿**ولتكون**﴾ فعل مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة بعد اللام. واسم تكون ضمير يعود على مغانم كثيرة. ﴿**آية**﴾ خبر تكون. ﴿**للمؤمنين**﴾ متعلق بآية. وهذه الجملة معطوفة على جملة مقدرة مأخوذة من سياق الكلام. والتقدير: ومغانم كثيرة تأخذونها لتنتفعوا بها ولتكون آية للمؤمنين. ﴿**ويهديكم**﴾ معطوف على جملة ما قبلها. ﴿**صراطاً**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**مستقيماً**﴾ نعت له. ﴿**وأخرى**﴾ معطوف على هذه. أي: عجل لكم هذه المغانم ومغانم أخرى. ﴿**لم تقدروا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي الجازم. ﴿**عليها**﴾ متعلق به. والجملة نعت لأخرى. ﴿**قد أحاط الله**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق. والجملة نعت ثانٍ لأخرى. ﴿**وكان الله**﴾ كان واسمها. ﴿**على كل**﴾ متعلق بالخبر الآتي. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**قديراً**﴾ خبر كان. والجملة تذييل. ﴿**ولو**﴾ حرف امتناع لامتناع. والواو للعطف ﴿**قاتلكم**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع فاعل. ﴿**كفروا**﴾ صلة الموصول. ﴿**لولّوا الأدبار**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة جواب شرط لو. ﴿**ثم لا يجدون ولياً**﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف بثم على ما قبله. ﴿**ولا نصيراً**﴾ معطوف على «لا يجدون ولياً» أي: ولا يجدون نصيراً. ﴿**سنة**﴾ مفعول مطلق.

﴿**الله**﴾ مضاف إلى سنة. ﴿**التي**﴾ في محل نصب نعت لسنة. ﴿**قد خلت**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف التحقيق. والفاعل ضمير يعود على سنة. والجملة صلة الموصول. ﴿**من قبل**﴾ متعلق بخلت. ﴿**ولن تجد**﴾ فعل مضارع منصوب بِلَنْ النافية. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**لسنة**﴾ متعلق بتجد. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سنة. ﴿**تبديلاً**﴾ مفعول به. والجملة تذييل. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع خبره. ﴿**كفّ**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الذي. ﴿**أيديهم**﴾ مفعول به. ﴿**عنكم**﴾ متعلق بكف. وجملة كف صلة الموصول. ﴿**وأيديكم عنهم**﴾ معطوف على أيديهم عنكم. ﴿**ببطن**﴾ متعلق بكف. ﴿**مكة**﴾ مضاف إلى بطن مجرور بالفتحة للعلَميّة والتأنيث. ﴿**من بعد**﴾ متعلق بكف. ﴿**أن أظفركم**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير مثل ضمير كفّ. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بالفعل قبله. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور مضاف إلى بعد. ﴿**وكان الله**﴾ كان واسمها. ﴿**بما**﴾ متعلق بالخبر الآتي. ﴿**تعملون**﴾ فعل

وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**بصيراً**﴾ خبر كان. وجملة وكان الله بما تعملون بصيراً تذييل. ﴿**هم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع خبره. ﴿**كفروا**﴾.. صلة الموصول. ﴿**وصدوكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف على صلة الموصول. ﴿**عن المسجد**﴾ متعلق بصدّوكم. ﴿**الحرام**﴾ نعت للمسجد. ﴿**والهَدْيَ**﴾ معطوف على الضمير المفعول. ﴿**معكوفاً**﴾ حال من الهديَ ﴿**أن يبلغ**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والفاعل ضمير يعود على الهَدْيَ ﴿**محلّه**﴾ مفعول به وأنْ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب بدل اشتمال من الهَدْي كأنه قيل: وصدوا بلوغ الهدي محله. ﴿**ولولا**﴾ حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط. ﴿**رجال**﴾ مبتدأ. ﴿**مؤمنون**﴾ نعت له. والخبر محذوف. ﴿**ونساء مؤمنات**﴾ عطف على رجال مؤمنون. ﴿**لم تعلموهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي الجازم، والجملة نعت لرجال ونساء. ﴿**أن تطؤوهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف المصدر الناصب. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع بدل اشتمال من رجال ونساء. ﴿**فتصيبكم**﴾ فعل مضارع مرتب بالفاء على الفعل المنصوب قبله.

﴿**منهم**﴾ متعلق بتصيبكم. ﴿**معرة**﴾ فاعل تصيبكم. ﴿**بغير**﴾ متعلق بتصيبكم. ﴿**علم**﴾ مضاف إلى غير. ﴿**ليدخل الله**﴾ فعل وفاعل. والفعل منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. ﴿**في رحمته**﴾ متعلق بيدخل. ﴿**من**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**يشاء**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة صلة مَنْ. وجواب شرط لولا مقدّر. والتقدير: لولا كراهةُ أن تهلكوا أناساً مؤمنين بين ظهرانَي الكفار جاهلين بهم فيصيبكم بإهلاكهم مكروهٌ، لما كف أيديكم عنهم. وعلله بقوله: ليدخل الله في رحمته من يشاء. ﴿**لو**﴾ حرف امتناع لامتناع متضمن معنى الشرط. ﴿**تزيلوا**﴾ فعل وفاعل. فعل شرط لو. ﴿**لعذبنا الذين كفروا منهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة جواب شرط لو. واللام للربط. ﴿**عذاباً**﴾ مفعول مطلق. ﴿**أليماً**﴾ نعت له. ﴿**إذ**﴾ ظرف في محل نصب بفعل أمر مقدر. ﴿**جعل الذين كفروا**﴾.. فعل وفاعل. ﴿**في قلوبهم**﴾ متعلق بجعل. ﴿**الحمية**﴾ مفعول به. ﴿**حمية**﴾ بدل من الحمية. ﴿**الجاهلية**﴾ مضاف إلى حمية. ﴿**فأنزل الله سكينته**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة مرتبة على جعل الذين كفروا.. ﴿**على رسوله**﴾ متعلق بأنزل. ﴿**وعلى المؤمنين**﴾ معطوف على رسوله. ﴿**وألزمهم**﴾ معطوف على أنزل.. ﴿**كلمة**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**التقوى**﴾ مضاف إلى كلمة مجرور بكسرة مقدرة

على الألف. ﴿**وكانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**أحقَّ**﴾ خبر كان. ﴿**بها**﴾ متعلق بأحق. ﴿**وأهلها**﴾ معطوف على خبر كان. وجملة وكانوا أحق بها معطوفة على وألزمهم.. ﴿**وكان الله بكل شيء عليماً**﴾: الجملة من كان واسمها وخبرها تذييل. ﴿**لقد صدق الله رسوله**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم. ﴿**الرؤيا**﴾ مفعول ثان منصوب بفتحة مقدرة على الألف. ﴿**بالحق**﴾ متعلق بمحذوف نعت لمفعول مطلق. أي: صدقاً ملتبساً بالحق. ﴿**لتدخلن**﴾ فعل مضارع دخلت عليه نون التوكيد الثقيلة، فحذفت نون الرفع لتوالي الأمثال.. فالتقى ساكنان واو الجماعة الفاعل وسكون النون فحذف الواو. وأصل الكلمة لتدخُلُونَنَّ. فحصل ما سبق ذكره. ﴿**المسجد**﴾ مفعول به. ﴿**الحرام**﴾ نعت للمسجد. ﴿**إن شاء الله**﴾ الجملة من الفعل والفاعل شرطية. وجواب الشرط محذوف يدل عليه لتدخلن المسجد الحرام. وجملة الشرط اعتراضيَّة. ﴿**آمنين**﴾ حال من فاعل لتدخلُنّ. ﴿**محلقين**﴾ مثل آمنين. ﴿**رؤوسكم**﴾ مفعول باسم الفاعل. ﴿**ومقصرين**﴾ معطوف على محلقين.

وجملة ﴿**لا تَخافُون**﴾ حال. ﴿**فعلم**﴾ فعل ماض مرتب على صدق الله رسوله.. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**لم تعلموا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي الجازم. والجملة صلة ما. ﴿**فجعل**﴾ مرتب على فعلم.. ﴿**من دون**﴾ متعلق بجعل. ﴿**ذلك**﴾ في محل جر مضاف إلى دون. ﴿**فتْحاً**﴾ مفعول به. ﴿**قريباً**﴾ نعت له. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع خبره. ﴿**أرسل**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الذي. والجملة صلة الموصول. ﴿**رسوله**﴾ مفعول به. ﴿**بالهدى**﴾ متعلق بأرسل. ﴿**ودين**﴾ معطوف على الهدى. ﴿**الحق**﴾ مضاف إلى دين. ﴿**ليظهره**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على الذي. ﴿**على الدِّين**﴾ متعلق بيظهره. ﴿**كله**﴾ توكيد للدين. ولام التعليل جارٌ لمصدر مؤول مع أن متعلق بأرسل: أرسل رسوله بهذا الدين لإظهاره على كل الأديان! ﴿**وكفى**﴾ فعل ماض. ﴿**بالله**﴾ فاعل مجرور بحرف الجر الزائد في محل رفع. ﴿**شهيداً**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**محمد**﴾ خبر لمبتدإٍ مقدر. أي: ذلك الرسول الذي أرسله الله بالهدى ودين الحق.. محمدٌ!. ﴿**رسول**﴾ عطف بيان. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى رسول. والجملة بيانية لجملة هو الذي أرسل رسوله.. الخ. ﴿**والذين**﴾ في محل

رفع مبتدأ. ﴿**معه**﴾ متعلق بمحذوف صلة الذين. ﴿**أشداء**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**على الكفار**﴾ متعلق بأشداء. ﴿**رحماء**﴾ خبر ثانٍ. ﴿**بينهم**﴾ متعلق برحماء. ﴿**تراهم**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**ركعاً سجداً**﴾ حالان من الضمير المفعول. أي: مُصَلّين والجملة بيانية. ﴿**يبتغون فضلاً**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة بيانية أيضاً. ﴿**سيماهم**﴾ مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على الألف. ﴿**في وجوههم**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**من أثر**﴾ بيانية. ﴿**السجود**﴾ مضاف إلى أثر. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**مثلهم**﴾ خبره. ﴿**في التوراة**﴾ متعلق بمحذوف حال من مثلهم.

﴿**ومثلهم**﴾ مبتدأ. ﴿**في الإنجيل**﴾ متعلق بمحذوف حال من مثلهم. ﴿**كزرع**﴾ الكاف بمعنى مثل في محل رفع خبر المبتدإ. وزرع مجرور بالكاف. ﴿**أخرج**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على زرع. ﴿**شطأه**﴾ مفعول به. ﴿**فآزره**﴾ مرتب على أخرج. والفاعل ضمير يعود على شطأه. ﴿**فاستغلظ**﴾ الزرعُ. مرتب على ما قبله. ﴿**فاستوى**﴾ الزرعُ. مرتب على فاستغلظ. ﴿**على سوقه**﴾ متعلق باستوى. ﴿**يعجب**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على الزرع، ﴿**الزراع**﴾ مفعول به. ﴿**ليغيظ**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**بهم**﴾ متعلق بيغيظ. ﴿**الكفار**﴾ مفعول به. ﴿**وعد الله الذين ءامنوا**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**وعملوا الصالحات**﴾ معطوف على آمنوا. ﴿**منهم**﴾ متعلق بآمنوا وعملوا.. ﴿**مغفرة**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**وأجراً**﴾ معطوف على مغفرة. ﴿**عظيماً**﴾ نعت «لأجراً».

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً**..﴾ فهذه سورة الفتح تُبشّر بالفتح المبين والنصر العزيز في المستقبل للرسول في حياته وللمؤمنين بعد وفاته. وقد تَمَيَّزَ في هذه السورة المؤمن الصادق من المشرك والكافر والمنافق.. فارتبطت هذه السورة بالتي قبلها برباط مناسب موافق.. ففي الأولى ذكر القتال والإنفاق وموقف المنافقين وفي هذه ذكر النصر والفتح المبين.. فافتتحت هذه السورة بتفخيم شأن الفتح والنصر من وجوه: أحدها: لفظ إنّا الدال على التوكيد. والدال على التعظيم بجمع الضمير.. وثانيها: لفظ لك الدال على الخطاب. والدال على الاختصاص..

وثالثها: إعادة اسم الله في موضع ذكر الفتح.. وفي موضع ذكر النصر.. ورابعها: تعليل هذا الفتح بتعظيم هذا الرسول بتطهيره من الذنب وإتمام نعمة الله عليه وهدايته إلى الصراط المستقيم ونصره النَّصْرَ العزيز: ﴿**ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً وينصرك الله نصراً عزيزاً**﴾. وهذا الفتح المبين والنصر العزيز هو رأس وأول الفتوح كافة؛ إذ لا فتح من فتوح الإسلام إلا هو شعبة من شعبه وفرع من فروعه.. فأوله صلح الحديبية وآخره ممتد إلى قيام الساعة.. فَحذْفُ المفعول في فتحنا إيذان بأن مناط التبشير نفس الفتح الصادر عن الله تعالى، لا خصوصية المفتوح.

﴿**هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادُوا إيماناً مع إيمانهم**﴾: فصل هذا الكلام فلم يعطف على ما قبله؛ لأنه جاء بياناً لما أفاض الله على المؤمنين من مبادىء الفتح من الثبات والطمأنينة بسبب الصلح والأمن ليزيدهم هذا إيماناً بعد إيمان.. ﴿**ولله جنود السماوات والأرض**﴾: هذه الجملة المعترضة جاءت تذييلاً للكلام السابق؛ لأنه أفاد أن لا عجب في أن يفتح الله لرسوله فتحاً مبيناً وينصره نصراً عزيزاً على أقوام كثيرين أشداء صَحِبَهُ إنزالُ السكينة في قلوب المؤمنين بعد أن خامرهم الفشل وانكسار الخاطر بما تراآى لهم في مبادىء الصلح من التساهل مع المشركين من أهل مكة.. فالله هو وحده الذي يملك جميع وسائل النصر، وله القوة القاهرة في السماوات والأرض. وأطلق على أسباب النصر الجنود تشبيهاً بالجنود التي تقاتل وتنصر. وجملة ﴿**وكان الله عليماً حكيماً**﴾ تذييل مقرّر لمضمون ما قبله من التذييل. ﴿**ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً**﴾: هذه الآية جاءت علةً لعلّةِ إنزال السكينة في قلوب المؤمنين. بياناً لثواب الآخرة بعد بيان ثواب الدنيا.. وذكر المؤمنات مع المؤمنين هنا لتدفع توهم أن يكون الوعد بهذا الإدخال مختصاً بالرجال. وإنما كان للمؤمنات حظ في ذلك؛ لأنهن لا يخلون من مشاركة في تلك الشدائد. وجملة وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً تذييل مقرر لمضمون ما قبله. ﴿**ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعدلهم جهنم وساءت مصيراً**﴾: هذه الآية وصلت بالعطف على الآية التي قبلها مقابلة الوعيد بالوعد.. فالمؤمنون والمؤمنات لهم الجنة بعد النصر والعزة في

الدنيا. . والمنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات لهم العذاب الشديد في الآخرة بَعْدَ الغضب واللعن والهزيمة وسوء الحال في الدنيا. وسوء المصير بدخول جهنم في النهاية. ﴿**ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً**﴾: أعيد هذا التذييل مرة أخرى تقريراً لمضمون ما سبقه. وفائدته التنبيه على أن لله تعالى جنود الرحمة وجنود العذاب. وأن المراد ههنا جنود العذاب. كما ينبىء عنه التعرض لوصف العزة. ﴿**إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً**﴾: هذه الآية مستأنفة استئنافاً ابتدائياً. وأكدت بحرف إنّ المؤكدة للاهتمام بالخبر.

﴿**لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا**﴾: في هذه الآية أمر بالإيمان بالله ورسوله وتعزيز دينه وتعظيمه وتنزيهه صباح مساء. ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله**﴾: فصل هذا الكلام عما قبله فلم يعطف. وأكد بحرف إنّ المؤكدة للاهتمام بهذا الكلام. وصيغة المضارع لاستحضار حالة المبايعة الجليلة. والحصر المفاد من إنّما قصر ادّعائي. وجملة ﴿**يد الله فوق أيديهم**﴾ مقررة لجملة إن الذين يبايعونك؛ المفيدة أن بيعتهم النبيء في الظاهر هي بيعة منهم لله في الواقع. . فقررته جملة يد الله فوق أيديهم وأكدته؛ ولذلك جردت عن حرف العطف. ﴿**فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنؤتيه أجراً عظيماً**﴾: هذا الكلام مفرع على ما سبق. . ففيه وعيد شديد لمن ينقض هذه المبايعة. ووعد عظيم بالأجر لمن وفى بها في الدنيا والآخرة!! . . ﴿**سيقول لك المخلفون من الأعراب: شغلتنا أموالنا وأهلونا. . فاستغفر لنا**﴾: هذا الكلام جاء لمناسبة ذكر الإيفاء والنكث. . فهو مستأنف استئنافاً ابتدائياً يخبر الله به رسوله بأن الأعراب الذين تخلّفوا عن الخروج معك إلى مكة عام الحديبية سيقولون لك هذا الكلام. . فهو دليل على نقضهم عهد الإسلام: ﴿**يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم. .**﴾ فهو بيان لتكذيبهم في قولهم: شغلتنا أموالنا. . ﴿**قل: فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً**﴾؟! . . فهذا رد لهم على اعتذارهم الباطل. وهذا الكلام تحقيق للحق ورد لهم بموجب ظاهر مقالتهم الكاذبة. . ﴿**بل كان الله بما تعملون خبيراً**﴾: إضراب عما قالوا وبيان بكذبه بعد بيان فساده. . فليس الأمر كما تقولون. . بل كان الله خبيراً بجميع ما تعملون من الأعمال التي مِن جملتها تخلفكم. . ﴿**بل ظَنَنتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً**﴾: هذا الكلام مفسر لما قبله. . فهو ارتقاء بالكلام إلى

حقيقة ما هم عليه من الخوف من المشركين.. فخشيتم إن خرجتم مع الرسول وأصحابه أن يصيبكم ما سيصيبهم.. فلأجل ذلك تخلفتم. لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة. ﴿**وزين ذلك في قلوبكم، وظننتم ظنّ السوء وكنتم قوماً بوراً**﴾: وصل هذا الكلام بالعطف على ما قبله زيادة في توضيح موقفهم من الرسول ودعوته.. فإن الجازم بصحة الرسالة لا يحوم حول فكره ما ذكر.. ﴿**ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيراً**﴾: هذه الجملة الشرطية معترضة بين جملة قل فمن يملك لكم من الله شيئاً.. وبين جملة ولله ملك السماوات والأرض.. وهي مقررة لبوارهم، ومبينة لكيفيته. أي: ومن لم يؤمن بالله ورسوله كدأب هؤلاء المخلَّفين فإنا أعتدنا للكافرين سَعِيراً.

وإنما وُضع موضعَ الضمير الكافرون إيذاناً بأن من لم يجمع بين الإيمان بالله وبرسوله فهو كافر وأنه مستوجب للسعير لكفره. وتنكير «سعيراً» للتهويل!. ﴿**ولله ملك السماوات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء**﴾: وصلت هذه الآية بالعطف على آية قل فمن يملك لكم من الله شيئاً.. فهذه الآية من أجزاء القول. وهذه الآية انتقال من التخويف الذي قرره «فمن يملك لكم من الله شيئاً».. إلى إطماعهم بالمغفرة التي سألوها. وقدمت المغفرة هنا ليتقرر معنى الإطماع في نفوسهم.. فيبتدروا إلى استدراك ما فاتهم. وزاد رجاء المغفرة تأكيداً بقوله: ﴿**وكان الله غفوراً رحيماً. سيقول المخلفون ـ إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ـ: ذرونا نتبعْكم**﴾: استئناف ثانٍ بعد قوله تعالى: سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا.. أي: سيقول هؤلاء المخلفون عند انطلاقكم إلى خيبر لغزوها وفتحها ومغانمها: ذرونا نتبعْكم.. وجملة ﴿**يريدون أن يبدلوا كلام الله**﴾ رد لقولهم ذرونا نتّبعْكم. وكلام الله: وعده بغنائم خيبر لمن بايع في الحديبية خاصة. ﴿**قل لن تتبعونا..**﴾ فهو نفي في معنى النهي للمبالغة ﴿**كذلكم قال الله من قبل**﴾. توضيح لمعنى كلام الله.. ﴿**فسيقولون: ..بل تحسدوننا**﴾: ليس ذلك حكم الله بل تحسدوننا أن نشارككم في المغانم!.. ﴿**بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً**﴾: هذا رد لقولهم الباطل ووصف لهم بما هو أعظم من الحسد وأطم. وهو الجهل المفرط وسوء الفهم.. ﴿**قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد: تقاتلونهم أو يسلمون**﴾: وجه الخطاب إلى الرسول ليقول للأعراب المخلفين ستدعون في المستقبل إلى قتال قوم أولي بأس شديد: تقاتلونهم أو

يخضعون لأمركم.. فهذا يشمل كل الجهاد الذي خاضه المسلمون بعد فتح مكة. واشترك فيه الأعراب الذين دخلوا في دين الله أفواجاً.. **﴿فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً وإن تتولَّوْا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً﴾**: كلام مفرع على ما قبله جاء يبين نتيجة الطاعة ونتيجة التولي والتخلف عن الجهاد المدعوا هؤلاء الأعراب إليه.

﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾: هذا كلام معترض بين قوله: وإن تتولَّوْا.. وبين قوله ومن يطع الله ورسوله.. قصد منه نفي الوعيد عن أصحاب العاهات الذين ليس لهم تحمّل على القتال، تنصيصاً على العذر للعناية بحكم التولي والتحذير منهُ. **﴿ومن يطع الله ورسوله ندخله جنات تجري من تحتها الأنهار. ومن يتول نعذبه عذاباً أليماً﴾**: هذا الكلام تذييل لقوله تعالى: **﴿فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاب أليماً﴾**، لما تضمنه من إيتاء الأجر لكل مطيع من المخاطبين وغيرهم. والتعذيب لكل متولٍّ كذلك. مع ما في جملة ومن يطع الله ورسوله من بيان أن الأجر هو إدخال الجنات. وهو يفيد بطريق المقابلة أن التعذيب الأليم بإدخالهم جهنم. **﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة.. فعلم ما في قلوبهم.. فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً﴾**: هذا عود إلى تفصيل ما جازى به الله أصحاب بيعة الرضوان المتقدم إجماله في قوله تعالى: إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله.. فقد أنال اللهُ المبايعين رضوانَه. وهو أعظم خير في الدنيا والآخرة.. ففي الدنيا بإنزال السكينة عليهم والأمن وسكون النفس والفتح القريب والمغانم الكثيرة التي تكون لهم في المستقبل: **﴿ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً.. وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها.. فعجل لكم هذه﴾**: مرتب على مغانم كثيرة تأخذونها.. فبيعة الرضوان هذه مفتاح المغانم.. فعندها وقع الصلح.. وكف الله أيدي المشركين عن المؤمنين: **﴿وكف أيدي الناس عنكم.. ولتكون آية للمؤمنين﴾**: علامة على صحة الرسالة وصدق الرسول.. فيدخل الناس في دين الله أفواجاً. **﴿ويهديكم صراطاً مستقيماً﴾**: بهذا الدين الصحيح.. **﴿وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديراً﴾**: ومغانم أخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها في الماضي ونقلكم إياها بدون قتال. وهو ما غنمه المسلمون من يهود المدينة: بني قينقاع وبني النضير،

وبني قريضة ﴿**وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديراً**﴾ وكان صلح الحديبية السبب المباشر لفتح خيبر.. وهي المعقل الرئيسي لليهود في جزيرة العرب.. ﴿**ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار.. ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً**﴾: هذا هو الوعد الحق الذي تحقق فيما بعدُ: ﴿**سنة الله التي قد خلت من قبلُ ولن تجد لسنة الله تبديلاً. وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً**﴾: من فوائد هذا الصلح كف القتال عن الفريقين ببطن مكة من غير ضعف ولا وهن ولا خوف ولا جبن مع وجود مسببات القتال من جانب الكفار: ﴿**هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهديَ معكوفاً أن يبلغ محله!: ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم، فتصيبكم منهم معرة بغير علم..**﴾

فلولا هذا موجود لما كف الله أيديكم عنهم.. بل سلطكم عليهم فانتقمتم منهم!!.. ﴿**ليدخل الله في رحمته من يشاء**﴾: كف أيديكم عنهم؛ ليدخل الله في رحمته من يرغب في الإسلام من أهل مكة وغيرهم من العرب. فقد كان هذا الصلح سبباً لتدفق الناس إلى المدينة يعلنون إسلامهم.. ﴿**لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً**﴾: ذلك ما كان حصل في الحديبية من منع المسلمين من دخول مكة وتَصَلُّب المشركين في عنادهم وتعنتهم.. فلولا ضعفاء المؤمنين في مكة لحصل ما حصل من القتال الصارم الحاسم للقضاء على المشركين في هذه الجولة. ﴿**إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية: حمية الجاهلية.. فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين، وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليماً**﴾: علل هنا موقف المشركين بالحمية وهي الأَنَفَة والتكبر والتعالي الكاذب.. فلا شك أنها حمية الجاهلية التي يركبُ صاحبُها رأسه ولا يبالي بالعواقب!. فهي بخلاف أوصاف المؤمنين المتأنِّين الذين يحسبون ألف حساب قبل أن يقدموا على الشيء.. فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين.. الخ الآية!. ﴿**لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق: لتدخلن المسجد الحرام ـ إن شاء الله ـ آمنين محلقين رؤوسكم مقصرين لا تخافون**﴾: هذا استئناف بياني ناشىء عن قوله تعالى: فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين.. فقد حقق الله هذه الرؤيا لرسوله بعد ما تحقق الفتح المهم الذي سبق فتح مكة.. ﴿**فعلم ما لم تعلموا: فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً..**﴾ فالفتح القريب الذي

جعله الله دون فتح مكة هو فتح خيبر الذي قضى على اليهود الذين كانوا سنداً للمشركين. . ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً**﴾: هذه الآية تبين خلاصة ما سبق من ذكر ما حصل في هذه السورة من الفتح المبين والنصر العزيز. وفيها زيادة تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين نفوس المؤمنين على أن الله تعالى سيفتح لهم من البلاد ويتيح لهم من الغلبة على الأقاليم ما هو أعظم وأكثر من فتحهم مكة وغيرها من بلاد العرب!. . ﴿**محمد رسول الله**﴾: ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله!. .

فهي شهادة صريحة بالاسم العلم ـ محمد ـ حتى لا يلتبس الأمر لو جاء بالوصف دون الاسم الصريح. ﴿**والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم**﴾: هذا دليل آخر على صحة رسالة محمد ﷺ بوصف أصحابه هذا الوصف الظاهر فيهم. . ﴿**تراهم ركعاً سجداً**﴾: وصف آخر يبين شدة تمسكهم بعبادتهم لربهم بعد شدتهم على من خالفهم وشدة رحمتهم فيما بينهم. ﴿**يبتغون فضلاً من الله ورضواناً**﴾: بيان للمقصد الأهم عندهم. . ﴿**سيماهم في وجوههم من أثر السجود**﴾: بيان لمظهرهم الخارجي فيهم من التذلل والخضوع لله ربهم. ﴿**ذلك مثلهم في التوراة**﴾: شهادة من التوراة لهم قبل ظهورهم. . ﴿**ومثلُهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه. . فآزره. . فاستغلظ. . فاستوى على سوقه: يعجب الزراع؛ ليغيظ بهم الكفار**﴾: هذا الوصف الرائع سجله الإنجيل قبل القرءان. . فما بعد هذا البيان بيان!. . ﴿**وعد الله الذين ءامنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً**﴾: هذا آخر ما سجله القرءان في هذه السورة من البيان الدال على جزاء هؤلاء الشجعان الفرسان عباد الرحمن!!. . وفي الآية بلاغة رد العجز على الصدر وبلاغة براعة المقطع بعد ما جاء في أول السورة من براعة المطلع!. . فارتبط الأول بالآخر، والآخر بالأول. . فسبحان الله عزّ وجلّ!. .

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً. ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً. .**﴾: في هذا التوجيه الفتح المبين والمغفرة الشاملة والنعمة التامة والهداية الثابتة والنصر العزيز لرسول الله ﷺ جزاء

الطمأنينة التامة والاستسلام الراضي لأمر الله تعالى.. فكان هذا الفتح الذي سماه الله في القرءان بالفتح المبين يستحق هذا الوصف كل الاستحقاق وكان أوله صلح الحديبية بين المسلمين والمشركين.. فكان فتحاً في الدعوة.. وكان فتحاً في الأرض.. فقد أمن المسلمون ومن يريد الدخول في الإسلام شر قريش التي كانت حاجزاً مانعاً بين العرب والإسلام.. وأمن المسلمون شر اليهود في خيبر الذين كانوا خطراً أشدَّ من خطر العرب.. فكانت هذه السورة بشارة للنبئ أولاً.. ثم بشارة للمؤمنين ثانياً.. فيمضي السياق يصف نعمة الله عليهم بهذا الفتح: ﴿**هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين..**﴾ فقد كانت قلوب المؤمنين في هذه الواقعة تجيش بمشاعر شتى.. فهم يتعجلون النصر من أول وهلة.. ويتخيلون أنفسهم أنهم بلغوا الغاية في الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة اختبار وامتحان.. فقد تفضل الله عليهم بهذه السكينة: ﴿**ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم..**﴾ فمن ثَمَّ يشير السياق بأنّ النصر والغلب لم يكن عسيراً ولا بعيداً.. بل كان هيناً يسيراً على الله لو اقتضت حكمته يومئذ أن يكون الأمر كما أراد المؤمنون.. فإن لله جنوداً لا تُحصى ولا تُغلب تُدرك النصر وتُحقّق الغلب وَقْتَمَا يَشَاءُ: ﴿**ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عليماً حكيماً..**﴾ فهي حكمته وهو علمه. تسير الأمور وفقَهما كما يريد. وعن العلم والحكمة إنزال السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم، ليحقق لهم ما قدره من فوز ونعيم: ﴿**ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً..**﴾ فإذا كان هذا في حساب الله فوزاً عظيماً فهو فوز عظيم!: فوز عظيم في حقيقته، وفوز عظيم في نفوس من ينالونه من عند الله مقدّراً بتقديره، موزوناً بميزانه. ثم أنبأهم بجانب آخر من جوانب حكمته فيما قدر في هذا الحادث؛ وهو مجازاة المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات بما يصدر عنهم من عمل وتصرف: ﴿**ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعدلهم جهنم وساءت مصيراً..**﴾ فقد جمع النص بين المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات في صفة ظن السوء بالله؛ وعدم الثقة بنصرته للمؤمنين. وفي أنهم جميعاً عليهم دائرة السوء.. فهم محصورون فيها، وهي تدور عليهم وتقع بهم. وفي غضب الله عليهم ولعنته لهم. وفيما أعده لهم من سوء المصير. ذلك أن النفاق صفة مرذولة

لا تقل عن الشرك سوءاً.. بل إنها أحط وأرذل.. فأَذَى المنافقين والمنافقات للجماعة المسلمة لا يقل عن أذى المشركين والمشركات، وإن اختلف هذا الأذى وذاك في مظهره ونوعه. وقد جعل الله صفة المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات هي ظن السوء بالله.. فالقلب المؤمن حسَنُ الظن بربه، يتوقع منه الخيرَ دائماً.

يتوقع منه الخير في السراء والضراء. ويؤمن أن الله يريد به الخير في الحَاليْنِ. وسرّ ذلك أن قلبه موصول بالله. وفيض الخير من الله لا ينقطع أبداً. فمتى اتصل القلب به لمس هذه الحقيقة الأصيلة، وأحسّها إحساسَ مباشرة وتذوق.. فأما المنافقون والمشركون فهم مقطوعو الصلة بالله تعالى. ومن ثَمَّ لا يحسون تلك الحقيقة ولا يجدونها.. فيسوء ظنُّهم بالله، وتتعلق قلوبهم بظواهر الأمور، ويبنون عليها أحكامهم ويتوقعون الشر والسوء لأنفسهم وللمؤمنين. وقد جمع الله في هذه الآية أعداء الإسلام والمسلمين من شتى الأنواع، وبين حالهم عنده وما أعدّ لهم في النهاية.. ثم عقب على هذا بما يفيد قدرته وحكمته: ﴿**ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً**..﴾ فلا يغلبه من أمرهم شيء، ولا يخفى عليه من أمرهم شيء، وله جنود السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم. ثم عاد بالخطاب إلى الرسول ﷺ منوِّها بوظيفته مبيناً للغاية منها، موجِّها المؤمنين إلى واجبهم مع ربهم بعد تبليغهم رسالته: ﴿**يا أيها النبئ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً**..﴾ فالرسول شاهد على الناس. يشهد أنه بلغهم ما أمره الله به.. فيؤدي الشهادة كما أدّى الرسالة. وهو مبشر بالخير والمغفرة والرضى وحسن الجزاء للمؤمنين الطائعين. ونذير بسوء المتقلب والغضب واللعنة والعقاب للكافرين والمنافقين والعصاة والمفسدين. هذه وظيفة الرسول.. ثم يلتفت بالخطاب إلى المؤمنين يأمرهم بالإيمان بما جاء به هذا الرسول الكريم: ﴿**لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقّروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً**..﴾ فالله يكشف للمؤمنين الغاية المرجوة لهم من الرسالة: إنها الإيمان بالله ورسوله.. ثم النهوض بتكاليف هذا الإيمان.. فينصرون الله بنصرة منهجه وشريعته، ويوقرونه في نفوسهم بالشعور بجلاله وعظمته، وينزهونه بالتسبيح والتحميد طرفي النهار في البكور والأصيل؛ وهي كناية عن اليوم كله. والغرض: هو اتصال القلب بالله في كل وقت.. فهذه هي ثمرة الإيمان المرجوة للمؤمنين من إرسال الرسول شاهداً ومبشراً ونذيراً. وقد جاء

ليصلهم بالله ويعقد بينهم وبينه بيعة ماضية لا تنقطع: **﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾**. يد الله فوق أيديهم.. فهذه البيعة لا تنتهي بغيبة الرسول عنهم بلْ هِيَ بيعة الله الدائم الباقي سبحانه!.. فالله حاضر للبيعة والله صاحبها والله آخذها، ويده فوق أيدي المتبايعين.

وإن هذه الصورة لتستأصل من النفس خاطر النكث بهذه البيعة مهما غاب شخص الرسول.. فالله حاضر لا يغيب. والله آخذ في هذه البيعة ومُعْطٍ وهو عليها رقيب: **﴿فمن نكث فإنما ينكث على نفسه..﴾** فالناكث هو الخاسر في الرجوع عن الصفقة الرابحة بينه وبين الله تعالى. وما من بيعة بين الله وَعَبْدٍ من عباده إلا والعبد فيها هو الرابح من فضل الله. والله هو الغني عن العالمين. وهو الخاسر حين ينكث وينقض عهده مع الله، فيتعرض لغضبه وعقابه على النكث يكْرهُهُ ويمقته.. فالله يحب الوفاء ويحب الأوفياء: **﴿ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنؤتيه أجراً عظيماً..﴾** فهكذا على إطلاقه.. فلا يفصله ولا يحدده.. فهو الأجر الذي يقول عنه الله إنه عظيم! عظيم بحساب الله وميزانه ووصفه الذي لا يرتقى إلى تصوره البشر..

التوجيه الثاني: ﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب: شغلتنا أموالنا وأهلونا.. فاستغفر لنا..﴾: في هذا التوجيه كشف حال المخلفين من الأعراب الذين أبوا أن يخرجوا مع رسول الله والمؤمنين لسوء ظنهم بالله.. ولتوقعهم الشر والضر للمؤمنين الخارجين الذاهبين إلى قريش في عقر دارها.. فيكشف الله لرسوله الأسباب الحقيقية لعدم خروجهم معه.. فيفضحهم ويقفهم مكشوفين أمام رسوله وأمام المؤمنين!.. فالمخلفون من الأعراب سيقولون اعتذاراً عن تخلفهم: شغلتنا أموالنا وأهلونا!.. فليس هذا بعذر.. فللناس دائماً أهل وأموال. ولو كان مثل هذا يجوز أن يشغلهم عن تكاليف العقيدة وعن الوفاء بحقها ما نهض أحدٌ قطِّ بها!.. وسيقولون: فاستغفر لنا.. فهم ليسوا صادقين في طلب الاستغفار. كَمَا يُنْبِئ اللَّهُ رسولَه: **﴿يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم..﴾** ثم يرد عليهم بتقرير حقيقة القدر الذي لا يدفعه تخلف، ولا يغيره إقدام، وبحقيقة القدرة التي تحيط بالناس وتتصرف في أقدارهم كما تشاء، وبحقيقة العلم الكامل الذي يصرف الله قدره على وفقه: **﴿قل: فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم**

نفعاً؟.. بل كان الله بما تعملون خبيراً..﴾ فهذا سؤال يوحي بالاستسلام لقدر الله، والطاعة لأمره بلا توقف ولا تلكّؤ..

فالتوقف أو التلكؤ لن يدفع ضرراً ولا يؤخر نفعاً. وانتحال المعاذير لا يخفى على علم الله. ولا يؤثر في جزائه وفق علمه المحيط. وهو توجيه تربوي في وقته وفي جوّه وفي مناسبته على طريقة القرءان.. **﴿بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً. وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً﴾**: هكذا يقفهم النص عَرَايَا مكشوفين وجهاً لوجه أمام ما أضمروا من نية وما ستروا من تقدير وما ظنوا بالله من السوء. وقد ظنوا أن الرسول ومن معه من المؤمنين ذاهبون إلى حتفهم.. فلا يرجعون إلى أهليهم في المدينة.. فقد ظنوا ظنهم، وزُيّن هذا الظنُّ في قلوبهم.. حتى لم يروا غيره ولم يفكروا في سواه؛ وكان هذا هو ظن السوء بالله الناشىء من أن قلوبهم بور! وهو تعبير عجيب مُوحٍ.. فالأرض البور ميتة جرداء. وكذلك قلوبهم وكذلك هم بكل كيانهم بور. لا حياة ولا خصب ولا إثمار.. فذلك ظن الناس دائماً في كل زمان ومكان بالجماعة المؤمنة ـ الناس من أمثال أولئك الأعراب المنقطعين عن الله ـ هكذا يظنون بالجماعة المؤمنة عندما يبدو أن كفة الباطل هي الراجحة، وأن قوى الأرض الظاهرة في جانب أهل الشر والضلال؛ وأن المؤمنين قلّة: قلة في العدد أو قلة في العُدّة، أو قلة في المكان والجاه والمال. هكذا يظن الأعراب وأشباهُهم من كل جيل وعصر: أن المؤمنين لا ينقلبون إلى أهليهم أبداً إذا هم واجهوا الباطل المنتفش بقوته الظاهرة!. ومن ثَمَّ يتجنبون المؤمنين حباً للسلامة.. فهم بنفاقهم وجهلهم بالحقيقة يتوقعون في كل لحظة استئصال الفئة المؤمنة الضعيفة وانتهاء دعوتهم.. فيأخذون هم بالأحوط ويبعدون عن طريق المؤمنين المحفوف بالمهالك!.. ولكن الله يخيب ظن السوء هذا؛ ويبدل المواقف والأحوال من حيث لا يعلم المنافقون الظانون بالله ظن السوء في كل زمان وفي كل حين.. والتاريخ شاهد ودليل على هذا الحق اليقين!.. إن الميزان هو ميزان الإيمان.

ومن ثم يرد الله أولئك الأعراب إليه، ويقرر القاعدة العامة للجزاء وفق هذا الميزان، مع التلويح لهم برحمة الله القريبة، والإيحاء إليهم بالمبادرة إلى اغتنام الفرصة والتمتع بمغفرة الله ورحمته: **﴿ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا**

لِلكافرين سعيراً. ولله ملك السماوات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفوراً رحيماً﴾. . فقد كان أولئك الأعراب المتخلفون يعتذرون بأموالهم وأهليهم. . فماذا تنفعهم أموالُهم وأهلوهم. في هذه السعير المعدة لهم إذا لم يؤمنوا بالله ورسوله؟. إنهما كفتان. . فليختاروا هذه أو تلك على يقين!. . فإن الله الذي يوعدهم هذا الإيعاد، هو مالك السماوات والأرض وحْدَهُ. . فهو الذي يملك المغفرة لمن يشاء. . وهو الذي يملك العذاب لمن يشاء. . فالله يجزي الناس بأعمالهم ولكن مشيئته مطلقة لا ظل عليها من قيد، وهو يقرر هذه الحقيقة هنا لتستقر في القلوب غير متعارضة مع ترتيب الجزاء على العمل. . فهذا الترتيب اختيار مطلق لهذه المشيئة. ومغفرة الله ورحمته أقرب. . فليغتنمها من يريد قبل أن تحق كلمة الله بعذاب من لم يؤمن بالله ورسوله، بالسعير الحاضرة المعدّة للكافرين. . ثم يشير السياق إلى بعض ما قدر الله للمؤمنين مخالفاً لظن المخلفين بأسلوب يوحي بأنّه قريب: **﴿سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها: ذرونا نتبعْكم، يريدون أن يبدلوا كلام الله، قل: لن تتبعونا، كذلكم قال الله من قبل. . فسيقولون: بل تحسدوننا. . بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً. .﴾** فهذا الكلام إشارة إلى فتح قريب يقع بعد صلح الحديبية. وهو فتح خيبر. . فقد كانت وافرة المغانم. . وكانت حصونها آخر ما بقي لليهود من مراكز قوية غنية. . فكانت معقلاً لليهود الحانقين عن الإسلام والمسلمين!. . فقد أمر الله رسوله أن يرد المخلفين من الأعراب إذا طلبوا الخروج مع الرسول للغنائم الميسرة القريبة. وقرر أن خروجهم مخالف لأمر الله. وأخبر الله رسوله أنهم سيقولون إذا منعوا من الخروج: بل تحسدوننا. . ثم قرر أن قولهم هذا ناشئ عن قلة فقههم لحكمة الله وتقديره. . فجزاء المتخلفين الطامعين أن يُحرموا. . وجزاء الطائعين المتجردين أن يعطوا من فضل الله. . وأن يختصوا بالمغنم حين يقدّره الله جزاء اختصاصهم بالطاعة والإقدام. . ثم أمر الله رسوله أن يخبرهم أنهم سَيُبْتَلُونَ بالدعوة إلى جهاد قوم أشداء يقاتلونهم على الإسلام. . فإذا نجحوا في هذا الابتلاء كان لهم الأجر الحسن، وإن هم ظلوا على معصيتهم وتخلفهم كان لهم العذاب الأليم: **﴿قل للمخلفين من الأعراب: ستدعون إلى قوم أُولِي بأس شديد: تقاتلونهم أو يسلمون. .﴾**

﴿فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً، وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم

عذاباً أليماً. .﴾ فذلك هو الامتحان الأخير. ولما كان المفهوم من ذلك الابتلاء، فرض الخروج إلى الجهاد على الجميع، فقد بين الله أصحاب الأعذار الحقيقية، الذين يحق لهم التخلف عن الجهاد بلا حرج ولا عقاب: **﴿ليس على الأعمى حرج، ولا على الأعرج حرج، ولا على المريض حرج. .﴾** فالأعمى والأعرج معهما عذر دائم. هو العجز المستمر عن تكاليف الخروج والجهاد. والمريض معه عذر موقوت بمرضه حتى يبرأ. والأمر في حقيقته هو أمر الطاعة والعصيان. هو حالة نفسية لا أوضاع شكلية: **﴿ومن يطع الله ورسوله ندخله جنات تجري من تحتها الأنهار. ومن يتول نعذبه عذاباً أليماً. .﴾** فمن يطع الله ورسوله فالجنة جزاؤه. . ومن يتول فالعذاب الأليم ينتظره. ولمن شاء أن يوازن بين مشقات الجهاد وجزائه، وبين راحة القعود وما وراءه. . ثم يختار!.

التوجيه الثالث: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة. . فعلم ما في قلوبهم. . فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً. .﴾: في هذا التوجيه حديث عن المؤمنين وحديث مع المؤمنين. مع تلك المجموعة الفريدة السعيدة التي بايعت رسول الله تحت الشجرة. والله حاضر هذه البيعة وشاهدها وموثِّقها، ويده فوق أيديهم فيها. حديث عنها من الله سبحانه إلى رسوله، وحديث معها من الله يبشرها بما أعد لها من مغانم ومن تأييد ومن نصر. . فعلم ما في قلوبهم: علم الله ما في قلوبهم من حمية لدينهم لا لأنفسهم. . وعلم ما في قلوبهم من الصدق في بيعتهم. . وعلم ما في قلوبهم من كظم لانفعالاتهم تجاه الاستفزاز، وضبط لمشاعرهم ليقفوا خلف كلمة رسولهم طائعين مسلمين صابرين. . فأنزل السكينة عليهم! بهذا التعبير الذي يرسم السكينة نازلة عليهم في هدوء ووقار تضفي على تلك القلوب الملتهبة المتحمّسة المتأهّبة المنفعلة برداً وسَلَاماً وطمأنينة وارتياحاً. . وأثابهم فتحاً قريباً: هو فتح خيبر الذي جعله الله للمسلمين فاتحةً لغيره من الفتوحات.

بعد أن زالت عقبة اليهود التي كانت من أشد العقبات!. . **﴿ومغانم كثيرة يأخذونها﴾**: من خيبر ومن غيرها من مغانم الفتوحات. . **﴿وكان الله عزيزاً حكيماً﴾**: تعقيب مناسب لما قبله من الآيات. . ففي الرضى والفتح والوعد بالمغانم تتجلى القوة والقدرة، كما تتجلى الحكمة والتدبير. وبهما يتم تحقيق

الوعد الإلهي الكريم. وبعد ذلك التبليغ العلوي الكريم للرسول الأمين عن المؤمنين المبايعين يتجه بالحديث إلى المؤمنين أنفسهم بالحديث عن هذا الصلح الذي كان فاتحة الفتح فيما يستقبل: ﴿**وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها.. فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم، ولتكون آية للمؤمنين، ويهديكم صراطاً مستقيماً..**﴾ فهذه بشرى من الله للمؤمنين سمعوها وأيقنوها، وعلموا أن الله أعد لهم مغانم كثيرة. وعاشوا بعد ذلك ما عاشوا وهم يرون مصداق هذا الوعد الذي لا يخلف!. وهذا قد يكون صلح الحديبية. وقد يكون فتح خيبر القريب منه.. فَيَمُنُّ الله عليهم بأنه كف أيدي الناس عنهم. وقد كف الله عنهم أيدي المشركين من قريش، كما كف أيدي سواهم من أعدائهم الذين يتربصون بهم الدوائر؛ وهم قلة في كل حال أمام الحشود والجنود من المشركين واليهود!.. ولتكون آية للمؤمنين: هذه الوقعة التي استغربوها أول الأمر وثقلت على نفوسهم.. فالله ينبئهم أنها ستكون آية لهم، يرون فيها عواقب تدبير الله لهم.. ويهديكم صراطاً مستقيماً: يهديكم جزاء طاعتكم وامتثالكم وصدق سريرتكم.. فهكذا يجمع الله لهم بين المغانم ينالونها، والهداية يُرزقونها.. فيتم لهم الخير من كل جانب. في الأمر الذي استغربوه واستعظموه. وهكذا يعلمهم أن اختيار الله لهم هو الاختيار. ويربي قلوبهم على الطاعة المطلقة والامتثال. كذلك يمن عليهم بأخرى غير هذه لم يقدروا عليها بقوتهم، ولكن الله تولاها عنهم بقدرته وتقديره: ﴿**وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديراً..**﴾ فهذه شبيهة بقوله تعالى في مغانم اليهود من بني قريظة وبني قينقاع وبني النضير الذين كانوا في حصون منيعة ومساكن رفيعة وأموال كثيرة وقوة بديعة: ﴿**وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديراً**﴾ فقد كان المسلمون قبل الحصول على هذه المغانم التي لم تكن لهم في حسبان قلة ضعفاء وفقراء.. فأفاء الله عليهم هذه المغانم دون قتال ولا نضال: ﴿**وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب.. ولكن الله يُسلّط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير**﴾.

وبمناسبة هذه الإشارة إلى الغنيمة الحاضرة والغنيمة التي أحاط الله بها من قبل؛ يقرر لهم أنهم منصورون وأن الصلح الذي حصل بينهم وبين مشركي مكة لم يكن لأنهم ضعاف، أو لأن المشركين أقوياء.. ولكنه كان لحكمة يريدها الله..

ولو قاتلهم الذين كفروا لهزموا.. فتلك سنة الله حيثما التقى المؤمنون الصادقون والكافرون: ﴿**ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار.. ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً! سنة الله التي قد خلت من قبل..**﴾ فهكذا يربط النص نصر المؤمنين وهزيمة الكفار بسنته الكونية.. فأية سكينة؟ وأية ثقة؟ وأي تثبيت يجده أولئك المؤمنون في أنفسهم، وهم يسمعون من الله تعالى أن نصرَهم وهزيمة أعدائهم سنة من سننه الجارية في هذا الوجود؟!. وهي سنة دائمة لا تتبدل.. ولكنها قد تتأخّر إلى أجل، ولأسباب قد تتعلق باستواء المؤمنين على طريقهم، واستقامتهم الاستقامة المطلوبة منهم.. ولكن السنة لا تتخلف: ﴿**ولن تجد لسنة الله تبديلا**﴾.

كذلك يمنّ الله على المؤمنين بكف أيدي المشركين عنهم وكف أيديهم عن المشركين من بعد ما أظفرهم: ﴿**وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم..**﴾ فهذا حادث وقع يعرفه السامعون.. والله يذكره لهم بهذا الأسلوب؛ ليرد كل حركة وكل حادث وقع لهم إلى تدبيره المباشر؛ وليوقع في قلوبهم هذا الإحساس المعين بيد الله سبحانه وهي تدير لهم كل شيء، وتقود خطاهم كما تقود خواطرهم واتجاههم ونشاطهم موقنين أن الأمر كله لله وأن الخيرة ما اختاره الله.. فهو يختار لهم عن علم وعن بصر، ولن يضيعهم ولن يضيع عليهم شيئاً يستحقونه: ﴿**وكان الله بما تعملون بصيراً..**﴾ ثم يحدثهم النص عن خصومهم: من هم في ميزان الله؟.. وكيف ينظر إلى أعمالهم وصدهم المؤمنين عن بيته الحرام.. وكيف ينظر إليهم هم عكس ما ينظر إلى خصومهم المعتدين: ﴿**هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهَدْيَ معكوفاً أن يبلغ محله..**﴾ فهؤلاء في ميزان الله واعتباره الكافرون حقاً. الذين يستحقون هذا الوصف الكريه!. ويسجله عليهم كأنهم متفرّدون به عريقون في النسبة إليه.. فهم أكره شيء إلى الله الذي يكره الكفر والكافرين!!.. كذلك يسجل عليهم فعلهم الكريه الآخر.

وهو صدهم المؤمنين عن المسجد الحرام، وصد الهدْي وتركه محبوساً عن الوصول إلى محل ذبحه المشروع.. فهي كبيرة في الإسلام وفيما قبله.. فلم يكن إذنْ كفُّ الله المؤمنين عنهم بقْيَا عليهم لأن جرمهم صغير! كلاّ.. إنما كان ذلك لحكمة أخرى: ﴿**ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم.. فتصيبكم منهم معرة بغير علم..**﴾ فلقد كان في مكة بعض المستضعفين من

المسلمين لم يهاجروا ولم يعلنوا إسلامهم تقية في وسط المشركين.. فلو دارت الحرب وهاجم المسلمون مكة، وهم لا يعرفون أشخاصهم.. فربما وطؤوهم وداسوهم وقتلوهم.. فيقال: إن المسلمين يقتلون المسلمين.. ثم هنالك حكمة أخرى. وهي أن الله يعلم أن من بين الكافرين الذين صدوا المؤمنين من أراد الله له الهداية، ومن قدّر له الدخول في رحمته.. فلو تميز هؤلاء وهؤلاء لأذن الله للمسلمين في القتال: ﴿**ليدخل الله في رحمته من يشاء.. لو تزيّلوا لعذّبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً..**﴾ فهكذا يكشف الله للجماعة المختارة الفريدة السعيدة عن جانب من حكمته المغيبة وراء تقديره وتدبيره. ويمضي في وصف الذين كفروا: وصف نفوسهم من الداخل بعد تسجيل صفتهم وعملهم الظاهر: ﴿**إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية..**﴾ حمية لا لعقيدة ولا لمنهج.. إنما هي حمية الكبر والفخر والبطر والتعنت. الحمية التي جعلتهم يقفون في وجه الرسول ﷺ وأصحابه.. يمنعونهم من المسجد الحرام، ويحبسون الهَدْيَ الذي ساقوه أن يبلغ محله الذي يُنحر فيه.. مخالفين بذلك عن كل عرف؛ كي لا تقول العرب: إنه دخلها عليهم عنوة.. ففي سبيل هذه النعرة الجاهلية يرتكبون هذه الكبيرة الكريهة في كل عرف ودين، وينتهكون حرمة البيت الحرام الذي يعيشون على حساب قداسته.. فقد جعل الله الحمية في نفوس المشركين على هذا النحو الجاهلي لما يعلمه في نفوسهم من جفوة عن الحق والخضوع له.. فأما المؤمنون فحماهم الله من هذه الحمية الجاهلية، وأحل محلها السكينة والتقوى: ﴿**فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى، وكانوا أحق بها وأهلها..**﴾ فالسكينة الوقورة الهادئة، كالتقوى المتحرّجة المتواضعة كلتاهما تليق بالقلب المؤمن الموصول بربه، المطمئن بما فيه من ثقة، المراقب لربه في كل خالجة وكل حركة.. فلا يتبطّر ولا يستكبر ولا يطغى؛ ولا يغضب لذاته.. إنما يغضب لربه ودينه.. فإذا أُمر أن يسكن ويهدأ خشع وأطاع في رِضًى وطمأنينةٍ. ومن ثَمَّ كان المؤمنون أحقَّ بكلمة التقوى، وكانوا أهلها. وهذا ثناء آخر من ربهم عليهم! إلى جانب الامتنان عليهم بما أنزل على قلوبهم من سكينة وما أودع فيها من تقوى.. فهم قد استحقوها في ميزان الله وبشهادته.

وهو تكريم بعد تكريم صادر عن علم وتقدير: ﴿**وكان الله بكل شيء عليماً**﴾. وقد استبشر المؤمنون عندما أخبرهم رسول الله ﷺ أنه رأى في منامه أن

يدخل المسجد الحرام. . فَقَدْ هَالَهُم ألاَّ تتحقق هذه الرؤيا هذا العام، وأن يُردّوا عن المسجد الحرام! فالله يؤكد لهم صدق هذه الرؤيا، وينبئهم أنها منه، وأنها واقعة ولا بد؛ وأن وراءها ما هو أكبر من دخول المسجد الحرام: ﴿**لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق: لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون. . فعلم ما لم تعلموا. . فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً. .**﴾ فقد تحققت هذه الرؤيا بعد عام واحد. . ثم تحققت بصورة أكبر وأجلى بعد عامين اثنين من صلح الحديبية إذ تمّ لهم فتح مكة وغلبة دين الله عليها. . فقد دخل رسول الله مع أصحابه مكة معتمراً العام التالي لصلح الحديبية. وهكذا صدقت رؤيا رسول الله وتحقق وعد الله. . ثم كان الفتح في العام الذي يلي عام عمرة القضاء وظهر دين الله في مكة. . ثم ظهر في بلاد العرب كلها. . ثم تتابعت الفتوحات بعد ذلك. . فتحقق وعد الله لرسوله في حياته وللمؤمنين بعد وفاته! . .

التوجيه الرابع: ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً. .**﴾: في هذا التوجيه البشارة الكبرى للمؤمنين: أولاً: إرسال الرسول بالهدى ودين الحق. . ثانياً: إظهار هذا الدين على جميع الأديان. . فقد ظهر دين الحق؛ لا في بلاد العرب وحدها. . بل ظهر في المعمور من الأرض كلها قبل مضي نصف قرن من الزمان. . فقط ظهر على دين الفرس وحكمهم. . وظهر على اليهود والنصارى ببيان انحرافهم عن دين موسى وعيسى. وقضى على حكم الروم في الشام ومصر وبلاد المغرب. . فانتشر الإسلام في نهاية القرن الأول من الأندلس غرباً، حتى نهاية المعمور شرقاً.

وما يزال دين الحق ظاهراً على الدين كله حتى بعد انحسار أهله السياسي عن جزء كبير من الأرض التي فتحوها عندما ساروا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها. . أجل. . ما يزال دين الحق ظاهراً على الدين كله من حيث هو دين. . فهو الدين القوي بذاته. . فلا يحتاج إلى مبشرين محترفين يسترزقون من الدعوة إليه، وهو يزحف بلا سيف ولا مدفع من أهله، لما في طبيعتهم من استقامة مع الفطرة، ومع نواميس الوجود. . ولما فيه من تلبية بسيطة عميقة لحاجات البشر وحاجات العمران والتقدم، وحاجات البيئات المتنوعة. . فوعد الله قد تحقق في الصورة السياسية الظاهرة قبل مضي قرن من الزمان بعد إرسال هذا الرسول بالحق

ودين الحق ﷺ. ووعد الله ما يزال متحقّقاً في الصورة الموضوعية الثابتة.. وما يزال هذا الدين ظاهراً على الدين كله في حقيقته في قرءانه المسموع في أنحاء الأرض.. وفي دعوته بكلمة الله أكبر المسموعة في مشارق الأرض ومغاربها.. وفي دعوته لأهل الكتاب: **﴿تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم: ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله!﴾** فهو الدين الوحيد الباقي قادراً على العمل والقيادة في جميع الأحوال بأهله وبغير أهله!.. ولعل أهل هذا الدين الآن هم وحدهم الذين لا يدركون هذه الحقيقة.. فغير أهله يدركونها ويخشونها، ويحسبون لها في سياساتهم كل حساب!!.. فما من صاحب دين غير الإسلام ينظر في الإسلام نظرة مجردة من التعصب والهوى حتى يقر باستقامة هذا الدين وقوته الكامنة وقدرته على قيادة البشرية قيادة رشيدة.. فهذه هي حقيقة هذا الدين الذي جاء به خاتم النبيئين ورسول رب العالمين. شهد بها من عرف هذه الحقيقة من أهل الصدق واليقين.. وكفى بالله شهيداً!!.. ثم يستعرض السياق في الختام هذه الصورة الكريمة الوضيئة لهذه الجماعة الفريدة السعيدة من أصحاب رسول الله محمد الذي أرسل بالهدى ودين الحق: **﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم..﴾** فهذه صورة عجيبة يرسمها القرءان الكريم بأسلوبه البديع!.. فهي صورة مؤلفة من عدة لقطات لأبرز حالات هذه الجماعة المختارة؛ حالاتها الظاهرة والباطنة.. فلقطة تصور حالهم مع الكفار ومع أنفسهم: أشداء على الكفار رحماء بينهم..

ولقطة تصور هيئتهم في عبادتهم: **﴿تراهم ركعاً سجداً..﴾** ولقطة تصور قلوبهم وما يشغلها ويجيش بها: **﴿يبتغون فضلاً من الله ورضواناً..﴾** ولقطة تصور أثر العبادة والتوجه إلى الله في سُمتهم وسحنتهم وسماتهم: **﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود..﴾** ثم يقرر النص أن أصحاب رسول الله وَصَفَتْهُم التوراة قبل أن يوجدوا بهذه الأوصاف التي ظهرت عليهم بعد وجودهم: **﴿ذلك مثلهم في التوراة﴾**!. ولقطات أخرى متتابعة تصوّرُهم كما هم في الإنجيل: **﴿ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه.. فآزره.. فاستغلظ.. فاستوى على سوقه.. يعجب الزراع.. ليغيظ بهم الكفار..﴾** فتبدأ هذه الآية بإثبات صفة محمد ﷺ. الذي أنكرها رئيس وفد قريش في إبرام صلح الحديبية!: محمد رسول الله.. والمؤمنون معه لهم حالات شتى.. ولكن اللقطات تتناول الحالات الثابتة في حياتهم. وإرادة

التكريم واضحة في اختيار هذه اللقطات، وتثبيت الملامح والسمات التي تصورها. . التكريم الإلهي لهذه الجماعة السعيدة. إرادة التكريم واضحة وهو يسجل لهم في اللقطة الأولى أنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم. . أشداء على الكفار وفيهم ءاباؤهم وإخوتهم وذوو قرابتهم وصحابتهم. . ولكنهم قطعوا هذه الوشائج جميعاً. . رحماء بينهم وهم فقط إخوة دين. . فهي الشدة والرحمة لله. وهي الحمية للعقيدة والسماحة للعقيدة. . فليس لهم في أنفسهم شيء. . فهُم يقيمون عواطفهم ومشاعرهم، كما يقيمون سلوكهم وروابطهم على أساس عقيدتهم وحدها. يشتدون على أعدائهم فيها، ويلينون لإخوتهم فيها. قد تجردوا من الأنانية ومن الهوى ومن الانفعال لغير الله. وإرادة التكريم واضحة وهو يختار من هيئاتهم وحالاتهم هيئة الركوع والسجود وحالة العبادة: تراهم ركعاً سجداً. . فالتعبير يوحي كأنما هذه هيئتهم الدائمة التي يراها الرائي حيثما رءاهم. ذلك أن هيئة الركوع والسجود تمثل حالة العبادة. وهي الحالة الأصيلة لهم في حقيقة نفوسهم.

واللقطة الثالثة مثلها. . ولكنها لقطة لبواطن نفوسهم وأعماق سرائرهم: يبتغون فضلاً من الله ورضواناً. . فهذه هي صورة مشاعرهم الدائمة الثابتة. كل ما يشغل بالهم وكل ما تتطلع إليه أشواقهم هو فضل الله ورضوانه. ولا شيء وراء الفضل والرضوان يتطلعون إليه ويشتغلون به. واللقطة الرابعة تثبت أثر العبادة الظاهرة والتطلع المُضمر في ملامحهم ونضحها على سماتهم: سيماهم في وجوههم من أثر السجود. . سيماهم في وجوههم من الوضاءة والإشراق والصفاء والشفافية. . فالمقصود به أثر السجود هو أثر العبادة. واختار لفظ السجود لأنه يمثل حالة الخشوع والعبودية لله تعالى في أكمل صورها. . فهو أثر هذا الخشوع. أثره في ملامح الوجه حيث تتوارى الخيلاء والكبرياء. . ويحل مكانها التواضع النبيل. . فهذه الصورة الوضيئة التي تمثلها هذه اللقطات ليست مستحدثة. . إنما هي ثابتة لهم في لوحة القدر؛ ومن ثَمَّ فهي قديمة جاء ذكرها في التوراة: ذلك مثلهم في التوراة. وهذا المثل كذلك ليس مستحدثاً. . فهو ثابت في صفحة القدر. ومن ثم ورد ذكره قبل أن يوجد محمد ومن معه إلى هذه الأرض. ثابت في الإنجيل في بشارته بمحمد ومن معه حين يجيئون: ومثلهم في الإنجيل. . أنهم: كزرع أخرج شطأه. . فهو زرع نامٍ قوي. يخرج فرعه من قوته وخصوبته. ولكن هذا الفرع لا يضعف الأصل بل يشدّه ويقوّيه: فآزره. . فاستغلظ. . فاستوى على سوقه. . فهذه

صورته في ذاته.. فأما وقْعُه في نفوس أهل الخبرة في الزرع العارفين بالنامي منه والذابل، المثمر منه والبائر فهو وقع البهجة والإعجاب: يعجب الزراع. وأما وقعه في نفوس الكفار فعلى العكس.. فهو وقع الغيظ والكمد: ليغيظ بهم الكفار.. فهذا التعبير يوحي بأن هذه الزرعة هي زرعة الله؛ وأنهم ستار القدرة وأداةٌ لإغاظة أعداء الله!. وهكذا يثبت الله سبحانه وتعالى في كتابه الخالد صفةَ هذه الجماعة المختارة: صحابة رسول الله ﷺ، ورضي عنهم.. فثبت هذه الصفة في كيان الوجود كله. وتتجاوب بها أرجاؤه، وهو يتسمّع إليها من بارىء الوجود! وتبقى نموذجاً خالداً للأجيال على مَرّ العصور والعهود!!.. وفوق هذا التكريم كله وعد الله بالمغفرة والأجر العظيم: ﴿**وعد الله الذين ءامنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً**..﴾ فهذا الوعد يجيء في هذه الصيغة العامة بعد ما تقدم من صفتهم التي تجعلهم أول الداخلين في هذه الصيغة العامة.. فهم النموذج الأول الذي يكون منهم المثل الأعلى لتحقق معنى الإيمان في أعلى الدرجات!..

4 ـ أظهر ما في سورة الحجرات
تمييز المنهيات من المأمورات

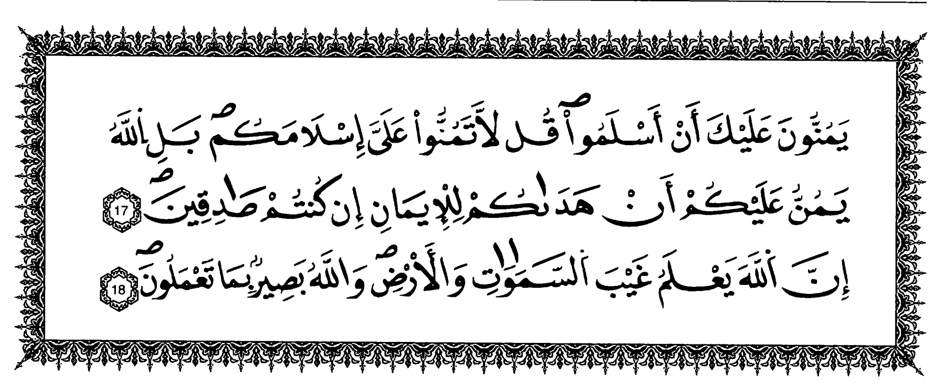


النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (1) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (2) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (3) إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (4) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (5) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (6) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (7) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (8)

۞ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا
عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟
بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿9﴾
إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿10﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ
أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ
وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ
بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿11﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ
وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا
فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿12﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم
مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿13﴾ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟
أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿14﴾
إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟
بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿15﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ
ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿16﴾



البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾: نهى الله المؤمنين عن الحكم على الشيء قبل حكم الله ورسوله. **﴿واتقوا الله﴾**: أمر الله المؤمنين بالتقوى الواقية من المخالفة للنهي **﴿إنّ الله سميع عليم﴾**: تعليل للنهي والأمر المتقدمين. **﴿يا أيها الذين ءامنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبئ﴾**: نهْيٌ آخر عن عدم احترام النبئ عند مخاطبته برفع صوتهم عن صوته. **﴿ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض﴾**: زيادة في النهي عن رفع الصوت في حضرة النبئ كما يفعل المتكلمون بعضهم لبعض. . **﴿أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾**: لا تفعلوا هذا خشية حُبُوطِ أعمالِكم وبطلانها من جراء ما ارتكبتم من المخالفة. وأنتم لا تشعرون: والحال عدم شعوركم بحبوط أعمالكم. **﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله﴾**: يخفضون أصواتهم مراعاة للأدب مع رسول الله ﷺ. هذا ترغيب في الانتهاء عما نهوا عنه بعد الترهيب عن الإخلال به. **﴿أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾**: أولئك الموصوفون بهذا الأدب الرفيع أخلص الله قلوبهم للتقوى، وأزال عنها خُبْثَ العادات الناشئة من سوء المعاملات. **﴿لهم مغفرة وأجر عظيم﴾**: زيادة لما حصل لهم في الدنيا لهم مغفرة وأجر عظيم في الآخرة. **﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾**: هذا وصف لمن لم يتأدب بأدب الإسلام، وسلك سلوك أهل الجاهلية اللئام، ونادوا رسول الله بدون احترام من وراء الحجرات: جمع حجرة. وهي الدار المحجورة بالحائط.

والمراد بها حجرات أمهات المؤمنين أزواج الرسول ﷺ. **﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم﴾**: لو تحقّق صبرهم وانتظارهم إلى خروجك إليهم لكان خيراً لهم من العجلة ومناداتهم من وراء الحجرات بلا أدب ولا احترام!. والمنادون من وراء الحجرات وفْدٌ من العرب من بني تميم. **﴿يا أيها الذين ءامنوا إن جاءكم فاسق بنبإٍ فتبيّنوا﴾**: أمر الله المؤمنين بالتثبّت والتربُّص والتأني عندما يأتيهم خبر مهمٌّ من خارج مجهولٍ أَمْرُه.. **﴿أن تصيبوا قوماً بجهالة﴾**: حذراً من إصابتكم قوماً جاهلين بحالهم: **﴿فتصبحوا على ما فعلتم نادمين!. واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم﴾**: واعلموا حقيقة هذا الأمر: أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير منه ويتبع رأيكم فيه لحصل لكم العنت ووقعتم في المشقة والحرج.

ورسول الله جاء باليسر ورفع الحرج. وأمر الرسول أمر من الله، وأمركم أمر من الهوى وشهوات النفس. **﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم﴾**: استدراك لبراءة المؤمنين من وصفهم بالحرج والمشقة والعنت بسبب أن الله حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم وحبّبه: رسّخ حبه فيكم. وزين: أظهر حسنه إليكم. **﴿وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان﴾**: هذا مقابل تحبيب وتزيين الإيمان. وهو تكريه الكفر والفسوق والعصيان. **﴿أولئك هم الراشدون﴾**: أولئك الموصوفون بما ذكر، المنزهون عما ذكر: من حب الإيمان وكراهة الكفر هم الذين بلغوا الغاية القصوى من الرشد. والرشد: الاستقامة على طريق الحق بحيث لا يحتاج الراشد إلى من يرشده ويُرِيه الطريق. ومن هذا سُمّيت الحجرة الصلبة رشادة. **﴿فضلاً من الله ونعمة﴾**: الفضل والنعمة بمعنى الإفضالِ والإنعامِ الواردَيْنِ من الله لأجل الإكرام. **﴿والله عليم حكيم﴾**: يفعل كل ما يفعل بمقتضى العلم والحكمة. **﴿وإن طائفتان﴾**: فرقتان من المؤمنين. **﴿اقتتلوا﴾**: جُمع حملاً على المعنى؛ لأن كل طائفة فيها أفراد كثيرة. **﴿فأصلحوا بينهما﴾**: ثنى باعتبار اللفظ؛ لأنهما فريقان. **﴿فإن بغت﴾**: استطالت وتعدّت **﴿إحداهما على الأخرى..﴾** **﴿فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء إلى أمر الله..﴾** **﴿فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل..﴾** الفئ: الرجوع. وقد سمي به الظل، لأنه يرجع من مكان إلى مكان. وسميت به الغنيمة؛ لأنها ترجع من الكفار إلى المسلمين. والعدل: الإنصاف. ويطلق القسط على الجور واسم فاعله قاسط. وتدخل الهمزة على فعله فيقال:

أقسط فهو مقسط. والهمزة فيه للسّلب. وسلب الجور العدل. **﴿إنّما المؤمنون إخوة.. فأصلحوا بين أخويكم.. واتقوا الله لعلكم ترحمون.. يا أيها الذين ءامنوا لا يسخر قوم من قوم﴾**: نهى الله المؤمنين عن السخرية. والسخرية: الاستهزاء والازدراء والتحقير بسبب عاهة في جسم. أو رث الحال في مطعم أو لباس.. إلى غيرهما مما اعتاد الناس أن ينظروا إليها نظر احتقار. وقوم هنا: خاص بالرجال؛ لأنهم القوّام على النساء؛ كما ورد في سورة النساء: **﴿الرجال قوامون على النساء﴾** وهو في الأصل جمع قائم؛ كصوم وصائم. **﴿عسى أن يكونوا خيراً منهم﴾**: تعليل للنهي. يتوقع أن يكون المسخور منه خيراً من الساخر في واقع الأمر.

﴿ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيراً منهن.. ولا تلمزوا أنفسكم﴾: ولا يعب بعضكم بعضاً.. فإن المؤمنين كنفس واحدة. واللمز: الطعن باللسان. يقال: لمزه يلمزه لمزاً إذا طعنه بلسانه. **﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾**: ولا يدع بعضكم بعضاً بلقب السوء.. فإن النبز مختص به عرفاً. والتلقيب المنهي عنه هو ما يحصل للمدعو به ذماً وطعناً فيه.. **﴿بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾**: بئس الذكر المرتفع للمؤمنين أن يُذكروا بالفسق بعد دخولهم الإيمان!.. فإن الاسم هنا بمعنى الذكر. من قولهم: طار اسمه في الناس بالكرم أو باللؤم. **﴿ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون.. يا أيها الذين ءامنوا اجتنبوا كثيراً من الظن﴾**: ابتعدوا عن كثير من الظن. والظن هنا: ظن السوء بالمؤمن. **﴿إن بعض الظن إثم﴾**: تعليل للأمر بالاجتناب. والإثم: الذنب الذي يستحق العقوبة عليه. **﴿ولا تجسّسوا﴾**: لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم. يقال: تجسّس الأمر إذا تطلبه وبحث عنه. **﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾**: لا يذكر بعضكم بعضاً بالسوء في غيبته. **﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميّتاً﴾**؟!: تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب بهذا الاستفهام التقريري المنفَر عن هذا القول!!. **﴿فكرهتموه﴾**: فقد تحققت كراهتكم لهذا العمل القبيح عقلاً ونقلاً!. **﴿واتقوا الله إن الله تواب رحيم... يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾**: خلق الله كل واحد من الناس من أب وأم. من عهد آدم إلى يوم القيامة سوى عيسى عليه السلام خلق من أم دون أب. وآدم عليه السلام خلق من تراب. وزوجه خلقت من نفس آدم. **﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل﴾**: الشعب الجمع العظيم المنتسبون إلى أصل واحد. مثل الشعب العربي الآن الذين

يربطهم لسان واحد من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي. والشعب الطبقة الأولى من الطبقات الست التي عليها العرب. وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة. فالشعب يجمع القبائل. والقبيلة تجمع العمائر. والعمارة تجمع البطون. والبطن تجمع الأفخاذ. والأفخاذ تجمع الفصائل. ﴿**لتعارفوا**﴾: يعرف بعضكم بعضاً بحسب الأنساب.. فلا تتفاخروا بالآباء والقبائل: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾.. فهذه الخصلة التي يفضل بها الإنسان غيرَه ويكتسب الشرف والكرم عند الله تعالى.

﴿**إن الله عليم خبير**﴾: عليم بكم وبأعمالكم. خبير ببواطن أحوالكم. ﴿**قالت الأعراب ءامنا**﴾: جاء بعض الأعراب إلى الرسول ﷺ وأظهروا النطق بالشهادتين طمعاً في الدنيا دون أن يتمكّن الإيمان منهم.. ﴿**قل: لم تؤمنوا.. ولكن قولوا: أسلمنا..**﴾ فالإيمان هو التصديق النابع من القلب. والإسلام الدخول في السلم والخروج من أن يكون حرباً للمؤمنين بإظهار الشهادتين باللسان.. ﴿**ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم**﴾: إلى الآن ما دخل الإيمان في قلوبكم.. ولكن يتوقع أن يتحقق في المستقبل.. فكلمة «لمّا» تنفي الماضي والحال مع الإشارة إلى الوقوع في المستقبل. و «لم» تنفي الماضي مع السكوت عن الحال والمستقبل. و «لن» تنفي المستقبل. و «لا» تنفي الماضي والحاضر والمستقبل ﴿**وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً**﴾: لا ينقصكم من أعمالكم شيئاً إن خلصت النية وحسنت الطوية.. ﴿**إن الله غفور رحيم.. إنما المؤمنون الذين ءامنوا بالله ورسوله.. ثم لم يرتابوا**﴾: لم يشكوا. وارتاب: مطاوع رابه فارتاب. إذا أوقعه في الشك مع التهمة. ﴿**وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله.. أولئك هم الصادقون.. قل: أتعلمون الله بدينكم؟ والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض!.. والله بكل شيء عليم**﴾: أتخبرون الله بقولكم آمنا مع علمه بحقيقة ما تقولون؟!. ﴿**يمنون عليك أن أسلموا**﴾: يعدّون إسلامهم منّة عليك.. ﴿**قل لا تمنوا عليَّ إسلامكم.. بل الله يمن عليكم: أن هداكم للإيمان.. إن كنتم صادقين..**﴾ فالمنُّ: ذكر الأيادي وتعديدها طلباً لشكرها واعترافاً بفضل صاحبها. ﴿**إن الله يعلم غيب السماوات والأرض.. والله بصير بما تعملون**﴾.

مبحث الإعراب

﴿**يا أيها**﴾ منادى مبنيّ على الضم في محل نصب. وها للتنبيه. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب نعت لأي باعتبار محلها. ﴿**ءامنوا**﴾ صلة الموصول. ﴿**لا تقدموا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النهي الجازم. والفعل مجزوم بحذف النون. ﴿**بين**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بالفعل قبله. ﴿**يدي**﴾ مضاف إلى الظرف مجرور بالياء. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى يدي. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف على الله. ﴿**واتقوا الله**﴾ أمر موجه إلى الذين ءامنوا بتقوى الله. ﴿**إن الله**﴾ إن واسمها. ﴿**سميع عليم**﴾ خبران لإنّ. والجملة تعليل. ﴿**يا أيها الذين ءامنوا**﴾ تقدم إعراب مثله. ﴿**لا ترفعوا أصواتكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول، دخل عليه حرف النهي الجازم. ﴿**فوق**﴾ ظرف متعلق بالفعل قبله. ﴿**صوت**﴾ مضاف إلى فوق. ﴿**النبيء**﴾ مضاف إلى صوت. ﴿**ولا تجهروا**﴾ معطوف على «لا ترفعوا» ﴿**له بالقول**﴾ متعلقان بلا تجهروا.

﴿**كجهر**﴾ الكاف بمعنى مثل في محل نصب نعت لمفعول مطلق: لا تجهروا جهراً مثل جهر. ﴿**بعضكم**﴾ مضاف إلى جهر. ﴿**لبعض**﴾ متعلق بجهر. ﴿**أن تحبط أعمالكم**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه أن المصدرية الناصبة. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بلا تجهروا وما عطف عليه. ﴿**وأنتم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**لا تشعرون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة خبر المبتدإ. وجملة وأنتم لا تشعرون حال من الكاف في «أعمالكم». ﴿**إن الذين**﴾ إن واسمها. ﴿**يغضون أصواتهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول. ﴿**عند**﴾ متعلق بيغضون. ﴿**رسولِ**﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى رسول. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع خبر. ﴿**امتحن الله قلوبهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول. ﴿**للتقوى**﴾ متعلق بامتحن. وجملة أولئك الذين... خبر إنّ. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**مغفرة**﴾ مبتدأ مُؤخر. ﴿**وأجر**﴾ معطوف على مغفرة. ﴿**عظيم**﴾ نعت لأجر. ﴿**إن الذين**﴾ إنّ واسمها. ﴿**ينادونك**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول. ﴿**من وراء**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**الحجرات**﴾ مضاف إلى وراء. ﴿**أكثرهم**﴾ مبتدأ. ﴿**لا يعقلون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة خبر المبتدإ. وجملة المبتدإ وخبره خبر إن. ﴿**ولو أنهم**﴾ أن واسمها ولو حرف شرط.

والواو حرف عطف. ﴿**صبروا**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر أنّ. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع فاعل لفعل مقدر شرط لو. والتقدير: ولو ثبت صبرُهم ﴿**حتى تخرج**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**إليهم**﴾ متعلق بتخرج. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحتى التي بمعنى إلى متعلق بصبروا. أي: صبروا إلى خروجك إليهم. ﴿**لكان**﴾ اسم كان ضمير يعود على الصبر.

﴿**خيراً**﴾ خبرُ كان. ﴿**لهم**﴾ متعلق به. والجملة جواب شرط لو. واللام رابط للجواب. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**غفور**﴾ خبره. ﴿**رحيم**﴾ خبر ثان. والجملة تذييل. ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ تقدم إعراب مثله في أول السورة. ﴿**إن جاءكم**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف الشرط. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**فاسق**﴾ فاعل. ﴿**بنبإ**﴾ متعلق بجاء. ﴿**فتبينوا**﴾ أمر موجه للمخاطبين. جواب الشرط. والفاء للربط. ﴿**أن تصيبوا قوماً**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه أن المصدرية الناصبة. وأنْ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل المقدر؛ أي: لعدم إصابتكم قوماً. ﴿**بجهالة**﴾ متعلق بتصيبوا. ﴿**فتصبحوا**﴾ مرتب على أن تصيبوا. . وتصبحوا فعل مضارع ناقص. واسمها واو الجماعة المخاطبين. ﴿**على ما**﴾ متعلق بالخبر الآتي. ﴿**فعلتم**﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿**نادمين**﴾ خبر تصبح. ﴿**واعلموا**﴾ أمر موجه للمخاطبين. معطوف على ما قبله. ﴿**أن فيكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر أنّ مقدم. ﴿**رسول**﴾ اسم أنّ مؤخر. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى رسول. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول به ﴿**لو**﴾ حرف امتناع لامتناع متضمن معنى الشرط. ﴿**يطيعكم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود إلى رسول الله. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**في كثير**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**من الأمر**﴾ متعلق بمحذوف نعت لكثير. ﴿**لَعَنِتُّم**﴾ فعل وفاعل. والجملة جواب لو. واللام رابط للجواب. ﴿**ولكن الله**﴾ لكنّ واسمها. والواو للعطف. ﴿**حبَّبَ**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**إليكم**﴾ متعلق بحبب. ﴿**الإيمان**﴾ مفعول به. والجملة خبر لكنّ. ﴿**وزيّنه**﴾ معطوف على حبب. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**في قلوبكم**﴾ متعلق بزيّن. ﴿**وكرّه إليكم الكفر**﴾ إعرابه مثل إعراب حبب إليكم الإيمان. ﴿**والفسوق والعصيان**﴾ معطوفان على الكفر. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ أول. ﴿**هم**﴾ في محل رفع مبتدأ ثان. ﴿**الراشدون**﴾ خبر المبتدإِ

الثاني. والمبتدأ الثاني وخبره خبر للمبتدإ الأول. ﴿**فضلاً**﴾ مفعول لأجله. ﴿**من الله**﴾ متعلق به. ﴿**ونعمة**﴾ معطوف عليه. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**عليم**﴾ خبره. ﴿**حكيم**﴾ خبر ثانٍ. والجملة تذييل. ﴿**وإن طائفتان**﴾ فاعل بفعل مقدر فعل شرط إنْ. ﴿**من المؤمنين**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**اقتتلوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة تفسير للفعل المقدر وإن طائفتان. ﴿**فأصلحوا**﴾ أمر موجه إلى المخاطبين. جواب شرط إنْ. والفاء رابط للجواب. ﴿**بينهما**﴾ متعلق بالفعل قبله.

﴿**فإن بغت إحداهما**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه إن الشرطية. والفاء للتعقيب. ﴿**على الأخرى**﴾ متعلق ببغت. ﴿**فقاتلوا**﴾ جواب شرط مثل فأصلحوا. ﴿**التي**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**تبغي**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على التي. والجملة صلة التي. ﴿**حتى تفيء**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى. والفاع ضمير يعود على الطائفة التي تبغي. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحتى التي بمعنى إلى متعلق بقاتلوا. أي فقاتلوا التي تبغي إلى رجوعها. ﴿**إلى أمر الله**﴾ متعلق بتفيء. ﴿**فإن فاءت**﴾ الطائفةُ التي تبغي. جملة شرطية معقبة بالفاء على ما قبلها. ﴿**فأصلحوا**﴾ جواب الشرط. ﴿**بينهما بالعدل**﴾ متعلقان بأصلحوا. ﴿**وأقسطوا**﴾ معطوف على أصلحوا. ﴿**إن الله**﴾ إن واسمها. ﴿**يُحبُّ**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر إنّ. ﴿**المقسطين**﴾ مفعول به. والجملة تعليل. ﴿**إنما المؤمنون**﴾ مبتدأ دخل عليه حرف الحصر. ﴿**إخوة**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**فأصلحوا**﴾ أمر مرتب بالفاء على ما قبله. ﴿**بين**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**أخويكم**﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿**واتقوا**﴾ معطوف على ما قبله من فعل الأمر. ﴿**الله**﴾ مفعول به. ﴿**لعلكم**﴾ لعل واسمها. ﴿**ترحمون**﴾ الفعل ونائب الفاعل خبر لعل. والجملة تعليل. ﴿**يا أيها الذين ءامنوا. . لا يسخر قوم**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النهي الجازم. ﴿**من قوم**﴾ متعلق بيسخر. ﴿**عسى**﴾ من أفعال المقاربة ترفع الاسم وتنصب الخبر. واسمها ضمير يعود على قوم. ﴿**أن يكونوا**﴾ يكون فعل مضارع ناقص. . واسمه ضمير الجماعة الواو. ﴿**خيراً**﴾ خبر يكونُ. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب خبرُ عسى. أي: عسى قومٌ مسخورٌ منهم كونَهم خيراً من الساخرين. ﴿**ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهنّ**﴾ مثل ما سبقه في الإعراب. ﴿**ولا تلمزوا أنفسكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النهي الجازم. والجملة معطوفة على ما سبقها من النهي عن

السخرية. وكذلك قوله تعالى: ﴿ولا تنابزوا﴾.. ﴿بالألقاب﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿بئس الاِسم﴾ فعل وفاعل. ﴿الفسوق﴾ مبتدأ. خبرُهُ الجملة السابقة عليه. ﴿بعد﴾ متعلق بالفسوق. ﴿الإيمان﴾ مضاف إلى الظرف. والجملة بيان لما قبلها من النهي الشامل لكل منهي عنه من السخرية واللمز والنبز.. ﴿ومن لم يتب﴾ فعل مضارع مجزوم بلم فِعْلُ شرط مَنْ. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿فأولئك﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿هم﴾ ضمير فصل.

﴿الظالمون﴾ خبر المبتدإ. وجملة فأولئك جواب الشرط. والجملة معطوفة على الجملة البيانية «بئس الاسم...». ﴿يا أيها الذين ءامنوا. اجتنبوا﴾ أمر موجه إلى الذين ءامنوا. ﴿كثيراً﴾ مفعول به. ﴿من الظن﴾ متعلق به. ﴿إن بعض﴾ إنّ واسمها. ﴿الظن﴾ مضاف إلى بعض. ﴿إثم﴾ خبر إنّ. والجملة تعليل. ﴿ولا تجسسوا﴾ معطوف على لا يسخر. وكذلك ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿أيحب أحدكم﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿أن يأكل﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والفاعل ضمير يعود على أحدكم. ﴿لحم﴾ مفعول به. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول. أيحب أحدُكم أكْلَ لحم. ﴿أخيه﴾ مضاف إلى لحم. ﴿ميتاً﴾ حال من لحم أخيه. ﴿فكرهتموه﴾ فعل وفاعل ومفعول. والفاء للتعقيب. ﴿واتقوا﴾ أمر موجه إلى المخاطبين. ﴿الله﴾ مفعول به. ﴿إن الله﴾ إن واسمها. ﴿تواب﴾ خبرها. ﴿رحيم﴾ خبر ثانٍ. والجملة تعليل. ﴿يا أيها﴾ منادى مبنيّ على الضم في محل نصب. وها للتنبيه. ﴿الناس﴾ نعت لأي باعتبار لفظها. ﴿إنّا﴾ إنّ واسمها. ﴿خلقناكم﴾ فعل وفاعل ومفعول والجملة خبر إنّ. ﴿من ذكر﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿وأنثى﴾ معطوف على ذكر. ﴿وجعلناكم﴾ معطوف على خلقناكم. ﴿شعوباً﴾ مفعول ثانٍ. ﴿وقبائل﴾ معطوف على المفعول. ﴿لتعارفوا﴾ فعل وفاعل. والفعل منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور باللام متعلق بجعلناكم. ﴿إن أكرمكم﴾ إن واسمها. ﴿عند﴾ متعلق بأكرم.

﴿الله﴾ مضاف إلى عند. ﴿أتقاكم﴾ خبر إنّ مرفوع بضمة مقدرة على الألف. والضمير فيه مضاف إليه. ﴿إن الله عليم خبير﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب جملة إن الله تواب رحيم. ﴿قالت الأعراب﴾ فعل وفاعل. ﴿آمنا﴾ فعل وفاعل.

والجملة مقول القول. ﴿**قل: لم تؤمنوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي الجازم. ﴿**ولكن قولوا**﴾ مستدرك على قالوا: آمنا. ﴿**أسلمنا**﴾ فعل وفاعل. والجملة مقول القول. ﴿**ولما يدخل الإيمان**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه لمّا النافية للماضي والحال. ﴿**في قلوبكم**﴾ متعلق بيدخل. ﴿**وإن تطيعوا الله**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الشرط الجازم. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف على الله. ﴿**لا يلتكم**﴾ فعل مضارع مجزوم في جواب الشرط ولا حرف نفي. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**من أعمالكم**﴾ متعلق بيلتكم. ﴿**شيئاً**﴾ مفعول به. ﴿**إن الله غفور رحيم**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**إنما المؤمنون**﴾ مبتدأ دخل عليه حرف الحصر ﴿**الذين**﴾ في محل رفع خبر المبتدإِ. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الذين. ﴿**بالله**﴾ متعلق بآمنوا. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف على الله.

﴿**ثم لم يرتابوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي الجازم. وهو معطوف بثم على ما قبله. ﴿**وجاهدوا**﴾ فعل وفاعل. معطوف على ما قبله. ﴿**بأموالهم**﴾ متعلق بجاهدوا. ﴿**وأنفسهم**﴾ معطوف على أموالهم. ﴿**في سبيل**﴾ متعلق بجاهدوا. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سبيل. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ أول. ﴿**هم**﴾ في محل رفع مبتدأ ثانٍ. ﴿**الصادقون**﴾ خبر المبتدإِ الثاني. والمبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدإِ الأول. ﴿**قل**﴾ فعل أمر. ﴿**أتعلمون الله**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الاستفهام. والجملة مقول القول. ﴿**بدينكم**﴾ متعلق بأتعلمون. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**يعلم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر المبتدإِ. والجملة حال من الله في أتعلّمون الله. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**في السماوات**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**وما في الأرض**﴾ معطوف على ما في السماوات. ﴿**واللَّهُ**﴾ مبتدأ. ﴿**بكل**﴾ متعلق بالخبر الآتي. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**عليمٌ**﴾ خبر المبتدإِ والجملة تذييل. ﴿**يمنّون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**عليك**﴾ متعلق بيمنون. ﴿**أن أسلموا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه أن المصدرية. وتؤول بما بعدها بمصدر مجرور بحرف جر مقدر متعلق بيمنون. والتقدير: يمنون عليك بإسلامهم. ﴿**قل: لا تمنوا عليّ إسلامَكم**﴾ نهى عن المنّ بإسلامهم.

﴿**بل الله**﴾ مبتدأ دخل عليه حرف الإضراب. ﴿**يمنُّ**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر المبتدإِ. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بيمنُّ. ﴿**أن هداكم**﴾

فعل ماض دخلت عليه أن المصدرية والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على الله. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف جر مقدر متعلق بيمنّ. أي: بل الله يمن عليكم بهدايتكم. ﴿**للإيمان**﴾ متعلق بهداكم. ﴿**إن كنتم**﴾ كان واسمها دخل عليها حرف الشرط. ﴿**صادقين**﴾ خبر كان. وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله. ﴿**إن الله**﴾ إن واسمها. ﴿**يعلم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر إنّ. ﴿**غيب**﴾ مفعول به. ﴿**السماوات**﴾ مضاف إلى غيب. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**بصير**﴾ خبره. ﴿**بما**﴾ متعلق ببصير.. ﴿**تعملون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله..**﴾ وجه ارتباط هذه السورة بالسورة التي قبلها: السورتان مدنيتان. وختمت الأولى بالذين آمنوا، وافتتحت هذه بالذين ءامنوا. وتلك تضمنت تشريف الرسول وهذه كذلك.. فإن الله تعالى لما بين محل الرسول وعلو منصبه بقوله: هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق.. وعينه بالاسم العلم «محمد». افتتح في هذه السورة بقوله يا أيها الذين ءامنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله.. ففيه تأكيد لما ذكر هناك من وجوب اتباع الرسول محمد والإذعان له. وفي هذه السورة نتائج ما ذكر في السورة قبلها من النصر والتأييد والفتح. وها هي الوفود تأتي من أنحاء بلاد العرب خاضعة مستسلمة!.. فافتتح هذا الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على أن ما حيّزِهِ أمر خطير يستدعي مزيد اعتنائهم بشأنه وفرط اهتمامهم بتقبله ومراعاته. ووصفهم بالإيمان لتنشيطهم، والإيذان بأنه داع إلى المحافظة عليه ووازع عن الإخلال به. مع ما يؤذن به أصله من أهليتهم لتلقّى هذا النهي بالامتثال، وتركيب لا تقدموا بين يدي الله ورسوله تمثيل بتشبيه حال من يفعل فعلاً دون إذن من الله ورسوله بحال من يتقدم على مماشيه في مشيه ويتركه خلفه. ووجه الشبه الانفراد عنه في الطريق.

وعطف ﴿**واتقوا الله**﴾ تكملة للنهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله ليدل على ترك إبرام شيء دون إذن الرسول من تقوى الله وحْدَه. وجملة ﴿**إن الله سميع**

عليم﴾ في موضع العلة للنهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله وللأمر بتقوى الله. **﴿يا أيها الذين ءامنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبئ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾**: فصلت هذه الآية عما قبلها فلم تعطف. لما فيها من إعادة النداء ثانياً للاهتمام بهذا الغرض. والإشعار بأنه غرض جدير بالتنبيه عليه بخصوصه. وهو شروع في النهي عن التجاوز في كيفية القول عند النبئ بعد النهي عن التجاوز في أي عمل من القول والفعل.. **﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾**: استئناف بياني؛ لأن التحذير في الآية قبله: أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون، يُثير النفس أن يسأل سائل عن ضد حال الذي يرفع صوته.. فقيل: إن الذين يغضّون.. الخ. وافتتاح الكلام بحرف التأكيد للاهتمام بمضمونه من الثناء عليهم وجزاء عملهم. وتفيد هذه الجملة تعليل النهيين بذكر الجزاء عن ضد المنهي عنهما. وأكد هذا الاهتمام باسم الإشارة في قوله: أولئك الذين.. مع ما في اسم الإشارة من التنبيه على أن المشار إليهم جديرون بالخبر المذكور بعده، لأجل ما ذكر من الوصف قبل اسم الإشارة. وامتحان القلوب للتقوى إخلاصها من شوائب الشك والمخالفة. **﴿لهم مغفرة وأجر عظيم﴾**: استئناف لبيان جزائهم تنويهاً بحالهم ومآلهم في الدنيا والآخرة. وفيه تعريض بسوء حال من ليس مثلهم.. **﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾**: هذا عرض لما حدث من بعض الوافدين على الرسول من أعراب البادية الذين ليست لهم دراية بأدب الإسلام. وكانت لهم عادات سيئة في معاملتهم بعضهم لبعض. وعدم العقل هنا ليس معناه الجنون.. وإنما معناه عدم الفهم الواعي لما جاء به الإسلام.. **﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم﴾**: ولو تحقق صبرهم لتحقق رجاء الخير لهم.. ولكنهم استعجلوا فعوتبوا هذا العتاب.. وعلى كل حال.. فهم معذورون يستحقون المغفرة والرحمة: **﴿والله غفور رحيم. يا أيها الذين ءامنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا: أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾**: هذا نداء ثالث، ابتدىء به غرض آخر، وهو آداب جماعات المؤمنين بعضهم مع بعض.. فهو يحرّضهم على التثبت والتبيّن والتأني في الأمور التي لم تظهر لهم على حقيقتها: مثل الخبر المهم يأتي من شخص مجهول خارج غير أهل للقبول.

أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين! **﴿واعلموا أن فيكم**

رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لَعَنِتُّم﴾: وصل الكلام بالعطف على ما قبله. عطف تشريع على تشريع. وابتداء هذا الكلام بكلمة اعلموا للاهتمام به. وجملة أن فيكم رسول الله خبر مستعمل في الإيقاظ والتحذير على وجه الكناية.. فإن كون الرسول بين ظهرانَيْهِم أمر معلوم لا يخبر عنه. والمقصود تعليم المسلمين باتّباع ما شرع لهم رسول الله من الأحكام ولو كانت غير موافقة لرغباتهم. وصيغة المضارع في «لو يطيعكم» مستعملة في الماضي لأن حرف لو يفيد تعليق الشرط في الماضي: وإنما عدل إلى صيغة المضارع؛ لأن المضارع صالح للدلالة على الاستمرار. وتقديم خبر أنّ على اسمها في جملة أنّ فيكم رسول الله للاهتمام بهذا الكون فيهم، وتنبيهاً على أن واجبهم الاغتباط به والإخلاص له؛ لأن كون الرسول فيهم شرف عظيم، لجماعتهم وصلاح لهم!. **﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان﴾**: الاستدراك المستفاد من «لكنّ» ناشىء عن جملة لو يطيعكم.. وذكر اسم الله تعالى في صدر جملة الاستدراك دون ضمير المتكلم؛ لما يشعر به اسم الله من المهابة والروعة، وما يقتضيه من واجب تقبل ما حُبّب إليه، ونبذ ما كُرّه إليه. وعُدّى فعلاَ حَبّب وكرّه بحرف إلى لتضمينهما معنى بلّغ. وجملة **﴿أولئك هم الراشدون﴾** معترضة للمدح والتنويه بشأنهم وما هم عليه من السداد والرشاد!. وعلل ذلك بقوله **﴿فضلاً من الله ونعمة﴾**. أي: لأجل الفضل والنعمة حبب إليكم الإيمان.. وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان..

وجملة **﴿والله عليم حكيم﴾** تذييل مقرر لمضمون جملة واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتّم، للإشارة إلى أنّ ما ذكر فيها من آثار علم الله وحكمته. **﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما.. فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله.. فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾**: هذه الآية جاءت متصلة بالعطف على آية يا أيها الذين ءامنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا.. الخ.. فقد ينشأ عن خبر خطير من شخص مجهول الحال خارج غير معروف القصد؛ يبث بين المسلمين ما سينشأ عنه قتال مرير!!.. فعلى هذا جاء هذا الحكم الذي يفصل بين الطائفتين المتقاتلتين ثم علّل الله هذا الحكم بقوله تعالى: **﴿إنما المؤمنون إخوة.. فأصلحوا بين أخويكم.. واتقوا الله.. لعلكم ترحمون﴾**. وجيء بصيغة

القصر «إنما المؤمنون. .» المفيدة لحصر حالهم في حال الأخوّة مبالغة في تقرير هذا الحكم بين المسلمين. أي: أنهم منتسبون إلى أصل واحد؛ هو الإيمان الموجب للحياة الأبدية. والفاء في قوله تعالى: فأصلحوا. . للإيذان بأن الأخوّة الدينية موجبة للإصلاح. ووضع المظهر «أخويكم» مقام المضمر مضاف إلى المأمورين للمبالغة في تأكيد وجوب الإصلاح، والتحضيض عليه. وتخصيص الاثنين بالذكر لإثبات وجوب الإصلاح فيما فوق ذلك بالطريق الأَوْلى لتضاعف الفتنة والفساد فيه. ﴿**يا أيها الذين، ءامنوا لا يسخر قوم من قوم، عسى أن يكونوا خيراً منهم. ولا نساء من نساء، عسى أن يَكنّ خيراً منهن**﴾: هذا نداء رابع يَنْهَى الله فيه المؤمنين عن السخرية سواء كانوا رجالاً أو نساء. . فإن مناط الخيرية في الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور والأشكال، ولا الأوضاع والأطوار التي عليها يدور أمر السخرية غالباً. . بل إنما هي الأمور الكامنة في القلوب. . فلا يجترىء أحد على استحقار أحدٍ. . فلعله أجمع منه لما نيط به من الخيرية عند الله تعالى. . . فيظلم نفسه بتحقير من وقّره الله، والاستهانة بمن عظمه الله. ﴿**ولا تلمزوا أنفسكم**﴾: تفصيل بعد الإجمال. . ﴿**ولا تنابزوا بالألقاب**﴾: موصول بالعطف على ما قبله. . ﴿**بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان**﴾: كلمة بِئْس ضد كلمة نِعْم. . فبئس تختص بالذم على فعل أو قول أو حال بلغ غاية القباحة والفظاعة والشناعة!!. . ﴿**ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون يا أيها الذين ءامنوا اجتنبوا كثيراً من الظن؛ إن بعض الظن إثم**﴾: أعيد النداء خامس مرة؛ لاختلاف الغرض والاهتمام به. . فجملة إن بعض الظن إثم تعليل للأمر بالاجتناب بطريق الاستئناف البياني؛ لأن جملة اجتنبوا كثيراً من الظن يستوقف السامع ليطلب البيان. . فقيل: إن بعض الظن إثم. ﴿**ولا تجسّسوا**﴾: موصول بالعطف على ما قبله. وهو ناتج عن سوء الظن المنهّى عنه. . فالتجسس البحث عن المعايب. . ﴿**ولا يغتب بعضكم بعضاً**﴾: ناتج آخر من نتائج سوء الظن. . فالغيبة: الذكرُ بالعَيْبِ في ظهر الغيب.

ومعناها شرعاً كما في الحديث: ذكرك أخاك بما يكره. . فإن كان فيه فهو غيبة. وإلا فهو بهتان! ﴿**أيحب أحدُكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً**﴾؟!: هذا تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه، ومن حيث تعلقه بصاحبه على أفحش وجه وأشنعه طبعاً وعقلاً وشرعاً؛ مع مبالغات من فنون شتى:

الاستفهام التقريري، وإسناد الفعل إلى أحد، إيذاناً بأن أحداً من الأحدين لا يفعل ذلك، وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة! وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان وجعل المأكول أخاً للآكل وميّتاً! وإخراج تماثُلِها مخرج أمْرٍ بَيّن غنيّ عن الإخبار به. ولما قررهم بأنّ أحداً منهم لا يحب أكل جيفة أخيه عقب ذلك بقوله: فكرهتموه.. فتحققت كراهتكم له باستقامة العقل.. فليتحقق أن تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة باستقامة الدين. ﴿**واتقوا الله إن الله تواب رحيم**﴾: تذييل مقرر لمضمون ما قبله. ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا؛ إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**﴾: بعد تلك النداآت الخمس المتكررة للذين ءامنوا، وأخذهم إلى تلك الآفاق السامية الناصعة الوضيئة من الآداب النفسية والشخصية، والآداب العامة الاجتماعية، وإقامة تلك السياجات القوية من الضمانات حول كرامتهم وحريتهم وحرماتهم، وضمان ذلك كله بتلك الحساسية التي يثيرها في أرواحهم بالتطلع إلى الله وتقواه.. فبعد هذه المدارج إلى تلك الآفاق السامقة يهتف بالإنسانية جميعها على اختلاف أجناسها وألوانها؛ ليردها إلى أصل واحد، وإلى ميزان واحد. هو الذي تقوم به تلك الجماعة المختارة الصاعدة إلى تلك الآفاق الرفيعة الكريمة!. فمن رام نبل هذه الدرجات الْعُلَى فعليه أن يأخذ بطريق التقوى. والله أعلم بالسر والنجوى. ﴿**قالت الأعراب ءامنا، قل: لم تؤمنوا، ولكن قولوا: أسلمنا، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم، وأن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً؛ إن الله غفور رحيم**﴾: هذه الآية جاءت مناسبة لبيان حقيقة الإيمان وقيمته في الرد على الأعراب الذين قالوا: آمنا وهم لا يدركون حقيقة الإيمان النابع من القلب.. ولكنهم يعدّون الإيمان الصادر من اللسان إيماناً يحميهم من مغبة اللوم والعتب!.. ثم بين الله لهم حقيقة الإيمان الحقيقي الخالي من الشك والريب: ﴿**إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله.. ثم لم يرتابوا. وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله. أولئك هم الصادقون..**﴾

ثم يستطرد السياق مع الأعراب يعلمهم أن الله أعلم بقلوبهم وما فيها.. وأنه هو يخبرهم بما فيها ولا يتلقى منهم العلم عنها: ﴿**قل: أتعلمون الله بدينكم؟! والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض، والله بكل شيء عليم..**﴾ ثم بعد بيان حقيقة الإيمان التي لم يدركوها ولم يبلغوها يتوجه السياق إلى الرسول ﷺ بالخطاب عن منِّهم عليه بالإسلام: ﴿**يمنون عليك أن أسلموا!.. قل: لا تمنوا**

عَلَيّ إسلامكم.. بل الله يمن عليكم: أن هداكم للإيمان.. إن كنتم صادقين..﴾ ثم عرض السياق بأن هؤلاء الأعراب غير صادقين فيما ادّعوه من الإيمان: **﴿إن الله يعلم غيب السماوات والأرض.. والله بصير بما تعملون﴾**: تذييل مقرر لمضمون ما في السورة من أولها إلى آخرها.. ففيه براعة ردّ العجز على الصدر. وبراعة المقطع يشبه ما بُدىء به في أول السورة من براعة المطلع!!. وهو: إن الله سميع عليم.. والله بصير بما تعملون.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجه الأول: ﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم..﴾: في هذا التوجيه النداء الأول يَنْهَى الله المؤمنين فيه بالتقدم بين يدي الله ورسوله ويأمرهم بتقوى الله ويضيف إليه النداء الثاني.. الثاني بما فيه من أوامر ونواهي.. فتبدأ هذه السورة بنداء: نداء من الله للذين ءامنوا به بالغيب. واستجاشة لقلوبهم بالصفة التي تربطهم به وتشعرهم بأنهم له.. فأولى لهم أن يقفوا حيث أراد لهم أن يكونوا، وأن يقفوا بين يدي الله موقف المنتظر لقضائه وتوجيهه؛ يفعل ما يُؤمر، ويرضى بما يُقسم، ويسلم ويستسلم.. فلا يخرج في تصرفه عن أمر الله ورسوله. فهذا أدب نفسي مع الله ورسوله.. وهو منهج في التلقي والتنفيذ.. وهو أصل من أصول التشريع والعمل في الوقت ذاته.. وهو منبثق من تقوى الله.. هذه التقوى النابعة من الشعور بأن الله سميع عليم.. فكل هذه في آية واحدة قصيرة، تُلمس وتُصوّر هذه الحقائق الأصيلة الكبيرة!!.. فكذلك تأدُّب المؤمنين مع ربهم ومع رسولهم.. فما عاد مقترح منهم يقترح على الله ورسوله..

وما عاد واحد منهم يُدلي برأي لم يُطلَب منه أن يدلى به. وما عاد أحد منهم يقضي برأيه في رأي أو حكم إلا أن يرجع قبل ذلك إلى قول الله وقول الرسول.. فهذه صورة من الأدب ومن التحرج ومن التقوى التي انتهى إليها المؤمنون بعد سماعهم ذلك النداء وذلك التوجيه وتلك الإشارة إلى التقوى: تقوى الله السميع العليم. والأدب الثاني في النداء الثاني هو أدبهم مع رسولهم ونبيئهم في الحديث والخطاب، وتوقيرهم له في قلوبهم توقيراً ينعكس على نبراتهم وأصواتهم.. فيميز شخص رسول الله بينهم، ويميز مجلسه فيهم. والله يدعوهم إليه بذلك النداء

الحبيب، ويحذرهم من مخالفة ذلك التحذير الرهيب: **﴿يا أيها الذين ءامنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبئ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون..﴾** فقد عمل هذا النداء في نفوس الصحابة رضي الله عنهم عمله الذي ظهر سريعاً على ملامحهم وأصواتهم وتحركاتهم وجميع تصرفاتهم.. فتأدبوا في حضرة النبئ.. ونوّه الله بتقواهم وغضهم أصواتهم عند رسولهم في تعبير بديع: **﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله، أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى..﴾** فالتقوى هبة عظيمة، يختار الله لها القلوب بعد امتحان واختبار، وبعد تخليص وتمحيص.. فلا يضعها في قلب إلا وقد تهيأ لها، وقد ثبت أنه يستحقها. والذين يغضون أصواتهم عند رسول الله قد اختبر الله قلوبهم وهيأها لتلقي تلك الهبة: هبة التقوى، وقد كتب لهم معها وبها المغفرة والأجر العظيم: **﴿لهم مغفرة وأجر عظيم﴾**!!.. ثم أشار السياق إلى حادث وقع من وفد بني تميم حين قدموا على رسول الله في العام التاسع الذي سُمّي عام الوفود؛ لمجيء وفود العرب من كل مكان بعد فتح مكة، ودخولهم في الإسلام. وكانوا أعراباً جُفاة.. فنادوا من وراء حجرات أمهات المؤمنين المطلة على المسجد النبوي الشريف: يا محمد.. أخرج لنا..

فكره النبئ ﷺ هذه الجفوة، وهذا الإزعاج.. فنزل قوله تعالى: **﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون. ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم..﴾** فوصفهم الله تعالى بأن أكثرهم لا يعقلون وكرّه إليهم النداء على هذه الصفة المنافية للأدب والتوقير اللائق بشخص النبئ.. وحرمة رسول الله القائد والمربى. وبيّن لهم الأولى والأفضل. وهو الصبر والانتظار.. حتى يخرج إليهم. وحبب إليهم التوبة والإنابة، ورغبهم في المغفرة والرحمة. وقد وَعَى المسلمون هذا الأدب الرفيع، وتجاوزوا به شخص الرسول إلى كل أستاذ وعالم.. فكانوا لا يدخلون على عالم في بيته ولا يزعجونه؛ حتى يخرج إليهم.. ولا يقتحمون عليه حتى يدعوهم.. يحكي عن أبي عبيد ـ العالم الزاهد الثقة ـ أنه قال: ما دققت باباً على عالم قطُّ حتى يخرج في وقت خروجه!!..

التوجيه الثاني: ﴿يا أيها الذين ءامنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا

قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين. .﴾: في هذا التوجيه النداء الثالث للمؤمنين. . فكان النداء الأول لتقرير جهة القيادة ومصدر التلقي. وكان النداء الثاني لتقرير ما ينبغي من أدب للقيادة وتوقير. وجاء النداء الثالث مقرراً للأساس الذي تكون عليه كافة التوجيهات والتشريعات في السورة. . فلا بد على هذا من وضوح المصدر الذي يتلقى عنه المؤمنون؛ لتصبح للتوجيهات بعد ذلك قيمتها ووزنها وطاعتها. ومن ثَمّ جاء هذا النداء الثالث يبين للمؤمنين كيف يتلقون الأنباء وكيف يتصرفون بها. . فيقرر ضرورة التثبت من مصدرها. والأصل في الجماعة المؤمنة أن يكون أفرادها موضع ثقتها. . فأما الفاسق ـ وهو الخارج المجهول الحال ـ فهو موضع الشك حتى يثبت خبره ويتبين صدقه. وبذلك يستقيم أمر الجماعة. . فمدلول الآية عام. وهو يتضمن مبدأ التمحيص والتثبت من خبر مجهول الحال. . حتى لا يشيع الشك بين الجماعة المؤمنة في كل ما ينقله أفرادها من أنباء. . فيقع ما يشبه الشلل في معلوماتها؛ لما يصل إليها من أنباء. . فلا تعجل الجماعة في تصرفٍ، بناءً على خبر فاسق مجهول الحال. . فتصيب قوماً بظلم عن جهالة وتسرع، فتندم على ارتكابها فيما يغضب الله، ويُجانب الحق والعدل في اندفاع وعجلة. . فالتثبت من الله والعجلة من الشيطان. والإسلام يدع الحياة تسير في مجراها الطبيعي، ويضع الضمانات والحواجز لصيانتها لا لتعطيلها. . فهذا نموذج من الإطلاق والاستثناء في مصادر الأخبار. ومن مقتضيات العلم بهذا الأمر العظيم أن لا يقدموا بين يدي الله ورسوله. . وأن يكونوا مع الرسول في كل أمر من الأمور. وهو يخبرهم أن تدبيره فيه الخير لهم والرحمة واليسر. وأن الرسول لو أطاعهم فيما يبدو لهم أنه خير لعنتوا وشق عليهم الأمر: **﴿واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لَعَنتُّم. .﴾**

ففي هذا توجيه لهم بأن يتركوا أمرهم لله ورسوله، وأن يدخلوا في السلم كافة، ويستسلموا لقدر الله وتدبيره، ويتلقوا عنه ولا يقترحوا عليه!. . ثم يوجههم إلى نعمة الإيمان الذي هداهم إليه. وحرك قلوبهم لِحُبِّه، وكشف لهم عن جماله وفضله، وعلق أرواحهم به. وكرّه إليهم الكفر والفسوق والمعصية. وكان هذا كله من رحمة الله وفيضه: **﴿ولكنّ الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم، وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان، أولئك هم الراشدون. فضلاً من الله ونعمة، والله عليم حكيم. .﴾** فاختيار الله لفريق من عباده، ليشرح صدورهم للإيمان ويحرك

قلوبهم إليه ويزينه لهم.. فتهفو إليه أرواحهم وتدرك ما فيه من جمال وخير!. هذا الاختيار فضل من الله ونعمة دونها كل فضل وكل نعمة.. والذي يستوقف النظر هو تذكيرهم بأن الله تعالى هو الذي أراد بهم هذا الخير. وهو الذي خلّص قلوبهم من ذلك الشر: الكفر والفسوق والعصيان.. وهو الذي جعلهم بهذا راشدين مستقيمين ثابتين راسخين! فضلاً من الله ونعمة. وأن ذلك كله كان عن علم منه وحكمة.. ففي تقرير هذه الحقيقة إشارة لهم كذلك بالاستسلام لتوجيه الله وتدبيره، والاطمئنان إلى ما وراءه من خير لهم وبركة؛ وترك الاقتراح والاستعجال والاندفاع فيما قد يظنونه خيراً لهم.. فالله يختار لهم الخير، ورسول الله فيهم يأخذ بيدهم إلى هذا الخير. وهذا هو التوجيه المقصود في التعقيب. إن الإنسان ليعجل، وهو لا يدري ما وراء خطوته.. وأن الإنسان ليقترح لنفسه ولغيره، وهو لا يعرف ما الخير وما الشر فيما يقترح.. فلو استسلم لله ودخل في السلم كافة ورضي اختيار الله له، واطمأن إلى أن اختيار الله أفضل من اختياره وأرحم له وأعود عليه بالخير لاستراح وسكن. ولأمضى هذه الرحلة القصيرة في هذه الحياة الدنيا في طمأنينة ورضى..

ثم يبين السياق قاعدة تشريعية عملية لصيانة المجتمع المؤمن من الخصام والتفكك تحت النزوات والاندفاعات؛ تأتي تعقيباً على تبين خبر الفاسق، وعدم العجلة والاندفاع وراء الحمية والحماسة قبل التثبت والاستيقان: **﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما.. فإنْ بَغَتْ إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي.. حتى تفيء إلى أمر الله.. فأن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل..﴾** فالقرءان قد وَاجَه ـ أو هو يفترض ـ إمكان وقوع القتال بين طائفتين من المؤمنين، ويستبقي لكلتا الطائفتين وصف الإيمان مع اقتتالهما، ومع احتمال أنّ إحداهما قد تكون باغية على الأخرى. ـ وهو يكلف الذين ءامنوا ـ من غير الطائفتين المتقاتلتين أن يقوموا بالإصلاح بين المتقاتلتين.. فإن بغت إحداهما فلم تقبل الرجوع إلى الحق فعلى المؤمنين أن يقاتلوا البغاة إذن. وأن يظلوا يقاتلونهم حتى يرجعوا إلى أمر الله. وأمر الله هو وضع الخصومة بين المؤمنين، وقبول حكم الله فيما اختلفوا فيه وأدى إلى الخصام والقتال.. فإذا تمّ قبول البغاة لحكم الله قام المؤمنون بالإصلاح على العدل الدقيق طاعة لله وطلباً لرضاه: **﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾**. ويعقب السياق على هذه الدعوة وهذا الحكم باستجاشة قلوب الذين ءامنوا

واستحياء الرابطة الوثيقة بينهم، والتي جمعتهم بعد تفرق وألَّفَتْ بينهم بعد خصام، وتذكيرهم بتقوى الله، والتلويح لهم برحمته التي تُنال بتقواه: ﴿**إنما المؤمنون إخوة. . فأصلحوا بين أخويكم، واتقوا الله لعلكم ترحمون. .**﴾ فمن مقتضى هذه الأخوة: أن يكون الحب والسلام والتعاون والوحدة هو الأصل في الجماعة المسلمة. . فأما الاختلاف أو التفرق والتنازع والقتال هو الاستثناء الذي يجب أن يرد إلى الأصل فور وقوعه. . فواضح من هذا النص: أن هذا النظام ـ نظام التحكيم وقتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله ـ نظام له السبق من حيث الزمن ـ على كل محاولات البشرية في هذا الطريق. وله الكمال والبراءة من العيب والنقص الواضحين في كل محاولة من محاولات الأنظمة الحديثة القاصرة التي تحاولها الآن بعض الحكومات والمجتمعات اليائسة!!. . وله بعد هذا وذاك صفة النظافة والأمانة والعدل المطلق؛ لأن الاحتكام فيه إلى أمر الله الذي لا يشوبه غرض ولا هوى، ولا يتعلق به نقص أو قصور. . ولكن البشرية البائسة اليَائسة لا زالت تتعثر وتكبو! وأمامها الطريق الواضح الممهد المستقيم؛ لأن قيادتها الآن في يدي الشيطان الرجيم!.

التوجيه الثالث: ﴿**يا أيها الذين ءامنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن. .**﴾: في هذا التوجيه النداء الرابع للمؤمنين ينهاهم فيه عن السخرية واللمز والنبز. . والنداء الخامس فيه النهي عن الظن والتجسّس والغيبة. . فالمجتمع الفاضل الذي يقيمه الإسلام بِهدْي القرءان مُجتَمع له أدب رفيع؛ ولكل فرد فيه كرامتُه التي لا تُمس. وهي من كرامة المجموع. ولمز أي فرد هو لمز لذات النفس؛ لأن الجماعة كلها وحدة. كرامتها واحدة. والقرءان في هذه الآية يهتف للمؤمنين بهذا النداء: ينهاهم فيه أن يسخر قوم بقوم. . فلعلهم خير منهم عند الله. أو أن تسخر نساء من نساء، فلعلهن خير منهنّ في ميزان الله. وفي التعبير إيحاء خفي بأن القيم الظاهرة التي يراها الرجال في أنفسهم. وتراها النساء في أنفسهن ليست هي القيم الحقيقية التي يوزن بها الناس. . فهناك قيم أخرى قد تكون خافية عليهم؛ يعلمها الله ويزن بها العباد. . فقد يسخر الرجل الغنيّ من الرجل الفقير. والرجل القوي من الرجل الضعيف. وقد يسخر الذكي اللامع من الغني الخامع. وقد يسخر ذو الأولاد من العقيم. وذو العصبية من اليتيم. . وقد تسخر المرأة الجميلة من القبيحة والشابة من العجوز.

والغنية من الفقيرة.. ولكن هذه وأمثالها من قيم الأرض ليست هي المقياس.. فميزان الله يرفع ويخفض بغير هذه الموازين!. ولكن القرآن لا يكتفي بهذا الإيحاء.. بل يستجيش عاطفة الأخوة الإيمانية، ويذكّر الذين ءامنوا بأنهم نفس واحدة من يلمزها فقد لمز نفسه: ﴿**ولا تلمزوا أنفسكم.. ولا تنابزوا بالألقاب..**﴾ ومن السخرية واللمز التنابز بالألقاب التي يكرهها أصحابها، ويحسون فيها سخرية وعيباً. ومن حق المؤمن على المؤمن أن لا يناديه بلقب يكرهه ويُزري به.

ومن أدب المؤمن أن لا يؤذي أخاه بمثل هذا.. ثم بعد الإيحاء بالقيم الحقيقية في ميزان الله.. وبعد استجاشة شعور الأخوة ـ بل شعور الاندماج في نفس واحدة ـ يستثير النص معنى الإيمان، ويحذر المؤمنين من فقدان هذا الوصف الكريم والخروج عنه والانحراف بالسخرية واللمز والتنابز: ﴿**بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان..**﴾ فهو شيء يشبه الارتداد عن الإيمان. ويهدد النصُّ باعتبار هذا ظلماً؛ والظلم أحد التعبيرات عن الشرك: ﴿**ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون..**﴾ فبذلك تضع هذه الآيةُ قواعدَ الأدب النفسي لذلك المجتمع الفاضل الكريم.. ثم يأتي بعد هذا النص النداء الأخير للمؤمنين في هذه السورة: ﴿**يا أيها الذين ءامنوا اجتنبوا كثيراً من الظن، إن بعض الظن إثم..**﴾ فهذه الآية تقيم سياجاً آخر في هذا المجتمع الفاضل الكريم حول حرمات الأشخاص وكراماتهم وحرياتهم، بينما هي تعلم الناس كيف ينظّفون مشاعرهم وضمائرهم في أسلوب مؤثّر عجيب!.. فتبتدىء بأمر المؤمنين باجتناب كثير من الظن.. فلا يتركوا نفوسهم نهباً لكل ما يهجس فيها حول الآخرين من ظنون وشبهات وشكوك. وتعلل الآية هذا الأمر: إن بعض الظن إثم. وما دام النهي منصباً على أكثر الظن، والقاعدة أن بعض الظن إثم، فإن إيحاء هذا التعبير هو اجتناب الظن السيىء أصلاً؛ لأنه لا يُدري أي الظنون تكون إثماً!. بهذا يُطهّر القرءان ضمير الإنسان من داخله أن يتلوث بالظن السيىء فيقع في الإثم. ويدعه نقياً بريئاً من الهواجس والشكوك، نظيفاً يكنّ لإخوانه المودة التي لا يخدشها ظن السوء؛ والبراءة التي لا تلوثها الريب والشكوك، والطمأنينة التي لا يعكرها القلق والتوقع. وما أَرْوَحَ الحياةَ في مجتمع بريء من الظنون!.. فأيّ مدى من صيانة كرامة الناس وحرياتهم وحقوقهم واعتبارهم ينتهي إليه هذا النص؟!..

ثم يستطرد السياق في ضمانات المجتمع إلى مبدإٍ آخر يتصل باجتناب

الظنون: ﴿**ولا تجسسوا**. .﴾ فالتجسّس قد يكون هو الحركة التالية للظن؛ وقد يكون حركة ابتدائية لكشف العورات والاطلاع على السوءات. إن للناس حرياتهم وحرماتهم وكراماتهم التي لا يجوز أن تنتهك في صورة من الصور، ولا أن تُمسّ بحال من الأحوال. . ففي المجتمع الإسلامي الرفيع الكريم يعيش الناس ءامنين على أنفسهم، آمنين على بيوتهم، آمنين على أسرارهم. . فلا يوجد مبرر ـ مهما يكن ـ لانتهاك الأنفس والبيوت والأسرار. . حتى ذريعةٍ تتبّع الجريمةِ وتحقيقها لا تصلح في النظام الإسلامي ذريعة للتجسّس على الناس. . فالناس على ظواهرهم وليس لأحد أن يتعقب بواطنهم. . فهكذا أخذ النص طريقه في النظام العملي للمجتمع الإسلامي!. بعد ذلك يجيء النهي عن الغيبة في تعبير عجيب يبدعه القرءان إبداعاً لأجل التأنيب والتأديب والتهذيب!: ﴿**ولا يغتب بعضكم بعضاً؛ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً؟!. . فكرهتموه**. .﴾ ثم يعقب السياق على كل ما نهاهم الله عنه من سخرية وظن وتجسس وغيبة باستجاشة شعور التقوى، والتلويح لمن اقترف من هذا شيئاً أن يبادر بالتوبة تطلعاً للرحمة: ﴿**واتقوا الله إن الله تواب رحيم**. .﴾

التوجيه الرابع: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**. .﴾: في هذا التوجيه النداء العام لجميع الناس بعد النداءات الخاصة بالمؤمنين. . فهذا نداء يهتف بالإنسانيّة جميعها على اختلاف أجناسها وألوانها؛ ليردها إلى أصل واحد من آدم ومن زوجِهِ؛ ليكونا النموذج الأول لجميع الناس. . فالغاية من خلق الناس من أصل واحد وتفرقهم شعوباً وقبائل ليست التناحر والخصام. . إنما هي التعارف والوئام. وهذا التنوع لا يقتضي النزاع والشقاق. . بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف، والوفاء بجميع الحاجات. وليس للّون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعاني من حساب في ميزان الله. . إنما هنالك ميزان واحد تتحدد به القيم، ويُعرف به فضلُ الناس: إن أكرمكم عند الله أتقاكم. . فالكريم حقاً هو الكريم عند الله. وهو يزنكم عن علم وعن خبرة بالقيم والموازين: إن الله عليم خبير. . فهكذا تسقط جميع الفوارق، وتسقط جميع القيم، ويرتفع ميزان واحد بقيمة واحدة. وإلى هذا الميزان يتحاكم البشر، وإلى هذه القيمة يرجع اختلاف البشر في الميزان. وهكذا تتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات في الأرض،

وترخص جميع القيم التي يتكالب عليها الناس. ويظهر سبب واحد ضخم واضح للألفة والتعاون: ألوهية الله للجميع؛ وربوبيته على هذا الخلق البديع!!. كما يرتفع لواء واحد يتسابق الجميع ليقفوا تحته: لواء التقوى في ظل الله!. وهذا هو اللواء الذي رفعه الإسلام لينقذ البشرية من أوصاب العصبية للجنس، والعصبية للأرض. والعصبية للقبيلة، والعصبية للبيت..

فكلُّها من الجاهلية وإليها.. وقد حارب الإسلام هذه العصبية الجاهلية في كل صورها وأشكالها؛ ليقيم نظامه الإنساني العالمي في ظل راية واحدة!. وفي نهاية المطاف في مجال حقيقة الإيمان، وبيان وصف المؤمنين أوضح بيان، ودعوة الناس جميعاً إلى هذا الميدان يأتي الرد صريحاً على الأعراب الذي قالوا آمنا باللسان دون أن تستقر حقيقته في الجنان: ﴿**قالت الأعراب: آمنا، قل: لم تؤمنوا، ولكن قولوا: أسلمنا..**﴾ فهؤلاء الأعراب دخلوا في الإسلام استسلاماً لِما ظهر لهم من ظهور الإسلام على مُناوئيه وانتصار الرسول على محاربيه.. فبين الله لهم حقيقة ما هو قائم في نفوسهم، وهم يقولون هذا القول، وأنهم دخلوا في الإسلام استسلاماً. ولم تصل قلوبهم بعد إلى مرتبة الإيمان: ﴿**ولما يدخل الإيمان في قلوبكم.. وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً إن الله غفور رحيم..**﴾ فالله سبحانه وتعالى يقبل من العبد أول خطوة ويرضى منه الطاعة والتسليم.. إلى أن يستشعر قلبه الإيمان والطمأنينة بمعرفة حقيقة الإيمان الصحيح: ﴿**إنما المؤمنون الذين ءامنوا بالله ورسوله.. ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله..**﴾ فالإيمان تصديق القلب بالله وبرسوله. التصديق الذي لا يَرِدُ عليه شك ولا ارتياب. التصديق المطمئن الثابت المستيقن، الذي لا يتزعزع ولا يضطرب، ولا تهجس فيه الهواجس، ولا يتلجلج فيه القلب والشعور.. والذي ينبثق منه الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله.. فالقلب متى تذوق حلاوة هذا الإيمان واطمأن إليه وثبت عليه لا بد مندفع لتحقيق حقيقته في الخارج: في واقع الحياة، في دنيا الناس!.. فهو انطلاق ذاتي من نفس المؤمن. يتحقق به الإيمان الصادق في قلب المؤمن: ﴿**أولئك هم الصادقون..**﴾ فهم الصادقون في عقيدتهم. الصادقون حين يقولون: إنهم مؤمنون.. ثم يستطرد السياق مع الأعراب يُعلمهم أن الله أعلم بقلوبهم وما فيها، وأنه هو يخبرهم بما فيها ولا يتلقى منهم العلم عنها: ﴿**قل: أتعلمون الله بدينكم؟ والله يعلم ما في السماوات وما في**

الأرض، والله بكل شيء عليم﴾. وبعد بيان حقيقة الإيمان التي لم يدركها الأعراب ومن يكون على شاكلتهم.. يتوجه الخطاب إلى رسول الله ﷺ مظهراً ما تكنّ الأعراب من منّ بإسلامهم الظاهر: ﴿**يمنّون عليك أن أسلموا..**﴾ فقد منّ الأعراب بإسلامهم على الرسول، وزعموا أنه هو الإيمان.. ﴿**قل: لا تمنوا عَلَيَّ إسلامكم**﴾ فالمنة لله عليهم، لو صدقوا في دعوى الإيمان: ﴿**بل الله يَمُنُّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين..**﴾ فهداية المؤمن للإيمان منّة عظيمة كريمة، لا يملكها ولا يهبها إلا الله العظيم الكريم!!.. فالله وحده هو العالم بمن يستحق هذا الفضل العظيم: ﴿**إن الله يعلم غيب السماوات والأرض والله بصير بما تعملون..**﴾ فالذي يعلم غيب السماوات والأرض يعلم غيب النفوس ومكنون الضمائر وحقائق الشعور. ويبصر ما يعمله الناس. ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. وبعدُ.. فهذه هي السورة الجليلة التي تكاد بآياتها الثمانية عشرة تستقل برسم معالم عالَم كريم نظيف رفيع سليم. بينما هي تكشف كبريات الحقائق من النواهي والأوامر وتقرر أصولها في أعماق النفوس المؤمنة.

5 ـ سورة قاف،
تذكّر الإنسان من البداية إلى نهاية المطاف..



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قٓ ۚ وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ ﴿1﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿2﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿3﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿4﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿5﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿6﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿7﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿8﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿9﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿10﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴿11﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿12﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿13﴾ وَأَصْحَٰبُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿14﴾ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿15﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿16﴾

إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17) مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا
لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (18) وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (19)
وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (20) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (21)
لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (22) وَقَالَ
قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (23) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (24) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ
مُّرِيبٍ (25) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (26) * قَالَ
قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (27) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ
وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ (28) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ
لِّلْعَبِيدِ (29) يَوْمَ يَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ (30)
وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (31) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (32) مَّنْ خَشِيَ
الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (33) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (34) لَهُم
مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (35) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا
فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ (36) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ
أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (37) وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ (38) فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ
الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (39) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ السُّجُودِ (40) وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ
الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (41) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (42) إِنَّا نَحْنُ



البيان

مبحث المفردات اللغوية:

﴿ق﴾: حرف من حروف التهجي. جاء مفرداً هنا. ومع العين والسين في سورة الشورى. ووجود القاف في الحروف المقطعة في أوائل السور أغنى عن وجود الفاء لاتحاد رسمهما ـ ف ق ـ قبل النقط. **﴿والقرءان المجيد﴾**: الرفيع العالي. والأصل في المجد: المروءة والسخاء والشرف. وصف القرءان بهذا الوصف لشرفه ولسعة معانيه وفوائد ما فيه. **﴿بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم.. فقال الكافرون: هذا شيء عجيب!.. آإذا متنا وكنا تراباً﴾**؟!.. فعجبهم وإنكارهم جاء أولاً من المنذر ـ محمد ـ وهو منهم.. ثم جاء ثانياً بأشد مما قبله في التعجب والإنكار.. فجاء قولهم على طريقة الاستفهام الإنكاري المستحيل الوقوع. ورجع بعيد: مستبعد مستنكر. مأخوذ من قولهم: هذا قول بعيد. **﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم﴾**: رد لاستبعادهم البعث بعد الموت؛ لأن الله يعلم ما تأكله الأرض من أجسادهم ودقائق حالاتهم أحياء وأمواتاً!. **﴿وعندنا كتاب حفيظ﴾**: زيادة على علمنا.. فالكتاب حافظ لأسمائهم وأوصافهم الظاهرة والباطنة!. **﴿بل كذبوا بالحق لما جاءهم.. فهم في أمر مريج﴾**: هم مضطربون في أمرهم. متزعزعة آراؤهم بتكذيبهم الحق الواضح الذي لا يضطرب معه فكر ولا يتزعزع فيه أمر. **﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم: كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج﴾**؟!.. فبالنظر إلى السماء وما فيها النظرَ الصحيحَ السليمَ يتحقق للناظر صحة ما يقول القرءان من ظواهر الملك وخفايا الملكوت فمن الشيء القريب المشاهد يتوصل العقل إلى الغيب الغريب المتباعد.. فهذه السماء الثابتة الراسخة، المزينة بالنجوم المتناثرة الشامخة، على ما يظهر فيها من تماسك وتناسق وصقالة؛ كلها منتظمة متراصّة!.

﴿والأرض مددناها. . وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج. .﴾ فمدّ الأرض سعتُها وامتدادها أمام السائر فيها. وألقينا فيها رواسي: جبال راسخات ثابتات.

وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج: من كل صنف يبتهج به لحسنه وجمال منظره. **﴿تبصرة وذكرى لكل عَبْدٍ منيب﴾**: فعلنا هذا تبصيراً وتذكيراً لكل عبد راجع إلى ربه متفكر في بدائع صنائعه، **﴿ونزلنا من السماء ماء مباركاً﴾**: الماء المنزّل من السماء فيه منافع كثيرة. **﴿فأنبتنا به جنات﴾**: أشجاراً ذات ثمار، **﴿وحب الحصيد﴾**: حب الزرع الذي شأنه أن يحصد؛ مثل القمح والشعير وأمثالهما. **﴿والنخل باسقات﴾**: مرتفعات في الجوّ حاملات للتمر: **﴿لها طلع نضيد﴾**. الطلع: كل ما يطلع من تمر النخيل، من أول خروجه إلى آخر نضوجه. والنضيد: المتراص المتناسق بعضه مع بعض، كما هو مشاهد!. **﴿رزقاً للعباد﴾**: أنبتناها لأجل رزق الناس. **﴿وأحيينا به بلدة ميتاً﴾**: أحيينا بذلك الماء المنزل من السماء أرضاً جدبة لاَ نَمَاءَ فيها، **﴿كذلك الخروج﴾**: مثلُ ذلك الإحياء إحياءُ الناس بعد مماتهم وخروجهم من قبورهم يوم البعث والنشور. **﴿كذبت قبلهم﴾**: قبل قريش. **﴿قوم نوح﴾**: أول قوم كذبوا رسولهم بأجمعهم، **﴿وما ءامَن معه إلا قليل﴾**. **﴿وأصحاب الرس﴾**: لم يبين النص من هم أصحاب الرس؛ لهذا اختلف المفسرون في معناها. **﴿وثمود﴾**: قوم صالح عليه السلام. **﴿وعادٌ﴾**: قوم هود - عليه السلام. **﴿وفرعون﴾**: هو وقومه. **﴿وإخوان لوط﴾**: القوم الذين أرسل إليهم لوط عليه السلام. **﴿وأصحاب الأيكة﴾**: قوم أرسل إليهم شعيب عليه السلام. **﴿وقوم تبع﴾**: قوم أحد ملوك التبابعة باليمن، **﴿كلٌّ كذّب الرسل﴾**: كل قوم من الأقوام كذبوا رسولهم الذي أرسل إليهم، **﴿فحقّ وعيدِ﴾**: فوجب وحلّ عليهم وعيدي، **﴿أفعيينا بالخلق الأول﴾**؟: استفهام إنكاري عن العجز المانع عن الخلق الأول حتى يلزم منه العجز عن الخلق الثاني!. . والعيّ بالأمر: العجز عنه، يقال: عيِيَ به إذا لم يهتد لوجه عمله. والعيُّ في العرف: الكلال والتعب من عمل شاق. . **﴿بل هم في لبس من خلق جديد﴾**: هم لم يشكوا في قدرة الله على الخلق الأول. ولكنهم التبس عليهم الأمر في الخلق الثاني. . فشكوا وتجبروا في أمر ثبت صدقه بالدليل. **﴿ولقد خلقنا الإنسان. . ونعلم ما توسوس به نفسه﴾**: نعلم عنه كل شيء. . حتى وسوسة نفسه به في أعماق سره!. والوسوسة: الصوت

الخفي. وهو حديث النفس دون حركة اللسان. والصوت الخفي بحركة اللسان يسمّى وشوشة في العرف. والشيطان يوسوس. والإنسان يوشوش.

﴿**ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**﴾: هذا مثل في فرط القرب. والحبل هنا: العرق. والوريد: بيان له. ﴿**إذ يتلقى المتلقيان، عن اليمين وعن الشمال قعيد**﴾: علم الله تعالى يتوصل إلى ما لا شيء أخفى منه حين يتلقى ويتلقن الحفيظان الموكلان بالإنسان ما يتلفظ به: ﴿**ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد..**﴾ فالملكان قعيدان عن يمين كل إنسان وشماله يكتبان كل ما يلفظ من قول، يرقبان كل ما يفعل من فعل. ملازمان له إلى أن يموت. ﴿**وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون**﴾ ﴿**وجاءت سكرة الموت بالحق**﴾: هذا بيان لما يحصل لكل إنسان عند انتهاء أجله. وهذا مشاهد لا يحتاج إلى دليل. وسكرة الموت: شدته الذاهبة بالعقل!. ﴿**ذلك ما كنت منه تحيد**﴾: ذلك الأمر ما كنت تهرب منه وتبتعد عنه! ﴿**كل نفس ذائقة الموت**﴾ ﴿**ونفخ في الصور.. ذلك يوم الوعيد..**﴾ فهذا أمر لا بد منه بعد نفخة الصور الأولى. ﴿**ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله.. ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون**﴾ ﴿**وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد**﴾: ملك يسوق الإنسان وملك يشهد عليه بما فعلت الجوارح وقال اللسان. ﴿**لقد كنت في غفلة من هذا**﴾: هنا يواجه الإنسان هذا القول اللاذع المرير!.. ﴿**فكشفنا عنك غطاءك**﴾: فأزلنا عنك غطاء الغفلة بما تشاهده.. ﴿**فبصرك اليوم حديد**﴾!.. البصر الحديد: النافذ الذي يرى ما بَعُدَ ودَقّ. والإنسان يوم القيامة تظهرله الأشياء على حقيقتها ويراها عين اليقين ويعلمها علم اليقين. ﴿**وقال قرينه: هذا ما لدي عتيد**﴾: قرين الإنسان هنا الملك الموكل بكتابة عمله. يقول: هذا ما لدي من عمله مهيأ ناجز.. ﴿**ألقيا في جهنم كل كفار عنيد.. مناع للخير معتد مريب.. الذي جعل مع الله إلهاً آخر**﴾: هذا خطاب من الله تعالى للسائق والشاهد بإلقاء من هذا وصفه في جهنّم. والكفار: شديد الكفر.

والعنيد: ظاهر العناد. والمناع للخير: البخيل الشحيح.. معتد: كثير الاعتداء على الغير. مريب: شاك يتهم كل من يدله على الحق. الذي جعل مع الله إلهاً آخر: اتخذ إلهه هواه. واتخذ الشيطان ولياً من دون الله. وعبد الطاغوت والمال

والجاه!.. ﴿**فألقياه في العذاب الشديد**﴾: تكرير للأمر بالإلقاء في جهنم يبين فيه شدة ما يلقي هذا المجرم من العذاب في جهنم. ﴿**قال قرينه: ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد**﴾: القرين هنا الشيطان المقيض للكافر المتعامى عن ذكر الرحمان. ﴿**ومن يعش عن ذكر الرحمان نقيض له شيطاناً فهو له قرين**﴾ وقول القرين هنا رد لقول الكافر: أطغاني هذا القرين!.. ﴿**قال**﴾ الله لهم: ﴿**لا تختصموا لدي وقد قدّمت إليكم بالوعيد..**﴾ فلا وجه للاختصام في هذا الوقت: ﴿**ما يبدل القول لَدَيّ، وما أنا بظلام للعبيد**﴾: وما أنا بمعذب العبيد بغير ذنب ارتكبوه باختيارهم. ﴿**يوم يقول لجهنم: هل امتلأت**﴾؟.. سؤال موجه من الله إلى جهنم يوم ينفخ في الصور.. وتجيب النار: ﴿**هل من مزيد؟!.. وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد**﴾: مقابل ما يلقاه المجرمون في جهنم وأهوالها، تقرب الجنة للمتقين بحيث يشاهدونها من الموقف غير بعيد.. ﴿**هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ**﴾: هذا الثواب الذي توعدونه حاصل لكل أواب رجّاع إلى الله. حفيظ: كثير الحفظ لأوامر الله تعالى. ﴿**من خشي الرحمان بالغيب وجاء بقلب منيب**﴾: هو ذاك الأواب الحفيظ الذي خشي الرحمان بالغيب. وهو لا يراه ـ وهو الإحسان ـ.. ﴿**ادخلوها بسلام**﴾: يقال لهم: ذلك القول المبشر بالسلامة والأمان: ﴿**ذلك يوم الخلود. لهم ما يشاءون فيها**﴾: في الجنة حين يدخلونها ويستقرون فيها خالدين. ﴿**ولدينا مزيد**﴾: هو ما لا يخطر ببالهم ولا يندرج تحت مشيئتهم من معالي الكرامات التي لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر!. ﴿**وكم أهلكنا قبلهم من قرن**﴾: كثيراً من القرون أهلكنا قبل قريش. ﴿**هم أشد منهم بطشاً.. فنقبوا في البلاد**﴾: تعقيب على شدة بطشهم.. والتنقيب: التنقير عن الأمور والبحث والطلب. مأخوذ من بحث الطائر عن طعامه الخفي في الأرض بمنقاره ومنقابه. ﴿**هل من محيص**﴾؟!.. فلا مخلص لهم من أمر الله. ﴿**إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب**﴾: إن في ذلك الكلام السابق من ثواب وعقاب لتذكرة وموعظة لمن كان له قلب واع؛ لأن من لا يعي قلبه لا قلب له. ﴿**أو ألقى السمع**﴾: استمع لما يقال. ﴿**وهو شهيد**﴾: حاضر بذهنه مدرك لما أمامه؛ لأن من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب. ﴿**ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام.. وما مسنا من لغوب**﴾: رد على اليهود في زعمهم أن الأيام الستة هي من الأحد حتى الجمعة التي خلق الله فيها السماوات والأرض. واستراح يوم السبت!.

واللغوب: التعب والإعياء من عمل صعب فيه مشقة. ﴿**فاصبر على ما يقولون**﴾: ما يقوله المشركون وأهل الكتاب من مقالات الكفر والتشبيه والضلالات والتمويه في حق الله وكتابه ورسوله!. ﴿**وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وإدبار السجود**﴾: قبل طلوع الشمس صلاة الصبح. وقبل الغروب الظهر والعصر. ومن الليل المغرب والعشاء.. والتسبيح عقب السجود معقبات الصلاة. ﴿**واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب**﴾: أمر لكل سامع بالاستماع.. ﴿**يوم يسمعون الصيحة بالحق.. ذلك يوم الخروج.. إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير.. يوم تشقّق الأرض عنهم سراعاً.. ذلك حشر علينا يسير**﴾: كلمات هذه الآيات واضحة لا تحتاج إلى بيان. ﴿**نحن أعلم بما يقولون**﴾: هذا تهديد للكفار الذين أنكروا البعث والنشور. ﴿**وما أنت عليهم بجبار**﴾: أنت لست مسلطاً عليهم وتجبرهم وتقسرهم على الإيمان.. ﴿**فذكر بالقرءان من يخاف وعيدِ**﴾: فوظيفتك التذكير بهذا القرءان المجيد لمن يخاف يوم الوعيد!.

مبحث الإعراب

﴿**ق**﴾ حرف مسرود لا محل له من الإعراب. ﴿**والقرءان**﴾ واو القسم تجر ما بعدها. ﴿**المجيد**﴾ نعت للقرءان. وجواب القسم محذوف يفهم من السياق. يدل عليه قوله تعالى: ﴿**بل عجبوا..**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الإضراب العاطف على الجواب المقدر في الإعراب. ﴿**أن جاءهم**﴾ فعل ماض دخلت عليه أن المصدرية. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**منذر**﴾ فاعل. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام العلة. أي: عجبوا لمجيء منذِرٍ. ﴿**منهم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لمنذر. ﴿**فقال الكافرون**﴾ فعل وفاعل. والفاء للتعقيب. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**شيء**﴾ خبره. ﴿**عجيبٌ**﴾ نعت لشيء. ﴿**أإذا متنا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه إذا الشرطية وهمزة الاستفهام. وجواب إذا محذوف دل عليه سياق الكلام. أي: أحين نموت نرجع إلى الحياة من جديد؟!.. ﴿**وكنا**﴾ كان واسمها. ﴿**تراباً**﴾ خبرها. والجملة معطوفة على جملة متنا. وهو زيادة في إنكار البعث. ولذلك جاء قولهم: ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**رَجْع**﴾ خبره.

﴿**بعيد**﴾ نعت لِرجْعٌ. ﴿**قد علمنا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق.

﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول. ﴿**تنقص الأرض**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة الموصول. ﴿**منهم**﴾ متعلق بتنقص. ﴿**وعندنا**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**كتاب**﴾ مبتدَأ مؤخر. ﴿**حفيظ**﴾ نعت لكتاب. ﴿**بل كذبوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الإضراب. ﴿**بالحق لما**﴾ الجار والمجرور والظرف متعلقان بكذبوا. ﴿**جاءهم**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على الحق. ﴿**فهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. والفاء للتعقيب. ﴿**في أمر**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإِ. ﴿**مريج**﴾ نعت لأمر. ﴿**أفلم ينظروا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي الجازم وحرف التعقيب وحرف الاستفهام. ﴿**إلى السماء فوقهم**﴾ متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿**كيف**﴾ مبني على الفتح في محل نصب مفعول به. ﴿**بنيناها**﴾ فعل وفاعل ومفعول والجملة مضافة إلى كيف بمعنى الكيفية. أي: أفلم ينظروا إلى السماء كيفية بنائِنا إياها؟!. ﴿**وزيناها**﴾ الجملة معطوفة على جملة بنيناها. ﴿**وما لها**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. وما حرف نفي. والواو للعطف. ﴿**من فروج**﴾ مبتدَأ مؤخر جُرَّ بحرف الجر الزائد في محل رفع. ﴿**والأرض**﴾ مفعول بفعل مقدَّر يفسره ما بعدها ﴿**مددناها**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة تفسيرية لا محل لها من الإعراب. ﴿**وألقينا**﴾ معطوف على مددنا. ﴿**فيها**﴾ متعلق بألقينا. ﴿**رواسي**﴾ مفعول به. ﴿**وأنبتنا فيها**﴾ معطوف على ألقينا فيها. ﴿**من كل**﴾ متعلق بأنبتنا. ﴿**زوج**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**بهيج**﴾ نعت لزوج. ﴿**تبصرة**﴾ مفعول لأجله. ﴿**وذكرى**﴾ معطوف على تبصرة منصوب بفتحة مقدرة على الألف. ﴿**لكل**﴾ متعلق بذكرى. ﴿**عبد**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**منيب**﴾ نعت لعبد. ﴿**ونزلنا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**من السماء**﴾ متعلق بنزلنا. ﴿**ماء**﴾ مفعول به. ﴿**مباركاً**﴾ نعت لماء. ﴿**فأنبتنا**﴾ فعل وفاعل مرتب بالفاء على نزّلنا. ﴿**به**﴾ متعلق بأنبتنا. ﴿**جنات**﴾ مفعول به منصوب بالكسرة.

﴿**وحب**﴾ معطوف على جنات. ﴿**الحصيد**﴾ مضاف إلى حب. ﴿**والنخل**﴾ عطف على جنات. ﴿**باسقات**﴾ حال من النخل منصوب بالكسرة. ﴿**لها**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**طلع**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة حال ثانية من النخل. ﴿**نضيد**﴾ نعت لطلع. ﴿**رزقا**﴾ مفعول لأجله. ﴿**للعباد**﴾ متعلق بمحذوف نعت لـ «رزقا» ﴿**وأحيينا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف على أنبتنا. ﴿**به**﴾ متعلق بأحيينا. ﴿**بلدة**﴾ مفعول به. ﴿**ميتاً**﴾ نعت لبلدة باعتبار المكان. ﴿**كذلك**﴾ الكاف في محل

رفع مبتدأ. وذلك في محل جر بالكاف. ﴿**الخروج**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**كذبت**﴾ فعل ماض. ﴿**قبلهم**﴾ متعلق به. ﴿**قوم**﴾ فاعل. ﴿**نوح**﴾ مضاف إلى قوم. وما بعده من قوله تعالى: ﴿**وأصحاب الرسّ وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تُبّع**﴾. معطوف على قوم نوح. ﴿**كلٌّ**﴾ مبتدأ. والتنوين عوض عن المضاف إليه. ﴿**كذّب**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على كل. والجملة خبر المبتدإ. ﴿**الرسل**﴾ مفعول به. ﴿**فحق وعيد**﴾ فعل وفاعل دخل عليه فاء التعقيب. ﴿**أفعيينا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التعقيب وحرف الاستفهام. ﴿**بالخلق**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**الأول**﴾ نعت للخلق. ﴿**بل هُمْ**﴾ في محل رفع مبتدأ دخل عليه حرف الإضراب. ﴿**في لبس**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**من خلق**﴾ متعلق بلبس. ﴿**جديد**﴾ نعت لخلق. ﴿**ولقد خلقنا الإنسان**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف. ﴿**ونعلم**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. والجملة معطوفة على جملة خلقنا.. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول. ﴿**توسوس**﴾ فعل مضارع. ﴿**به**﴾ متعلق بتوسوس. ﴿**نفسه**﴾ فاعل. والجملة صلة الموصول. ﴿**ونَحنُ**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أقرب**﴾ خبره. ﴿**إليه من حبل**﴾ متعلقان بأقرب. ﴿**الوريد**﴾ مضاف إلى حبل. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**إذ**﴾ في محل نصب ظرف متعلق بأقرب. ﴿**يتلقى المتلقيان**﴾ فعل وفاعل. والجملة مضافة إلى إذْ. ﴿**عن اليمين وعن الشمال**﴾ معطوف عليه ﴿**قعيد**﴾ تعلق به الجار والمجرور المتقدم. و﴿**قعيد**﴾ خبر لمبتدإ محذوف. وقعيد يستوي فيه المثنى والمفرد والجمع. أي: هما قعيد عن اليمين وعن الشمال. ﴿**ما يلفظ**﴾ فعل مضارع منفي بما. والفاعل ضمير يعود على الإنسان.

﴿**من قول**﴾ متعلق بيلفظ. ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء. ﴿**لديه**﴾ ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**رقيب**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**عتيد**﴾ نعت لرقيب. ﴿**وجاءت سكرة**﴾ فعل وفاعل. ﴿**الموت**﴾ مضاف إلى سكرة. ﴿**بالحق**﴾ متعلق بجاءت. والجملة معطوفة على ما سبق من إنكار الكافرين البعث.. ﴿**ذلك ما كنت**﴾ كان واسمها دخلت عليها ما النافية. ﴿**منه**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**تحيد**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المخاطب ـ أنت ـ والجملة خبر كان. وجملة ما كنت منه تحيد خبر المبتدإ ـ ذلك ـ ﴿**ونفخ**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿**في الصور**﴾ نائب الفاعل متعلق بنفخ. أي: نفخ نافخ في الصور. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ.

﴿**يوم**﴾ خبره. ﴿**الوعيد**﴾ مضاف إلى يوم. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**وجاءت كل**﴾ فعل وفاعل معطوف على نفخ في الصور. . ﴿**نفس**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**معها**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**سائق**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة نعت لنفس. ﴿**وشهيد**﴾ معطوف على سائق. ﴿**لقد كنت**﴾ كان واسمها دخل عليها حرف التحقيق ولام القسم. ﴿**في غفلة**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان. ﴿**من هذا**﴾ متعلق بغفلة. ﴿**فكشفنا**﴾ فعل وفاعل مرتب بالفاء على ما قبله. ﴿**عنك**﴾ متعلق بكشفنا. ﴿**غطاءَك**﴾ مفعول به. ﴿**فبصرك**﴾ مبتدأ. ﴿**اليوم**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**حديد**﴾ خبر المبتدإ. والجملة مرتبة بالفاء على ما قبلها. ﴿**وقال قرينُه**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف على ما قبله. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**لديّ**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**عتيد**﴾ خبر ثانَ. ﴿**ألقيا**﴾ أمر موجه من الله إلى السائق والشهيد. ﴿**في جهنم**﴾ متعلق بألقيا. ﴿**كلّ**﴾ مفعول به. ﴿**كفار**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**عنيد**﴾ نعت لكفار. ﴿**منّاع**﴾ مثله. ﴿**للخير**﴾ متعلق بمناع. ﴿**معتد مريب**﴾ نعتان آخران لكَفّارٍ. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**جعل**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الذي. والجملة صلة الموصول. ﴿**مع**﴾ متعلق بجعل. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿**إلها**﴾ مفعول به ﴿**آخر**﴾ نعت لإلها، ﴿**فألقياه**﴾ أمر موجه إلى الملكين مثل ألقيا. . ﴿**في العذاب**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**الشديد**﴾ نعت للعذاب. وجملة فألقياه خبر المبتدإ. وقرن بالفاء لتضمن المبتدإ معنى الشرط. ﴿**قال قرينه**﴾ فعل وفاعل.

﴿**ربنا**﴾ منادى حذفت منه ياء النداء. ﴿**ما أطغيته**﴾ فعل وفاعل. ومفعول دخل عليه حرف النفي. والجملة مقول القول. ﴿**ولكن**﴾ حرف استدراك. ﴿**كان**﴾ اسم كان ضمير يعود على الكافر. ﴿**في ضلال**﴾ متعلق بمحذوف خبرُ كان. والجملة معطوفة على قول القرين. ﴿**بعيد**﴾ نعت لضلال. ﴿**قال**﴾ اللَّهُ تعالى: ﴿**لا تختصموا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النهي الجازم. ﴿**لديّ**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**وقد قدمت**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق. ﴿**إليكم بالوعيد**﴾ متعلقان بقدمت. والجملة حال من الضمير الفاعل في لا تختصموا. ﴿**ما يبدّل**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول منفيّ بما. ﴿**القول**﴾ نائب الفاعل. ﴿**لديّ**﴾ ظرف مضاف إلى ياء المتكلم متعلق بالفعل قبله. ﴿**وما**﴾ تعمل عمل ليس. ﴿**أنا**﴾ في

محل رفع اسم ما. ﴿بظلام﴾ خبر ما. مجرور بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿للعبيد﴾ متعلق بظلام. ﴿يوم﴾ متعلق بفعل مقدر. أي: اذكر يوم ﴿يقول﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿لجهنم﴾ متعلق بيقول. ﴿هل امتلأْتِ﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿وتقول﴾ معطوف على يقول. والفاعل ضمير يعود على جهنم. ﴿هل﴾ حرف استفهام. ﴿من مزيد﴾ مبتدأ خبره مقدر. ومِنْ صلة.. أي: هل ثمّ مزيدٌ؟. ﴿وأزلفت﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿الجنة﴾ نائب الفاعل. ﴿للمتقين﴾ متعلق بأزلفت. ﴿غير﴾ منصوب على الحال من الجنة. ﴿بعيد﴾ مضاف إلى غير. ﴿هذا﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿ما﴾ اسم موصول في محل رفع عطف بيان لهذا. ﴿توعدون﴾ الفعل ونائب الفاعل صلة ما. والعائد محذوف. أي: توعدونه. ﴿لكل﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿أوّاب﴾ مضاف إلى كل. ﴿حفيظ﴾ نعت لأواب. ﴿من﴾ اسم موصول في محل جر نعت ثان لأوَّاب. ﴿خشي﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على من. والجملة صلة مَنْ. ﴿الرحمان﴾ مفعول بخشي. ﴿بالغيب﴾ متعلق بمحذوف حال من فاعل خشي. ﴿وجاء﴾ معطوف على خشي. ﴿بقلبٍ﴾ متعلق بجاء. ﴿منيب﴾ نعت لقلب. ﴿ادخلوها﴾ أمر موجه إلى المتقين المتصفين بالصفات السّنِيّة بدخول الجنة. ﴿بسلام﴾ متعلق بمحذوف حال من واو الجماعة الفاعل. ﴿ذلك﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿يوم﴾ خبره. ﴿الخلود﴾ مضاف إلى يوم. ﴿لهم﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم.

﴿ما﴾ في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿يشاءون﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿فيها﴾ متعلق بالفعل قبلُه. ﴿ولدينا﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿مزيد﴾ مبتدأ مؤخر والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿وكم﴾ في محل نصب مفعول مقدّم. ﴿أهلكنا﴾ فعل وفاعل. ﴿قبلهم من قرن﴾ متعلقان بأهلكنا. ﴿هم﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿أشدّ﴾ خبر المبتدإ. ﴿منهم﴾ متعلق بأشد. ﴿بطشاً﴾ منصوب على التمييز. ﴿فنقّبوا﴾ فعل وفاعل مرتب بالفاء على أهلكنا. ﴿هل﴾ حرف استفهام. ﴿من محيص﴾ مبتدأ خبره مقدر. جر بحرف الجر الزائد في محل رفع. أي: هل لهم محيص؟!. مخلص من عذاب الله. ﴿إن في ذلك﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدم. ﴿لذكرى﴾ اسم إنّ مؤخر منصوب بفتحة مقدرة على الألف. ﴿لمن﴾ متعلق بذكرى. ﴿كان له﴾ متعلق بمحذوف خبر كان مقدم. ﴿قلبٌ﴾ اسمها

مؤخر. وجملة كان له قلب صلة مَنْ. ﴿**أو ألقى**﴾ معطوف على كان. والفاعل ضمير يعود على مَن . ﴿**السمع**﴾ مفعول بألقى. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**شهيد**﴾ خبره. والجملة حال من فاعل ألقى. ﴿**ولقد خلقنا السماوات**﴾ مثل ولقد خلقنا الإنسان في الإعراب. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**وما**﴾ في محل نصب عطف على السماوات. ﴿**بينهما**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**في ستة**﴾ متعلق بخلقنا. ﴿**أيام**﴾ مضاف إلى ستة. ﴿**وما مسنا**﴾ فعل ماض منفي بما. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**من لغوب**﴾ فاعل. جُرّ بحرف الجر الزائد في محل رفع. ﴿**فاصبر**﴾ أمر موجه من الله إلى رسوله. . والفاء للتعقيب. ﴿**على ما**﴾ متعلق باصبر. ﴿**يقولون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**وسبح**﴾ معطوف على اصبر. ﴿**بحمد**﴾ متعلق بسبح. ﴿**ربّك**﴾ مضاف إلى حمد. ﴿**قبل**﴾ متعلق بسبح. ﴿**طلوع**﴾ مضاف إلى قبل. ﴿**الشمس**﴾ مضاف إلى طلوع. ﴿**وقبل الغروب**﴾ معطوف على قبل طلوع الشمس. ﴿**ومن الليل**﴾ متعلق بفعل مقدر معطوف على سبح. ﴿**فسبحه**﴾ تفسير للمقدر. ﴿**وإدبار**﴾ ظرف متعلق بسبح. ﴿**السجود**﴾ مضاف إلى إدبار. ﴿**واستمع**﴾ أمر موجّه لكل سامع.

﴿**يوم**﴾ متعلق باستمع. ﴿**ينادي المنادي**﴾ فعل وفاعل. ﴿**من مكان**﴾ متعلق بينادِي. ﴿**قريب**﴾ نعت لمكان. ﴿**يوم**﴾ بدل من يوم ينادي. . ﴿**يسمعون الصيحة**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**بالحق**﴾ متعلق بيسمعون. ﴿**ذلك يوم الخروج**﴾ مثل ذلك يوم الخلود في الإعراب. ﴿**إنا**﴾ إن واسمها. ﴿**نحن**﴾ ضمير فصل. ﴿**نحيي**﴾ فعل مضارع والفاعل نحن. ﴿**ونميت**﴾ معطوف على نحيي. والجملة خبر إنّ. ﴿**وإلينا**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**المصير**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**يوم**﴾ بدل بعد بدل. ﴿**تشّقّق الأرض**﴾ فعل وفاعل. ﴿**عنهم**﴾ متعلق بتشقق. ﴿**سراعاً**﴾ حال من الضمير في عنهم. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**حشر**﴾ خبره. ﴿**علينا**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**يسير**﴾ نعت لحشر. ﴿**نحن**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أعلم**﴾ خبره. ﴿**بما**﴾ متعلق بأعلم. ﴿**يقولون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. والعائد محذوف. ﴿**وما أنت**﴾ في محل رفع اسم ما. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**بجبار**﴾ خبر ما. جر بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿**فذكر**﴾ مرتب على ما قبله. ﴿**بالقرءان**﴾ متعلق بذكر. ﴿**من**﴾ في محل نصب مفعول بذكر. ﴿**يخاف**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**وعيدِ**﴾ مفعول به

منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة تخفيفاً. وجملة يخاف وعيد صلة مَنْ.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**قٓ والقرءان المجيد. .**﴾ ربط هذه السورة بآخر السورة التي قبلها واضح. وذلك أن الأعراب الذين جاءوا مستسلمين غير صادقي الإيمان ومنّوا على الرسول بإسلامهم. بين الله في سورة قاف موقف العرب الذين أنكروا ما أخبر به القرءان، وشكوا في صدق المنذر، وهو منهم حريص على إيمانهم. . فأقسم الله بهذا القرءان على صحة ما يأتي به من حقائق تُذكّر الناس جميعاً بمبدإ خلقهم ونهاية أمرهم ونتيجة عملهم. . فقال تعالى: قٓ والقرءان المجيد إن الذي جاء به محمد ﷺ لحق وصدق بدليل التحدِّي بهذا القرآن المؤلف من الحروف التي يعرفها العرب. والقسم بالقرآن كناية عن التنويه بشأنه؛ لأن القسم لا يكون إلا بعظيم عند المقسم. . فكان التعظيم من لوازم القسم. وأتبع هذا التنويع بالقسم بتنويه صريح بوصف القرآن بالمجيد. وهي صيغة مبالغة تفيد كل معاني المجد. . وحذف جواب القسم؛ لتذهب نفس السامع في تقديره كل طريق ممكن في المقام، ﴿**بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم**﴾: هذا إضراب انتقالي. والإضراب الانتقالي يقتضي كلاماً منتقلاً منه، والقسم بدون جواب لا يعتبر كلاماً تاماً. . فتعين أن يقدر السامع جواباً تتم به الفائدة يدل عليه الكلام. وهذا من بلاغة إيجاز الحذف.

وحسّنه أن الانتقال مشعر بأهمية المنتقل إليه. . ﴿**فقال الكافرون: هذا شيء عجيب**﴾: تفسير لتعجيبهم، وبيان لكونه مقارناً لغاية الإنكار مع زيادة تفصيل لمحل التعجب. ﴿**أئذا متنا وكنا تراباً**﴾: تقرير للتعجيب وتأكيد للإنكار. ﴿**ذلك رجع بعيد**﴾: من تمام قول الكافرين. حصل في ضمن هاتين الآيتين خصوصيات كثيرة من البلاغة: منها إيجاز الحذف. ومنها ما أفاده الإضراب بالاهتمام بأمر البعث. ومنها الإيجاز البديع الحاصل من التعبير بمنذرٍ. ومنها إقحام وصفه بأنه منهم؛ لأن لذلك مدخلاً في تعجبهم. ومنها الإظهار في مقام الإضمار في جملة فقال الكافرون، على خلاف مقتضى الظاهر. ومنها الإجمال المعقب بالتفصيل في قوله تعالى: هذا شيء عجيب: أئذا متنا وكنا تراباً؟!. . فذلك عندهم أقصى

الاستبعاد. وجملة ذلك رجع بعيد مؤكدة لجملة أئذا متنا وكنا تراباً، بطريق الحقيقة والذكر بعد أن أفيد بطريق المجاز والحذف؛ لأن شأن التأكيد أن يكون أجلى دلالة. . **﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم﴾**: رد لقولهم: ذلك رجع بعيد. فإن إحالتهم البعث ناشئة عن عدة شبه عندهم: منها أن تفرق أجزاء الأجساد في مناحي الأرض ومهاب الرياح لا تُبقِي أملاً في إمكان جمعها؛ إذ لا يحيط بها محيط، وأنها لو عُلمت مواقعها لتعذر التقاطها وجمعها، ولو جُمعت كيف تعود إلى صورها التي كانت مشكلة بها، وأنها لو عادت كيف تعود إليها؟!. . فاقتصر في إقلاع شبههم على إقلاع أصلها. وهو الجهل بها وعدم العلم بمواقع تلك الأجزاء وذراتها. . فنفى هذا بقوله تعالى: قد علمنا ما تنقص الأرض منهم. وفصلت الجملة فلم تُعطف؛ لأنها ابتداء كلام لرد كلامهم. . فأساس مبنى الرد هو عموم علم الله تعالى؛ لأنه يجمع إبطال الاحتمالات التي تنشأ عن شبههم. **﴿وعندنا كتاب حفيظ﴾**: وُصل بالعطف على ما قبله. عطف الأعم على الأخص. وهو تذييل مقرر لمضمون ما سبقه، والعندية مستعارة للحياطة والحفظ من أن يتطرق إليه ما يغيّر ما فيه. **﴿بل كذبوا بالحق لما جاءهم﴾**: إضراب ثان تابع للإضراب الأول وهو بل عجبوا. . على طريقة تكرير الجملة في مقام التنديد والإبطال.

والمقصود من هذه الجملة أنهم أتوا بأفظع من إحالتهم البعث. وهو التكذيب بالحق: الحق من قبيل النقل، والحق من قبيل العقل. ولمّا حرف توقيت. . فهي دالة على ربط حصول جوابها بوقت حصول شرطها. وفرع على الخبر المنتقل إليه بالإضراب وصَفَ حالَهم الناشئة عن المبادرة بالتكذيب قبل التأمل بأنها أمر مريج أحاط بهم وتلجلجوا فيه وتحيّروا وتخبطوا؛ كما دل عليه حرف الظرفية. **﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم: كيف بنيناها وزيناها، وما لها من فروج﴾**؟!: تفريع على ما تقدم من الكلام تدليلاً على صحة أمر البعث وعلى وقوعه المحتم بالدليل المشاهد! والتقرير على نفي الشيء المراد إقراره بإثباته طريقة قرءانية. وأكثر ما يرد «كيف» في الكلام للسؤال عن الحالة. وهي الكيفية التي يكون عليها الشيء. والنظر المستفهم عنه هنا: هو النظر المتعلق بكيفية البناء والزينة والتنسيق. . فجملة بنيناها وما عطف عليها. مبينة لمعنى كيف. **﴿والأرض مددناها، وألقينا فيها رواسي، وأنبتنا فيها من كُلّ زوج بهيج﴾**: وصلت هذه الآية بالآية التي قبلها، طلباً للنظر إلى كيفية حال الأرض بعد طلب النظر إلى كيفية حال السماء. فبناء السماء

الواسع مثله مد الأرض الشاسع. وزينة السماء بالنجوم والكواكب مثله زينة الأرض بأصناف النبات وأشكال العجائب!. وانتفاء الخلل في السماء مثله انتفاء الاضطراب في الأرض بالثبات والاتساع!.. ﴿**تبصرة وذكرى لكل عبد منيب**﴾: فعلنا ما فعلنا لأجل التبصير، والتنكير خاص لكل عبد منيب. ﴿**ونزلنا من السماء ماء مباركاً.. فأنبتنا به جنات وحب الحصيد**﴾: وصلت هذه الآية بآية والأرض مددناها مع ملاحظة الآية المعطوفة عليها: أفلم ينظروا إلى السماء.. فجاءت منافع السماوات والأرض مقرونة في نظام واحد.. فالماء نازل من السماء إلى الأرض. ﴿**والنخل باسقات لها طلع نضيد**﴾: وصلت الآية بالعطف على ما قبلها. وتخصيص النخل بالذكر مع اندراجها في الجنات لبيان فضلها على سائر الأشجار. وتوسيط الحب بين الجنات والنخل لتأكيد استقلالها وامتيازها عن البقية مع ما فيها من مراعاة الفواصل. بين حصيد ونضيد.

وقوله تعالى: ﴿**رزقاً للعباد**﴾؛ علة لقوله: فأنبتنا.. ففي تعليله بذلك بعد تعليل أنبتنا الأول - أنبتنا فيها من كل زوج بهيج - بالتبصرة والتذكير تنبيه على أن الواجب على العبد أن يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر والاستبصار أهم وأقدم من تمتعه به من حيث الرزق. وجملة ﴿**وأحيينا به بلدة ميتاً**﴾ موصولة بالعطف على نزلنا من السماء ماء مباركاً.. فهي تمهيد لقوله تعالى: ﴿**كذلك الخروج**﴾، وتحقيق للمماثلة بين إخراج النبات وإحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس وتقريبه إلى أفهام الناس. ﴿**كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع**﴾: استئناف ابتدائي ناشىء عن قوله تعالى: بل كذبوا بالحق لما جاءهم.. فعقب بأن هؤلاء المكذبين ليسوا ببدع في الضلال.. فقد كذبت قبلهم أمم كثيرة من قرون كثيرة من عهد نوح إلى عهد محمد!.. وجملة ﴿**كل كذب الرسل**﴾ مؤكدة لجملة كذبت قبلهم قوم نوح وما عطف عليها.. فلذلك فصلت ولم تعطف. كل أمة من هذه الأمم كذبت رسولَها. وكل الرسل متفقون على الدعوة إلى التوحيد والإنذار بالبعث والحشر.. فتكذيب واحد منهم تكذيب للكل. وجملة ﴿**فحق وعيد**﴾ مرتب على التكذيب.. فهو تهديد لكفار قريش الذين كذبوا محمداً ﷺ. ﴿**أفعيينا بالخلق الأول**﴾؟!: هذا الاستفهام المفرع بالفاء استفهام إنكار وتغليظ للمنكرين.. والمعنى: ما عجزنا عن الخلق الأول للإنسان.. فكيف نعجز عن إعادة خلقه؟!.. ﴿**بل هم في لبس من**

خلق جديد﴾: إضراب إبطالي عن المستفهم عنه.. فهو عطف على مقدر يدل عليه ما قبله.. فكأنه قيل: هم غير منكرين لقدرتنا على خلق الأول.. بل هم في خلط وشبهة وغلط وارتباك وحيرة في شأن خلق جديد لما فيه من غرابة على أفهامهم وبُعْدٍ من مألوف عادتهم!.. **﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه﴾**: هذا تفصيل لبعض الخلق الأول بذكر خلق الإنسان. وهو أهمُّ في هذا المقام، للتنبيه على أنه المراد من الخلق الأول. وتأكيد هذا الخبر بلام القسم وحرف التحقيق ـ قد ـ مراعى فيه المتعاطفات؛ لأنهم وإن كانوا يعلمون أن الله خلق الإنسان فإنهم لا يعلمون أن الله عالم بأحواله كبيرها وصغيرها.

أطلقت الوسوسة هنا مجازاً على ما يجول في النفس من الخواطر والتقديرات والعزائم؛ لأن الوسوسة أقرب شيء تشبه به تلك الخواطر، وأحسن ما يستعار لها؛ لأنها تجمع مختلف الأحوال وما يجول في العقل من التقادير. وما عداها من نحو ألفاظ التوهّم والتفكّر إنما يدل على بعض أحوال الخواطر دون بعض. **﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾**: جملة حالية من فاعل نَعْلَمُ. وإضافة الحبل إلى الوريد إضافة بيانيَّة. والقرب هنا كناية عن إحاطة العلم بالحال؛ لأن القرب يستلزم الاطلاع. ومن لطائف هذا التمثيل أن حبل الوريد. مع قربه لا يشعر به الإنسان بقربه؛ لخفائه. وكذلك قرب الله من الإنسان بعلمه قرب لا يَشعر به الإنسان.. فلذلك اختير تمثيل هذا القرب بقرب حبل الوريد. وبذلك فاق هذا التشبيه بحالة القرب كلَّ تشبيه من نوعه وَرَدَ في كلام البلغاء. **﴿إذ يتلقى المتلقيان﴾**: الله أقرب إلى الإنسان من كل قريب.. حتى من الملكين اللذين يتلقيان عنه كل ما يلفظ به القريبين منه القعيدين عن يمينه وعن شماله: **﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد: ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾**!!.. ففي هذا الكلام إعلام بأن الله تعالى غنيّ عن استحفاظ الملكين؛ لإحاطة علم الله بما يخفي على الملكين.. إنما جَعَل اللَّهُ الملكين حافظين بكتابة الأعمال وحفظها للشهادة على الإنسان بها يوم يقوم الأشهاد.. **﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾**: بعدما ذكر الله استبعاد المشركين للبعث والجزاء، وأُزِيح ذلك بتحقيق قدرة الله وعلمه، وبيّن أن جميع أعمالهم محفوظة مكتوبة عليهم؛ أتبع ذلك ببيان ما يلاقونه لا محالة، من الموت والبعث وما يتفرع عليه من الأحوال والأهوال. وقد عبر عن وقوع كل منها بصيغة الماضي إيذاناً بتحقيقها وغاية اقترابها. **﴿ذلك ما كنت منه تحيد﴾**:

تعجيز للإنسان وتحذير له مما سيحصل بعد الموت. وإدخال الروع في نفوس المشركين الذين أنكروا هذا الوعيد والتهديد الذي جاء في القرءان المجيد!.. **﴿ونفخ في الصور: ذلك يوم الوعيد.. وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد..﴾** فهذا تنقل في الأمور العارضة التي تسلمه من حال إلى آخر.. حتى يقع في الجزاء على أعماله التي قد أحصاها عليه الملكان الحافظان. **﴿لقد كنت في غفلة من هذا﴾**: تحقيق لما غفل عليه الكافر من جزاء الأعمال وما ترتب عليها من عقاب.. **﴿فكشفنا عنك غطاءك.. فبصرك اليوم حديد﴾**!!.. فالقصد من هذا الخطاب التوبيخ والتهكم والتقريع للكافر الذي أنكر هذا وغفل عنه ولم يهتم به.

﴿وقال قرينه: هذا ما لديّ عتيد﴾: وصل الكلام بالعطف على ما قبله تتميماً لأحوال الكافر.. والقرين الملك الموكل على كتابة أعماله.. فهي مهيأة جاهزة للعرض والجزاء. **﴿ألقيا في جهنم كل كفار عنيد، مناع للخير معتد مريب﴾**: استئناف ابتدائي. وهو انتقال من خطاب الكافر إلى خطاب السائق والشهيد؛ بأن يطرحا كلَّ من كان فيه هذه الأوصاف الموجبة لدخول جهنم!. **﴿الذي جعل مع الله إلهاً آخر، فألقياه في العذاب الشديد﴾**: تعميم بعد تخصيص.. فهما مأموران أمراً عاماً بإلقاء كل من أشرك بالله. **﴿قال قرينه: ربنا ما أطغيته﴾**: هذا الكلام مستأنف استئناف الجمل الواقعة في حكاية المقاولة: لما أنه جواب لقول محذوف.. فإنه منبىء عن سابقة قول اعتذر به الكافر؛ كأنه قال: هو أطغاني.. فأجابه قرينه: ربنا ما أطغيته، تكذيباً له.. **﴿ولكن كان في ضلال بعيد!.. قال﴾** ـ الله تعالى ـ: **﴿لا تختصموا لدي﴾**: استئناف مبني على سؤال نشأ مما قبله؛ كأنه قيل: فماذا قال الله تعالى؟ فقيل: قال: لا تختصموا لديّ. **﴿وقد قدمت إليكم بالوعيد﴾**: هذه الجملة حالية تعليلية للنهي السابق عليها. **﴿ما يبدل القول لدي.. وما أنا بظلام للعبيد﴾**: هاتان الجملتان تأكيد وتوضيح وتحقيق للجملتين: لا تختصموا لديّ. وقد قدّمت إليكم بالوعيد. **﴿يوم يقول لجهنم: هل امتلأت؟ وتقول: هل من مزيد﴾**؟!: اذكر يوم يقول الله لجهنم.. الخ.. فهو تمثيل لهول ما يقع يومئذٍ.. **﴿وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد﴾**: هذا شروع في بيان حال المؤمنين بعد النّفخ ومجيء النفوس إلى موقف الحساب.. **﴿هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ﴾**: هذا مقابل وعيد المشركين. وهو قوله: الذي جعل مع الله إلهاً آخر فألقياه في العذاب الشديد.. **﴿من خشي الرحمان بالغيب وجاء بقلب

منيب﴾: بيان وتوضيح لكل أواب حفيظ. . ﴿**ادخلوها بسلام**﴾: يقال لهم: هذا الكلام. ﴿**ذلك يوم الخلود**﴾: زيادة في التكريم. . ﴿**لهم ما يشاءون فيها. . ولدينا مزيد!!. . وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشاً فنقبوا في البلاد؟!. . هل من محيص**﴾؟!. . هذه الآية موصولة بالعطف على ما سبق جاءت تهديداً لمشركي مكة الذين قالوا ما قالوا وفعلوا ما فعلوا غافلين عما سيحل بهم من الوبال والنكال!.

﴿**إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد**﴾: هذه الآية والتي بعدها تربط آخر السورة بأولها. وهو رد العجز على الصدر. . فالإشارة تشمل كل ما تقدم من أول السورة إلى هذه الآية. والآية التي بعدها: ﴿**ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب. . فاصبر على ما يقولون**﴾: تفريع على ما تقدم مما قاله الكافرون من التكذيب بما جاء به الرسول ﷺ. ﴿**وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب. ومن الليل فسبحه وإدبار السجود**﴾: وصلت الآيتان بالعطف على ما قبلهما تتميماً للتفريع. . فالأمر بالصبر والتسبيح في الصلاة وبعدها مفرع على ما قبله من بيان. ما يلقاه المؤمنون من النعيم، وما أعد للكافرين من العذاب الأليم. . ﴿**واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب: يوم يسمعون الصيحة بالحق، ذلك يوم الخروج! إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير: يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً! ذلك حشر علينا يسير**﴾. كل هذه الجمل جاءت تذييلاً لما سبقها من الكلام على البعث والجزاء والحشر والنشر. . ﴿**نحن أعلم بما يقولون؛ وما أنت عليهم بجبار**﴾: استئناف بياني ناشىء عن قوله تعالى: فاصبر على ما يقولون. . والخبر مستعمل مجازاً في وعد الرسول بأن الله سيعاقب أعداءه بأنواع العقاب. . وجملة وما أنت عليهم بجبَّار المقصود منها تطمين الرسول بأنه غير مسؤول عن عدم اهتدائهم؛ لأنه إنما بعث داعياً إلى الهدى، وليس مبعوثاً لإرغامهم على الإيمان. . ثم فرع عليه أمره بالتذكير لأنه ناشىء عن نفي كونه جباراً عليهم. ولكن خص التذكير هنا بالمؤمنين؛ لأنه أراد التذكير الذي ينفع المذكر: ﴿**فذكر بالقرءان من يخاف وعيد. .**﴾ فالقرءان المجيد هو الذكرى لكل عبد منيب يخاف يوم الوعيد! خاتمة رائعة ونهاية بارعة!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿قٓ والقرءان المجيد. بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم. . فقال الكافرون: هذا شئ عجيب! أئذا متنا وكنا تراباً؟ ذلك رجع بعيد! . .﴾: في هذا التوجيه القسم بالقرءان المجيد الذي في أوله هذا الحرف الفريد!. والسورة هنا تبدأ بعد القسم بمعالجة قضية البعث وإنكار المشركين له، وعجبهم من ذكره والقول به. . بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم!. وما في هذا من عجب. . بل هو الأمر الطبيعي الذي تتقبله الفطرة السليمة ببساطة وترحيب. الأمر الطبيعي أن يختار الله من الناس واحداً منهم، يحسّ بإحساسهم ويشعر بشعورهم ويتكلم بلسانهم، ويشاركهم حياتهم ونشاطهم. . فيرسله إليهم لينذرهم ما ينتظرهم إن هم ظلّوا فيما هم فيه. . ويعلّمهم كيف يتجهون الاتجاه الصحيح، ويبلغهم التكاليف التي يفرضها الاتجاه الجديد، وهو معهم أول من يحمل هذه التكاليف. . فقد عجبوا من الرسالة، وعجبوا بصفة خاصة من أمر البعث الذي حدثهم عنه هذا المنذر أول ما حدثهم. . فقضية البعث قاعدة أساسية في العقيدة الإسلامية. . فالمسلم مطلوب منه أن يقوم على الحق ليدفع الباطل. . ولا بد من جزاء على هذا. وهذا الجزاء لا يتم في هذه الحياة القصيرة على الأرض. . فيؤجل للحساب الختامي بعد نهاية الرحلة كلها. . فلا بدّ إذن من عالَم آخر. وحين ينهار هذا الأساس، ينهار معه كل تصور لحقيقة هذه العقيدة وتكاليفها. . ولكن أولئك القوم لم ينظروا للمسألة من هذا الجانب أصلاً. . إنما نظروا إليها من جانب آخر ساذج شديد السذاجة! بعيد كل البعد عن إدراك حقيقة الحياة والموت!. والمسألة في نظرهم هي استبعاد الحياة بعد الموت والبلى؛ لأن معجزة الحياة التي حدثت مرة يمكن أن تحدث مرة أخرى. كما أن هذه المعجزة تقع أمامهم في كل لحظة، وتحيط بهم في الجنبات كلها. وهذا هو الجانب الذي قادهم إليه القرآن في هذه السورة. والقرءان يعمق هذه القضية، ويقوّي وقعها؛ وهو يصور الأرض تأكل منهم شيئاً فشيئاً: **﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم. .﴾** فالتعبير يُجسّم حركة الأرض ويحييها وهي تذيب أجسادهم المغيبة فيها وتأكلها رويداً رويداً. ويصور أجسادهم وهي تتآكل باطراد وتبلى؛ ليقول: إن الله يعلم ما تأكله الأرض من أجسادهم!. ومع هذا. . فهو مسجل في كتاب حفيظ: **﴿وعندنا كتاب حفيظ. .﴾** فهم لا يذهبون ضياعاً ـ كما توهّموا ـ إذا ماتوا وكانوا تراباً!. وهكذا تتوالى اللمسات التي تذيب القلوب

وترقبها، وتدعها حساسة متوفزة جيدة الاستقبال. وذلك قبل البدء في الهجوم على القضية ذاتها. .

ثم يكشف السياق عن حقيقة حالهم التي تنبعث منها تلك الاعتراضات الواهية!. ذلك أنهم تركوا الحق الثابت. . فمادت الأرض من تحتهم ولم يعودوا يستقرون على شيء: ﴿**بل كذبوا بالحق لما جاءهم. . فهم في أمر مريج. .**﴾ فإنه لتعبير فريد مصوِّر مشخِّص لحال من يفارقون الحق الثابت. . فلا يقر لهم من بعده قرار! . إن الحق هو النقطة الثابتة التي يقف عليها من يؤمن بالحق. . فلا تتزعزع قدماه ولا تضطرب خطاه؛ لأن الأرض ثابتة تحت قدميه. . فمن تجاوز نقطة الحق الثابتة زلت قدماهُ في ذلك المضطرب المريج. . فهو تعبير عجيب يجسم حالة الاضطراب، وكأنها حركة تتبعها العيون. ويستعرض السياق بعض مظاهر الحق في بناء الكون فيوجه أنظارهم إلى السماء والأرض وإلى الرواسي وإلى الماء النازل من السماء وإلى النخل الباسقات وإلى الجنات والنبات في تعبير يتناسق مع صفة الحق الثابت الراسي: ﴿**أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج. .**﴾ فهذه السماء صفحة من كتاب الكون تنطق بالحق الذي فارقوه. أفلم ينظروا إلى ما فيها من تشامخ وثبات واستقرار؟ وهي فوقهم يشاهدونها!، وإلى ما فيها بعد ذلك من زينة وجمال وبراءة من الخلل والاضطراب. إن الثبات والكمال والجمال هي صفة السماء التي تتناسق مع السياق كله. مع الحق وما فيه من ثبات وكمال وجمال. ومن ثَمّ تجيء صفة البناء وصفة الزينة وصفة الخلو من الثقوب والفروج. وكذلك الأرض صفحة من كتاب الكون القائم على الحق المستقر الأساس الجميل البهيج: ﴿**والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج. .**﴾ فالامتداد في الأرض والرواسي الثابتات والبهجة في النبات. . تمثل كذلك صفة الاستقرار والثبات والجمال التي وُجّه إليها النظرُ في السماء. وعلى مشهد السماء المبنية المتطاولة الجميلة، والأرض الممدودة الراسية البهيجة يلمس السياق قلوبهم ويوجهها إلى جانب من حكمة الخلق ومن عرض صفحات الكون: ﴿**تبصرة وذكرى لكل عبد منيب. .**﴾ تبصرة تكشف الحجب، وتنير البصيرة وتفتح القلوب، وتصل الأرواح بهذا الكون العجيب، وما وراءه من إبداع وحكمة وترتيب. . تبصرة ينتفع بها كل عبد منيب، يرجع إلى ربه من قريب. هذه هي الوصلة التي يقيمها القرءان بين المعرفة والعلم وبين الإنسان الذي يعرف ويعلم.

وبعد هذه اللفتة يمضي السياق في عرض صفحات الحق في كتاب الكون في طريقه إلى قضية الإحياء والبعث: ﴿**ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد. والنخل باسقات لها طلع نضيد. رزقاً للعباد، وأحيينا به بلدة ميتاً، كذلك الخروج**. .﴾ فالماء المُنزَّل من السماء آيةٌ تحيي موات القلوب قبل أن تحيي موات الأرض. .

فيلمس النصُّ القلوبَ، وهو يمتنُّ عليها بالماء والجنات والحب والنخل والطلع: رزقاً للعباد!. . فهو رزق يسوق الله سببَه ويتولَّى نبته ويطلع ثمره للعباد. وهو المولى. والعباد لا يقدّرون ولا يشكرون!. وهنا ينتهي بموكب الكون كله إلى الهدف الأخير: وأحيينا به بلدة ميتاً. . كذلك الخروج. . فهي عملية دائمة التكرار فيما حولهم مألوفة لهم. . ولكنهم لا ينتبهون إليها؛ لما بهم من غفلة وذهول عن الحق الثابت أمامهم!. . ثم يعقب السياق بعرض صفحات من كتاب التاريخ البشري بعد عرض تلك الصفحات من كتاب الكون تنطق بمآل المكذبين الذين ماروا كما يُمارِي هؤلاء المشركون في قضية البعث، وكذبوا كما يكذبون بالرسل. . فحق عليهم وعيد الله الذي لا مفر منه ولا محيد: ﴿**كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود. وعاد وفرعون وإخوان لوط. وأصحاب الأيكة وقوم تبع، كل كذب الرسل فحق وعيد**. .﴾ فالغرض من هذه الإشارة السريعة الشاملة ليس تفصيل أمر هذه الأقوام. . ولكنه إيقاع على القلوب بمصارع الغابرين حين كذبوا الرسل. والذي يلفت النظر هو النص على أن كلاً منهم كذب الرسل. . فهي لفتة مقصودة لتقرير وحدة الدين ووحدة الرسالة. . فكلٌّ من كذب برسول فقد كذب بالرسل أجمعين. وفي ظل هذه المصارع يعود السياق إلى القضية التي بها يكذبون: قضية البعث من جديد. . فيسأل: ﴿**أفعيينا بالخلق الأول**﴾؟!. . فالخلق شاهد حاضر. . فلا حاجة إلى جواب. . ﴿**بل هم في لبس من خلق جديد**. .﴾ بل هم غَيرُ نَاظِرِينَ طريق إلى شهادة الخلق الأول الموجود. . فماذا يستحق من يكذب وأمامه ذلك الشاهد المشهود؟!.

التوجيه الثاني: ﴿**ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**. .﴾: في هذا التوجيه رحلة الإنسان تبدأ من الميلاد وتَمُرُّ بالموت وتنتهي بالبعث والحساب وما يترتب عليه من ثواب وعقاب. رحلة واحدة

سائرة متصلة بلا توقف إلى المطاف الأخير. ترسم هذه الرحلة للقلب البشري طريقه الوحيد الذي لا فكاك عنه ولا محيد. وهو من أول الطريق إلى آخره في قبضة الله لا يتملص ولا يتفلّت. وتحت رقابته التي لا تفتر ولا تغفل. إن ابتداء الآية يشير إلى المقتضى الضمني للعبادة: ولقد خلقنا الإنسان فصانع الآلة أدرى بتركيبها وأسرارها.. وهو ليس بخالقها؛ لأنه لم ينشىء مادتها، ولم يزد على تشكيلها وتركيبها.. فكيف بالمنشىء الموجه الخالق؟!.. فيجد الإنسان نفسه مكشوفة لا يحجبها ستر. وكل ما فيها من وساوس خافتة وخافية معلوم لله. ومع هذا.. فهو أقرب إليه من حبل الوريد..

فهذا تعبير يصور القبضة المالكة والرقابة المباشرة. ولو استحضر القلب مدلول هذه العبارة ما جرُؤ على كلمة لا يرضى الله عنها.. بل ما جَرُؤَ على هاجسة في الضمير لا تنال القبول. وإنها وحدها لكافية ليعيش بها الإنسان في حذر دائم وخشية مستمرة، ويقظة لا تغفل عن المحاسبة.. ولكن القرءان يستطرد في إحكام الرقابة.. فإذا الإنسان يعيش ويتحرك وينام ويأكل ويشرب ويتحدث ويصمت، ويقطع الرحلة كلها بين ملكين موكّلين به، عن اليمين وعن الشمال، يتلقيان منه كل كلمة ويسجلانها فور وقوعها: ﴿**إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد. ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد.**.﴾ فالملكان رقيبان حاضران مع الإنسان يكتبان ما يقول وما يفعل... ﴿**وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون**﴾ فهذه صفحة الحياة، ووراءها في رحلة الإنسان لحظة الاحتضار: ﴿**وجاءت سكرة الموت بالحق، ذلك ما كنت منه تحيد.**.﴾ والموت أشد ما يحاول المخلوق البشري أن يروغ منه؛ أو يبعد شبحه عن خاطره.. ولكن أنّى له ذلك.. ويلفت النظر في التعبير ذكر هذه الجملة: وجاءت سكرة الموت بالحق.. فهي توحي بأن النفس البشرية ترى الحق كاملاً وهي في سكرات الموت. يراه بلا حجاب، وتدرك منه ما كانت تجهل وما كانت تجحد.. ولكن بعد فوات الأوان. ومن سكرة الموت إلى وهلة الحشر وهول الحساب: ﴿**ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد**..﴾ فهو مشهد يكفي استحضاره في النفس لتقضي رحلتها كلها على الأرض في توجس وحذر وارتقاب.

وفي ذلك اليوم تحضر النفس مع حارس يحرسها وشهيد يشهد لها أو عليها:

﴿**وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد**. .﴾ فهو مشهد أشبه شيء بالسَّوْقِ للمحاكمة. . وفي هذا الموقف العصيب يقال للإنسان الغافل عن هذا الموقف في الدنيا: ﴿**لقد كنت في غفلة من هذا. . فكشفنا عنك غطاءك. . فبصرك اليوم حديد**. .﴾ فبصرك اليوم لا يحجبه حجاب. وهذا هو الموعد الذي غفلت عنه واستهزأت به وسخرت منه. . فهذه هي النهاية التي كنت لا تتوقعها. . فالآن. . فانظر. . فبصرك اليوم حديد!. والآن في هذا الموقف يتقدم قرينه. وهو الشهيد الذي يحمل سجل حياته الرقيب عليه في الدنيا: ﴿**وقال قرينه: هذا ما لدي عتيد. ألقيا في جهنم كل كفار عنيد. مناع للخير معتد مريب**﴾: أمر موجه من الله إلى السائق والشهيد بإلقاء كل من كان هذا وصفه في جهنم! ﴿**الذي جعل مع الله إلهاً آخر**. .﴾ فالذي جعل مع الله إلهاً آخر فيه هذه الأوصاف وزيادة. . ﴿**فألقياه في العذاب الشديد**﴾!!. .

التوجيه الثالث: ﴿**قال قرينه: ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد**. .﴾: في هذا التوجيه مشهد يعرض فيه القرين مع قرينه بعد نهاية الحساب وطيّ الملفّ المسجل فيه خلاصة العقاب. وهذا القرين هو الشيطان المقيض لكل من يعْشُو عن ذكر الرحمان يزين له الكفر والشك والارتياب. وفي القرءان مشاهد مشابهة يتبرأ فيها القرين الشيطاني من القرين الإنساني على هذا النحو. . فقول الشيطان هذا القول رد لتهمة الإنسان أنه أطغاه. . فيقرر الشيطان براءته من هذه التهمة؛ لأن ضلال هذا الكافر كان موجوداً فيه متمكناً منه قبل أن يستمع لغوايته!. والآن بعد هذه المحاورة يجيء القول الفصل. . فينهي كل قول: ﴿**قال**﴾ ـ الله تعالى ـ: ﴿**لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد**. .﴾ فالمقام ليس مقام اختصام. . وقد سبق الوعيد. محدِّد أجزاء كل عمل غير صالح!. . وكل شيء مسجل لا يبدل: ﴿**ما يبدل القول لديّ**. .﴾ ولا يُجزي أحد إلا بما هو مسجل ولا يُظلم أحد: ﴿**وما أنا بظلام للعبيد**. .﴾ فالمُجَازِي هو الحكمُ العدلُ. بهذا ينتهي مشهد هذا العرض الرهيب بهوله وشدته. . ولكن المشهدَ كله لا ينتهي. . بل يكشفه السياق عن جانب منه مخيف: ﴿**يوم يقول لجهنم: هل امتلأت؟!. . وتقول: هل من مزيد**﴾؟!. .

فهذا المشهد كله مشهد حوار. . فتعرض جهنم فيه في معرض الحوار: بهذا

السؤال والجواب.. فهؤلاء الكفرة ـ وهم كثرة ـ يلقون في جهنم تباعاً، وتتكدّس ركاماً.. ثم تُنادَى جهنمُ: هل امتلأت؟ واكتفيت!.. ولكنها تتلمظ وتتحرق، وتقول في جشع الأكول النهم: هل من مزيد؟!.. وعلى الضفة الأخرى من هذا الهول مشهد آخر وديع أليف، رضى جميل: مشهد الجنة تقرب من المتقين.. حتى تتراءى لهم من قريب، مع الترحيب والتكريم: ﴿**وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد..**﴾ فالجنة تقرب وتزلف.. فلا يكلفون مشقّة السير إليها.. بل هي التي تجيء!.. ونعيم الرضى يتلقاهم مع الجنة: ﴿**هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ: من خشي الرحمان بالغيب، وجاء بقلب منيب..**﴾ فيوصفون هذه الصفة من الملإ الأعلى، ويعلمون أنهم في ميزان الله أوّابون حفيظون يخشون الرحمان ولم يشهدوه، منيبون إلى ربهم طائعون.. ثم يؤذن لهم بالدخول بسلام دون ما خروج: ﴿**ادخلوها بسلام، ذلك يوم الخلود..**﴾ ثم يؤذن في الملإ الأعلى تنويهاً بشأن هؤلاء الأبرار، وإعلاناً بما لهم عند ربهم من نصيب غير محدود: ﴿**لهم ما يشاءون فيها.. ولدينا مزيد..**﴾ فمهما اقترحوا فهم لا يبلغون ما أعد لهم.. فالمزيد من ربهم غير محدود!..

التوجيه الرابع: ﴿**وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشاً، فنقبوا في البلاد، هل من محيص**﴾ في هذا التوجيه المقطع الأخير في السورة؛ كأنه الإيقاع في اللحن الأخير، يعيد أقوى نغماته في لمس سريع مثير. ومع أن هذه اللمسات كلها قد سبقت في سياق السورة.. إلاّ أنها حين تعرض في الختام تعرض جديدة الإيقاع جديدة الوقع على الحس والضمير!. ويكون لها في الحس مذاقٌ آخر يبقى في هذا المقطع الأخير.. فالحقيقة التي يشير إليها قوله تعالى: وكم أهلكنا قبلهم من قرن.. هي الحقيقة التي سبقت الإشارة إليها في قوله تعالى: كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود.. ولكنها في صورتها الجديدة غيرها في صورتها الأولى.. فهي تضاف إليها حركة القرون، وهي تنقلب في البلاد، وتنقب عن أسباب الحياة.

وهي مأخوذة في القبضة التي لا يفلت منها أحد.. ولا مفر منها ولا فكاك!. وعقب عليها بما يزيدها جدة وحيوية: ﴿**إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب..**﴾ ففي مصارع الغابرين ذكرى، وفي نهاية الكافرين ذكرى.. فالسورة كلها ذكرى..

لكنها ذكرى لمن كان له قلب.. فمن لا تذكرُهُ هذه الذكريات فهو الذي مات قلبُه.. فقد يكفي للذكرى والاعتبار أن يكون هناك سمع يُلقي إلى الخبر بإنصات ووعي: ﴿**أو ألقى السمع وهو شهيد**..﴾ فالنفس البشرية شديدة الحساسية بمصارع الغابرين.. وشديدة التلقي لما يقال عن مصير اللاحقين.. ثم يعرض السياق صفحات جديدة من كتاب الكون؛ كما عرضها من قبل.. فأضاف هذه الحقيقة الجديدة إلى جانب اللمسة الأولى: ﴿**ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب**..﴾ فهذه اللمسة الجديدة تُوحِي بيسر الخلق والإنشاء في هذا الخلق الهائل!.. فكيف بإحياء الموتى وهو بالقياس إلى السماوات والأرض أمر هين بسيط.. وعقب على هذا بإيحاء جديد وإيقاع جديد: ﴿**فاصبر على ما يقولون، وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب. ومن الليل فسبحه وإدبار السجود**..﴾ فالصبر على ما يقول الكافرون في حق الله وفي حق الرسول وفي حق القرآن وفي حق البعث والنشور فرصة سانحة تهيىء الشخص المؤمن لأداء واجبه في الآصال والبكور. ومع هذا.. فلا بد لك أيها السامع من الاستعداد لما يفاجئك من هول يوم النشور: ﴿**واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب: يوم يسمعون الصيحة بالحق! ذلك يوم الخروج.. إنا نحن نحيي ونميت، وإلينا المصير. يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً! ذلك حشر علينا يسير**..﴾ فهذا مشهد جديد يفصل ما أجمل من قوله تعالى: ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد.. فعبر هنا عن النفخة بالصيحة. وصور مشهد الخروج ومشهد تشقق الأرض عنهم.. فهذه الخلائق التي ذهبت واندثرت تعود إلى الحياة من جديد، بعد تشقق القبور عنها بسرعة مذهلة ويسر عجيب!.. ﴿**نحن أعلم بما يقولون، وما أنت عليهم بجبار**﴾: في نهاية المطاف يتوجه الخطاب بالتثبيت والتطمين إلى الرسول ﷺ تجاه جدل المجادلين، وتكذيب المكذبين يتركهم وما هم عليه من الشك والتشكيك في الحقيقة الواضحة المشهودة بعين اليقين!.. ﴿**فذكر بالقرءان من يخاف وعيدِ**..﴾ فتذكير الناس بهذا الكلام هو وظيفتك.. فلست عليهم بجبار ترغمهم وتقسرهم رغماً عنهم على الإيمان.. فهذا القرءان، كاف في الترغيب والترهيب.. ففيه من القوة والسلطان ما لا يملكه الجبّارون.

1 ـ موضوع سورة الذاريات:
توجيه الناس إلى ما فيها من الآيات



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (1) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (2) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (3) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (4) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (5) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (6) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (7) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (8) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (9) قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (10) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (11) يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ (12) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (13) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (14) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (15) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ (16) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (17) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (18) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (19) وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (20) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (22) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (23) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (24)

إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿25﴾ فَرَاغَ
إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿26﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا
تَأْكُلُونَ ﴿27﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ
عَلِيمٍ ﴿28﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ
عَقِيمٌ ﴿29﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿30﴾
* قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿31﴾ قَالُواْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ
مُّجْرِمِينَ ﴿32﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿33﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ
لِلْمُسْرِفِينَ ﴿34﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿35﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا
غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿36﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ
الْأَلِيمَ ﴿37﴾ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿38﴾
فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿39﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ
فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿40﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ
الْعَقِيمَ ﴿41﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿42﴾
وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿43﴾ فَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ
فَأَخَذَتْهُمُ الصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿44﴾ فَمَا اسْتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٍ
وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴿45﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿46﴾
وَالسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿47﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا
فَنِعْمَ الْمَٰهِدُونَ ﴿48﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ

تَذَكَّرُونَ ﴿49﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿50﴾
وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿51﴾
كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ
أَوْ مَجْنُونٌ ﴿52﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿53﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ
فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿54﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿55﴾
* وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿56﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم
مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿57﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ
ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿58﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ
فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿59﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿60﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**والذاريات**﴾: جمع ذارية. وهي الرياح تذرو التراب وغيره من الأشياء التي تطيرها الرياح هنا وهناك. ﴿**ذروا**﴾: مصدر الذاريات، والياء منقلبة عن واو لوجود الكسرة قبلها. ﴿**فالحاملات**﴾: السحب تحمل الماء. ﴿**وقرا**﴾: حِمْلاً وزناً ومعنىً. ﴿**فالجاريات**﴾: السحب أو السفن. تجري يسراً بسهولة وانتظام. ﴿**فالمقسمات أمراً**﴾: الملائكة أو السحب..

﴿**إنما توعدون لصادق**﴾: إن الذي توعدونه من البعث والحشر والحساب وعْدٌ صادقٌ لا شك فيه. ﴿**وإن الدين**﴾: الجزاء على الأعمال يوم الحساب، ﴿**لواقع**﴾: حاصل، وكائن لا محالة، ﴿**والسماء**﴾: قسم ثانٍ بالسماء، ﴿**ذات**

الحبك﴾: الطرائق الحسنة المتسقة المستوية المتقنة البيان. وأصل الحبك: اتقان التركيب والتنسيق والتزيين.. **﴿إنكم لفي قول مختلف﴾**: متخالف متناقض في أمر البعث والقرءان والرسول.. **﴿يؤفك عنه من أفك﴾**: يصرف عن هذا الحق من صُرِف الصرف الذي لا صرف منه وأعظم. وأصل الصرف: تقسيم الشيء وتشتيته وإبعاد بعضه عن بعض. ومثله الإفك. يقال: أفكه يأفكه أفكاً إذا صرفه ووزعه شتاتاً. **﴿قُتِلَ﴾**: لُعِن. وأصله الدعاء بالقتل والهلاك. ثم جرى مجرى اللعن والطرد. **﴿الخراصون﴾**: الكذابون المقدّرون ما لا صحة له. وأصل الخرص تخمين مقدار الشيء دون التحقق منه. **﴿الذين هم في غمرة ساهون﴾**: هم في جهل يغمرهم ويحيط بهم من كل جانب فلا يدرون أين هم!. وأصل الغمرة الماء الكثير يحيط بالسابح فلا يدري أين يتَّجه فيغرق وينتهي أمره. ساهون: غافلون عما يحيق بهم من المهالك والمصائب: **﴿يسألون أيان يوم الدين؟!.. يوم هم على النار يفتنون﴾**: جواب عن سؤالهم. أي: يقع يوم هم بالنار يحرقون، قائلين لهم: **﴿ذوقوا فتنتكم: هذا الذي كنتم به تستعجلون﴾**!..

﴿إن المتقين في جنات وعيون﴾: مقابل ما للكذابين الكافرين، والجنات والعيون مقابل النار والاحتراق! **﴿آخذين ما آتاهم ربهم﴾**: قابلين لما أعطاهم.. راضين به.. **﴿إنهم كانوا قبل ذلك محسنين﴾**: تعليل لما نالوه من الثواب يوم الجزاء. والإحسان: إتقان العمل. والإتيان به على الوجه المطلوب شرعاً: أن تعبد الله كأنك تراه.. الحديث. **﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾**: تفسير للإحسان الواقع منهم في الدنيا. أي: كانوا ينامون من الليل قليلاً.. فلا ينامون الليل كله تاركين ما طلب منهم من صلاة في أول الليل.. **﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾**: وفي آخر الليل يقومون مصلين مستغفرين.. ففي أول الليل صلاة المغرب والعشاء، وهو ثلث الليل الأول. وفي السحر صلاة الفجر والصبح وقبلهما تسبيح واستغفار وتهيؤ لهما. وهو يأخذ السدس الأخير من الليل. وهذا ما استقر عليه أمر الإسلام في تحديد العبادة بأوقات معلومة مستقرة. **﴿وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾**: هم عندهم أموال فيها حق للمحتاج: السائل لحاجته، والمتعفف صيانة لكرامته.. **﴿وفي الأرض ءايات للموقنين﴾**: دلائل واضحة تدل على الصانع وقدرته وعلمه وحكمته وتدبيره. **﴿وفي أنفسكم﴾**: أيها المخاطبون آيات باهرات.. **﴿أفلا تبصرون؟!. وفي السماء رزقكم﴾**: سبب رزقكم ـ وهو

المطر المنزل من السماء ـ ﴿**وما توعدون**﴾: من الحساب والجزاء.. فهما غيب من غيوب السماء.. ﴿**فورب السماء والأرض إنه لحق**﴾: قسم على الموعود. وهو الجزاء يوم القيامة.. ﴿**مثل ما أنكم تنطقون**﴾: حال كون الموعود ثابتاً مثل ثبات نطقكم الذي لا تشكون فيه!!. ﴿**هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين**﴾؟.. الضيف مصدر ضافه يستوي فيه المفرد والجمع. والضيف يطلق على الشخص الطارىء على آخر في بيته.. المكرمين باعتبار الجمع. ﴿**إذ دخلوا عليه فقالوا: سلاماً.. قال: سلامٌ.. قوم منكرون**﴾: مجهولون لي.. ﴿**فراغ**﴾: تسلل خفية ﴿**إلى أهله**﴾: إلى بيته الذي فيه أهله. والأهل: المرأة والأولاد. المعبر عنها بالأسرة في العرف.. ﴿**فجاء بعجل سمين**﴾: فذبح عجلاً سميناً وصلاه حتى صار حنيذاً. ولحم العجول المصلى أشهى ما يكون من أنواع اللحم!. ﴿**فقربه إليهم..**﴾ فلم يأكلوا.. ﴿**قال: ألا تأكلون**﴾؟!..

﴿**فأوجس منهم خيفة**﴾: أضمر إبراهيم من هؤلاء خيفة وتوقع شراً؛ لأنهم لم يأكلوا من طعامه. يقال: من لم يأكل طعامك، لم يحفظ ذمامك. ﴿**قالوا: لا تخف**﴾، عندما أعلموه بمهمتهم إجمالاً.. ﴿**وبشروه بغلام عليم**﴾: بشروه بإسحاق.. ﴿**فأقبلت امرأته في صرة**﴾: صيحة عندما قالت: يا ويلتا أألد وأنا عجوز؟!.. ﴿**فصكت وجهها**﴾: استغراباً لما سمعت.. ﴿**وقالت: عجوز عقيم**﴾: تفسير للصرة. ﴿**قالوا: كذلك قال ربك**﴾. هذا القول الذي قلناه لك هو القول الذي قاله ربك.. ﴿**إنه هو الحكيم العليم..**﴾ ﴿**قال**﴾ ـ إبراهيم بعد ما سمع منهم البشارة ـ: ﴿**فما خطبكم أيها المرسلون**﴾؟: ما مهمتكم بالتفصيل؟ ﴿**قالوا: إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين**﴾: هم قوم لوط. ﴿**لنرسل عليهم حجارة من طين**﴾: حجارة صلبة نارية ـ من سجيل ـ ﴿**مسوّمة**﴾: معلّمة مهيأة جاهزة.. ﴿**عند ربك.. للمسرفين.. فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين**﴾: هم أهل لوط، إلا امرأته الكافرة.. ﴿**فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين**﴾: هم مؤمنوا أهل لوط فقط. ﴿**وتركنا فيها**﴾: في القرية المدمرة.. ﴿**آية**﴾: علامة بينة.. ﴿**للذين يخافون العذاب الأليم**﴾. وجاء في آية العنكبوت قوله تعالى: ﴿**ولقد تركنا منها ءاية بينة لقوم يعقلون**﴾ منها آية للعقول الفاهمة. وفيها آية للقلوب الخائفة. ﴿**وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين**﴾: وفي موسى آية بينة حين أرسلناه إلى فرعون بالمعجزة القاهرة البينة.. ﴿**فتولى بركنه**﴾: فأعرض فرعون عن الإيمان بموسى

وابتعد عنه راكناً إلى قوته وجنده. ﴿**وقال: .ساحر أو مجنون**﴾: قال فرعون في حق موسى عليه السلام: ساحر؛ لأنه يأتي بخوارق العادات.. أو مجنون، لأن قوله يدل على عدم تقبله وفساد عقله.. ﴿**فأخذناه وجنوده.. فنبذناهم في اليم.. وهو مليم**﴾: آت بما يلام عليه من الكفر والعناد والطغيان والعصيان. ﴿**وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم**﴾: الريح التي لا خير فيها. بل هي ريح هلاك ودمار: ﴿**ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم**﴾: ما تترك من شيء هبت عليه من أنفسهم وأنعامِهِم وأموالهم إلا أهلكته وجعلته رميماً متناثراً.. فالرميم: كل ما بَلَي وتفتت من عظم أو نبات.. ﴿**فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم!**﴾ ﴿**وفي ثمود إذ قيل لهم: تمتعوا حتى حين**﴾: وفي ثمود آية حين قيل لهم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام.. ﴿**فعتوا عن أمر ربهم**﴾: فاستكبروا ولم يمتثلوا أمر صالح عليه السلام،.. ﴿**فأخذتهم الصاعقة**﴾: صيحة شديدة صعقتهم من شدة هولها!. ﴿**وهم ينظرون**﴾: هم ينظرون ذلك ولم يتصرفوا في أمرهم: ﴿**فما استطاعوا من قيام.. وما كانوا منتصرين. وقوم نوح من قبل**﴾: وأهلكنا قوم نوح من قبل هؤلاء جميعاً.. ﴿**إنهم كانوا قوماً فاسقين**﴾: تعليل لما سبق من إهلاك الجميع.. فهم خارجون جميعاً عن دعوة الرسل. ﴿**والسماء بيناها بأيد**﴾: بناء السماء يدل على قوة فائقة يعجز عن تصورها البشر.. ﴿**وإنا لموسعون**﴾: وإنّا موسعون السماء وسعاً لا يستطيع البشر أن يدركوا حدودها مهما أوتوا من علم وخيال ووهم.. ﴿**والأرض فرشناها**﴾: بسطناها كما تبسط البسط لتكريم الضيوف. وهي ظاهرة لمن يدرك فائدة الأرض للإنسان..

﴿**فنعم الماهدون**﴾: مدح مرتب على حسن الفعل وإتقان الصنع!.. ﴿**ومن كل شيء خلقنا زوجين**﴾: ذكر وأنثى ـ فاعل ومنفعل ـ مؤثّر ومتأثّر. وهكذا الأشياء كلها.. وتطور فهم الإنسان وترقي علمه إلى أن عرف أشياء كثيرة عن هذا الكلام.. فهي معجزة القرءان في هذه الأيام!. ﴿**لعلكم تذكرون**﴾: هذا التحدي والتعجيز القرءاني يعرفه الذي يتذكر في معاني هذا القرءان. ويستظهر معانيه ومغازيه من بيان وتبيان!.. ﴿**ففروا إلى الله**﴾: إذا كان الأمر كذلك فقل لهم يا محمد: فروا إلى الله ﴿**إني لكم منه نذير مبين. ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر إني**﴾ ﴿**لكم منه نذير مبين**﴾: لا شك أن هذا الكلام موجه إلى المخاطبين بواسطة الرسول يحذرهم فيه من التأني والتمهل عن طاعة الله، وينذرهم عاقبة الشرك لأنه

نذير مبين.. فلا لبس في إنذاره.. ولكنهم استهانوا به. واستهزأوا بإنذاره مثل ما قال وفعل من قبلهم من الأمم المكذّبة!: ﴿**كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون.. أَتَوَاصَوْا بِهِ؟!.. بل هم قوم طاغون**﴾: تماثلوا في الطغيان والكفر والعصيان على اختلاف الأجيال وتعاقب الأزمان.. ﴿**فتول عنهم**﴾!: فدعهم وما يفترون.. ﴿**فما أنت بملوم**﴾: فقد بلغتهم وحذرتهم وأنذرتهم.. فلا لوم عليك بعد ذلك. ﴿**وذكّر**﴾: استمر في التذكير.. فلا يكون إعراضهم مثبطا لك.. ﴿**فإن الذكرى تنفع المؤمنين**﴾: تنفع الناس المستعدين للإيمان، وهم الذين خلت نفوسهم من العناد والعصيان. وتنفع المؤمنين فعلاً بزيادة البيان. ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾: ما خلق الله الجن والإنس لشيء من الأشياء إلا ليعبدوه ويعترفوا بربوبيته لهم. ﴿**ما أريد منهم من رزق.. وما أريد أن يطعمون.. إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين.. فإن للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم.. فلا يستعجلون..**﴾ الذنوب هنا: النصيب من العذاب. وأصل الذنوب: الدلو المملوء ماءً. ﴿**فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون**﴾: هذا اليوم الذي يسألون عنه تكذيباً واستهزاء!.

مبحث الإعراب

﴿**والذاريات**﴾ مجرورة بواو القسم. ﴿**ذروا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**فالحاملات**﴾ مرتب على الذاريات. ﴿**وقراً**﴾ مفعول به. ﴿**فالجاريات**﴾ مرتب على الحاملات. ﴿**يسراً**﴾ نعت لمفعول مطلق مقدر. أي جرياً سهلاً. ﴿**فالمقسمات**﴾ مرتب على الجاريات. أمراً مفعول به. ﴿**إن ما**﴾ في محل نصب اسم إنّ. ﴿**توعدون**﴾ الفعل ونائب الفاعل صلة ما. والعائد محذوف. أي أن الذي توعدونه ﴿**لصادق**﴾ خبر إنّ. واللام لتوكيد الخبر. والجملة جواب القسم لا محل لها من الإعراب. ﴿**وإن الدين لواقع**﴾ معطوف على جواب القسم. وهو مثله في الإعراب. ﴿**والسماء**﴾ قسم معطوف على القسم الأول. ﴿**ذات**﴾ نعت للسماء. ﴿**الحبك**﴾ مضاف إلى ذات. ﴿**إنكم**﴾ إن واسمها. ﴿**لفي قول**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ. واللام للتوكيد. ﴿**مختلف**﴾ نعت لقول. وجملة إنكم لفي قول مختلف جواب القسم. ﴿**يؤفك**﴾ فعل مضارع مبنيّ للمجهول. ﴿**عنه**﴾ متعلق به. ﴿**من**﴾ في محل رفع نائب الفاعل. ﴿**أفك**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على

مَنْ. والجملة صلتها. والجملة نعت ثان لقول. ﴿قتل﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿ الخراصون﴾ نائب الفاعل. ﴿الذين﴾ في محل رفع نعت «الخراصون». ﴿هم﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿في غمرة﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿ساهون﴾ خبر ثانٍ. ﴿يسألون﴾ فعل وفاعل. ﴿أيان﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿يوم﴾ خبر المبتدإ. ﴿الدين﴾ مضاف إلى يوم. ﴿يوم﴾ نصب بدلاً من جملة أيّان يوم الدين لأنه في محل نصب بيسألون. ﴿هم﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿على النار﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. وجملة هم على النار مضافة إلى يوم. ﴿يفتنون﴾ جملة الفعل ونائب الفاعل خبر ثانٍ لِهُمْ. ﴿ذوقوا﴾ مقول موجه إلى المخاطبين بعد ذكر حالهم في جهنم. ﴿فتنتكم﴾ مفعول به. ﴿هذا﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿الذي﴾ في محل رفع خبره. ﴿كنتم﴾ كان واسمها. ﴿به﴾ متعلق بما بعده: ﴿تستعجلون﴾ فعل وفاعل والجملة خبر كان. وجملة كنتم به تستعجلون صلة الموصول. ﴿إن المتقين﴾ إن واسمها.

﴿في جنات﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ. ﴿وعيون﴾ معطوف على جنات. ﴿آخذين﴾ حال من ضمير المتقين الواقع في الخبر. ﴿ما﴾ في محل نصب مفعول باسم الفاعل. ﴿آتاهم﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. ﴿ربهم﴾ فاعل. والجملة صلة ما. ﴿إنهم﴾ إن واسمها. ﴿كانوا﴾ كان واسمها. ﴿قبل﴾ متعلق بخبر كان الآتي. ﴿ذلك﴾ في محل جر مضاف. إلى الظرف. ﴿محسنين﴾ خبر كان. وجملة كان واسمها وخبرها خبر إنّ. ﴿كانوا﴾ مثل ما قبلها. ﴿قليلاً﴾ نعت لمفعول مطلق مقدر. ﴿من الليل﴾ متعلق بما بعده: ﴿ما يهجعون﴾ فعل وفاعل. وما صلة. والجملة خبر كان. والتقدير: كانوا يهجعون من الليل هجوعاً قليلاً. ﴿وبالأسحار﴾ متعلق بجملة الخبر الآتي. ﴿هم﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿يستغفرون﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر المبتدإ. وجملة وبالأسحار هم يستغفرون معطوفة على جملة يهجعون. أي: وكانوا يستغفرون بالأسحار.. ﴿وفي أموالهم﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿حق﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿للسائل﴾ متعلق بحق. ﴿والمحروم﴾ عطف على السائل. ﴿وفي الأرض﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿آيات﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿للموقنين﴾ متعلق بآيات. ﴿وفي أنفسكم﴾ معطوف على في الأرض. والمبتدأ المؤخر مقدّر: أي: وفي أنفسكم آيات. ﴿أفلا تبصرون؟!﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي، وفاء التعقيب، وحرف الاستفهام. ﴿وفي

السماء رزقكم﴾ إعرابه مثل إعراب وفي الأرض آيات. **﴿وما﴾** في محل رفع معطوف على رزقكم. **﴿توعدون﴾** جملة الفعل ونائب الفاعل صلةُ ما. **﴿فورب﴾** قسم بالواو دخل عليه فاء التعقيب. **﴿السماء﴾** مضاف إلى رب. **﴿والأرض﴾** معطوف على السماء. **﴿إنه لحق﴾** جواب القسم. إعرابه مثل إعراب وإن الدِّينَ لواقع. **﴿مثل﴾** حال من الضمير في حق. **﴿ما﴾** صلة. **﴿أنكم﴾** أن واسمها. **﴿تنطقون﴾** فعل وفاعل. والجملة خبر أنّ. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور مضاف إلى مثل. **﴿هل أتاك﴾** فعل ماض دخل عليه حرف الاستفهام. والضمير المتصل به مفعول. **﴿حديث﴾** فاعل. **﴿ضيف﴾** مضاف إلى حديث. **﴿إبراهيم﴾** مضاف إلى ضيف. مجرور بالفتحة. **﴿المكرمين﴾** نعت لضيف. **﴿إذ دخلوا﴾** فعل وفاعل مضاف إلى الظرف.

﴿عليه﴾ متعلق بالفعل قبله. **﴿فقالوا﴾** فعل وفاعل مرتب بالفاء على دخلوا. **﴿سلاماً﴾** مفعول بفعل مقدر. أي نسلم عليك سلاماً. **﴿قال﴾** - إبراهيم - **﴿سلام﴾** خبر لمبتدإ محذوف. أي: أمري سَلَام. **﴿قوم﴾** خبر لمبتدإ محذوف. أي: أنتم قومٌ. **﴿منكرون﴾** نعت لقوم. **﴿فراغ﴾** فعل ماض دخل عليه فاء التعقيب. والفاعل ضمير يعود على إبراهيم. **﴿إلى أهله﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿فجاء﴾** مرتب على ما قبله. **﴿بعجل﴾** متعلق بجاء. **﴿سمين﴾** نعت لعجل. **﴿فقربه﴾** مرتب على جاء. **﴿إليهم﴾** متعلق بقربه. **﴿قال﴾** - إبراهيم - **﴿ألا تأكلون؟﴾** فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي وحرف الاستفهام. **﴿فأوجس﴾** فعل ماض دخل عليه حرف التعقيب. والفاعل ضمير يعود على إبراهيم. **﴿منهم﴾** متعلق بأوجس. **﴿خيفة﴾** مفعول به. **﴿قالوا﴾** فعل وفاعل. **﴿لا تخف﴾** فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. والفاعل ضمير المخاطب. **﴿وبشروه﴾** فعل وفاعل ومفعول. معطوف على ما قبله. **﴿بغلام﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿عليم﴾** نعت لغلام. **﴿فأقبلت امرأته﴾** فعل وفاعل معقب بالفاء على ما قبله. **﴿في صرة﴾** متعلق بأقبلت. **﴿فصكت﴾** فعل ماضٍ مرتب على أقبلت. والفاعل ضمير يعود على امرأته. **﴿وجهها﴾** مفعول به. **﴿وقالت﴾** هي. **﴿عجوز﴾** خبر لمبتدإٍ محذوف. أي: أنا عجوزٌ. **﴿عقيم﴾** نعت لعجوز. **﴿قالوا﴾** فعل وفاعل. **﴿كذلك قال ربك﴾** فعل وفاعل. أي: مثل هذا القول الذي قلناه لكِ قال ربك. **﴿إنه﴾** إن واسمها. **﴿هو﴾** ضمير فصل. **﴿الحكيم العليم﴾** خبرانِ لإن. وجملة أنه هو

الحكيم العليم تعليلية لا محل لها من الإعراب. ﴿**قال**﴾ - إبراهيم - ﴿**فما**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**خطبكم**﴾ خبر المبتدإ. والفاء للتعقيب. ﴿**أيها**﴾ منادى مبني على الضم. حذفت منه ياء النداء. ﴿**المرسلون**﴾ نعت لأيٍّ باعتبار لفظها. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل. جواب عن السؤال: ﴿**إنا**﴾ إن واسمها. ﴿**أرسلنا**﴾ جملة الفعل ونائب الفاعل خبر إنّ. وجملة إنا أرسلنا مقول القول. ﴿**إلى قوم**﴾ متعلق بأرسلنا. ﴿**مجرمين**﴾ نعت لقوم. ﴿**لنرسل**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والفاعل نحن. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور باللام متعلق بأرسلنا. أرسلنا لأجل إرسالنا. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بالفعل قبله.

﴿**حجارة**﴾ مفعول به. ﴿**من طين**﴾ متعلق بمحذوف نعت لحجارة. ﴿**مسومة**﴾ حال من حجارة؛ لوصفها. ﴿**عند**﴾ ظرف متعلق بمسومة. ﴿**ربك**﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿**للمسرفين**﴾ كذلك.. ﴿**فأخرجنا**﴾ فعل وفاعل. والفاء فصيحة. مفصحة عن جمل قد حذفت دل عليها السياق. ﴿**من**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**كان**﴾ اسم كان ضمير يعود على من. ﴿**فيها**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان. ﴿**من المؤمنين**﴾ بيان لمن. وجملة كان فيها. صلةُ مَنْ. ﴿**فما وجدنا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي وفاء التعقيب. ﴿**فيها**﴾ متعلق بوجدنا. ﴿**غير**﴾ مفعول به. ﴿**بيت**﴾ مضاف إلى غير. ﴿**من المسلمين**﴾ متعلق بمحذوف نعت لبيت. ﴿**وتركنا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**فيها**﴾ متعلق بتركنا. ﴿**آية**﴾ مفعول به. ﴿**للذين**﴾ متعلق بآية. ﴿**يخافون العذاب**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الذين. ﴿**الأليم**﴾ نعت للعذاب. ﴿**وفي موسى**﴾ متعلق بفعل مقدر، أي: وتركنا في موسى آية. ﴿**إذ أرسلناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه الظرف المتعلق بآية المقدّرة. ﴿**إلى فرعون بسلطان**﴾ متعلق بأرسلناه. ﴿**مبين**﴾ نعت لسلطان. ﴿**فتولى**﴾ فعل ماض دخل عليه فاء التفريع. والفاعل ضمير يعود على فرعون. ﴿**بركنه**﴾ متعلق بتولى. ﴿**وقال**﴾ معطوف على تولى. ﴿**ساحر**﴾ خبر لمبتدإٍ محذوف. أي: هو ساحر. ﴿**أو مجنون**﴾ معطوف على ساحر. ﴿**فأخذناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه فاء التعقيب. ﴿**وجنوده**﴾ معطوف على الضمير المفعول. ﴿**فنبذناهم**﴾ مرتب على ما قبله.. ﴿**في اليم**﴾ متعلق بنبذناهم. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**مليم**﴾ خبره. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**وفي عاد إذ أرسلنا**﴾ إعراب هذا الكلام مثل إعراب وفي موسى.. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بأرسلنا.

﴿الريح﴾ مفعول به. ﴿العقيم﴾ نعت للريح. ﴿ما تذر﴾ فعل مضارع منفي بما. والفاعل ضمير يعود على الريح. ﴿من شيء﴾ مفعول به. مجرور بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿أتت﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير الريح. ﴿إلا جعلته﴾ فعل ماض دخل عليه حرف الاستثناء. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير الريح. ﴿كالرميم﴾ الكاف في محل نصب مفعول ثانٍ. والرميم مجرور بالكاف. ﴿وفي ثمود﴾ مثل ما سبق في نظيره.

﴿إذ قيل﴾ فعل ماض مبني للمجهول دخل عليه الظرف ﴿إذْ﴾ ﴿لهم﴾ متعلق بقيل. ﴿تمتعوا﴾ أمر موجه إلى ثمود بطريق الخطاب. ﴿حتى حين﴾ متعلق بتمتعوا. ﴿فعتوا﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التعقيب. ﴿عن أمر﴾ متعلق بعتوا. ﴿ربهم﴾ مضاف إلى أمر. ﴿فأخذتهم﴾ مرتب على عتوا. ﴿الصاعقة﴾ فاعل. ﴿وهم﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿ينظرون﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر المبتدإِ. ﴿فما استطاعوا﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي وفاء التعقيب. ﴿من قيام﴾ مفعول به مجرور بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿وما كانوا منتصرين﴾ الجملة من كان واسمها وخبرها معطوفة على جملة فما استطاعوا. . ﴿وقوم﴾ منصوب بفعل محذوف أي: أهلكنا قومَ. ﴿نوح﴾ مضاف إلى قوم. ﴿من قبل﴾ متعلق بأهلكنا. ﴿إنهم﴾ إن واسمها. ﴿كانوا﴾ كان واسمها. ﴿قوماً﴾ خبر كان. ﴿فاسقين﴾ نعت له. وجملة كانوا قوماً فاسقين خبر إنّ. وجملة إنهم كانوا قوماً فاسقين تعليلية. ﴿والسماء﴾ منصوب بفعل مقدر يفسره ما بعده. ﴿بنيناها﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿بأيد﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿وإنا﴾ إن واسمها. ﴿لموسعون﴾ خبرها. واللام لتأكيد الخبر. ﴿والأرض فرشناها﴾ مثل والسماءَ بنيناها في الإعراب. ﴿فنعم الماهدون﴾ فعل وفاعل. والفاء للتعقيب. ﴿ومن كل شيء﴾ متعلق بما بعده: ﴿خلقنا زوجين﴾ مفعول به. ﴿لعلكم﴾ لعل واسمها. ﴿تذكرون﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر لعلّ. وجملة لعلكم تذكرون تعليلية. ﴿ففروا﴾ أمر مفرع على ما قبله. ﴿إلى الله﴾ متعلق بفروا. ﴿إني﴾ إن واسمها. ﴿لكم منه﴾ متعلقان بما بعدهما: ﴿نذير﴾ خبر إنّ. ﴿مبين﴾ نعت لنذير. ﴿ولا تجعلوا﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النهي الجازم معطوف على الأمر. ﴿مع﴾ ظرف متعلق بالفعل قبله. ﴿الله﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿إلهاً﴾ مفعول به. ﴿آخر﴾ نعت لإله. ﴿إنى لكم منه نذير مبين﴾ مثل ما سبقه في الإعراب. والجملتان

تعليل. ﴿**كذلك**﴾ الكاف في محل رفع خبر لمبتدإ محذوف أي: الأمرُ مثلُ ذلك. ﴿**ما أتى**﴾ فعل ماض منفيّ بما. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**من قبلهم**﴾ متعلق بمحذوف صلة الموصول. ﴿**من رسول**﴾ فاعل. مجرور بحرف الجر الزائد في محل رفع. ﴿**إلا قالوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستثناء المفرّغ. ﴿**ساحر**﴾ خبر لمبتدإ محذوف. أي: هو ساحر.

﴿**أو مجنون**﴾ معطوف على ساحر. ﴿**أتواصوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**به**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**بل هم**﴾ في محل رفع مبتدأ دخل عليه حرف الإضراب العاطف. ﴿**قوم**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**طاغون**﴾ نعت لقوم. ﴿**فتول**﴾ أمر موجه إلى الرسول مفرع على ما سبقه. ﴿**عنهم**﴾ متعلق بالأمر. ﴿**فما أنت**﴾ في محل رفع اسم ما العاملة عمل ليس. ﴿**بملوم**﴾ خبر ما. مجرور بحرف الجر الزائد في محل نصب. والجملة مرتبة بالفاء على ما قبلها. ﴿**وذَكِّرْ**﴾ معطوف على الأمر السابق. ﴿**فإن الذكرى**﴾ إن واسمها. ﴿**تنفع**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الذكرى. ﴿**المؤمنين**﴾ مفعول به. والجملة تعليلية. ﴿**وما خلقت الجن**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي. ﴿**والإنس**﴾ معطوف على الجن. ﴿**إلا ليعبدونِ**﴾ فعل وفاعل ومفعول مؤول مع أن المقدّرة بمصدر مجرور بلام التعليل متعلق بخلقت. والمعنى: وما خلقت الجن والإنس لشيء إلا لعبادتهم إياي. ﴿**ما أريد**﴾ فعل مضارع منفيّ بما. والفاعل ضمير المتكلم. وهو الله سبحانه وتعالى. ﴿**منهم**﴾ متعلق بأريد. ﴿**من رزق**﴾ مفعول به. مجرور بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿**وما أريد**﴾ عطف على مثله. ﴿**أن يُطعمونِ**﴾ فعل وفاعل ومفعول. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول به. أي: وما أريد إطعامهم إياي. ﴿**إن الله**﴾ إن واسمها. ﴿**هو**﴾ ضمير فصل. ﴿**الرزاق**﴾ خبر إنّ. ﴿**ذو**﴾ خبر ثانٍ مرفوع بالواو. ﴿**القوة**﴾ مضاف إلى ذو. ﴿**المتين**﴾ خبر ثالث. ﴿**فإن للذين**﴾ متعلق بمحذوف خبر إن مقدم. ﴿**ظلموا**﴾ صلة الذين. ﴿**ذنوباً**﴾ اسم إنّ مؤخر. ﴿**مثل**﴾ نعت له. ﴿**ذنوب**﴾ مضاف إلى مثل. ﴿**أصحابهم**﴾ مضاف إلى ذنوب. والجملة جواب لشرط مقدّر. والتقدير: إذا ثبت أن الله تعالى ما خلق الجن والإنس إلا للعبادة فإن الذين ظلموا بالكفر والشرك نصيباً وافراً من العذاب.. ﴿**فلا يستعجلون**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النهي الجازم. والجملة مرتبة بالفاء على ما قبلها. ﴿**فويل**﴾ مبتدأ. ﴿**للذين**﴾

متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين. ﴿**من يومهم**﴾ متعلق بويل. ﴿**الذي**﴾ في محل جر نعت ليوم. ﴿**يوعدون**﴾ جملة الفعل ونائب الفاعل صلة الذي. والعائد محذوف. أي: الذي يوعدون به.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**والذاريات ذروا..**﴾ ربط هذه السورة بما قبلها: أنها لما ختمت سورة ق بذكر البعث واشتملت على ذكر الجزاء والجنة والنار وغير ذلك افتتحت هذه السورة بالأقسام على أن ما وُعِدُوا من ذلك لصادق وأن الجزاء لواقع. وأنه قد ذكر في سورة ق إهلاك كثير من القرون على وجه الإجمال ذكر في هذه السورة إهلاك بعضهم على سبيل التفصيل.. إلى غير ذلك مما يظهر للمتأمّل.. والقسم المفتتح به مراد منه تحقيق المقسم عليه، وتأكيد وقوعه. وقد أقسم الله تعالى بعظيم من مخلوقاته. وهو في المعنى قسم بقدرته وحكمته. ويتضمن تشريف تلك المخلوقات بما في أحوالها من نعم، ودلالة على الهدى والصلاح. والفاء الرابطة بين المقسم بها جاءت لترتيب الأقسام، باعتبار ما بينها من التفاوت في الرتبة، وفي الدلالة على كمال القدرة من الرياح إلى السحاب إلى السفن الجارية إلى الملائكة المقسّمة من أمر الله الغيبي. وهذا الترقي من المشاهد المحسوس إلى المعقول بالنص المنقول مقصود به شمول عالم الخلق والأمر. وهو خاص بالمؤمن الصادق.. وفي تخصيص الأمور المذكورة بالقسم بها رمز إلى شهادتها بتحقق مضمون الجملة المقسم عليها، من حيث إنها أمور بديعة رائعة عجيبة.. فمن قدر عليها فهو قادر على البعث الموعود!!.. ﴿**والسماء ذات الحبك**﴾: وصلت هذه الجملة بالعطف على ما قبلها من القسم؛ لأنه قسم على نوع آخر من المقسم عليه، من تحقيق اضطراب أقوال الناس في خبر القرءان من مصدق ومكذب.. ومناسبة هذا القسم للمقسم عليه في وصف السماء بأنها ذات حبك طرائق مختلفة متلونة؛ لأن قول الناس في القرءان وفي الرسول مختلف طرائق متعددة ذات أغراض وألوان.. فلذلك وصف المقسم به ليكون إيماء لنوع جواب القسم. ﴿**يؤفك عنه من أفك**﴾: فصلت هذه الجملة فلم تعطف؛ لأنها جاءت بياناً للقول المختلف بين المصدق في القرءان والرسول وبين المكذب المأفوك عن قول الحق. ﴿**قتل الخراصون**﴾: دعاء على من أفك عن الحق وتمسك بالشك والوهم

الذي يورط صاحبه في الزيغ والضلال: ﴿**الذين هم في غمرة ساهون**﴾. وجاءت هذه الآية مفصولة عما قبلها؛ لأن جملة الدعاء لا تعطف لشدة اتصالها بما قبلها.. فهو إيماء إلى أن ما قبلها ـ يؤفك عنه من أفك ـ سبب للدعاء عليهم.. فهذا من بديع الإيجاز. ﴿**يسألون: أيان يوم الدين**﴾؟: استؤنفت هذه الآية استئنافاً بيانياً ناشئةً عن جملة قتل الخراصون؛ لأنها أفادت تعجيباً من سوء عقولهم وأحوالهم.. فهي مثار سؤال في نفس السامع بتطلّب البيان.. فأجيب بأنهم يسألون عن يوم الدين سؤال متهكمين مستهزئين.

وجملة ﴿**يوم هم على النار يفتنون**﴾ جواب لسؤالهم، جرى على أسلوب الحكيم. وجملة يفتنون تمثيل لحالهم بحال المعدن الذي يصهر بالنار القوية التي تذيب الحديد وأصلب المعادن. ومع هذا يقال لهم زيادة في تعذيبهم الروحي بعد تعذيبهم الجسدي: ﴿**ذوقوا فتنتكم، هذا الذي كنتم به تستعجلون!!. إن المتقين في جنات وعيون**﴾: هذا الفريق مقابل للفريق السابق.. فهذا الكلام مؤيّد لقول من قال: إن القول المختلف، هو قول المحق والمبطل. والخطاب عام، وليس خاصاً بالكافرين. ومعنى ﴿**آخذين ما آتاهم ربهم**﴾ قابلون وراضون. وهو يدل على تحقيق الوعد فعلاً لا قولاً فقط. فالأخذ مستعمل في صريحه وكنايته. وجملة ﴿**إنهم كانوا قبل ذلك محسنين**﴾ تعليل لجملة إنّ المتقين في جنات وعيون. وجملة ﴿**كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون**﴾ تفسير لجملة كانوا قبل ذلك محسنين. ﴿**وبالأسحار هم يستغفرون**﴾: هذا تكميل لعبادتهم أول الليل وآخره.. ﴿**وفي أموالهم حق للسائل والمحروم**﴾: زيادة لحسن أعمالهم مع الناس بعد بيان حسن أعمالهم مع ربهم.. فقد تضمنت هذه الأعمال الأربعة أَصلَيْ إصلاح النفس وإصلاح الناس. وذلك جماع ما يرمى إليه التكليف من الأعمال.. فإن صلاح النفس تزكية الباطن والظاهر.. ففي قيام الليل إشارة إلى تزكية النفس باستجلاب رضى الله. وفي الاستغفار تزكية الظاهر بالأقوال الطيبة. وفي جعلهم الحق في أموالهم للسائلين نفع ظاهر للمحتاج المظهر لحاجته. وفي جعلهم الحق للمحروم نفع المحتاج المتعفف عن إظهار حاجته الصابر تعففاً صيانة لكرامته. وفي هذه الأعمال ونتائجها مقابلة لأعمال الكافرين المكذبين المستهزئين ونتائجها.. فالإحراق بالنار يقابله الجنات والعيون.

﴿**وفي الأرض ءايات للموقنين**﴾: وصلت هذه الآية بالأدلة السابقة تؤكد وقوع

البعث والحساب. ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾؟: وصلت هذه الآية بالعطف على الآية قبلها.. وفرع عليه أفلا تبصرون. والاستفهام إنكاري. والإبصار مستعار للتذكر والتفكّر. ﴿وفي السماء رزقكم﴾: بعد أن ذكر دلائل الأرض ودلائل الأنفس وصل بالعطف ذكر السماء للمناسبة، وتمهيداً للقسم الذي يأتي بعد.. وعطفُ ﴿وما توعدون﴾ إدماج بين أدلة إثبات البعث؛ لقصد الموعظة الشاملة للوعيد على الإشراك، والوعد على الإيمان.. ﴿فورب السماء والأرض. إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾: بعد أن أكّد الكلام بالقسم بالذاريات وما عطف عليها فرع على ذلك زيادة تأكيد بالقسم بخالق السماء والأرض على أن ما يوعدونه حق. وجملة مثل ما أنكم تنطقون زيادة تقرير لوقوع ما أوعدوه؛ بأن شبه بشيء معلوم بالضرورة لا امتراء فيه.. وهو كون المخاطبين ينطقون. وهذا نظير قولهم: إن لم تكن أنت فلاناً. وهو من التمثيل بالأمور المحسوسة البديهية. واجتلاب المضارع تنطقون يفيد التشبيه بنطقهم المتجدد المستمر. ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين. إذ دخلوا عليه.. فقالوا سلاماً﴾: انتقال من الإنذار والموعظة والاستدلال، إلى الإخبار بأحوال الأمم الماضية المماثلة للمخاطبين المشركين في الكفر وتكذيب الرسل. وهذه الآية مستأنفة استئنافا ابتدائياً. وغير أسلوب الكلام من الخطاب والمواجهة إلى أسلوب التعريض ـ تفنّناً ـ بذكر قصة إبراهيم لتكون توطئة للمقصود من ذكر ما حل بقوم لوط حين كذبوا رسولهم وأنكروا عليه دعوته. ولمّا وُجّه الخطاب للرسول ﷺ بقوله: هل أتاك.. عرف أن المقصود الأصلي تسليته على ما لقيه من تكذيب قومه. ﴿قال: سلام..﴾ فهو رد من إبراهيم عليه السلام بأحسن تحية مما حيوا به ـ الملائكة المكرمون ـ. ﴿قوم منكرون﴾: استغربهم؛ لعدم معرفته بهم ومفاجأتهم له دون سابق علم.. ﴿فراغ إلى أهله﴾: من كرم إبراهيم أنه تسلل إلى بيته الذي فيه أهله خفية دون أن يشعروا به باعتبارهم ضيوفه.. ﴿فجاء بعجل سمين﴾: هذه الجملة مرتبة على جمل قبلها مقدرة. والتقدير: فذبح عجلاً فشواه ـ حنذه ـ وهو أعز ما يقدم للضيف.. ﴿فقربه إليهم﴾ بمجرد ما جاء به دون أن يمسه أحد. ﴿قال: ألا تأكلون﴾؟!: سؤال استغراب.. ﴿فأوجس منهم خيفة﴾: تخوف منهم لاعتقاده أنهم جاءوا يريدون شرّاً. معلوم من عادة العرب هذا.. ﴿قالوا: لا تخف..﴾ فعلم منهم أنهم ملائكة مرسلون بأمر الله. ﴿وبشروه بغلام عليم﴾: هو إسحاق الابن الثاني لإبراهيم. وقبله

الغلام الحليم. وهو إسماعيل. ـ عليهم السلام ـ. . ﴿**فأقبلت امرأته في صرة. . فصكت وجهها، وقالت: عجوز عقيم!. قالوا: كذلك قال ربك. .**﴾ فقولنا هذا هو قول ربك الذي بعثنا نبشرك بفحواه. ﴿**إنه هو الحكيم العليم. .**﴾ ولما علم إبراهيم أنهم رسل من الله وجه إليهم هذا الكلام مستفهماً: ﴿**قال: فما خطبكم أيها المرسلون؟. . قالوا: إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين. .**﴾ فالقوم المجرمون هم قوم لوط. وتكررت قصتهم في عدة سور.

﴿**لنرسل عليهم حجارة من طين**﴾: بيان الغرض من إرسال الملائكة إليهم. والحجارة حجارة نارية ـ من سجيل ـ ﴿**مسومة عند ربك للمسرفين**﴾: معلمة من الله أنها حجارة عذاب لا تحيق إلا بالمسرفين. وفي هذا تعريض بمشركي مكة وما حولها! وقد شاهدوا ما حل بأصحاب الفيل!. . ﴿**فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين. . فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين**﴾: وهم أهل لوط غير امرأته الماكرة الخائنة. . ﴿**وتركنا فيها ءاية للذين يخافون العذاب الأليم. . وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين**﴾: وصلت هذه الآية بالعطف على قوله: وفي الأرض آيات للموقنين. . أي: ففي قصة موسى آية حين أرسلناه إلى فرعون بالمعجزة القاهرة. . ﴿**فتولى بركنه، وقال ساحر أو مجنون**﴾: فأعرض فرعون وازور وتولى معتصماً بقوته وما يركن إليه من مال وسلاح ورجال. . فاتهم موسى عليه السلام بالسحر أو الجنون؛ لأن موسى إن لم يكن ساحراً ماكراً مخادعاً فهو مجنون يقول شيئاً لا يدري حقيقته ولا يشعر بنتيجته!. ﴿**فأخذناه وجنوده. . فنبذناهم في اليم**﴾: الجملة الأولى معقبة بالفاء على جملة فتولى بركنه. . والجملة الثانية مرتبة بالفاء على جملة فأخذناه وجنوده. وجملة ﴿**وهو مليم**﴾ حال من ضمير فرعون. ﴿**وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم**﴾: هذه الآية موصولة بالعطف على آية وفي موسى إذ أرسلناه. . أي: وفي عاد آية حين أرسلنا عليهم الريح العقيم: ﴿**ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم. . وفي ثمود إذ قيل لهم: تمتعوا حتى حين**﴾: وفي ثمود آية كذلك حين قيل لهم: تمتعوا في هذه الدنيا إلى حين انتهاء آجالكم حين أمرهم نبيئهم صالح بعبادة الله وتقواه. . ولكنهم خالفوه. ﴿**فعتوا عن أمر ربهم. . فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون. . فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين**﴾!!. . وقصتهم وقصة عاد مفصلة في مواضع كثيرة من السور. ﴿**وقوم نوح من قبل**﴾: وأهلكنا قوم نوح من قبل عاد وثمود وقوم لوط

وفرعون وقومه. . ﴿**إنهم كانوا قوماً فاسقين**﴾: تعليل لكل من سبق إهلاكهم من الأمم المكذبة. . فليس هو خاصاً بقوم نوح فقط؛ كما يتبادر إلى الذهن.

﴿**والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون**﴾: هذه الآية وصلت بالعطف على الدلائل السابقة؛ لزيادة ما فيها من البيان والتوضيح على تمام العلم والقدرة والحكمة. . فلفظ البناء إشارة إلى كون السماء محكمة البنيان. . وفي لفظ بأيدٍ تأكيد لذلك البناء المصمم بيد القدرة الذي لا تفاوت فيه ولا خلل يعتريه. . وجملة وإنا لموسعون فيها التحدي والتعجيز لكل مخلوق بأنه لا يمكن له أن يحدد مسافة السماء مهما أوتي من علم وقدرة على البحث والتنقيب!!. . ﴿**والأرض فرشناها**﴾: وصل الكلام بالعطف على ما قبله؛ زيادة في إظهار القدرة والحكمة. . فهي نعمة من الله للإنسان. . فهيأ له هذه الأرض المفروشة بالبسط توضع وترفع على اختلاف الفصول، والإنسان فيها يتمتع بالعرض والطول. . ﴿**فنعم الماهدون**﴾: رتب هذه الجملة على الجملة قبلها؛ لما فيها من إظهار المنَّة وإسداء النعمة. . فهذه المخلوقات كلها لأجل الإنسان! ﴿**وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه؛ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون!**﴾ ﴿**ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون**﴾!: هذه الآية عممت ووحّدت الخلق بصفة تجمع الجميع في بوتقة واحدة ليسهل تجربتها والوقوف على نتيجة القصد منها. وهي وحدة الخلق دليل على وحدة الخالق. وقد استقر رأي العقلاء الآن بعد الفحص والتمحيص أن جميع الأشياء أصلها الذكر والأنثى: السالب والموجب والفاعل والمنفعل. . فلا يخص الذكر والأنثى بالأحياء: النبات والحيوان، ولكن تعم جميع ما خلق الله. . فسبحان مُعلِّم هذا البيان!!. . ﴿**ففروا إلى الله**﴾: تذكروا هذا. . ففروا إلى الله الذي هذه شؤونه بالإيمان والطاعة؛ كي تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه. . فهذا هو ما أقوله لكم: ﴿**إني لكم منه نذير مبين**﴾. وفي هذه الأمور الموجه من الله إلى الرسول والأمر الموجه من الرسول إلى الناس بالهرب إلى الله تعالى من عقابه، وتعليله بأن الرسول منذر لهم بَيِّنُ الإنذار. والنصح والاستبشار إن هم استجابوا لله ولرسوله وعدٌ كريم بنجاتهم من المهروب وفوزهم بالمطلوب!.

وجملة ﴿**ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر**﴾ نهي موجب للفرار من سبب العقاب

بعد الأمر بالفرار من نفس العقاب. أي: ففروا من النار إلى الجنة.. وفروا من الكفر والعصيان إلى الطاعة والإيمان. وجملة ﴿**إني لكم منه نذير مبين**﴾ الثانية تأكيد لما قبله من الأمر بالفرار من العقاب نهياً عن سبب العقاب.. فلا تكرار في العلتين.. تنبّه!.. ﴿**كذلك**﴾: بعد توضيح البيانات، وذكر القصص، وتقرير الدلائل جاءت هذه الكلمة ـ كذلك ـ لتسلية الرسول وتطمينه.. فالأمر مثلُ الذي تقرر من تكذيب الرسل، وإصرار الكفرة على الإنكار.. ثم فسر ما أجمله بقوله تعالى: ﴿**ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا: ساحر أو مجنون**﴾!!.. وجملة ﴿**أتواصوا به**﴾ استفهام على سبيل التعجب من تطابق آرائهم وأفعالهم وأقوالهم! وتصميمهم على تكذيب رسلهم.. ثم أضرب عن ذلك؛ لأن تطابق المتقدم والمتأخر على أمر واحدٍ غيرُ ممكن.. فنبّه على جلية الحال قائلاً: ﴿**بل هم قوم طاغون**﴾!.. فالعلة المشتركة بين السابقين واللاحقين هي الطغيان.. ﴿**فتول عنهم**﴾: تعقيب على ما سبق.. ﴿**فما أنت بملوم**﴾: هذه الجملة مرتبة على ما قبلها.. ﴿**وذكّر**﴾: استمر في التذكير.. ﴿**فإن الذكرى تنفع المؤمنين**﴾: تعليل للاستمرار في الإنذار والتحذير. ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾: هذه الآية تؤكد وتقرر ما تضمنه الأمر بالتذكير والتحذير.. فهذا تكريم لهم لو علموا حقيقة هذا الأمر الخطير. ﴿**ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون**﴾: هذه الآية جاءت بياناً وتوضيحاً للفرق بين عباد الله وعبيد الناس، حيث يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معاشهم، وتهيئة أرزاقهم. ﴿**إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين**﴾: تعليل لكون الله تعالى غني عن العباد.. ﴿**فإن للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم**﴾: هذا تعقيب على موقف المشركين من أهل مكة وما حولها يهددهم بأن لهم نصيباً وافراً من العذاب يماثل عذاب من سبقهم من كفرة الأمم المهلكة.. ﴿**فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون**﴾: تهديد شامل لكل من كفر بالله دون استثناء!.. وتختم السورة بهذا الإنذار الأخير. وفيه براعة المقطع. كما فيه ربط المقطع بالمطلع!..

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿**والذاريات ذروا. فالحاملات وقراً. فالجاريات يسراً. فالمقسمات أمراً. إنما توعدون لصادق. وإن الدين لواقع..**﴾: في هذا التوجيه

هذا الْقَسَمُ الوجِيه. في هذه السورة بافتتاحها على هذا القسم.. ثم بسياقها كله تستهدف أمراً واضحاً في سياقها كله، لفت نظر الإنسان: بالسماء، وتعليقه بغيب الله المكنون.. فتخليص قلب الإنسان من قيود الأرض، وإطلاق نظره من أسار الرزق وتعليقه بالسماء وما فيها من دلائل على قدرة وحكمة خالقها تجعله يتطلع إلى الله بلا عائق يحول بينه وبين الانطلاق ويعوقه عن الفرار إلى الله.. فهذا هو محور السورة بكل موضوعاتها وقضاياها التي تطرقها. ومن ثَمَّ كان هذا الافتتاح، وكان ذلك الإيقاع المُثير في أولها!.. فهذه الإيقاعات القصيرة السريعة المثيرة تلقي في حس الإنسان إيحاءً خاصّاً. وتلقي ظلاً معيناً يعلق القلب بأمر ذي بال، وشأن يستحق الانتباه!. أقسم الله سبحانه بالرياح التي تذرو ما تذروه من غبار وحبوب لقاح وسحب وغيرها.. مما يعلم الإنسان وما يجهل. وبالسحاب الحاملات وقراً من الماء يسوقها الله به إلى حيث يشاء. وبالسفن الجاريات في يسر على سطح الماء بقدرته، وبما أودع الماء وأودع السفن وأودع الكون كله من خصائص تسمح بهذا الجريان اليسير.. ثم بالملائكة المقسمات أمراً: تحمل أوامر الله وتوزعها وفق مشيئته. والريح والسحاب والسفن والملائكة خلق من خلق الله تعالى يتخذها أداة لقدرته وستاراً لمشيئته ويتحقق عن طريقها قدر الله في كونه وفي عباده. وهو يقسم بها للتعظيم من شأنها، وتوجيه القلوب إليها؛ لتدبر ما وراءها من دلالة؛ ولرؤية يد الله وهي تنشئها وتصرفها وتحقق بها قدر الله المرسوم. وذِكْرُها على هذه الصورة بصفة خاصة يُوجِّهُ القلب إلى أسرارها المكنونة، ويعلقه بمبدع هذه الخلائق من وراء ذكرها هذا الذكر الموحي.. ثم لها كذلك صلة من ناحية أخرى بموضوع الرزق الذي ارتبط به سياق هذه السورة.. فالرياح والسحب والسفن ظاهرة الصلة بالرزق ووسائله وأسبابه. أما الملائكة وتقسيمها للأمر فإن الرزق أحد هذه الأقسام.. فمن ثَمَّ تتضح الصلة بين هذا الافتتاح وموضوع بارز تعالجه السورة في مواضع شتَّى. يقسم الله سبحانه وتعالى بهذه المخلوقات الأربع على: ﴿**إن ما توعدون لصادق. وإن الدين لواقع..**﴾ وقد وعد الله الناس أنه مجازيهم بالإحسان إحساناً، ومجازيهم بالسوء سوءاً. وأنه إذا أمهلهم الحساب في هذه الحياة الدنيا فليس بمهمل حسابهم في الآخرة.. فالحساب لا بد منه هنالك.. فالوعد صادق حتماً، إما هنا وإما هناك.. ومما وعدهم كذلك الرزق وكفالته لهم مبسوطاً أو مقدراً ـ وفق مشيئته ـ ووعدُه حقّ في هذا؛ كما هو حق في

كل شأن. ولا بد أن يتحقق ما وعد الله به الناس في الصورة التي يريدها، وفي الوقت الذي يشاء.

وما يحتاج الأمر إلى قسم منه ـ سبحانه ـ إنما يقسم بخلائقه تلك؛ لتوجيه القلب إليها، وتدبر ما وراءها من إبداع وقدرة وتدبير يوحي للقلب بأن وعد الله لا بد صادق!؛ وأن حسابه على الخير والشر والصلاح والفساد لا بد واقع!.. فإن طبيعة هذه الخلائق توحي بأن الأمر ليس عبثاً ولا مصادفة ولا جزافاً.. وهكذا تصبح تلك الخلائق آيات وبراهين ذات دلالة إيحائية قوية بفضل هذا القسم الذي يلفت القلب إليها لفْتاً، ويوجه الحسّ إليها توجيهاً.. فهذه طريقة من طرق الإيحاء والتربية، ومخاطبة الفطرة بلغة الكون خطاباً مباشراً.. ثم يأتي بعد هذا قسمٌ آخرُ كذلك: ﴿**والسماء ذات الحبك. إنكم لفي قول مختلف..**﴾ فيقسم الله سبحانه بالسماء المنسّقة المحبوكة ظاهرة الدلالة على حق ما يقال وصدقه وبلوغه غاية لا يتطرق إليها شك ولا ارتياب. غير أن الناس اختلفوا في هذا القول بين مصدق ومكذب.. فالمكذب يصرف عن هذا الحق وهو ما جاء به القرءان مَن كان مكذباً بهذا القرآن الذي بيّن الحقَّ بأوضح بيان: ﴿**قتل الخراصون: الذين هم في غمرة ساهون..**﴾ ثم يقرر السياق أن هؤلاء الخراصين يعيشون في أوهام وشكوك في أمر الآخرة، لا يستندون فيها إلى حق أو يقين: ﴿**يسألون: أيان يوم الدين**﴾؟!.. فهؤلاء المغمورون في الضلال والأوهام لا يفيقون ولا يستيقظون ذلك أنهم لا يتبينون الأمر الواضح الذي يراه ويوقن به كل واعٍ غير مذهول.. فهم يسألون: أيان يوم الدين؟.. يسألون هكذا. لا طلباً للعلم والمعرفة. ولكن استنكاراً وتكذيباً واستبعاداً لمجيئه.. يُعَبّرُ عنه لفْظُ: «أيّان» المقصود!. ومن ثم يعاجلهم بمشهدهم في هذا اليوم الذي يستبعدونه ويستنكرونه، وهم يحرّقون بالنار كحرق المعدن لتمييز حقيقته: ﴿**يوم هم على النار يفتنون**﴾!.. ومعه التبكيت المؤلم في الموقف العصيب: ﴿**ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون**﴾.. فهذه المعاجلة هي الجواب اللائق لهذا التساؤل.

وهذا العنف في المشهد هو المقابل للذهول والغفلة التي يعيش فيها الخراصون. وعلى الضفة الأخرى وفي الصفحة المقابلة يرتسم مشهد آخر، لفريق آخر من الناس: فريق مستيقن، لا يخرص، تقي لا يتبجّح؛ مستيقظ: يعبد

ويستغفر؛ ولا يقضي العمر في غمرة وذهول: ﴿**إن المتقين في جنات وعيون. آخذين ما آتاهم ربهم؛ إنهم كانوا قبل ذلك محسنين. كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون. وبالأسحار هم يستغفرون..**﴾ فهذا الفريق: فريق المتقين الأيْقاظ الشديدي الحساسية برقابة الله لهم، ورقابتهم هم لأنفسهم.. هؤلاء في جنات وعيون.. آخذين ما آتاهم ربهم من فضله وإنعامه جزاء ما أسلفوا في الحياة الدنيا من عبادة الله كأنّهم يرونه، ويقين منهم بأنه يراهم: إنهم كانوا قبل ذلك محسنين.. فيصور إحسانهم صورة خاشعة رفّافة حسّاسة: كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون.. فهم الأيقاظ في جنح الليل والناس نيام. المتوجهون إلى ربهم بالاستغفار والاسترحام. لا يطعمون الكرى إلا قليلاً ولا يهجعون في ليلهم إلا يسيراً. يأنسون بربهم في جوف الليل، فتتجافى جنوبهم عن المضاجع ويخف بهم التطلع فلا يثقلهم المنام. وهذا الوصف ينطبق على الرعيل الأول ـ وهم في مكة ـ من الصحابة الكرام!!.. وهذه حالهم مع ربهم.. فأما حالهم مع إخوانهم المؤمنين، وحالهم مع المال فهو مما يليق بالمحسنين: ﴿**وفي أموالهم حق للسائل والمحروم..**﴾ فهم يجعلون نصيب السائل الذي يسأل فيعطى، ونصيب المحروم الذي يسكت ويستحيي فيُحرم. يجعلون نصيب هذا وهذا حقاً مفروضاً في أموالهم. وهم متطوعون بفرض هذا الحق غير المحدود.

وقد كانت الزكاة في مكة مفروضة دون تحديد.. ثم تجيء لفتة أخرى إلى آيات الله في الأرض وفي الأنفس؛ وتوجيه إلى السماء في شأن الرزق المكتوب والحظ المقدور: ﴿**وفي الأرض آيات للموقنين..**﴾ فهذا الكوكب الذي يعيش عليه الناس معرض هائل لآيات الله وعجائب صنعته.. غير أنه لا يدرك هذه العجائب إلا القلب العامر باليقين.. فلمسة اليقين هي التي تحيي القلب فيرى ويدرك.. وبدون هذه اللمسة تظل تلك المشاهد ميتة جامدة جوفاء. وكثيرون يمرون بهذا المعرض الإلهي المفتوح مُغْمِضِي العيون والقلوب. لا يحسون فيه حياة. ولا يفقهون له لغة؛ لأن لمسة اليقين لم تُحْيِ قلوبَهم.. ثم العجيبة الأخرى التي تدب على هذه الأرض: ﴿**وفي أنفسكم أفلا تبصرون**﴾؟!.. فهذا المخلوق الإنساني هو العجيبة الكبرى في هذه الأرض.. ولكنه يغفل عن قيمته وعن أسراره الكامنة في كيانه، حين يغفل قلبه عن الإيمان، وحين يُحْرَمُ نعمة اليقين.. فحيثما وقف الإنسان يتأمل عجائب نفسه التقي بأسرار تدهش وتُحَيِّر!:

تكوين أعضائه وتوزيعها.. ووظائفها وطريقة أدائها لهذه الوظائف.. وأسرار روحه وطاقاتها المعلومة والمجهولة: إدراكها للمدركات وطريقة إدراكها وحفظها وتذكرها.. ثم في أسرار هذا الجنس في توالده وتوارثه.. ومن العجيب أن كل فرد من هذا الجنس عَالَمٌ وحده، ومرآةٌ ينعكس من خلالها هذا الوجود كله في صورة خاصة لا تتكرر أبداً على مدار الدهور. ولا نظير له بين أبناء جنسه جميعاً؛ لا في شكله وملامحه، ولا في عقله ومداركه، ولا في روحه ومشاعره. ولا في صورة الكون كما هي في حسه وتصوره.. ففي هذا المتحف الإلهي العجيب الذي يضم ملايين الملايين، كل فرد نموذج خاص، وطبعة فريدة لا تتكرر. يمر من خلالها الوجود كله في صورة كذلك لا تكرر، كما لا توجد بصمة أصابع مماثلة لبصمة أصابع أخرى في هذه الأرض في جميع العصور!. وبعد.. فقد كانت اللفتة إلى معرض الأرض.. وكانت اللفتة الثانية إلى معرض النفس. ثم تليهما لفتة إلى معرض الغيب العلوي المطوي المغيب عن الإنسان؛ حيث الرزق المقسوم والحظ المرسوم: ﴿**وفي السماء رزقكم وما توعدون..**﴾ فهي لفتة عجيبة.. فمع أن أسباب الرزق الظاهرة قائمة في الأرض، حيث يكدّ فيها الإنسان ويجهد، وينتظر من ورائها الرزق والنصيب. فإن القرءان يَرُدُّ بصر الإنسان ونفسه إلى السماء، إلى الغيب.. إلى الله.. فأما الأرض وما فيها من أسباب الرزق الظاهرة فهي آيات للموقنين.. فالقلب المؤمن يدرك هذه اللفتة على حقيقتها، ويفهمها على وضعها؛ ويعرف أن المقصود بها ليس هو إهمال الأرض وأسبابها.. فهو مكلف بالخلافة فيها وتعميرها.. إنما المقصود هو ألاّ يعلق نفسه بها، وألاّ يغفل عن الله في عمارتها. والإيمان هو الوسيلة لتحقيق ذلك الوضع الذي يكون فيه الإنسان في أفضل حالاته. وبعد هذه اللمسات الثلاث: في الأرض والنفس والسماء؛ يقسم الله سبحانه وتعالى بذاته العلية على صدق هذا الحديث كله: ﴿**فورب السماء والأرض إنه لحق مثلما أنكم تنطقون..**﴾ فكونهم ينطقون حقيقة بين أيديهم، لا يجادلون فيها ولا يمارون، ولا يرتابون فيها ولا يخرصون.. فكذلك هذا الحديث كله. والله أصدق القائلين!.

التوجيه الثاني: ﴿**هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين. إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام، قوم منكرون**﴾: في هذا التوجيه معرض آخر لآيات أخرى بعد معرض آية الأرض وآية الأنفس وآية السماء.. فهو مرتبط بما قبله

ومرتبط كذلك بما بعده في سياق السورة. إنها آية أو آيات في تاريخ الرسالات كتلك الآيات التي تحدثت عنها الآيات السابقات. ويبدأ الحديث عن إبراهيم بالسؤال: هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين.. ففي العبارة تنويه بهذا الحديث.. وتهيئة للأذهان لتفهم مرماه.. مع وصف ضيف إبراهيم بالمكرمين: إما لأنهم كذلك عند الله. وهو وصف وصفوا به في القرءان.. وإما لأن إبراهيم أكرمهم واحْتفى بهم.. ثم يُظهر السياق كرمَ إبراهيم وسخاءه وإرخاصه للمال.. فما يكاد ضيفه يدخلون عليه، ويقولون: سلاماً. ويرد عليهم السلام.. وهو ينكرهم ولا يعرفهم. ما يكاد يتلقى السلام ويرده.. حتى يذهب إلى أهله مسارعاً؛ ليهيّيء لهم الطعام. ويجيء به طعاماً طيباً وفيرا يكفي عشرات: ﴿**فراغ إلى أهله.. فجاء بعجل سمين.. فَقَرّبَهُ به إليهم، قال: ألا تأكلون**﴾؟!.. فجاء هذا السؤال بعد أن رأى أيديهم لا تصل إليه، ولا يبدو عليهم أنهم سيأكلون طعامه.. ﴿**فأوجس منهم خيفة..**﴾ إما لأن الطارىء الذي لا يأكل طعام مضيفه ينبىء عن نية شر وخيانة. وإما لأنه لمح أن فيهم شيئاً غريباً!. عندئذٍ كشفوا له عن حقيقتهم.. وبشروه: ﴿**قالوا: لا تخف. وبشروه بغلام عليم..**﴾ فهي البشارة بإسحاق من زوجه العقيم.. ﴿**فأقبلت امرأته في صرة.. فصكت وجهها، وقالت: عجوز عقيم..**﴾ فقد سمعت البشرى.

فبغتت وفوجئت فندت منها صيحة الدهش؛ وعلى عادة النساء ضربت خديها بكفيها، وقالت: عجوز عقيم؛ تنبيء عن دهشتها لهذه البشرى وهي عجوز؛ وقد كانت من الأصل عقيماً. وقد أخذتها المفاجأة العنيفة التي لم تكن تتوقعها.. فنسيت أن البشرى تحملها الملائكة.. فعندئذٍ ردها المرسلون إلى الحقيقة الأولى: حقيقة القدرة التي لا يقيدها شيء، والتي تدبر كل أمر بحكمة وعلم: ﴿**قالوا: كذلك قال ربك، إنه هو الحكيم العليم..**﴾ فكل شيء يكون إذا قيل له «كُنْ» وقد قال الله!.. فماذا بعد قوله؟!.. إن الألفة والعادة تُقَيِّدانِ الإدراك البشري، وتحدّان من تصوراته.. فيدهش إذ يرى ما يخالف المألوف له؛ ويعجب كيف يكون. وقد يتبجح فينكر أن يكون!. والمشيئة المطلقة ماضية في طريقها لا تتقيد بمألوف البشر الصغير المحدود.. فعند ذلك راح إبراهيم يسأل ـ وقد عرف حقيقة ضيفه ـ عن شأنهم الذي أرسلوا من أجله: ﴿**قال: فما خطبكم أيها المرسلون؟.. قالوا: إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين..**﴾ فالقوم المجرمون هم قوم لوط كما ورد في سور

أخرى. ﴿**لنرسل عليهم حجارة من طين.. مسومة عند ربك للمسرفين..**﴾ فهذه الحجارة الطينية المعلّمة والمعدّة والمجهّزة عند الله للمسرفين المتجاوزين الحق - وقوم لوط كانوا متجاوزين الفطرة والحق والدين!.. ﴿**فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين.. فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين. وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم..**﴾ فالذين يخافون هم الذين يرون الآية ويدركونها وينتفعون بها. أما الآخرون فمطموسون لا يرون آيات الله: لا في الأرض ولا في أنفسهم ولا في أحداث التاريخ! ﴿**وكأيّن من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون!!**﴾ ثُمّ آية أخرى في قصة موسى يشير إليها النص إشارة سريعة في معرض الآيات في تاريخ المرسلين: ﴿**وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين..**﴾ فالسلطان المبين الذي أرسل الله به موسى إلى فرعون هو الحجة القوية والبرهان القاطع. وهو الهيبة الجليلة التي خلعها عليه، والآية العظيمة التي أظهرها على يديه.. ولكن فرعون تولى بركنه وازور بجانبه عن الحق الواضح والبرهان القاطع: ﴿**فتولى بركنه.. وقال**﴾ - عن موسى النبي الذي كشف له عن آيات الله الخوارق -: ﴿**ساحر أو مجنون**﴾!!.. ولا يطيل السياق هنا في عرض تفصيلات القصة.. فيمضي إلى نهايتها التي تتجلى فيها الآية الباقية المذكورة في التاريخ: ﴿**فأخذناه وجنوده.. فنبذناهم في اليم، وهو مليم..**﴾ فواضح في التعبير فعل الله المباشر في أخذه هو وقومه، وفي نبذهم في اليمّ!. وهو الإيقاع المقصود لإبراز آية الله في موسى في معرض آياته في الأرض والأنفس وتاريخ الرسالات والمرسلين.. ثم آية أخرى في عاد: ﴿**وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم..**﴾ فسميت الريح التي أرسلت إلى عاد عقيماً؛ لأنها لم تكن تحمل ماء ولا حياة كما توقعوا.. إنما تحمل الموت والدمار: ﴿**ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم**﴾!...

ثم آية ثالثة وثمود: ﴿**وفي ثمود إذ قيل لهم: تمتّعوا حتى حين فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون:.. فما استطاعوا من قيام، وما كانوا منتصرين**﴾!!.. فكما يقال في الحجارة التي أرسلت على قوم لوط، وفي الريح التي أرسلت على عاد، يقال في الصاعقة التي أرسلت على ثمود.. فكلها قوى كونية مدبَّرة بأمر الله، مسخّرة بمشيئته وبنواميسه، يسلطها على من يشاء في إطار تلك النواميس.. فتؤدي دورها الذي يكلفها الله؛ كأي جند من جنود الله.. ثم آية

رابعة في قوم نوح: ﴿**وقوم نوح من قبل**..﴾ فهؤلاء جميعاً الذين أهلكهم الله بجنوده أهلكهم بسبب فسقهم وإجرامهم وإسرافهم: ﴿**إنهم كانوا قوماً فاسقين**..

التوجيه الثالث: ﴿**والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون**..﴾: في هذا التوجيه لفت النظر إلى السماء كيف بنيت وبأيّ شيء بنيت وكيف كانت سعتها؟!.. فهذه الآية عودة إلى المعرض الكوني الذي افتتحت به السورة؛ في صور من صوره الكثيرة التي يجلوها القرآن للأنظار؛ لتتفتح لها القلوب والأبصار.. فالقوة أوضح ما ينبىء عنه النص في بناء السماء الهائل المتماسك المتناسق، بأي مدلول من مدلولات كلمة السماء. سواء كانت تعني مدارات النجوم والكواكب. أم تعني مجموعة من المجموعات النجمية التي يطلق عليها اسم المجرة.. أم تعني طبقة من طبقات هذا الفضاء.. أم غير هذا من مدلولات كلمة السماء.. والسعة كذلك ظاهرة.. فهذه النجوم ذات الأحجام الهائلة، والتي تعد بالملايين، لا تعدو أن تكون ذرات متناثرة في هذا الفضاء الرحيب. ومثلها الإشارة الأخرى إلى الأرض الممهّدة المفروشة: ﴿**والأرض فرشناها**..﴾ فقد أعد الله هذه الأرض لتكون مهاداً للحياة كما ذكرت مراراً بهذا التعبير. والفرش هنا يوحي باليسر والراحة والعناية. وقد هيأ الله الأرض لتكون محضناً ميسراً ممهداً.. فكل شيء فيه مقدر بدقة لتيسير الحياة وكفالتها: ﴿**فنعم الماهدون! ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون**﴾: وهذه حقيقة عجيبة تكشف عن قاعدة الخلق في هذه الأرض ـ وربما في هذا الكون؛ إذ أن التعبير لا يخصص الأرض ـ قاعدة الزوجية. وهي ظاهرة في الأحياء.. ولكن كلمة شيء تشمل غير الأحياء.. فالتعبير يقرر أن الأشياء كالأحياء مخلوقة على أساس الزوجية.

وقد ظهرت للناس على هذا الأساس الآن بعد مرور ما يزيد على أربعة عشر قرناً حقائق هذا النص الذي ليس فيه احتمال ولا التباس!. وفي إحساس هذه اللمسات وعلى ضوء هذه العبارات يهتف النصُّ بالبشر ليفروا إلى خالق السماء والأرض والخلائق، متجردين من كل ما يثقل أرواحهم ويقيدها، موحدين الله الذي خلق هذا الكون. وحده بلا شريك: ﴿**ففروا إلى الله؛ إني لكم منه نذير مبين. ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر؛ إني لكم منه نذير مبين**..﴾ فالتعبير بلفظ الفرار عجيب حقاً! وهو يوحي بالأثقال والقيود والأغلال التي تشد النفس البشرية

إلى هذه الأرض، وتثقلها عن الانطلاق، وتحاصرها وتأسرها وتدعها في عقال قوي منيع.. فمن ثَمَّ يجيء الهتاف قوياً للانطلاق والتملص والفرار إلى الله من هذه الأثقال والقيود!.. ثم تذكير الناس على لسان الصادق المرسل لإنذار هؤلاء الخلائق: إني لكم منه نذير مبين.. فهذا إنذار بانقطاع الحجة وسقوط العذر. وتكرار هذا التنبيه في آيتين متجاورتين زيادة في التنبيه والتحذير!!.. وكأنما كانت هذه الإشارة إلى آية السماء وآية الأرض وآية الخليقة استطراداً مع آيات الرسالات والرسل.. فلما انتهت جاء التعقيب على قصص الرسل التي سلفت في السياق: ﴿**كذلك.. ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا: ساحر أو مجنون..**﴾ فهي جبلة واحدة وطبيعة متماثلة للمكذبين.. فهو استقبال واحد للحق وللرسل. وهتاف متماثل يستقبل به الرسل المنحرفون. وكما قاله هؤلاء المشركون في حق الرسول الكريم! كأنما تواصوا بهذا الاستقبال على مدار القرون: ﴿**أتواصوا به**﴾؟!.. فما تواصوا بشيء لبعد الأزمنة وتفرق الأمكنة.. إنما هي طبيعة الطغيان وتجاوز الحق، تجمع بين السابقين واللاحقين! والنتيجة الطبيعية التي تترتب على هذا الموقف المتماثل في الزمان والمكان مع اختلافه وبعده! الذي كأنما تواصى به الطاغون على مدار القرون.. فإذا كان موقف هؤلاء وأولئك على هذا المبدإ المكرّر والهدف المقرر فلا تحفل أيها الرسول بتكذيب المشركين من قومك: ﴿**فتول عنهم..**﴾ فلا يهمك شأنهم.. ﴿**فما أنت بملوم..**﴾ فلست ملوماً على ضلالهم، ولا مسؤولاً عن هدايتهم، ولا مقصراً في دعوتهم.. إنما أنت مذكر.. فامض في التذكير مهما أعرض المعرضون وكذب المكذبون: ﴿**وذكّر.. فإن الذكرى تنفع المؤمنين..**﴾ فالذكرى تنفع من هو مستعد لقبول الإيمان، أو من هو مؤمن بالفعل.. فأما الجاحدون المعاندون فلا تنفعهم الذكرى. والتذكير هو وظيفة الرسل.. أما الهدى والضلال فهما خارجان عن وظيفة الرسل: ﴿**ليس عليك هداهم.. ولكن الله يهدي من يشاء**﴾ فالهدى والضلال أمرهما إلى الله وحده الذي خلق الناس لأمر يريده!..

التوجيه الرابع: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدونِ ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يُطعِمُونِ..**﴾: في هذا التوجيه يجيء الإيقاع الأخير في السورة.. فيتضح به معنى الفرار إلى الله تعالى، والتخلص من الموانع والحواجز لأداء الوظيفة التي خلق الله العباد لها، ومنحهم وجودهم ليؤدوها!. وإن هذا النص

الموجز ليحتوي حقيقة ضخمة هائلة من أضخم الحقائق الكونية التي لا تستقيم حياة البشر في الأرض بدون إدراكها واستيقانها. سواء كانت حياة فرد أو جماعة أم حياة الإنسانية كلها في جميع أدوارها وأعصارها. وإنه ليفتح جوانب وزوايا متعددة من المعاني والمرامي. تندرج كلها تحت هذه الحقيقة الضخمة؛ التي تعد حجر الأساس الذي تقوم عليه الحياة. وأول جانب من جوانب هذه الحقيقة أن هنالك غاية معينة ـ حكمة ـ لوجود الجن والإنس؛ تتمثل في وظيفةٍ: من قام بها وأدّاها فقد حقق غاية وجوده؛ ومن قصر فيها أو نكل عنها فقد أبطل غاية وجوده؛ وأصبح بلا وظيفة، وباتت حياته فارغة من القصد، خاوية من معناها الأصيل الذي تستمد منه قيمتها الأولى. وقد انفلت من الناموس الذي خرج به إلى الوجود، وانتهى إلى الضياع المطلق الذي يصيب كل كائن ينفلت من ناموس الوجود الذي يربطه ويحفظه ويكفل له البقاء. هذه الوظيفة المعينة التي تربط الجن والإنس بناموس الوجود هي العبودية لله عز وجل! بأن يكون هناك عبد ورب: عبد يَعبُد وربّ يُعبَد. وأن تستقيم حياة العبد كلها على أساس هذا الاعتبار. ومن ثم يبرز الجانب الآخر لتلك الحقيقة الضخمة، ويتبين أن مدلول العبادة لا بد أن يكون أوسع وأشمل من مجرد إقامة الشعائر.. فالجن والإنس لا يقضون حياتهم في إقامة الشعائر. والله لا يكلفهم هذا. وهو يكلفهم ألواناً أخرى من النشاط يستغرق معظم حياتهم.

وقد لا يعرف الإنسان ألوان النشاط التي يُكلفها الجن. ولكن الله بين النشاط المطلوب من الإنسان في القرءان بقوله: ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة**﴾ فهي الخلافة في الأرض إذن عمل هذا الكائن الإنساني. وهي تقتضي ألواناً من النشاط الحيوي في عمارة الأرض والتعرف إلى قواها وطاقاتها وذخائرها ومكنوناتها، وتحقق إرادة الله في استخدامها وتنميتها وترقية الحياة فيها. كما تقتضي الخلافة القيام على شريعة الله في الأرض لتحقيق المنهج الإلهي الذي يتناسق مع الناموس الكوني العام.. فحقيقة عبادة الإنسان لله تتمثل في أمرين رئيسيين: هو استقرار معنى العبودية في النفس بأن ليس في الوجود إلا عابد ومعبود. والتوجه إلى الله بكل حركة إلى الله خالصة. بهذين الأمرين تتحقق معنى العبادة.. فعندئذٍ يكون الإنسان قدْ فرّ إلى الله حقاً. ويكون قد تحرر من جميع القيود التي كانت تعوقه.. فمن ثمّ يظهر الفرق بين عبودية الإنسان لله، وبين

عبودية الإنسان للإنسان.. فالإنسان يستبعد الإنسان لاستخدامه وقيامه بحاجاته. والله استعبد الإنسان ليجعله سيداً في الأرض، ومرفوعاً إلى الملإ الأعلى مكرّماً معززاً.. فالله غني عن الناس.. فلا يطلب منهم رزقاً ولا مساعدة: ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمونِ.. فعبودية الإنسان لله عبودية تكريم لا عبودية تحقير وتهوين: ﴿**إن الله هو الرزاق ذُو القوة المتين**﴾!!..

وإذا كانت البشرية الآن لا تدرك هذه المشاعر ولا تتذوقها حينما تسمعها أو تقرؤها؛ لأنها لم تعش كما عاش المسلمون الأولون من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان في ظلال هذا القرءان يتنازعون ثمراتِ أفنانه.. بل انصرفوا عنه وبنوا قواعد حياتهم على غيره.. فلم يستمدوا قواعد حياتهم من ذلك الدستور العظيم وفي ضوء هذه الحقيقة الكبيرة ينذر الذين ظلموا.. فلم يؤمنوا واستعجلوا وعد الله وكذبوا: ﴿**فإن للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم.. فلا يستعجلونِ..**﴾ ثم تختم السورة بهذا الإنذار الأخير الخطير: ﴿**فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون**﴾!!..

2 ـ موضوع سورة الطور، بيان الفرق بين أهل الإيمان والتقوى وأهل الكفر والفجور



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿1﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿2﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿3﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿4﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿5﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿6﴾ مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴿7﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَآءُ مَوْرًا ﴿8﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿9﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿10﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿11﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿12﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿13﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿14﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿15﴾ فَٰكِهِينَ بِمَا ءَاتَٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿16﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿17﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿18﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّٰتِهِمْ وَمَا أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿19﴾

وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (20) يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا
كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (21) * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ
لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ (22) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
يَتَسَآءَلُونَ (23) قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (24)
فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ (25) إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ
نَدْعُوهُ أَنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ (26) فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ
بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (27) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ
ٱلْمَنُونِ (28) قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ (29)
أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (30)
أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ (31) فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ
إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ (32) أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ (33)
أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ (34) أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ
رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ (35) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ
فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (36) أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ (37)
أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ (38) أَمْ عِندَهُمُ
ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (39) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ (40) أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ
عَمَّا يُشْرِكُونَ (41) * وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا

يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿42﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿43﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿44﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿45﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿46﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿47﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**والطور**﴾: أقسم الله تعالى بجبل سيناء الذي كلم الله بجانبه موسى أول ما أوحى إليه. ﴿**وكتاب مسطور**﴾: مكتوب على وجه الانتظام. يشمل القرءان وغيره من كتب الله المنزلة على الرسل. ﴿**في رق منشور**﴾: في صحيفة رقيقة مفتوحة أمام القارىء. ﴿**والبيت المعمور**﴾: بيت الله الحرام معمور بالحجاج والعمّار. ﴿**والسقف المرفوع**﴾: السماء المرفوعة. ﴿**والبحر المسجور**﴾: البحر المملوء بكل ما فيه من منافع الإنسان. ﴿**إن عذاب ربك لواقع**﴾: جواب القسم. ﴿**ما له من دافع**﴾: عذاب الله واقع لا يدفعه دافع. ﴿**يوم تمور السماء موراً**﴾: يوم تضطرب السماء اضطراباً عظيماً فتتشقق وتتفتح. ﴿**وتسير الجبال سيراً**﴾: تنتقل الجبال الرواسخ من أمكنتها الثابتة فتصير هباء. ﴿**فويل يومئذٍ للمكذبين. . الذين هم في خوض يلعبون**﴾: هؤلاء المكذبون كانوا في الدنيا يخوضون كما يخوض الخائض في الماء لهواً وعبثاً. . والخوض في القرءان أطلق على الاندفاع في الباطل والكفر والضلال واللهو واللعب. . ﴿**يوم يُدَعُّون إلى نار جهنم دعا**﴾: يوم يدفعون إلى النار دفعاً عنيفاً شديداً. مثل دفع اللاعب الكرة!.

﴿**هذه النار التي كنتم بها تكذبون**﴾: يقال لهم هذا الكلام تبكيتاً وتقريعاً!

﴿**أفسحر هذا، أم أنتم لا تبصرون؟!.. اصلوها.. فاصبروا أو لا تصبروا: سواء عليكم!.. إنما تجزون ما كنتم تعملون**﴾: تعليل للاستواء في الصبر وعدمه.. فهذا الجزاء واقع بسبب العمل الذي صدر منكم. ﴿**إن المتقين في جنات**﴾: هي دار الجزاء على العمل الصالح. ﴿**ونعيم**﴾: عطف تفسير على جنات. ﴿**فاكهين**﴾: ناعمين متلذذين مبتهجين بسبب النعيم الذي آتاهم ربهم: ﴿**بما آتاهم ربهم!!.. ووقاهم ربهم عذاب الجحيم**﴾: تشريف لهم وتكريم. ﴿**كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون**﴾: يقال لهم هذا القول زيادة في التكريم والتبجيل!.. فالأكل والشراب الهنيء: هو الذي لا تنغيص فيه ولا نقص يعتريه. ﴿**متكئين على سرر مصفوفة**﴾: مفردات هذا الكلام معلومة لا تحتاج إلى بيان. ﴿**وزوجناهم بحور عين**﴾: هذا لقب لأزواج المؤمنين في الجنة. ﴿**والذين ءامنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم**﴾: ونلحق الأولاد بسبب إيمانهم وأعمالهم الصالحة درجات الآباء المؤمنين الصالحين. ﴿**وما ألتناهم من عملهم من شيء**﴾: وما نقصنا أحداً من عمله شيئاً.. أَلَتَ يَأْلِتُ: من باب ضرب. ﴿**كل امرىء بما كسب رهين**﴾: كل شخص بسبب عمله الصالح ثوابه ثابت دائم لا ينفك. ﴿**وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون**﴾: زيادة على ما تقدم من النعيم.. والإمداد زيادة الشيء من غيره.. والمد: زيادة الشيء من نفسه. والفاكهة واللحم من أشهى ما يعطاه الإنسان. وقد احتوى هذا النعيم على كل ما يشتهيه المؤمن من راحة وأنس وأكل وشرب من ألذ وأشهى ما يتخيله الإنسان.

﴿**يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم**﴾: تصوير لتجمعهم على الشرب في ساعات الأنس والطرب.. ﴿**ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون**﴾: هذا وصف لخدمة أهل الجنة.. فمن أحسن الخادم أن يكون غلاماً يافعاً.. والظاهر أن الغلمان لهم ـ أولادهم الذين ماتوا قبل البلوغ ـ بدليل ﴿**ويطوف عليهم ولدان مخلدون**﴾ وهم للذين ليس لهم أولاد ماتوا قبل البلوغ. ﴿**وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون**﴾: هذا ما يجري من كلام بين أهل الجنة في وقت المجالسة والمؤانسة مثل ما جرى في الدنيا في المسامرات والسهرات من أفراح وليالٍ ملاح!. ﴿**قالوا: إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين.. فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم**﴾: هذا ما كان يقوله أهل الجنة في مقابلاتهم وتساؤلهم عن أحوالهم.. فقد كانوا في الدنيا مشفقين وجلين من التقصير في العمل.. فهاهم اليوم يشكرون

الله على ما منّ عليهم من النعيم. وعلى وقايتهم من عذاب الجحيم ـ عذاب السموم ـ وهو العذاب النافذ في المسام كما ينفذ السم في الأجسام. ﴿**إنا كنا من قبل ندعوه أنه هو البر الرحيم**﴾: كانوا أيضاً على حالة الرجاء، وهم يصفون ربهم بالبر والرحمة بهم!.. فذكر: إذا كان الأمر كذلك ﴿**فذكر**﴾ الناس بذلك، ولا تكثرت بالمعارضين والمكذبين.. ﴿**فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون..**﴾ فلست بكاهن من الكهان ولا مجنون فاقد الجَنان!.. وإنما أنت منعم عليك بنعمة الرسالة ورجاحة العقل من ربك المنعم الرحمٰن.. ﴿**أم يقولون شاعر**﴾: مثل أمثاله من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون!. ﴿**نتربص به ريب المنون**﴾: نتربص به نوائب الزمان التي تقطعه وتريحنا منه!.. ﴿**قل تربصوا فإني معكم من المتربصين..**﴾ التربُّص: الترجي وتوقع حدوث شيء يقضي على المتربَّص به!. وأم في هذه الآيات الخمس عشرة، بمعنى بل والهمزة يتنقل بها من حال إلى حال. يؤتي بها للإضراب والانتقال. ﴿**أم تأمرهم أحلامهم بهذا**﴾؟!: بل أتأمرهم عقولهم بهذا التناقض في القول الذي يقولونه عن الرسول؟!.. ﴿**بل هُمْ قوم طاغون**﴾ مجاوزون الحدود في المكابرة والعناد.. ﴿**أم يقولون تقوله**﴾؟!: اختلق القرءان من تلقاء نفسه.. ﴿**بل لا يؤمنون.. فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين!.. أم خلقوا من غير شيء؟!.. أم هم الخالقون؟!.. أم خلقوا السماوات والأرض؟!.. بل لا يوقنون.. أم عندهم خزائن ربك؟!.. أم هم المصيطرون؟!.. أم لهم سلم يستمعون فيه؟!.. فليأتِ مستمعهم بسلطان مبين!!.. أم له البنات ولكم البنون؟!.. أم تسألهم أجراً؟!.. فهم من مغرم مثقلون!. أم عندهم الغيب؟!.. فهم يكتبون.. أم يريدون كيداً؟!.. فالذين كفروا هم المكيدون!.. أم لهم إله غير الله؟!.. سبحان الله عما يشركون**﴾!!.. فكلمات هذه الآيات واضحة لا تحتاج إلى بيان.

﴿**وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم**﴾: هذه الآية تبين شدة كفرهم وعنادهم.. حتى أنهم لو رأوا العذاب عياناً ما آمنوا.. بل يقولون عنه سحاب مركوم يمطرنا.. فلم يصدقوا أنه كسف ساقط عليهم لعذابهم.. ﴿**فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون..**﴾ فهو تهديد لقريش المكذبة لرسول الله ﷺ بعذاب يحل بهم.. ﴿**يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئاً.. ولا هم ينصرون..**﴾ فقد وقع هذا اليوم يوم بدر وما بعده وحل بهم الهلاك والدمار والبوار.. ﴿**وإن للذين**

ظلموا عذاباً دون ذلك﴾: هذا تهديد عام لكل ظالم بعد التهديد الخاص لكفار قريش ومن كانوا مثلهم من العرب.. **﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾**: حيث استمرت قريش في عنادها وضلالها.. حتى حل بهم الوعيد.. ويستمر الظالمون في ظلمهم.. حتى يروا ما يحل بهم من العذاب الشديد!!.. **﴿واصبر لحكم ربك.. فإنك بأعيننا﴾**: وعد للرسول ﷺ بالحفظ من كيد قريش وكيد الكافرين.. فهو محفوظ من كل ما يخاف!!.. **﴿وسبح بحمد ربك حين تقوم.. ومن الليل.. فسبحه وإدبار النجوم﴾**: هذا مثل ما سبق في آخر سورة ق..

مبحث الإعراب

﴿والطور﴾ مجرور بواو القسم. **﴿وكتاب﴾** معطوف على الطور مقسم به. **﴿مسطور﴾** نعت لكتاب. **﴿في رق﴾** متعلق بمسطور. **﴿منشور﴾** نعت لرق. **﴿والبيت﴾** معطوف على الطور. **﴿المعمور﴾** نعت للبيت. **﴿والسقف﴾** مثل البيت. **﴿المرفوع﴾** نعت للسقف. **﴿والبحر المسجور﴾** مثل ما سبقه. **﴿إن عذاب﴾** إنّ واسمها. **﴿ربك﴾** مضاف إلى عذاب. **﴿لواقع﴾** خبر إنّ. واللام لتقوية الخبر. والجملة جواب القسم. **﴿ماله﴾** متعلق بمحذوف خبر مقدم. **﴿من دافع﴾** مبتدأ مؤخر. جر بحرف الجر الزائد في محل رفع. وما نافية. والجملة نعت لواقع. **﴿يوم﴾** ظرف منصوب بالفتحة متعلق بواقع. **﴿تمور السماء﴾** فعل وفاعل. والجملة مضافة إلى يوم. **﴿موراً﴾** مفعول مطلق. **﴿وتسير الجبال سيراً﴾** معطوف على تمور السماء موراً. وهو مثله في الإعراب. **﴿فويل﴾** مبتدأ. والفاء واقعة في جواب شرط مقدّر.. **﴿يومئذ للمكذبين﴾** متعلقان بمحذوف خبر المبتدإ. **﴿الذين﴾** في محل جر نعت للمكذبين. **﴿هم﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿في خوض﴾** متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. والجملة صلة الذين. **﴿يلعبون﴾** فعل وفاعل. والجملة بيان لما قبلها. **﴿يوم﴾** ظرف متعلق بقول مقدر. أي: يقال لهم يوم **﴿يُدَعُّون﴾** الفعل ونائب الفاعل مضاف إلى يوم. **﴿إلى نار﴾** متعلق بيدعون.

﴿جهنم﴾ مضاف إلى نار مجرور بالفتحة **﴿دَعّاً﴾** مفعول مطلق. **﴿هذه﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿النار﴾** خبر المبتدإ. **﴿التي﴾** في محل رفع نعت للنار. **﴿كنتم﴾** كان واسمها. **﴿بها﴾** متعلق بما بعده: **﴿تكذبون﴾** فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة كنتم بها تكذبون صلة التي. وجملة هذه النار التي كنتم بها

تكذبون مقول للقول المقدر. ﴿**أفسحر**﴾ خبر مقدم دخل عليه فاء التعقيب وحرف الاستفهام. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿**أم أنتم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**لا تبصرون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة خبر المبتدإ. وجملة أم أنتم لا تبصرون معطوفة بأمْ على أفسحر هذا. ﴿**اصلوها**﴾ أمر موجه إلى المخاطبين.. ﴿**فاصبروا**﴾ مرتب على ما قبله.. ﴿**أو لا تصبروا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النهي الجازم. والجملة معطوف بأو على ما قبلها. ﴿**سواء**﴾ خبر لمبتدإٍ مقدّر. والتقدير: الصبر وعدمه سواءٌ. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بسواء. ﴿**إنما**﴾ كافة ومكفوفة تفيد الحصر. ﴿**تجزون**﴾ الفعل ونائب الفاعل محصور بإنما. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**تعملون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة كنتم تعملون صلةُ ما. ﴿**إن المتقين**﴾ إنّ واسمها. ﴿**في جنات**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإِ. ﴿**ونعيم**﴾ معطوف على جنات. ﴿**فاكهين**﴾ حال من ضمير المتقين الواقع في الخبر. ﴿**بما**﴾ متعلق بفاكهين. ﴿**آتاهم**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**ربهم**﴾ فاعل. وجملة آتاهم ربهم صلة ما. ﴿**ووقاهم ربهم**﴾ معطوف على آتاهم.. ﴿**عذابَ**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**الجحيم**﴾ مضاف إلى عذاب. ﴿**كلوا**﴾ أمر موجه إلى المتقين.. ﴿**واشربوا**﴾ معطوف عليه. ﴿**هنيئاً**﴾ نعت لمفعول مطلق. أي: أكلا هنيئاً وشربا هنيئاً. ﴿**بما**﴾ متعلق بكلوا واشربوا. ﴿**كنتم تعملون**﴾ صلة ما. ﴿**متكئين**﴾ حال مثل فاكهين. ﴿**على سرر**﴾ متعلق بما قبله. ﴿**مصفوفة**﴾ نعت لسرر. ﴿**وزوجناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة معطوفة على ما قبلها.. ﴿**بحور**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**عين**﴾ نعت لحور. ﴿**والذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. آمنوا صلة الذين. ﴿**واتبعتهم**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول.

﴿**ذريتهم**﴾ فاعل. والجملة معطوفة على جملة آمنوا. ﴿**بإيمان**﴾ متعلق باتبعتهم. ﴿**ألحقنا**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر المبتدإ. ﴿**بهم**﴾ متعلق بألحقنا. ﴿**ذرياتهم**﴾ مفعول به. وجملة والذين ءامنوا إلخ معطوفة بالواو على جملة إن المتقين.. الخ. ﴿**وما ألتناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي. ﴿**من عملهم**﴾ متعلق بألتناهم. ﴿**من شيء**﴾ مفعول ثانٍ. مجرور بحرف الجر الزائد في محل نصب. والجملة معطوفة على جملة ألحقنا بهم ذرياتهم. ﴿**كل**﴾ مبتدأ. ﴿**امرىء**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**بما**﴾ متعلق بالخبر الآتي. ﴿**كسب**﴾ فعل ماض.

والفاعل ضمير يعود على ما. والجملة صلةُ ما. ﴿**رهين**﴾ خبر المبتدإ «كلٌّ». ﴿**وأمددناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة معطوفة على ما أعد للمتقين من نعيم. وجملة كل امرىء بما كسب رهين معترضة بين المتعاطفات. ﴿**بفاكهة**﴾ متعلق بأمددناهم. ﴿**ولحم**﴾ معطوف على فاكهة. ﴿**مما**﴾ متعلق بمحذوف نعت لفاكهة ولحم. ﴿**يشتهون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلةُ ما. ﴿**يتنازعون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**فيها**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**كأساً**﴾ مفعول به. ﴿**لا لغو**﴾ مبتدأ دخل عليه حرف النفي. ﴿**فيها**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**ولا تأثيم**﴾ معطوف على «لا لغوٌ». وجملة لا لغو فيها ولا تأثيم نعت لقوله: كأساً. ﴿**ويطوف**﴾ فعل مضارع. ﴿**عليهم**﴾ متعلق به. ﴿**غلمان**﴾ فاعل. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لغلمان. ﴿**كأنهم**﴾ كأنّ واسمها. ﴿**لؤلؤ**﴾ خبر كأنّ. ﴿**مكنون**﴾ نعت له. وجملة كأنهم لؤلؤ مكنون نعت ثان لغلمان. وجملة ويطوف عليهم غلمان لهم معطوفة على جمل النعيم المعد للمتقين. ﴿**وأقبل بعضهم**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**على بعض**﴾ متعلق بأقبل. ﴿**يتساءلون**﴾ فعل وفاعل. والجملة حال من بعضهم. ﴿**قالوا**. . **إنا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**كنا**﴾ كان واسمها. ﴿**قبل**﴾ ظرف مبني على الضم في محل نصب لحذف المضاف إليه ونية معناه. أي: قبلَ هذا الوقت. ﴿**في أهلنا**﴾ متعلق هو والظرف بما بعدهما: ﴿**مشفقين**﴾ خبر كان. وكان واسمها وخبرها خبر إنّ. وإنّ واسمها وخبرها مقول القول. وقالوا إنا كنا في أهلنا مشفقين، بيان لكيفية التساءل. ﴿**فَمَنّ الله**﴾ فعل وفاعل دخل عليه فاء التعقيب. ﴿**علينا**﴾ متعلق بمنّ. ﴿**ووقانا**﴾ معطوف على منّ. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**عذاب**﴾ مفعول ثانٍ.

﴿**السموم**﴾ مضاف إلى عذاب. وجملة ووقانا عذاب السموم معطوفة على مَنّ. . ﴿**إنا كنا من قبل**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**ندعوه**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل نحن. والجملة خبر كان. ﴿**أنه**﴾ أنّ واسمها. ﴿**هو**﴾ ضمير فصل. ﴿**البرُّ**﴾ خبر أنّ. ﴿**الرحيم**﴾ خبر ثانٍ وجملة إنا كنا من قبل ندعوه: أنه هو البر الرحيم داخلة في مقول القول. . وجملة أنه هو البر الرحيم تفسير لندعوه. ﴿**فذكر**﴾ أمر موجه إلى الرسول تعقيب على ما سبقه من ذكر أحوال المكذبين والمتقين. . ﴿**فما أنت**﴾ في محل رفع اسم ما العاملة عمل ليس. ﴿**بنعمة**﴾ متعلق بما تضمنه الكلام. والمعنى: انتفى عنك الكهانة والجنون بسبب

نعمة ربك عليك. مضاف إلى نعمة. ﴿**بكاهن**﴾ خبرُ ما. مجرور بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿**ولا مجنون**﴾ معطوف على «بكاهن» باعتبار لفظه. ﴿**أم**﴾ بَلْ أَ. ﴿**يقولون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف أم المستعمل في الإضراب والاستفهام. ﴿**شاعر**﴾ خبر لمبتدإٍ محذوف. أي: هو شاعر. والجملة مقول القول. ﴿**نتربص**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحنُ. ﴿**به**﴾ متعلق بنتربص. ﴿**ريب**﴾ مفعول به. ﴿**المنُون**﴾ مضاف إلى ريب. ﴿**قل**..: **تربصوا**﴾ أمر موجه إلى القائلين.. ﴿**فإني**﴾ إنّ واسمها. والفاء للتعقيب. ﴿**معكم**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**من المتربصين**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ. ﴿**أم تأمرهم**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**أحلامهم**﴾ فاعل ﴿**بهذا**﴾ متعلق بتأمرهم. والجملة معطوفة بأم على ما قبلها. ﴿**أم هم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**قوم**﴾ خبره. ﴿**طاغون**﴾ نعت لقوم. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**أم يقولون**﴾ فعل وفاعل. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**تقوله**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول يعود على القرءان. والفاعل ضمير يعود على الرسول. وجملة تقوله مقول القول. ﴿**بل لا يؤمنون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي وحرف الإضراب. وحرف الإضراب من حروف العطف. ﴿**فليأتوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه لام الأمر الجازم. والفاء للربط. ﴿**بحديث**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**مثله**﴾ نعت لحديث.

﴿**إن كانوا**﴾ كان واسمها. دخل عليها حرف الشرط. ﴿**صادقين**﴾ خبر كَانَ. وجواب الشرط محذوف. يدل عليه فليأتوا.. ﴿**أم خلقوا**﴾ الفعل ونائب الفاعل معطوف بأم على أم يقولون.. ﴿**من غير**﴾ متعلق بخلقوا. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى غير. ﴿**أم هم الخالقون**﴾ جملة المبتدإ والخبر معطوفة على أم خلقوا.. ﴿**أم خلقوا السماوات**﴾ فعل وفاعل ومفعول. معطوف على أم هم الخالقون. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**بل لا يوقنون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي وحرف الإضراب. ﴿**أم عندهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**خزائن**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة معطوفة على «أم خلقوا السماوات».. ﴿**ربك**﴾ مضاف إلى خزائن. ﴿**أم هم المصيطرون**﴾ جملة المبتدإ والخبر معطوفة على «أم عندهم خزائن ربك». ﴿**أم لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**سلم**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة معطوفة على «أم هم المصيطرون» ﴿**يستمعون**﴾ فعل وفاعل. والجملة نعت لسلم. ﴿**فيه**﴾ متعلق بيستمعون. ﴿**فليأت مستمعهم**﴾ فعل وفاعل.

والفاء للتعقيب. ﴿**بسلطان**﴾ متعلق بـ«ليأت». والفاعل مجزوم بلام الأمر. ﴿**مبين**﴾ نعت لسلطان. ﴿**أم له**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**البنات**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة معطوفة على «أم لهم سلم..» ﴿**ولكم البنون**﴾ معطوف على «له البنات».. ﴿**أم تسألهم**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير المخاطب يعود على الرسول. ﴿**أجراً**﴾ مفعول ثانٍ. والجملة معطوفة على ما قبلها.. ﴿**فهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. والفاء للتعقيب. ﴿**من مغرم**﴾ متعلق بالخبر بعده: ﴿**مثقلون**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**أم عندهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**الغيب**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة معطوفة على «أم تسألهم أجراً». ﴿**فهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. والفاء للتعقيب. ﴿**يكتبون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر المبتدإ. ﴿**أم يريدون كيداً**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة معطوفة على «أم عندهم الغيب». ﴿**فالذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين. هم ضمير فصل. ﴿**المكيدون**﴾ خبر المبتدإ. والجملة معقبة بالفاء على ما قبلها. ﴿**أم لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم.

﴿**إله**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**غيرُ**﴾ نعت لإله. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى غير. والجملة معطوفة على «أم يريدون كيداً». ﴿**سبحان**﴾ مفعول مطلق. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سبحان. ﴿**عما**﴾ متعلق بسبحان. ﴿**يشركون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما، على أنها موصولة. وجملة سبحان الله عما يشركون اعتراضية لا محل لها من الإعراب. ﴿**وإن يروا كسفاً**﴾ فعل وفاعل ومفعول والجملة فعل شرط إنْ. والواو للعطف. وهو من عطف الجمل بعضها على بعض. ﴿**من السماء**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**ساقطاً**﴾ نعت لـ «كسفا»، ﴿**يقولوا**﴾ فعل وفاعل جواب شرط إن مجزوم بحذف النون. ﴿**سحاب**﴾ خبر لمبتدإ محذوف. أي: هو سحاب. ﴿**مركوم**﴾ نعت لسحاب. ﴿**فذرهم**﴾ فعل أمر موجه إلى الرسول. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**حتى يلاقوا يومهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والفعل منصوب بأن بعد حتّى. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحتّى التي بمعنى إلى. أي: فذرهم إلى ملاقاة يومهم ﴿**الذي**﴾ في محل نصب نعت ليومهم. ﴿**فيه**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**يصعقون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة الموصول. ﴿**يوم**﴾ بدل من يومهم.. ﴿**لا يغني**﴾ فعل مضارع منفي بلا. ﴿**عنهم**﴾ متعلق بيغني. ﴿**كيدهم**﴾ فاعل. ﴿**شيئاً**﴾ مفعول به. ﴿**ولا هم**﴾ في محل رفع مبتدأ. دخل عليه حرف

النفي. ﴿**ينصرون**﴾ الفعل ونائب الفاعل خبر المبتدإ. والجملة معطوفة على قوله: لا يغني عنهم.. ﴿**وإن للذين**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدم. ﴿**ظلموا**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة الموصول. ﴿**عذاباً**﴾ اسم إنّ مؤخر. ﴿**دون**﴾ ظرف متعلق بمحذوف نعت لعذاب. ﴿**ذلك**﴾ في محل جر مضاف إلى دون. ﴿**ولكن أكثرهم**﴾ لكنّ واسمها. ﴿**لا يعلمون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة خبر لكنّ. وجملة ولكن أكثرهم لا يعلمون معطوفة على قوله: وإن للذين ظلموا عذاباً. ﴿**واصبر**﴾ معطوف على قوله: فذرهم.. ﴿**لحكم**﴾ متعلق باصبر. ﴿**ربك**﴾ مضاف إلى حكم. ﴿**فإنك**﴾ إن واسمها. ﴿**بأعيننا**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ. وجملة فإنك بأعيننا تعليل للأمر بالصبر. ﴿**وسبح**﴾ عطف مثل عطف واصبر. ﴿**بحمد**﴾ متعلق بسبح. ﴿**ربك**﴾ مضاف إلى حمد. ﴿**حين**﴾ ظرف متعلق بسبح. ﴿**تقوم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المخاطب، يعود على الرسول. ﴿**ومن الليل**﴾ متعلق بفعل سبح مقدّر. ﴿**فسبحه**﴾ تفسير لسبح المقدّر. ﴿**وإدبار**﴾ ظرف متعلق بسبح المعطوف عليه. ﴿**النجوم**﴾ مضاف إلى إدبار.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**والطور. وكتاب مسطور..**﴾: الخ القسم.. فأول هذه السورة مرتبط بآخر السورة التي قبلها باشتمال كل على الوعيد في قوله تعالى: فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون في آخر سورة الذاريات.. وفي قوله: إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع.. إلى قوله: فويل يومئذٍ للمكذبين. مع أن السورتين يربطهما رباط واحد من أولهما إلى آخرهما.. تشابههما في المطلع والمقطع.. فابتدأت تلك السورة بالقسم.. وابتدأت هذه السورة كذلك.. وعرف الطور بِأَلْ لكونه معلوماً من نصوص القرءان. وكتاب مسطور في رق منشور نُكِّرَ ووُصِف بما يدل على عمومه. وهي كل صحيفة من صحف الرسل وكل كتاب من الكتب المنزلة. وفي مقدمتها القرآن المهيمن على الجميع. والكتاب المسطور: المكتوب على وجه الانتظام.. فإن السطر ترتيب الحروف المكتوبة. والرق المنشور: المكتوب المفتوح المعد للقارىء. والبيت المعمور: جاء معرفاً بأل التي للعهد. وهو بيت الله الحرام المعمور بالحجاج. يأتون إليه من كل فج عميق. والسقف المرفوع: السماء المعهودة للناس. والبحر المسجور: البحر المملوء المتدفق بالماء الذي لا

يحيط به الحصر. وتخصيص هذه الأمور بالقسم بها؛ لِمَا أنها أمور عظام تنبىء عن عظم قدرة الله تعالى، وكمال علمه وحكمته الدالة على إحاطته تعالى بتفاصيل أعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق أخباره التي من جملتها الجملة المقسم عليها: **﴿إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع﴾**!.. وقوله تعالى: **﴿يوم تمور السماء موراً وتسير الجبال سَيْراً﴾** بيان لكيفية الوقوع، منبىء عن كمال هوله وفظاعته!.. فلأجل هذا جاءت العبارة دالة على هذا: تمور السماء موراً.. وتسير الجبال سيراً.. فتأكيد الفعلين بمصدريهما ـ مَوْراً وسَيْراً ـ للإيذان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة. إذا كان الأمر كما ذكر.. فويل يوم إذ يقع ذلك لهم!: **﴿فويل يومئذٍ للمكذبين.. الذين هم في خوض﴾**: في اندفاع عجيب في الأباطيل والأكاذيب.. يلعبون!!..

فهم مثل الأطفال في حال اندفاعهم ومغامراتهم في أمور لا تعود عليهم إلا بالمشقة والخسران.. **﴿يوم يُدعُّون إلى نار جهنم دعّا﴾**: بيان وتفصيل لقوله تعالى: فويل يومئذٍ للمكذبين. **﴿هذه النار التي كنتم بها تكذبون﴾**: هذا مقول قول مقدّر. أي: يقال لهم هذا القول.. ومعنى التكذيب بها: تكذيبهم بالوحي الناطق بوقوعها.. وجملة **﴿أفسحر هذا﴾**؟!، توبيخ وتقريع لهم، حيث كانوا يسمون القرءان الذي أنذرهم بعذاب النار سحراً.. فكأنه قيل: كنتم تقولون للقرءان الناطق بهذا هو سحر!.. فهذا أيضاً سحر. وتقديم الخبر ـ أفسحر.. لأنه محط الإنكار ومدار التوبيخ. أي: أهذا سحر؟ **﴿أم أنتم لا تبصرون؟!.. اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا.. سواء عليكم.. إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾**: هذا من جملة ما يقال لهم، وهم في النار يقاسون حرها ويصطرخون فيها.. فافعلوا ما شئتم.. فالصبر والجزع سواء؛ إنما تجزون ما كنتم تعملون.. فهو تعليل للاستواء في الصبر والجزع.. فإن الجزاء حيث كان واجب الوقوع حتماً كان الصبر وعدمه سواء في عدم النفع. **﴿إن المتقين في جنات ونعيم﴾**: لما بين حال المكذبين الخائضين اللاعبين.. بين حال المصدقين المتقين الذين جعلوا لنفوسهم وقاية من عذاب الجحيم.. ففازوا بالنعيم المقيم يوم الدين.. وتنوين جناتٍ ونعيمٍ للتفخيم.. **﴿فاكهين بما آتاهم ربهم﴾**: وصف لحالهم بعد ذكر مآلهم.. أي متلذّذين متنعمين بما نالوا من الله ربهم من حسن الجزاء وكمال الوفاء.. **﴿ووقاهم ربهم عذاب الجحيم﴾**: زيادة في التكريم والتبجيل. وإظهار الرب في موقع الإضمار، مضاف

إلى ضميرهم لقصد التشريف والتعليل. وهذا مقابل ما يلقاه أهل الجحيم من الصَّلْي والويل والتقريع والتنكيل!. ﴿**كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون**﴾: يقال لهم هذا الكلام زيادة في التهنئة والتكريم. ﴿**متكئين على سرر مصفوفة**﴾: يجدون فيها لذة التجمع بإخوانهم في هذا النعيم المقيم!. ﴿**وزوجناهم بحور عين**﴾: زيادة في التجمع مع الأزواج بعد التمتع بالتجمع مع الإخوان. ﴿**والذين ءامنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم**﴾: تكملة لأنواع السرور: أولاً ـ بالتجمع مع الإخوان على السرر المنسقة المصفوفة. ثانياً ـ مع الأزواج في الخلوة المعروفة. ثالثاً ـ مع الذرية التي لحقتهم بالإيمان والأعمال الصالحة المألوفة!!.. ﴿**وما ألتناهم من عملهم من شيء: كل امرىء بما كسب رهين**..﴾ فكل إنسان منهم له عمل خاص به ثابت دائم. والجملة تعليل لما قبلها.. ﴿**وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون**﴾: هذا زيادة على ما كان لهم من مبادىء التنعم.. ﴿**يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم**﴾: أكمل سرور الإنسان المنادمة مع الإخوان!..

فهذا وصف حال المؤمنين في اجتماعهم على الشراب الموصوف بكمال النزاهة والمروءة والإحسان. وعبارة يتنازعون فيها كأساً هنا تعطينا معنى كمال الرغبة والاشتياق والتحبب والانبساط.. فليس كما يحصل للمنادمين على الشراب في الدنيا من اللغو والإثم والهذر وقبح الكلام! ﴿**ويطوف عليهم غلمان لهم، كأنهم لؤلؤ مكنون**﴾: من كمال التنعم أن يكون للمرء خدمة يقومون بشؤونه خصوصاً إذا كانوا غلماناً يافعين فرهين: في جمال وصفاء، ونزاهة ونقاء! وأكمل من هذا أن يكونوا من أبنائه الذين ماتوا صغاراً! فيكمل سروره بالتجمع بهم مع بقية الذرية التي لحقت به!. وهذا الوصف الذي في هذا السياق لا يمكن للبشر أن يتصوروه خارج هذا التعبير المعجز. ﴿**وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون: قالوا: إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين.. فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم. إنا كنا من قبل ندعوه: أنه هو البر الرحيم**﴾: من تمام السرور أن يجتمع الإخوان يتحدثون ويتذكرون ما كان لهم في الماضي من أقوال وأفعال.. فأهل الجنة يجتمعون، ويقص كل منهم على الآخرين ما كان عليه من إشفاق وحذر، وما كان له من رجاء في الله من رحمة وبر. ويُظهرون منّة الله عليهم من وقايتهم عذاب السموم، وحفاوتهم بما نالوه في دار النعيم!.. وقد أطنب السياق هنا في وصف حال المتقين في الجنة من نعيم مادي ومعنوي.. وفي وصف ما كان عليه حالهم في

الدنيا من خوف ورجاء ورهبة ورغبة.. فحقّق الله رجاءهم ورغبتهم، وأمن خوفهم ورهبتهم!.. ﴿**فذكّر**﴾: إذا ثبت كون العذاب واقعاً، وكون الفريقين اللَّذَيْن انْبَنَتْ عليهما السورة: المصدقين المتقين، والمكذبين المجرمين، مُجَازِينَ بأعمالهم. وإنك على الحق المبين الذي من كذب به استحق الهوان، ومن صدّق نال الرضوان.. فدم على التذكير، ولا تبال بما يقولون.. فإنك أنت الغالب حجة وسيفاً في هذه الدار، ومنزلة ورفعة في دار القرار.. ﴿**فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون**﴾: تفصيل لما صدر منهم من قول فيه مساس من مقام الرسول. وهو قولهم: كاهن أو مجنون.. فمن أنعم الله عليه بالنبوءة ورجاحة العقل يستحيل أن يكون هذين الشخصين.. فبدأ بالتفصيل بهذا القول لينبه على فساد آرائهم بهذا القول المتناقض.. ثم تَرَقَّى السياق مضرباً مستفهماً عن قولهم في الرسول: إنه شاعر.. ﴿**أم يقولون شاعر، نتربص به ريب المنون..**﴾ فهذا أدخل في الكذب من الكاهن والمجنون!.. ليبين حال تلجلجهم واضطرابهم.

وقوله تعالى: ﴿**قل: تربصوا فإني معكم من المتربصين**﴾؛ من باب المجازاة بمثل صنيعهم. وفيه تتميم للوعيد.. فهذا باب من إنكارهم، هدمه ـ سبحانه ـ أولاً ـ تلويحاً بقوله: «بنعمة ربك..» وثانياً ـ تصريحاً بقوله: ﴿**أم تأمرهم أحلامهم بهذا؟.. أم هم قوم طاغون**﴾!.. فكأنه قيل: دعهم وتلك المقالة وما فيها من الاضطراب.. ففيها عبرة!.. ثم قيل: لا.. بل ذلك من طغيانهم؛ لأنه أدخل في الذم من نقصان العقل! وأبلغ في التسلية.. لأنه من طغى على الله تعالى فقد باء بغضبه.. ثم أخذ في باب أوغل في الإنكار. وهو نسبة الافتراء إلى الرسول: ﴿**أم يقولون: تقوله**﴾: افتراه.. ﴿**بل لا يؤمنون..**﴾ فالمفتري أدخل في الكذب من الشاعر.. ثم عقب بقوله: ﴿**فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين..**﴾ فهذا رد لقولهم: تقوّله.. فإن كان ما ادّعوه حقاً فليأتوا بحديث مثله مفترًى!.. ثم أخذ السياق في أسلوب أبلغ في الرد على مقالتهم: الجنون والكهانة.. ثم الشعر.. ثم الافتراء: ﴿**أم خلقوا من غير شيء؟.. أم هم الخالقون؟.. أم خلقوا السماوات والأرض؟.. بل لا يوقنون..**﴾ فهذه الأسئلة وردت على سبيل الترقي.. ثم الرد عليها جملة بقوله: بل لا يوقنون. ﴿**أم عندهم خزائن ربك؟.. أم هم المصيطرون؟..**﴾ فلا هذا ولا ذاك.. ﴿**أم لهم سلم يستمعون فيه؟.. فليأت مستمعهم بسلطان مبين**﴾!. فليست لهم حجة يستدلون بها على صحة موقفهم..

﴿**أم له البنات ولكم البنون**﴾؟: واجههم بهذا الخطاب تسفيهاً لعقولهم، وتوبيخاً لهم على دعوتهم الهائفة الساقطة فإن مَن هذا رأيه لا يكاد يعد من العقلاء فضلاً عن الترقي إلى عالم الملكوت. ﴿**أم تسألهم أجراً؟.. فهم من مغرم مثقلون**﴾!.. حتى يكون هذا سبب إعراضهم عن دعوتك.. فتوجيه الخطاب إلى الرسول إعراض عنهم وتهكم بهم على بخلهم!. ﴿**أم عندهم الغيب؟.. فهم يكتبون**﴾!.. فليس لهم علم بالغيب حتى يحيطوا به بالكتابة والتوثيق.. ﴿**أم يريدون كيداً؟.. فالذين كفروا هم المكيدون!.. أم لهم إله غير الله**﴾؟!.. بل ألهم إله خاص بهم يعينهم على كيدهم، ويمنعهم من عذاب الله تعالى. ﴿**سبحان الله عما يشركون!!.. وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا: سحاب مركوم**﴾: وُصلت هذه الآية بالعطف على ما سبق من إقامة الحجة على المشركين من أهل مكة وما حولها.. فقد ناقشهم القرءان نقاشاً منطقياً واقعياً، وأقام عليهم الحجة وألزمهم البرهان. ومع هذا.. فهم لا يؤمنون، وأن يروا العذاب ساقطاً عليهم من السماء!!.. فهم لفرط عنادهم وجهلهم وطغيانهم يقولون هذا القول؛ كما قاله أسلافهم من قوم هود:.. ﴿**فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم، قالوا: هذا عارض ممطرنا!**﴾ وهكذا الإنسان المغرور!.

وإذا كان الأمر كذلك، وقد لزمتهم الحجة، وظهروا بمظهر المعاند المجادل بالباطل: ﴿**فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون: يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً، ولا هم ينصرون..**﴾ فذرهم غير مكترث بهم، ولا يُهمَّك أمرهم.. حتى يلاقوا يومهم المشهود: اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون. يوم الصواعق والشدائد. اليوم الذي لا يغني عنهم فيه كيدهم ولا مكرهم شيئاً من الإغناء!.. ﴿**وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك.. ولكن أكثرهم لا يعلمون**﴾: وصلت هذه الآية بالعطف على الآية التي قبلها.. تكملة لما للكافرين المتعدّين من العذاب في الدنيا قبل الآخرة الذي يصيبهم من القتل والأسر وضياع المال وهلاك الولد.. مثل قوله تعالى: ﴿**إن الذين كفروا ينفقون أموالهم؛ ليصدوا عن سبيل الله.. فسينفقونها.. ثم تكون عليهم حسرة.. ثم يغلبون**﴾ ﴿**واصبر لحكم ربك.. فإنك بأعيننا!!.. وسبح بحمد ربك حين تقوم.. ومن الليل فسبحه، وإدبار النجوم**﴾: في هذا براعة المقطع. وهو مسك الختام.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿والطور. وكتاب مسطور. في رق منشور. والبيت المعمور. والسقف المرفوع. والبحر المسجور. إن عذاب ربك لواقع. ما له من دافع..﴾: في هذا التوجيه لفت الأنظار إلى هذا القسم الوجيه على أمر خطير غفل عنه البشر لاشتغالهم بالتافه الحقير.. فأقسم الله بالطور، لأن بجانبه أوحى الله إلى موسى أول ما أوحى.. ثم بعد ذلك أخذ موسى فيه الألواح.. وكتاب مسطور في رق منشور؛ لأنه يشمل كل ما كتب من الوحي المنزل من صحف إبراهيم.. إلى القرءان الكريم. والبيت المعمور، لأنه البيت الذي لا زال عامراً بالحجاج كل عام.. فلا يخلو من طائف وقائم وراكع وساجد. والسقف المرفوع؛ لأن السماء مرفوعة بلا عمد يراها الناس. والبحر المسجور؛ لأنه واسع يتدفق بالماء، مثل السماء سعة ولوناً وهيبة ورهبة وجلالاً وجمالاً!!.. إن عذاب ربك لواقع. ما له من دافع.. فيقسم الله سبحانه وتعالى ـ بهذه الخلائق العظيمة على أمر عظيم.. فهو واقع حتماً، لا يملك دفْعَه أحد أبداً. والإيقاع في الآيتين حاسم قاطع. يلقى في الحس أنه أمر داهم قاصم، ليس منه واق ولا عاصم!. ويعقب هذا الإيقاع الرهيب مشهد مصاحب له رهيب: **﴿يوم تمور السماء موراً. وتسير الجبال سيراً..﴾** فمشهد السماء الثابتة المبنيَّة بقوّة، وهي تضطرب وتنقلب، كما يضطرب الموج في البحر من هنا إلى هناك بلا قوام. ومشهد الجبال الصلبة الراسية تسير خفيفة رقيقة لا ثبات ولا استقرار، أمر مذهل مزلزل. يدل ضمناً على الهول الذي تمور فيه السماء وتسير منه الجبال؛ فكيف بالمخلوق الإنساني الصغير الضعيف في ذلك الهول المذهل المخيف؟!. وفي زحمة هذا الهول الذي لا يثبت عليه شيء، وفي مهب هذا الرعب المزلزل لكل شيء يعاجل النصُّ المكذبين بما هو أهول وأرعب: يعاجلهم بالدعاء عليهم بالويل من العزيز الجبار: **﴿فويل يومئذ للمكذبين..﴾** فالدعاء بالويل من الله حكمٌ بالويل وقضاء.. فهو أمر لا محالة واقع. ما له من دافع. وهو كائن حتماً يوم تمور السماء موراً وتسير الجبال سيراً.. فيتناسب هذا الهول مع ذلك الويل، وينصب كله على المكذبين: **﴿الذين هم في خوض يلعبون..﴾** فهذا الوصف ينطبق ابتداء على أولئك المشركين ومعتقداتهم المتهافتة وتصوراتهم المهلهلة، وحياتهم القائمة على تلك المعتقدات وهذه التصورات، التي وصفها القرءان وحكاها في مواضع كثيرة. وهي لعب لا

جد فيه. لعب يخوضون فيه كما يخوض اللاعب في الماء، غير قاصد إلى شاطىء أو هدف، سوى الخوض واللعب!.. ولكنه يصدق كذلك على كل من يعيش بتصور ءاخر غير التصور الإسلامي.

وهذه حقيقة لا يدركها الإنسان إلا حين يستعرض كل تصورات البشر المشهورة ـ سواء في معتقداتهم أو أساطيرهم أو فلسفاتهم ـ في ظل التصور الإسلامي للوجود الإنساني.. ثم للوجود كله.. إن سائر التصورات ـ حتى لكبار الفلاسفة الذين يعتز بهم تاريخ الفكر الإنساني ـ تبدو محاولات أطفال، يتخبطون ويخوضون في سبيل الوصول إلى الحقيقة. تلك الحقيقة التي تُعْرض في التصور الإسلامي ـ وبخاصة في القرءان ـ عرضاً هادئاً ناصعاً قوياً بسيطاً عميقاً، يلتقي مع الفطرة التقاء مباشراً دون كدّ ولا جهد ولا تعقيد؛ لأنه يطالعها بالحقيقة الأصيلة العميقة فيها؛ ويفسر لها الوجود وعلاقتها به؛ كما يفسر لها علاقة الوجود بخالقه تفسيراً يماثل ما استقر فيها ويوافقه.. وطالما يعجب الإنسان الباحث المتتبع لتصورات كبار الفلاسفة، ويلاحظ العناء القاتل الذي يزاولونه.. وهم يحاولون تفسير هذا الوجود وارتباطاته؛ كما يحاول الطفل الصغير حل معادلة رياضية هائلة!.. مثل ما حاول أرسطو وأمثاله قبل الإسلام. وحاول الفارابي وابن سينا بعد نزول القرءان.. فهذا التصور القرآني واضح سهل لا عوج فيه ولا لف ولا تعقيد.. مع أن محاولة الفلاسفة تجعل المتتبع لها في دوران والتواء؛ لعله يظهر على ثغرة يدخل منها لحل مشكلاتهم التي أثاروها حول الحقيقة التي لا تحتاج إلى هذا العناء!.. فالتفسير القرءاني للوجود هو تفسير صانع الوجود.. أما تفسير الفلاسفة وتصوراتهم فهو محاولات أجزاء صغيرة من هذا الوجود لتفسير الوجود كله.. فهو عبث وخلط وخوض حين يقاس إلى الصورة المكتملة المطابقة؛ التي يعرضها القرءان على الناس. كذلك يبدو أن أكثر الناس في خوض يلعبون من ناحية اهتمامهم في الحياة؛ حين تقاس بالاهتمامات التي يثيرها الإسلام.. فالمسلم ينظر إلى اشتغال أهلها بها، وانغماسهم فيها، وتعظيمهم لها، وحديثهم عنها؛ كأنها أمور كونية عظمى! وهو ينظر إليهم كما ينظر إلى الأطفال المشغولين بعرائس الحلوى وبالدمى الميتة؛ يحسبونها شاخصة حية، يقضون أوقاتهم في مناغاتها واللعب معها وبها!!.. فويل لأولئك الخائضين اللاعبين: ﴿**يوم يُدَعّون إلى نار جهنم دعاً**..﴾ فهو مشهد عنيف.. فالدع: الدفع في الظهور بقوّة وعنف.. فهي

حركة غليظة تليق بالخائضين اللاعبين، الذين لا يجدّون ولا ينتبهون إلى ما يجري حولهم من الأمور.. فيُساقون سوقاً.. ويُدفعون في ظهورهم دفعاً.. حتى إذا وصل بهم الدفع والدعّ إلى حافة النار؛ قيل لهم: ﴿**هذه النار التي كنتم بها تكذبون**..﴾ وبينما هم في هذا الكرب. بين الدفع والنار التي تواجههم على غير إرادة منهم؛ يجيئهم الترذيل والتأنيب، والتلميح إلى ما سبق منهم من التكذيب: ﴿**أفسحر هذا؟ أم أنتم لا تبصرون؟**..﴾ فقد كانوا يقولون عن القرءان: إنه سحر.. فهل هذه النار التي يرونها كذلك سحر؟.. أم إنه الحق الهائل الرحيب؟ أم أنهم لا يبصرون هذه النار كما كانوا لا يبصرون الحق في القرآن الكريم؟!.. فقد قالوا عنه مستفهمين مستنكرين: ﴿**أفتأتون السحر وأنتم تبصرون؟!**﴾ وحين ينتهي هذا التأنيب الساخر المرير، يعاجلهم بالتيئيس البئيس: ﴿**اصلوها.. فاصبروا أو لا تصبروا.. سواء عليكم.. إنما تجزون ما كنتم تعملون**..﴾ فليس أقسى على منكوب بمثل هذه النكبة من أن يعلم أن الصبر وعدم الصبر سواء!.. فالعذاب واقع ما له من دافع. وألمه واحد مع الصبر ومع الجزع. والبقاء فيه مقرر. سواء صبر عليه أم هلع وجزع.. فالعلة أنه جزاء على ما كان من عمل.. فهو جزاء له سببه الواقع؛ فلا تغيير فيه ولا تبديل!..

التوجيه الثاني: ﴿**إن المتقين في جنات ونعيم. فاكهين بما ءاتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم**..﴾: في هذا التوجيه عرض شامل لما أعد للمتقين بعد عرض ما أعد للمكذبين من ويل وهول ونار وبوار.. فهذا النعيم مقابل لذلك العذاب الذي تواجه به القلوب اللاهية اللاعبة الغافلة عما أعد للمكذبين.. ومع النعيم ولذته التهنئة والتكريم: ﴿**كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون**..﴾ فهذا بذاته متاع أكرم! وهم ينادون هذا النداء العلوي، ويعلن استحقاقهم لما هم فيه: ﴿**متكئين على سرر مصفوفة**..﴾ فالسرر منسقة متقابلة، يجدون فيها لذة التجمع بإخوانهم في هذا النعيم!.. ثم بعد هذا تجمع آخر خاص مع الأزواج في القصور والخدور: ﴿**وزوجناهم بحور عين**..﴾ فهذا يمثل أَمْتَعَ ما يجُول في خواطر البشر من أنس جميل!.. ثم يمضي التكريم خطوة.. فإذا ذريتهم المؤمنة تجتمع إليهم في هذا النعيم: ﴿**والذين ءامنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم.. وما ألتناهم من عملهم من شيء**..﴾ فكل منهم آمن وعمل حسب ما أمره الله.. فما أحد أخذ من جزاء عمل أحد: ﴿**كل امرىء بما كسب رهين**﴾!

ويستطرد المشهد بعرض ألوان المناعم واللذائذ في ذلك النعيم: ﴿**وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون. . يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم. .**﴾ فقد كانت الفواكه واللحوم المنتقاة تحضر على موائد الكبراء في مجالس الشراب والأنس والمنادمة. . فهذه الفواكه واللحوم المشتهاة على موائد شراب الجنة تحضر لندماء أهل الجنة. . مع الفارق الشاسع بين ما يكون في الدنيا من متاع. . وما يكون في الآخرة من نعيم دائم مُشْتَهٍ. . وخمر كثير لذة للشاربين لا فيها لغو ولا نزاع!. . ثم ما لهم من زيادة المتاع بذريتهم الذين ماتوا صغاراً. . فيصيرون خدماً لآبائهم خاصة: ﴿**ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون**﴾!!. . ثم استكمالاً لجو المشهد المأنوس يعرض السياق سمر أهل الجنة فيما بينهم. . فيتذكرون ماضيهم، وأسباب ما هم فيه من أمن ورضى ورخاء ورغد وأنس ونعيم. . فيكشف للقلوب على سر هذا المتاع، ويشير إلى الطريق المؤدي إلى هذا النعيم: ﴿**وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون. قالوا: إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين. . فمن الله علينا، ووقانا عذاب السموم. .**﴾ فهذا هو السرّ إذن!: أنهم عاشوا في الدنيا على حذر ووجل من هذا اليوم الذي عرفوه من كتاب ربهم. . فعاشوا في خشية من لقاء ربهم! عاشوا مشفقين من حسابه. عاشوا كذلك، وهم في أهلهم حيث الأمان الخادع. . ولكنهم لم ينخدعوا. . وحيث المشغلة الملهية. . ولكنهم لم ينشغلوا. . فعندئذٍ منّ اللّهُ عليهم ووقاهم عذاب السموم، الذي يتخلل المسام كالسمّ القاتل للأجسام. ووقاهم الله هذا العذاب منّةً منه وفضلاً؛ لما علم من تقواهم وخشيتهم وإشفاقهم، وهم يعرفون هذا، ويعرفون أن العمل لا يُدخل صاحبَه الجنَّةَ إلا بمنّة من الله وفضل. . فما يبلغ العمل أكثرَ من أن يشهد لصاحبه أنه بذل جهده، ورغب فيما عند الله. وهذا هو المُؤهِّل لفضل الله. وقد كانوا مع الإشفاق والحذر والتقوى يدعون الله: ﴿**إنا كنا من قبل ندعوه. .**﴾ فهم يعرفون من صفاته البرَّ بعباده والرحمة بهم: ﴿**أنه هو البر الرحيم. .**﴾ فكذلك ينكشف سر الوصول في تناحي هؤلاء الناجين المكرمين في دار النعيم. والآن وقد تلقى الحس سياط العذاب العنيف في الشوط الأول، وتلقي هتاف النعيم الرغيد في الشوط الثاني؛ وتوفرت بهذا وذاك حساسيته لتلقي الحقائق. . فإن السياق يعاجله بحملة سريعة الإيقاعات، يطارده فيها بالحقائق الصادعة، ويتعقب وساوسه في مسارب نفسه في صورة استفهامات استنكارية،

وتحديات قوية، لا يثبت لها الكيان البشري حين تصل إليه من أي طريق.

التوجيه الثالث: ﴿فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون﴾: فالخطاب في هذا التوجيه للرسول ﷺ ليظل ثابتاً مستمرّاً في تذكيره وتبليغه، لا يثنيه ولا يشغله سوءُ أدبهم معه، وسوء اتّهامهم له. وقد كانوا يقولون عنه مرة: إنه كاهن ويقولون عنه مرة: إنه مجنون.. فيجمع بين الوصفين عندهم ما كان شائعاً بينهم أن الكهّان يتلقون عن الشياطين، وأن الشيطان كذلك يخيل لبعض الناس فيصابون بالهلوسة والهذر غير المفهوم والمعقول.. فالشيطان هو العامل المشترك بين الوصفين: كاهن أو مجنون!. وكان يحملهم على وصف النبئ بهذا الوصف أو ذاك، أو بقولهم: إنه شاعر أو ساحر. كان يحملهم على هذا كله موقفُهم مبهوتين أمام القرءان الكريم المعجز الذي يَبْدَهُهُم بما لم يعهدوا من القول!. ولما كانوا لا يريدون ـ لعلة في نفوسهم ـ أن يعترفوا أنه من عند الله، فقد احتاجوا أن يعللوا مصدره المتفوّق على البشر.. فقالوا: إنه من إيحاء الجن أو بمساعدتهم.. فصاحبه إمّا كاهن يتلقى من الجن، أو ساحر يستعين بهم، أو شاعر له رُأَى من الجن تلهمه الشعر، أو مجنون به خبال من الشيطان ينطقه بهذا القول العجيب!. وإنها لقولة فظيعة شنيعة.. لكن الله ـ سبحانه ـ يُسَلّي رسولَه عنها، ويصغر من شأنها في نفسه.. وهو يشهد له أنه محوط بنعمة ربه، التي لا تكون معها كهانة ولا جنون!.. ثم يستنكر قولهم: إنه شاعر: **﴿أم يقولون: شاعر، نتربص به ريب المنون﴾**؟.. فقد قالوها؛ عندما قال بعضهم لبعض: اصبروا عليه، واثبتوا على ما أنتم فيه، حتى يأتيه الموت.. فيريحنا منه!. وتواصوا أن يتربصوا به الموت المريح. ومن ثَمّ يلقن الله رسوله بأن يرد عليهم في تهديد ملفوف: **﴿قل: تربصوا.. فإني معكم من المتربّصين..﴾** فستعلمون من تكون له العاقبة، ومن ينتهي به التربص إلى النصر والظهور. وقد كان شيوخ قريش يلقبون بذوي الأحلام؛ إشارة إلى رجاحة عقولهم وحكمتهم في تصريف الأمور.. فهو يتهكم بهم وبأحلامهم تجاه الإسلام. وموقفُهم منه ينافي الحكمة والعقل.. فيسأل في تهكّم: أهذه الأوصاف التي يصفون بها محمداً ﷺ وتلك المواقف التي يقفونها من رسالته كانت من وحي أحلامهم؟ أم أنهم طغاة ظالمون، لا يقفون عندما تمليه الأحلام والعقول: **﴿أم تأمرهم أحلامهم بهذا؟!.. أم هم قوم طاغون﴾**؟!. وفي السؤال الأول تهكم لاذع. وفي السؤال الثاني اتهام مزرٍ. وواحد منهما لا بد

لاَحِقٌ بهم في موقفهم المريب!. ولقد تطاولت ألسنتهم على رسول الله.. فاتّهموه بافتراء ما يقول.. فهو هنا يسأل في استنكار: إن كانوا يقولون: تقوّله: كأنّ هذه الكلمةَ لا يمكن أن تقال.. فهو يسأل عنها في استنكار: ﴿**أم يقولون، تقوّله**..﴾

ثم يبادر بيان علّة هذا القول الغريب: ﴿**بل لا يؤمنون**..﴾ فعدم استشعار قلوبهم للإيمان، هو الذي يُنطِقُهم بمثل هذا القول، بعد أن يُحجبهم عن إدراك حقيقة هذا القرآن. ولو أدركوها لعلموا أنه ليس من صنع بشر؛ وأنه لا يحمله إلا صادق أمين. وما دامت قلوبهم لا تستشعر حقيقة هذا التنزيل؛ فهو يتحداهم إذن ببرهان الواقع الذي لا يقبل المراء: ﴿**فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين**..﴾ فقد تكرر هذا التحدي في القرءان الكريم، وتلقاه المنكرون عاجزين، ووقفوا تجاهه صاغرين. وكذلك يقف أمامه كل إلى يوم الدين!. إن في هذا القرآن سراً خاصاً يشعر به كلُّ من يواجه نصوصه ابتداء، قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فيها. إنه يشعر بسلطان خاص في عبارات هذا القرآن. يشعر أنّ هنالك شيئاً مًّا، وراء المعاني التي يدركها العقل من التعبير. وأن هنالك عنصراً ما، ينسكب في الحس بمجرد الاستماع لهذا القرآن. يدركه بعض الناس واضحاً ويدركه بعض الناس غامضاً.. ولكنه على كل حال موجود. هذا العنصر الذي ينسكب في الحس يصعب تحديد مصدره: أهو العبارة ذاتها؟. أهو المعنى الكامن فيها؟. أهو الصور والظلال التي تشعها؟. أهو الإيقاع القرآني الخاص المتميز من إيقاع سائر القول المصوغ من اللغة؟. أهي هذه العناصر كلها مجتمعة؟. أم إنها هي وشيء آخر وراءها غير محدود؟!. ذلك سر مودع في كل نص قرآني يشعر به كل من يواجه نصوص هذا القرآن ابتداء.. ثم تأتي وراءه الأسرار المدركة بالتدبر والنظر والتفكير في بناء القرآن كله: في التصور الكامل الصحيح الذي ينشئه في الحس والقلب والعقل. التصور لحقيقة الوجود الإنساني، وحقيقة الوجود كله، وللحقيقة الأولى التي تنبع منها كل حقيقة، حقيقة الله ـ سبحانه. وفي الطريقة التي يتبعها القرآن لبناء هذا التصور الكامل الصحيح في الإدراك البشري. وهو يخاطب خطاباً خاصاً غير معهود مثله في كلام البشر أجمعين.

وهو يقلب القلب من جميع جوانبه ومن جميع مداخله، ويعالجه علاج الخبير بكل زاوية وكل سر فيه. وفي الشمول والتوازن والتناسق بين توجيهاته كلها،

والاستواء على أفق واحد فيها كلها مما لا يعهد إطلاقاً في أعمال البشر التي لا تستقر على حال واحدة، ولا تستقيم على مستوى واحد، ولا تحيط هكذا بجميع الجوانب، ولا تملك التوازن المطلق الذي لا زيادة فيه ولا نقص، ولا تفريط فيه ولا إفراط، والتناسق المطلق الذي لا تعارض فيه ولا تصادم سواء في ذلك الأصول والفروع.. فهذه الظواهر المدركة، وأمثالها.. مع ذلك السر الخافي الذي لا سبيل إلى إنكاره، مما يسبغ على هذا الكتاب سمة الإعجاز المطلق في جميع العصور. وهي مسألة لا يماری فيها إنسان يحترم حسه، ويحترم نفسه، ويحترم الحقيقة التي تطالعه بقوة وعمق ووضوح؛ حيثما واجه هذا القرآن بقلب سليم..

ثم يأتي الاستفهام التالي عن حقيقة وجودهم، هم أنفسهم. وهي حقيقة قائمة لا مفرّ لهم من مواجهتها، ولا سبيل لهم إلى تفسيرها بغير ما يقوله القرآن فيها؛ من أن لهم خالقاً أوجدهم، هو الله ـ سبحانه وتعالى ـ وهو موجود بذاته وهم مخلوقون: ﴿**أم خلقوا من غير شيء؟.. أم هم الخالقون**﴾؟!.. فوجودهم هكذا من غير شيء أمر ينكره منطقُ الفطرة ابتداء، ولا يحتاج إلى جدل كثير أو قليل. أمّا أن يكونوا هم الخالقين لأنفسهم فأمر لم يدّعوه ولا يدّعيه مخلوق. وإذا كان هذان الفرضان لا يقومان بحكم منطق الفطرة، فإنه لا يبقى إلا الحقيقة التي يقولها القرآن. وهي أنهم جميعاً من خلق الله الواحد الذي لا يشاركه أحد في الخلق والإنشاء.. كذلك يواجههم بوجود السماوات والأرض حيَالَهُم.. فهل هم خلقوها؟.. فإنها لا تخلق نفسها بطبيعة الحال؛ كما أنهم لم يخلقوا أنفسهم: ﴿**أم خلقوا السماوات والأرض**﴾؟!.. فهم ـ ولا أيُّ عقل يحتكم إلى منطق الفطرة ـ لا يقولون: إن السماوات والأرض خلقت نفسها، أو خُلقت من غير خالق. وهم كذلك لا يدّعون أنهم خلقوها. وهي قائمة حيالهم.. وقد كانوا إذا سُئِلوا عمن خلق السماوات والأرض قالوا الله.. ولكن هذه الحقيقة لم تكن تتضح في إدراكهم إلى درجة اليقين الذي ينشىء آثاره في القلب ويحركه إلى اعتقاد واضح دقيق.. ﴿**بل لا يوقنون..**﴾ ثم يهبط بهم درجة عن درجة الخلق والإبداع لأنفسهم أو للسماوات والأرض.. فيسألهم: هل هم يملكون خزائن الله، ويسيطرون على القبض والبسط والضر والنفع: ﴿**أم عندهم خزائن ربك؟ أم هم المصيطرون**﴾؟.. فإذا لم يكونوا كذلك، ولم يدّعوا هذه الدعوى فمن ذا يملك الخزائن، ومَن ذا يسيطر على مقاليد الأمور؟.

القرآن إنه يقول: إنه الله القابض الباسط المدبر المتصرف. وهذا هو التفسير الوحيد لما يجري في الكون من قبض وبسط وتصريف وتدبير. بعد انتفاء أن يكونوا هم المالكين للخزائن المصيطرين على تصريف الأمور!.. ثم يهبط بهم درجة أخرى.. فيسألهم إن كانت لهم وسيلة للاستماع إلى مصدر التنزيل: ﴿**أم لهم سلم يستمعون فيه؟.. فليأت مستمعهم بسلطان مبين**﴾!.. فمحمد ﷺ يقول لهم: إنه رسول يُوحَى إليه، وإن هذا القرءان يتنزل عليه من الملإ الأعلى؛ وهم يكذبونه فيما يقول.. فهل لهم سلم يستمعون فيه فيعلموا أن محمّداً لاَ يُوحَى إليه، وأن الحق غيرُ ما يقول.. ثم يناقش إحدى مقولاتهم المتهافتة عن الله ـ سبحانه وتعالى ـ تلك التي ينسبون إليه فيها بنوة الملائكة الذين يتخيلونهم إناثاً؛ موجهاً الخطاب مباشرة إليهم زيادة في التخجيل والترذيل: ﴿**أم له البنات ولكم البنون**﴾؟!.. فهم كانوا يعتبرون البنات في درجة أقل من درجة البنين.. إلى حد أن تسودّ وجوههم من الكمد والكظم حين يُبشّرون بالأنثى. وكانوا مع هذا لا يستحيون من نسبة البنات إلى الله تعالى!.. فهو هنا يأخذهم بعرفهم وتقاليدهم؛ ليخجلهم من هذا الادّعاء. وهو في ذاته متهافت لا يستقيم!. وهم كانوا يستثقلون دعوة النبئ لهم إلى الهدى، وهو يقدمه لهم خالصاً بريئاً لا يطلب عليه أجراً، ولا يفرض عليهم إتاوة. وأيسر ما يقتضيه هذا العرض البريء أن يُستقبل صاحبُه بالحسنى، وأن يُردّ بالحسنى إذا لم يقبلوا ما يقدمه لهم ويعرضه عليهم. وهو هنا يستنكر مسلكهم الذي لا داعي له بقول: ﴿**أم تسألهم أجراً؟!.. فهم من مغرم مثقلون..**﴾ فهم مثقلون من الغرم الذي تكلفهم إياه في صورة الأجر على ما تقول!.. فإذا كان الواقع أن لا أجر ولا غرامة.. فكم يبدو عملهم مسترذلاً قبيحاً!!.. يخجلون منه حين يواجهون به. ويعود السياق يواجههم بحقيقة وجودهم ووضعهم في هذا الوجود.. فهم عبيد لهم حدٌّ مكشوف لهم من هذا الوجود بقدر، محجوب عنهم ما وراءه، مما يختص به صاحب هذا الوجود.. فهنالك غيب من اختصاص الله تعالى، يقف دونه العبيد، لا علم لهم به؛ لأنهم عبيد: ﴿**أم عندهم الغيب؟.. فهم يكتبون..**﴾ فهم يعلمون أن ليس عندهم الغيب، وأن ليس لهم به علم، وأن ليس لهم عليه قدرة؛ وأنهم لا يكتبون في سجل الغيب شيئاً.. إنما يكتب الله فيه ما يريد مما يقدره للعبيد.

والذي يملك أمر الغيب وما يقدّر فيه وما يدبر، هو الذي يملك أن يدبّر فيه

وأن يكيد.. فما لهم وهم عن الغيب محجوبون، وفي سجله لا يكتبون، يكيدون لك ويدبرون، ويحسبون أنهم قادرون على شيء من أمر المستقبل: فيقولون: شاعر نتربص به ريب المنون؟!: ﴿**أم يريدون كيداً؟! .. فالذين كفروا هم المكيدون..**﴾ فهم الذين يحيق بهم ما يقدّره صاحب الغيب لهم، وهم الذين يقع عليهم كيده ومكره.. والله خير الماكرين. ﴿**أم لهم إله غير الله**﴾؟!.. فهو الذي يقيهم ويتولاهم ويرد عنهم كيد الله الملك الحق.. ﴿**سبحان الله عما يشركون**﴾!!.. فبهذا التنزيه لله سبحانه عن الشرك والشركاء تختم هذه الجمل المتلاحقة الخطى، القوية الإيقاع؛ وقد انكشفت كل شبهة، ودُحضت كل حجة، ووقف القوم أمام الحقيقة العارية مجردين من كل عذر ومن كل دليل. عندئذٍ يقدمهم على حقيقتهم معاندين مكابرين يحارون في الحق الواضح متمسكين بأدنى شبهة من بعيد: ﴿**وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم**﴾!!.

التوجيه الرابع: ﴿**فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون..**﴾: في هذا التوجيه يوجه الخطاب إلى الرسول بأن يتركهم وشأنهم.. فعند هذا الحد من تصوير عنادهم ومكابرتهم في الحق، ولو كان فوق رؤوسهم الهلاك يتجه السياق بالخطاب إلى الرسول ﷺ لينفض يده من أمرهم، ويتركهم لليوم الذي ورد ذكره ووصفه في أول السورة.. فهذا شوط جديد في الحملة يبدأ بالتهديد بذلك اليوم الرهيب.. يوم لا ينفعهم تدبير، ولا ينصرهم نصير.. فإذا كانوا اليوم يكيدون ويدبرون.. فهم في ذلك اليوم لا يغنى عنهم كيد ولا تدبير. على أن لهم قبل ذلك اليوم عذاب!.. يتركه مجهولاً: ﴿**يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً ولا هم ينصرون. وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك..**﴾ فهو عذاب الدنيا الذي يجده كل ظالم: من ظالم أظلم منه.. ﴿**وكذلك نُوَلّي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون**﴾ أو من مصائب الأمراض والهموم والخوف من الغير.. وما أشد ما لقية مشركوا قريش من هزائم وأسر وقتل.. حتى انتهى أمرهم.. ثم يفرغ السياق بهذا التهديد الأخير الخطير من أمر المكذبين الظالمين الذين طاردهم السياق هذه المطاردة الطويلة العنيفة؛ لينتهي بهم إلى موقف المهدَّدِ الذي ينتظره العذاب من بعيد ومن قريب.. يفرغ منه؛ ليلتفت إلى الرسول - يوجهه إلى الصبر على هذا العناء وهذا التكذيب وهذا التطاول، والصبر على طريق الدعوة الشاق الطويل، تاركاً الأمر لحكم الله يفعل به ما يشاء.

ومع التوجيه إلى الصبر إيذان بالإعزاز الرباني والعناية الإلهية والأنس الحبيب الذي يمسح على مشقات الطريق مسحاً، ويجعل الصبر عليها أمراً محبباً، وهو الوسيلة إلى هذا الإعزاز الكريم: ﴿**واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا**. .﴾ فيا له من تعبير!. ويا له من تصوير!. ويا له من تقدير! إنها مرتبة لم يبلغها قطّ إنسان! هذه المرتبة التي يصورها هذا التعبير الفريد في القرءان كله حتى بين التعبيرات المشابهة، لقد قيل لموسى ـ عليه السلام ـ: ﴿**وأنا اخترتك فاستمع لما يوحي**﴾ وقيل له: ﴿**وألقيت عليك محبة مني، ولتصنع على عيني**﴾ وقيل له: ﴿**واصْطَنَعْتُكَ لنفسي**﴾ فكلها تعبيرات تدل على مقامات رفيعة. . ولكنه قيل لمحمد ﷺ فإنك بأعيننا. . فهو تعبير فيه إعزاز خاصّ، وأنس خاص. وهو يلقي ظلاً فريداً أرقى وأشفّ من كل ظلّ. . فلا يملك التعبير البشري أن يترجم هذا التعبير الخاص. . فحسبنا أن نشير إلى ظلاله، وأن نعيش في هذه الظلال. ومع هذا الإيناس هداية إلى طريق الصلة الدائمة به: ﴿**وسبح بِحَمْدِ ربك حين تقوم. ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم**. .﴾ فعلى مدار اليوم. عند اليقظة من النوم، وفي ثنايا الليل، وعند إدبار النجوم في الفجر. هنالك مجال الاستمتاع بهذا الإيناس الحبيب والتسبيح زادٌ وأنس ومناجاة القلوب. . فكيف بقلب الحبيب المحب القريب؟!!.

3 ـ والنجم إذا هوى، ما ضل صاحبكم وما غوى !!..



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (2) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (6) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (7) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (9) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (10) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (11) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (12) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (13) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (14) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (15) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (16) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (17) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (18) أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (20) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ (21) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (22) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ (23) أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ (24) فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ (25) * وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ (26)

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿27﴾
وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ
ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿28﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ
إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿29﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿30﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟
وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿31﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ
كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ
هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ
أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿32﴾ أَفَرَءَيْتَ
ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿33﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿34﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿35﴾
أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿36﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿37﴾
أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿38﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿39﴾
وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿40﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿41﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ
ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿42﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿43﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿44﴾
وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿45﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿46﴾
وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿47﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿48﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ
رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿49﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿50﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿51﴾

وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿51﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿52﴾ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ﴿53﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿54﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ ﴿55﴾ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ﴿56﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿57﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿58﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿59﴾ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴿60﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿61﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية:

﴿والنجم﴾: يطلق النجم على الثريا. وعلى كل نجم من نجوم السماء. وعلى ما ظهر من نبات منتشر على وجه الأرض. ﴿إذا هوى﴾: غرب واختفى. ﴿ما ضلّ﴾: عدل عن طريق الحق. ﴿صاحبكم﴾: محمد ﷺ عاش مع قريش: طفلاً وشاباً ورجلاً.. فلم يكن غريباً عنهم ولا مجهولاً فيهم.. فعرفوه ذاتاً وصفة.. فقالوا عنه: الصادق الأمين!!. ﴿وما غوى﴾: ما هام في تيه الضلال.. بل هو مهتدٍ راشد. ﴿وما ينطق عن الهوى: إن هو إلا وحي يوحى..﴾ فالقرءان وحي من الله أوحاه إلى الرسول بوساطة جبريل ـ عليه السلام ـ: ﴿علمه شديد القوى.. ذو مرة﴾: شدّة قوةٍ في الذات، وذو قوة عجيبة في الصفات. وقد وصف جبريل في القرءان بعدة أوصاف تدل على عظمته ونزاهته وكرامته عند الله تعالى!!.. ﴿فاستوى.. وهو بالأفق الأعلى﴾: تصوير للحال التي جاء عليها جبريل في أول مرة إلى الرسول ﷺ بالوحي.. ﴿ثم دنا.. فتدلى.. فكان قاب قوسين أو أدنى﴾: دنا إلى الرسول فتدلى من الأفق الأعلى.. حتى قرب منه وضمه.. ثم أطلقه.. فقال له: اقرأ.. إلى آخر ما جاء في حديث عائشة الوارد في الصحيح: في البخارى ومسلم وغيره من كتب السنة.. والتمثيل بقاب قوسين تمثيل وارد عند

العرب معبرين به بغاية الاتصال وشدة القرب. . ﴿**فأوحى إلى عبده**﴾: عبد اللّه محمد ﷺ. وهو الموحَى إليه. والموحى جبريل بأمر الله تعالى. ﴿**ما أوحى. .**﴾ أوحى من القرءان. . ﴿**ما كذب الفؤاد ما رأى**﴾: تطابق العقل والبصر في تحقيق ما وقع للرسول من رؤيته جبريل وسماعه التنزيل، ومعرفته معرفة حقيقية لكل ما قيل!. . ﴿**أفتمارونه على ما يرى**﴾؟!. .

أفبعد هذا كله تمارون وتجادلون في شيء ثَبَتَ وقوعُه ثبوتاً لا يقبل مراء ولا جدالاً بحال من الأحوال؟!!. . ﴿**ولقد رآه نزلة أخرى**﴾: والله لقد رأى محمدٌ جبريل مرة أخرى في الملإ الأعلى بعد ما رءاه في الأرض المرة الأولى. وهذان الأمران خاصان برؤية خاصة على هيئة خاصة. وهي رؤية محمد جبريل في صورته الملكية الأصلية غير متمثلة في صورة إنسان. . كما قال في سورة مريم: ﴿**فتمثل لها بشراً سوياً عند سدرة المنتهى**﴾: حصلت هذه الرؤية الثانية عند سدرة المنتهى. . كان العرب يميزون الحدود بالشجر الثابت الدائم مثل السدر والطلح. . ويشير إلى نهاية الحد بشجرة معلومة. . فسدرة المنتهى هنا العلامة التي ينتهي إليها علم الخلائق. . ﴿**عندها جنة المأوى**﴾: هنالك في الملإ الأعلى عند سدرة المنتهى جنة المأوى: الجنة التي يأوي إليها المتقون ويسكنها عباد الله الصالحون. . ﴿**إذ يغشى السدرة ما يغشى**﴾: شيء عظيم لا يدركه علم الخلائق حين كان الرسول في هذا المقام الرفيع ينظر إلى هذا الأمر البديع! وهو في حال يقظة تامة، وإدراك لا يعتريه وهم ولا شك: ﴿**ما زاغ البصر وما طغى. . لقد رأى من آيات ربه الكبرى!. . أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى**﴾؟!!. . أفهذه الأصنام التافهة الوضيعة الحقيرة ترونها تستحق العبادة وتتمسكون بها. . وتتركون الحق الناصع الذي جاء به محمد. . هذا الرسول الذي كرمه الله ورفع قدره إلى أعلى عليين؟!. . فلا يكون على هذه الحال إلا شخص قليل التمييز حقير مهين!!؛ ﴿**ألكم الذكر وله الأنثى؟!. . تلك إذن قسمة ضيزى**﴾: إذا كان الأمر كما زعمتم فتلك قسمة جائرة خارجة عن مألوف العادة. وكلمة ضيزى لم تأت إلا مرة واحدة. وهي تأتي لغرابة الأمر وفرط خروجه عن المألوف. ﴿**إن هي إلاّ أسماءٌ سميتموها أنتم وءاباؤكم، ما أنزل الله بها من سلطان. .**﴾ فهي أسماء لا حقيقة لها من عقل ولا نقل!. . ﴿**إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس**﴾: ما يتبع هؤلاء المشركون إلا الظنون والأوهام. . وهواية أنفسهم وشهوتها، حيث يقيمون

أصناماً آلهة يعبدونها دون ربهم الحق.. ﴿**ولقد جاءهم من ربهم الهدى**﴾: والله لقد جاءهم الهدى من الله رب العالمين بإرسال الرسول وإنزال الكتاب عليه. ﴿**أم للإنسان ما تمنى**﴾؟!: ليس للإنسان كل ما يتمناه وتشتهيه نفسه من الأمور التي من جملتها أطماعهم الفارغة في شفاعة الآلهة المدعاة التي لا قيمة لها!.. ﴿**فلله الآخرة والأولى**﴾: فليس لهذه الآلهة شيء في الدنيا ولا في الآخرة!.. وإنما لله رب العالمين. ﴿**وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً، إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى...**﴾

﴿**إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى..**﴾ حيث قالوا: الملائكة بنات الله. ونحن نعبدها، وهي تشفع لنا.. ﴿**وما لهم به من علم**﴾: لا من عقل ولا نقل.. ﴿**إن يتبعون إلا الظن**﴾: هو تقليد الآباء.. ﴿**وإنّ الظن لا يغنى من الحق شيئاً**﴾: إنما يعرف الحق الذي هو حقيقة الشيء وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالجهل والتوهم.. ﴿**فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا**﴾: فأعرض عمّن أعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقيني. وهو القرءان المنطوي على علم الأولين والآخرين، المذكر لأمور الآخرة، وهو الجامع لعلوم الدنيا والدين. ﴿**ذلك مبلغهم من العلم**﴾: ذلك الإعراض عن الحق والتمسك بالدنيا غاية غرضهم ونهاية مطلبهم من كل ما لديهم من علم.. ﴿**يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا. وهم عن الآخرة هم غافلون**﴾ ﴿**إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى..**﴾ فلا عليك من إعراضهم عن الحق.. ﴿**ولله ما في السماوات وما في الأرض؛ ليجزي الذين أساءوا بِمَا عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى: الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، إلا اللمم..**﴾ كبائر الإثم والفواحش: ما أوعد الله عليها في القرءان عقاباً أوْ حَدّاً. واللمم: الصغائر من الذنوب المكفّرة باجتناب الكبائر: ﴿**إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نُكَفِّر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً**﴾ ﴿**إن ربك واسع المغفرة. هو أعلم بكم: إِذْ أنشأكم من الأرض..**﴾ فأصل نشأة الإنسان من الأرض.. ﴿**وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم**﴾: المنشأة الثانية: ﴿**ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين.. ثم جعلناه نطفة في قرار مكين**﴾ إلى أن قال: ﴿**ثم أنشأناه خلقاً آخر**﴾ فالأجنة: جمع جنين. والجنين الإنسان الكامل بعد مروره بالمراحل المتعددة. وسمي جنيناً لاستثاره وخفائه في بطن أمه.. ﴿**فلا تزكوا أنفسكم**﴾: إذا كنتم على تلك الحال،

وصرتم بعدها إلى هذا المآل فلا تزكوا أنفسكم. . فالأصل واحد على كل حال! ﴿**هو أعلم بمن اتقى!. . أفرأيت الذي تولى. وأعطى قليلاً وأكدى**﴾: تعجيب من حال من ارتد عن الإسلام وامتنع عن إنفاق المال في سبيل الله. . تولى: أعرض. وأعطى قليلاً: قبل إعراضه.

أكدى: حصل له مانع منعه من الاستمرار. . مأخوذ من قول العرب: أكدى الحافر إذا بلغ الكدية. والكدية: الصخرة العظيمة التي لا يستطيع الحافر كسرها ولا خرقها. . ﴿**أعنده علم الغيب؟!. . فهو يرى. . أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفّى**﴾: بل ألم ينبأ بما جاء في صحف موسى. . وإبراهيم من المسؤولية الفردية. . فلا يملك أحد لأحد شيئاً من نفع أو ضر. مثل ما سبق من قوله تعالى في سورة العنكبوت راداً على مزاعم المشركين من تحملهم مسؤوليَّة غيرهم: ﴿**وقال الذين كفروا للذين ءامنوا: اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم. . وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء!**﴾ وكلمة الذي وَفّى تعود على إبراهيم؛ لأنه وفى ما أمره الله به من التكاليف الشرعية. والأمور الفطرية المتعلقة بالآداب الحسنة والمظاهر الجميلة. . ﴿**أن لا تزر وازرة وزر أخرى. .**﴾ تفسير لما نُبّيءَ به مما في صحف موسى وإبراهيم. . فلا تحمِلُ نفسٌ حاملةٌ حملَ نفسٍ حاملةٍ إثمَ أخرى. فالوزر: الحمل الثقيل بالإثم. . فلا يقال لنفس: هي وازرة إلا إذا كانت حاملة إثماً يعاقب عليه. . ﴿**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى. . وأن سعيه سوف يُرى. ثم يُجزاه الجزاء الأوفى. . وأن إلى ربك المنتهى. . وأنه هو أضحك وأبكى**﴾: جعل الإنسان يضحك في حال الفرح. . ويبكي في حال الحزن. . ﴿**وأنه هو أمات وأحيا. . وأنه خلق الزوجين: الذكر والأنثى. من نطفة إذا تُمنى. . وأن عليه النشأة الأخرى. . وأنه هو أغنى**﴾: أعطى الغِنى. . ﴿**وأقنى**﴾: أعطى القنية. وهو ما يدخر من الأموال ﴿**وأنه هو رب الشعرى**﴾: نجم يعبده العرب. . كما عبدوا الشمس والقمر والزهرة. . ﴿**وأنه أهلك عاد الأولى**﴾: هم قوم هود ـ عليه السلام ـ. ﴿**وثموداً**﴾: هم قوم صالح ـ عليه السلام ـ ﴿**فما أبقى**﴾: لم يَبْق منهم أحدٌ. . ﴿**وقوم نوح من قبل**﴾: من قبل قوم هود وقوم صالح. . ﴿**إنهم كانوا هم أظلم وأطغى**﴾: كان قوم نوح أظلم وأطغى من قوم هود وقوم صالح. . ﴿**والمؤتفكة أهوى**﴾: أهوى المؤتفكة. وهي قرى قوم لوط المنقلبة بهم الساقطة إلى الحضيض! ﴿**فغشاها ما غشى**﴾: فغطاها ما غطى من فنون العذاب وأشكال

العقاب.. ﴿**فبأي آلاء ربك تتمارى**﴾: تتشكك بأي نعم ربك أيها السامع.. ﴿**هذا نذير من النذر الأولى**﴾: هذا القرءان الذي فيه هذا الإنذار نذير من النذر الأولى التي سمعتم عاقبتها.. ﴿**أزفت الآزفة**﴾: قربت الساعة الموصوفة بالدنوّ. ﴿**ليس لها من دون الله كاشفة**﴾: ليس لها نفس قادرة على منعها عند وقوعها.. ﴿**أفمن هذا الحديث تعجبون**﴾؟! فتعجبون من حديث هذا القرآن الذي ينذركم ويحذركم.. ﴿**وتضحكون**﴾: استهزاء به.. ﴿**ولا تبكون**﴾: حزناً على ما فرطتم في شأنه.. ﴿**وأنتم سامدون**﴾: لاهون غافلون رافعون رؤوسكم مثل البعير السامد. مأخوذ من قول العرب: سمد البعير في مسيره إذا رفع رأسه. ﴿**فاسجدوا لله واعبدوا**﴾: إذا كان الأمر كذلك.. فاسجدوا لله بالصلاة.. واعبدوه مخلصين له الدين!!.

مبحث الإعراب

﴿**والنجم**﴾ مجرور بواو القسم. ﴿**إذا**﴾ ظرف في محل نصب متعلق بفعل القسم.. ﴿**هوى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على النجم. والجملة مضافة إلى الظرف. ﴿**ما ضل صاحبكم**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة جواب القسم. ﴿**وما غوى**﴾ معطوف على ما ضل صاحبكم. ﴿**وما ينطق**﴾ فعل مضارع منفي بما. والفاعل ضمير يعود على صاحبكم. ﴿**عن الهوى**﴾ متعلق بينطق. والجملة معطوفة على جملة ما ضل صاحبكم. ﴿**إن هو**﴾ مبنيّ على الفتح في محل رفع مبتدأ. وإن حرف نفي. ﴿**إلا وحي**﴾ خبر المبتدإ. وإلاّ ملغاة. ﴿**يوحى**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على وحي. والجملة نعت لوحي. ﴿**علمه**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول، يعود على الرسول. ﴿**شديد**﴾ فاعل. ﴿**القُوَى**﴾ مضاف إلى شديد. مجرور بكسرة مقدرة على الألف. ﴿**ذو**﴾ نعت لشديد مرفوع بالواو. ﴿**مرة**﴾ مضاف إلى ذو. ﴿**فاستوى**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على جبريل. والفاء للتعقيب. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**بالأفق**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**الأعلى**﴾ نعت للأفق. مجرور بكسرة مقدرة على الألف. وجملة وهو بالأفق الأعلى حال من ضمير الفاعل في استوى. ﴿**ثم دنا**﴾ معطوف على استوى بثُمّ. ﴿**فتدلى**﴾ مرتب على دنا.. ﴿**فكان**﴾ اسم كان ضمير يعود على جبريل. مثل فاعل دنا

وتدلى. ﴿**قاب**﴾ خبر كان. ﴿**قوسين**﴾ مضاف إلى قاب. ﴿**أو أدنى**﴾ معطوف على قاب بأوْ. ﴿**فأوحى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على جبريل، ﴿**إلى عبده**﴾ عبد الله. متعلق بأوحى. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**أوحى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على جبريل. والجملة صلة ما. والعائد محذوف. أي: ما أوحاه.. ﴿**ما كذب الفؤاد**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**رأى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الفؤاد. والجملة صلة ما. ﴿**أفتمارونه**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الاستفهام.

﴿**على ما**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**يرى**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على محمدٍ ﷺ. ﴿**ولقد رآه**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف. والضمير المتصل به مفعول به يعود على جبريل. والفاعل ضمير يعود على الرسول. ﴿**نزلة**﴾ منصوب على الظرفية. متعلق برآه. ﴿**أخرى**﴾ نعت لنزلة منصوب بفتحة مقدرة على الألف.. ﴿**عند**﴾ منصوب على الظرفية متعلق برأى. ﴿**سدرة**﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿**المنتهى**﴾ مضاف إلى سدرة. ﴿**عندها**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدَّم. ﴿**جنة**﴾ مبتدأ مؤخّر. ﴿**المأوى**﴾ مضاف إلى جنة. والجملة حال من سدرة المنتهى. ﴿**إذ**﴾ في محل نصب على الظرفية. متعلق برآه.. ﴿**يغشى**﴾ فعل مضارع. ﴿**السدرة**﴾ مفعول به. ﴿**ما**﴾ في محل نصب فاعل. ﴿**يغشى**﴾ فعل مضارع. وفاعله ضمير يعود على ما. والجملة صلةُ مَا. ﴿**ما زاغ البصر**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. ﴿**وما طغى**﴾ معطوف على «ما زاغ البصر». ﴿**لقد رأى**﴾ فعل ماض. دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم. والفاعل ضمير يعود على الرسول.. ﴿**من آيات**﴾ متعلق بمحذوف نعت لمفعول محذوف، أي: لقد رأى الرسول آياتٍ كائنةً من آيات ﴿**ربه**﴾ مضاف إلى آيات. ﴿**الكبرى**﴾ نعت لآيات. ﴿**أفرأيتم اللات**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**والعزى**﴾ معطوف على اللات منصوب بفتحة مقدرة على الألف. ﴿**ومناة**﴾ معطوف على اللات. ﴿**الثالثة**﴾ نعت لمناة. ﴿**الأخرى**﴾ نعت ثانٍ لها. ﴿**ألكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. والهمزة للاستفهام. ﴿**الذكر**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**وله الأنثى**﴾ معطوفة على الجملة قبلها. ﴿**تلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**إذن**﴾ في محل نصب ظرف. والتنوين عوض عن المضاف إليه. ﴿**قسمة**﴾ خبر المبتدإ ﴿**ضيزى**﴾ نعت للقسمة. مرفوع بضمة مقدرة على الألف.. ﴿**إن**﴾ ما ﴿**هي**﴾ في

محل رفع مبتدأ. ﴿**إلا أسماء**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**سميتموها**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة نعت لأسماء. ﴿**أنتم**﴾ في محل رفع بدل من الواو الفاعل. ضمير الجماعة. ﴿**وءاباؤكم**﴾ معطوف على الضمير قبله.

﴿**ما أنزل الله**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. ﴿**بها**﴾ متعلق بأنزل. ﴿**من سلطان**﴾ مفعول به. مجرور بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿**إن**﴾ ما ﴿**يتبعون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**إلا الظن**﴾ مفعول به. ﴿**وما**﴾ في محل نصب معطوف على الظن. ﴿**تهوى الأنفسُ**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**ولقد جاءهم**﴾ فعل ماض. دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو الحال. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**من ربهم**﴾ متعلق بجاءهم. ﴿**الهدى**﴾ فاعل.. ﴿**أم**﴾ حرف إضراب. ﴿**للإنسان**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**ما**﴾ في محل رفع مبتدأ مؤخر، ﴿**تمنى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الإنسان. والجملة صلة ما. ﴿**فلله**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**الآخرة**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**والأولى**﴾ معطوف على الآخرة مرفوع بضمة مقدرة على الألف.. ﴿**وكم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**من ملك**﴾ بيان لِكَمْ. ﴿**في السماوات**﴾ متعلق بمحذوف نعت لملك. ﴿**لا تغني شفاعتهم شيئاً**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي. والجملة خبر المبتدإ. ﴿**إلا من بعد**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**أن يأذن الله**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه أن المصدرية الناصبة. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور مضاف إلى الظرف. ﴿**لمن**﴾ متعلق بيأذن. ﴿**يشاء**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله تعالى. والجملة صلةُ مَنْ. ﴿**ويرضى**﴾ معطوف على يشاءُ. ﴿**إن الذين**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لا يؤمنون**﴾ فعل وفاعل. دخل عليه حرف النفي. والجملة صلةُ الذين. ﴿**بالآخرة**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ليسمون الملائكة**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملةُ خبرُ إنّ. واللام لتقوية الخبر. ﴿**تسمية**﴾ مفعول مطلق. ﴿**الأنثى**﴾ مضاف إلى تسمية مجرور بكسرة مقدرة.. ﴿**وما لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. وما نافية. والواو للحال. ﴿**به**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**من علم**﴾ مبتدأ مؤخر. مجرور بحرف الجر الزائد في محل رفع. والجملة حال من ضمير الجماعة في يسمون.

﴿**إن يتبعون إلا الظن**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**وإن الظن**﴾ إن واسمها. ﴿**لا يغنى**﴾ فعل مضارع منفي بلا. والفاعل ضمير يعود على الظن. والجملة خبر إنّ.

﴿**من الحق**﴾ متعلق بيغني. ﴿**شيئاً**﴾ مفعول. ﴿**فأعرض**﴾ أمر موجه إلى الرسول. والفاء للتعقيب. ﴿**عن من**﴾ متعلق بأعرض. ﴿**تولى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. والجملة صلةُ مَنْ. ﴿**عن ذكرنا**﴾ متعلق بتولى. ﴿**ولم يرد**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم. والفاعل مثل فاعل تولّى. ﴿**إلا الحياة**﴾ مفعول به. ﴿**الدنيا**﴾ نعت للحياة. منصوب بفتحة مقدرة على الألف. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**مبلغهم**﴾ خبر المبتدإِ. ﴿**من العلم**﴾ متعلق بمبلغهم. ﴿**إن ربك**﴾ إنّ واسمها. ﴿**هو**﴾ ضمير فصل. ﴿**أعلم**﴾ خبر إنّ. ﴿**بمن**﴾ متعلق بأعلم. ﴿**ضل**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. والجملة صلة مَنْ. ﴿**عن سبيله**﴾ متعلق بضل. ﴿**وهو أعلم**﴾ جملة المبتدإ والخبر معطوفة على الجملة قبلها. ﴿**بمن**﴾ متعلق بأعلم. ﴿**اهتدى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على مَنْ والجملة صلة الموصول. ﴿**ولله**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**ما**﴾ في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿**في السماوات**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**وما في الأرض**﴾ معطوف على ما في السماوات. ﴿**ليجزي**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والفاعل ضمير يعود على الله. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور باللام متعلق بما قبله من قوله. ولله ما في السماوات وما في الأرض. أي فعل ذلك لإجزاء المسيئين. . ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**أساءوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة الذين. ﴿**بما**﴾ متعلق بيجزى. ﴿**عملوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**ويجزي الذين أحسنوا**﴾ معطوف على ليجزي الذين أساءوا. . ﴿**بالحسنى**﴾ متعلق بيجزي. ﴿**الذين**﴾ بدل من الذين أحسنوا. ﴿**يجتنبون كبائر**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول. ﴿**الإثم**﴾ مضاف إلى كبائر. ﴿**والفواحش**﴾ معطوف على كبائر. . ﴿**إلا اللمم**﴾ منصوب على الاستثناء. ﴿**إن ربك**﴾ إنّ واسمها. ﴿**واسع**﴾ خبرها. ﴿**المغفرة**﴾ مضاف إلى واسع. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أعلم**﴾ خبره. ﴿**بكم**﴾ متعلق بأعلم. ﴿**إذ**﴾ في محل نصب ظرف متعلق بأعلم. ﴿**أنشأكم**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على ربك. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**من الأرض**﴾ متعلق بأنشأكم.

﴿**وإذ**﴾ معطوف على الظرف قبله. ﴿**أنتم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أجنة**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**في بطون**﴾ متعلق بمحذوف نعت لأجنة. ﴿**أمهاتكم**﴾ مضاف إلى بطون. ﴿**فلا تزكوا أنفسكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. دخل عليه حرف النهي

الجازم. والجملة مرتبة بالفاء على ما قبلها. ﴿**هو أعلم**﴾ مبتدأ وخبر. ﴿**بمن**﴾ متعلق بأعلم. ﴿**اتقى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على مَن. والجملة صلة مَنْ. ﴿**أفرأيت**﴾ فعل وفاعل. دخل عليه فاء التعقيب وحرف الاستفهام. ﴿**الذي**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**تولى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الذي. والجملة صلة الموصول. ﴿**وأعطى**﴾ معطوف على تولى. ﴿**قليلاً**﴾ مفعول به. ﴿**وأكدى**﴾ معطوف على أعطى. ﴿**أعنده**﴾ ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم. والهمزة للاستفهام. والضمير المتصل بالظرف مضاف إليه. ﴿**علم**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**الغيب**﴾ مضاف إلى علم. ﴿**فهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**يرى**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الذي تولى.. والجملة خبر المبتدأ. وجملة فهو يرى مرتبة بالفاء على أعنده علم الغيب.. ﴿**أم**﴾ حرف إضراب.. ﴿**لم ينبأ**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول مجزوم بلم. ونائب الفاعل ضمير يعود على الذي تولى. ﴿**بما**﴾ متعلق بينبأ.. ﴿**في صحف**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**موسى**﴾ مضاف إلى صحف. ﴿**وإبراهيم**﴾ معطوف على موسى. ﴿**الذي**﴾ في محل جر نعت لإبراهيم. ﴿**وفّى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على إبراهيم. والجملة صلة الذي. ﴿**أن**﴾ حرف تفسير لينبأ.. ففيه معنى القول دون حروفه.. ﴿**لا تزر وازرة وزر**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي. ﴿**أخرى**﴾ مضاف إلى وزر. والجملة مفسرة لا محل لها من الإعراب. ﴿**وأن ليس للإنسان**﴾ متعلق بمحذوف خبر ليس مقدم، ﴿**إلا ما**﴾ في محل رفع اسم ليس. أي ليس غير الذي عمله الإنسان ثابتاً له. ﴿**سعى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الإنسان. والجملة صلة ما. على أنها موصولة. ويصح أن تكون. مصدرية. والتقدير: ليس غير سعي الإنسان ثابتاً له. ﴿**وأن سعيه**﴾ أن واسمها. ﴿**سوف يُرى**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على سعيه. وجملة سوف يرى خبر أنَّ. وجملة وأن سعيه سوف يرى معطوفة على جملةِ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى. ﴿**ثم يجزاه**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على الإنسان. والضمير المتصل بالفعل مفعول ثانٍ ليجزي.. ﴿**الجزاء**﴾ مفعول مطلق. ﴿**الأوفى**﴾ نعت للجزاء. وجملة ثم يجزاه معطوفة على جملة وأن سعيه سوف يرى. ﴿**وأن إلى ربك**﴾ متعلق بمحذوف خبر أن مقدم. ﴿**المنتهى**﴾ اسم أن مقدم منصوب بفتحة مقدرة على الألف.

﴿**وأنه**﴾ أن واسمها. ﴿**هو**﴾ ضمير فصل. ﴿**أضحك**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على ربك. والجملة خبر أنّ. ﴿**وأبكى**﴾ معطوف على أضحك. ﴿**وأنه هو أمات وأحيا**﴾ إعرابها مثل إعراب ما قبلها. . ﴿**وأنه خلق**﴾ كذلك. . ﴿**الزوجين**﴾ مفعول به. ﴿**الذكر**﴾ بدل من الزوجين. ﴿**والأنثى**﴾ معطوف على الذكر. ﴿**من نطفة إذا تمنى**﴾ الجار والمجرور والظرف متعلقان بخلق. ﴿**وأن عليه**﴾ متعلق بمحذوف خبر أن مقدم. ﴿**النشأة**﴾ اسم أنَّ مؤخر. ﴿**الأخرى**﴾ نعت للنشأة. ﴿**وأنه هو أغنى وأقنى**﴾ إعرابها مثل إعراب وأنه هو أضحك وأبكى. ﴿**وأنه هو رب**﴾ خبر أنّ. ﴿**الشعرى**﴾ مضاف إلى رب. ﴿**وأنه**﴾ أنّ واسمها. ﴿**أهلك**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على ربك. ﴿**عادا**﴾ مفعول به. ﴿**الأولى**﴾ نعت لعاد. ﴿**وثموداً**﴾ معطوف على عاد. ﴿**فما أبقى**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف النفي وفاء التعقيب. والفاعل ضمير يعود على ربك. ﴿**وقوم**﴾ معطوف على عاد أيضاً. ﴿**نوح**﴾ مضاف إلى قوم. ﴿**من قبل**﴾ متعلق بفعل مقدر. أي: أهلك قوم نوح من قبل. ﴿**إنهم**﴾ إن واسمها. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**هم**﴾ ضمير فصل. ﴿**أظلم**﴾ خبر كان. ﴿**وأطغى**﴾ معطوف على أظلم. وجملة كان واسمها وخبرها خبر إنّ. وجملة إنهم كانوا هم أظلم وأطغى تعليلية لا محل لها من الإعراب. ﴿**والمؤتفكة**﴾ مفعول مقدم ﴿**أهوى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على ربك. ﴿**فغشاها**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**ما**﴾ في محل رفع فاعل. ﴿**غشى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على ما. والجملة صلة ما. والجملة معقبة بالفاء على ما قبلها. ﴿**فبأي آلاء**﴾ مضاف إلى أيّ. ﴿**ربك**﴾ مضاف إلى آلاء. ﴿**تتمارى**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المخاطب. والجار والمجرور متعلق بتتمارى. والفاء للتعقيب.

﴿**هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**نذير**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**من النذر**﴾ متعلق بمحذوف نعت لنذير. ﴿**الأولى**﴾ نعت للنذر باعتبار الجماعة. ﴿**أزفت الآزفة**﴾ فعل وفاعل. ﴿**ليس لها**﴾ متعلق بمحذوف خبر ليس مقدم. ﴿**من دون الله**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**كاشفة**﴾ اسم ليس مؤخر. ﴿**أفمن هذا الحديث**﴾ عطف بيان لاسم الإشارة. ﴿**تعجبون**﴾ فعل وفاعل. تعلق به الجار والمجرور المقدم عليه لوجود الاستفهام. والتقدير: أفتعجبون من هذا الحديث؟!. ﴿**وتضحكون**﴾ معطوف على ما قبله داخل معه في سياق الاستفهام. ﴿**ولا تبكون**﴾ معطوف على تضحكون.

﴿**وأنتم سامدون**﴾ جملة المبتدإ والخبر حال من فاعل تعجبون وتضحكون ولا تبكون. ﴿**فاسجدوا**﴾ أمر من الله تعالى موجه إلى المخاطبين. ﴿**لله**﴾ متعلق باسجدوا. ﴿**واعبدوا**﴾ معطوف على اسجدوا. عطف عام على خاص. والجملة جواب لشرط مقدر. أي: إذا كان الأمر كذلك فاسجدوا لله واعبدوا.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى**﴾: ارتبطت بداية هذه السورة بنهاية السورة التي قبلها بذكر النجوم في الأولى والنجم في الثانية. وفي الأولى القسم بالطور وكتاب مسطور، وفي الثانية القسم بالنجم على صحة رسالة محمد ﷺ وما جاءه من الوحي في البيت المعمور مثل ما جاء الوحي لموسى في جانب الطور.. ففي سورة النجم تفصيل ما أجمل في سورة الطور.. ففي البداية براعة الاستهلال؛ كما يقول علماء البلاغة. حيث جاء القسم بالنجم إذا هوى.. فهو يمثل الحال التي جاء عليها جبريل وهو ينزل أول مرة من الأفق الأعلى إلى الرسول محمد.. على جبل حراء.. فحركة تلألُؤِ النجم ثم هويه ودنوه أشبه بمشهد جبريل؛ بما في العبارة من الروعة والجلال، والبهجة والجمال!.

وهكذا يبدأ السياق في التناسق والتوافق في المشهد والحركة والظل والإيقاع: والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى!!. والخطاب لقريش. والتعبير بعنوان صاحبيّة الرسول لهم إيذان وإعلام وتوضيح لموقفهم على تفاصيل أحواله الشريفة، وإحاطتهم خبراً بما كان عليه محمد.. من الصدق والأمانة.. حتى سموه الصادق الأمين قبل الرسالة!.. فإن طول صحبتهم له، ومشاهدتهم لمحاسن شؤونه العظيمة مقتضية لما وصفه به القسم وجوابه!. ﴿**وما ينطق عن الهوى**﴾: وصلت هذه الجملة بالعطف على ما قبلها استمراراً لنفي النطق عن الهوى: ﴿**إن هو إلا وحي يوحى: علمه شديد القوى. ذو مرة.. فاستوى. وهو بالأفق الأعلى.. ثم دنا فتدلى.. فكان قاب قوسين أو أدنى.. فأوحى إلى عبده ما أوحى**﴾: هذه بداية الوحي مشهودة بمراحلها ودقائقها.. فهي رؤية عن قرب بعد الترائي عن بعد. وهو وحي وتعليم ومشاهدة وتيقن. وهي حال لا يتأتى معها كذب في الرؤية، ولا تحتمل مماراة أو مجادلة: ﴿**ما كذب الفؤاد ما رأى. أفتمارونه على ما يرى**﴾؟!.. فرؤية الفؤاد أصدق وأثبت؛ لأنها تنفي خداع النظر. وليست هذه هي المرة

الوحيدة التي رأى فيها الرسولُ جبريلَ على صورته الأصلية.. فقد تكررت مرة أخرى: ﴿**ولقد رءاه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى. عندها جنة المأوى. إذ يغشى السدرة ما يغشى. ما زاغ البصر وما طغى. لقد رأى من ءايات ربه الكبرى**﴾: فهذه النزلة الأخرى هي ما وقع في المعراج ليلة الإسراء.. فقد عاين الرسول فيها من آيات ربه الكبرى.. فالأمور إذن ـ أمر الوحي ـ أمر عيان مشهود، ورؤية محققة، ويقين جازم، واتصال مباشر مع جبريل في الأرض، وفي الملإ الأعلى!، ومعرفة مؤكدة، وصحبة محسوسة، ورحلة واقعية بكل تفصيلاتها ومراجعها. وعلى هذا اليقين تقوم دعوة صاحبكم الذي تنكرون عليه وتكذبونه وتشككون في صدق الوحي إليه. وهو صاحبكم الذي عرفتموه وخبرتموه. وما هو بغريب عنكم فتجهلوه؛ وربه يصدقه، ويقسم على صدقه، ويقص عليكم كيف أوحى إليه، وكيف رأى من آيات ربه الكبرى!!.. ذلك هو الأمر المتيقن الذي يدعوهم إليه محمد ﷺ.. فأما هم فعلام يستندون في عبادتهم وءالهتهم وأساطيرهم؟ علام يستندون في عبادتهم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى!!.. فهذا ما يعالجه السياق في المقاطع الآتية: ﴿**أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى؟ ألكم الذكر وله الأنثى؟ تلك إذاً قسمة ضيزى**﴾!.. فالمسألة كلها وهم لا أساس له من العلم ولا من الواقع ولا حجة فيها ولا دليل: ﴿**إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وءاباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان..**﴾ فهذه الأسماء: اللات، العزى، مناة.. وغيرها.. وتسميتها آلهة، وتسميتها ملائكة، وتسمية الملائكة إناثاً.. وتسمية الإناث بنات الله!!.. فكلها أسماء لا مدلول لها، ولا حقيقة وراءها!.. وفي منتصف الآية يتركهم ـ السياقُ ـ وأوهامهم وأساطيرهم ويترك مخاطبتهم ويلتفت عنهم كأنهم لا وجود لهم، ويتحدث عنهم بصيغة الغائب: ﴿**إن يتبعون إلا الظن وما تَهْوَى الأنفس..**﴾ فلا حجة ولا علم ولا يقين.. إنما هو الظن يقيمون عليه العقيدة، والهوى يستمدون منه الدليل. ﴿**ولقد جاءهم من ربهم الهدى**﴾!.. فهذا تحقيق لإبطال الظن وهوى النفس. وزيادة تقبيح لحالهم حيث انقطع العذر وبطل التعلل. ومتى انتهى الأمر إلى شهوة النفس. وهواها.. فلن يستقيم أمر، ولن يجدي هدى؛ لأن العلة هنا ليست خفاء الحق، ولا ضعف الدليل.. إنما هي الهوى الجامح الذي يريد، ثم يبحث بعد ذلك عن مبرر لما يريد!. وهي شر حالة تصاب بها النفس.. فلا ينفعها الهدى ولا يقنعها الدليل! ومن ثم يأتي هذا السؤال

في قالب استنكار: ﴿**أم للإنسان ما تمنى**﴾؟!.. فليس كل ما يتمنى الإنسان يتحول إلى حقيقة، وكل ما يهوى يتحول إلى واقع.. فإن الحق حق والواقع واقع وهوى النفس ومناها لا يغيران ولا يبدلان في الحقائق.. إنما يَضلّ الإنسان بهواه ويهلك بمناه. وهو أضعف من أن يغير أو يبدل في طبائع الأشياء. وإنما الأمر كله لله يتصرف فيه كما يشاء في الدنيا وفي الآخرة سواء: ﴿**فلله الآخرة والأولى..**﴾ فهذه الجملة تعليل لانتفاء أن يكون للإنسان ما يتمناه حتماً.. فإن اختصاص أمور الدنيا والآخرة جميعاً بالله تعالى مقتض لانتفاء أن يكون للإنسان أمر من الأمور. وقوله تعالى: ﴿**وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى**﴾ إقناط للمشركين عما علّقوا به أطماعهم من شفاعة الملائكة لهم! وفي نهاية هذا السياق يناقش للمرة الأخيرة أوهام المشركين عن الملائكة، ويكشف عن أساسها الواهي، الذي لا ينبغي أن تقوم عليه عقيدة أصلاً: ﴿**إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى. وما لهم به من علم، إن يتبعون إلا الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً**﴾.

وحين يبلغ السياق إلى هذا الحد من بيان وهن عقيدة الشرك وتهافتها عند الذين لا يؤمنون بالآخرة ويشركون بالله وينسبون له البنات ويسمون الملائكة تسمية الأنثى؛ يتجه بالخطاب إلى الرسول ﷺ ليهمل شأنهم ويعرض عنهم، ويترك أمرهم لله الذي يجزى المسيء والمحسن، ويجزى كلاً بما يستحق، ويملك أمر السماوات والأرض، وأمر الدنيا والآخرة، ويحاسب بالعدل لا يظلم أحدا!.. فهو الخبير بالنوايا والطوايا. المطلع على حقائق أطوار حياتهم جميعاً: ﴿**فأعرض عمّن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا. ذلك مبلغهم من العلم، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى. ولله ما في السماوات وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى..**﴾ ثم يحدد الذين أحسنوا هؤلاء.. والذين يجزيهم بالحسنى.. فهم: ﴿**الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، إلا اللمم، إن ربك واسع المغفرة، هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم..**﴾ فإذا كان الأمر كذلك: ﴿**فلا تزكوا أنفسكم!. هو أعلم بمن اتّقى**﴾: استئناف مقرر للنهي السابق عليه.. ﴿**أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلاً وأكدى**﴾؟!: هذا نموذج من الناس غريب عجيب: يعمل بالإسلام فترة، وينفق من ماله قِلّة.. ثم يتولى عنه ويبخل بما

عنده.. فلا يواصل العمل إلى غايته.. بل توقف حذراً من نهايته: ﴿**أعنده علم الغيب؟.. فهو يرى!!.. أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفّى**﴾: انتقال من استفهام ينفيه الواقع، إلى استفهام يدل على الجهل بالدليل القاطع!.. ففي صحف موسى وصحف إبراهيم: ﴿**أن لا تزر وازرة وزر أخرى، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى. وأن سعيه سوف يرى..**﴾ فهذه هي الأصول الثابتة الراسخة من عهد إبراهيم إلى عهد نزول القرءان على الرسول.. ﴿**ثم يجزاه الجزاء الأوفى**﴾ يوم القيامة.. فمن وفّى ينل الثواب الأوفى، ومن أعرض وأكدى وانقطع ينل العقاب الأقسى: ﴿**وأن إلى ربك المنتهى**﴾!.. فلا طريق إلا الطريق الذي ينتهي إليه.. ولا ملجأ من دونه.. فأين المفرّ؟!.. ولا مأوى إلا في نعيم أو جحيم.. فذلك المقرّ!!.. ثم يرجع السياق بالإنسان إلى مراحل وأحوال الحياة؛ يريه فيها آثار مشيئة الله في كل مرحلة وفي كل حال: ﴿**وأنه هو أضحك وأبكى..**﴾ فالله سبحانه وتعالى هو الذي جعل في الإنسان خاصية الضحك والبكاء. وهما سر من أسرار الخلق الذي تفرد به الله الخالق العظيم!. ﴿**وأنه هو أمات وأحيا..**﴾ فالحياة والموت سر من أسرار الخالق العظيم.. فلا يمكن لأحد أن يفعل هذا الفعل العظيم! ﴿**وأنه خلق الزوجين: الذكر والأنثى. من نطفة إذا تمنى..**﴾

فهذا هو السر العجيب الذي لا يمكن لغير الله أن يزاوله من بعيد أو قريب!!.. فمن النشأة الأولى يتجه السياق إلى النشأة الأخرى: ﴿**وأن عليه النشأة الأخرى..**﴾ فالنشأة الأخرى غيب.. ولكن عليه من النشأة الأولى دليل!: دليل على إمكان الوقوع، ودليل على حكمة الوقوع.. فدلالة النشأة الأولى على النشأة الأخرى مزدوجة. ومن هنا جاء ذكرها هكذا قبل ذكر النشأة الأخرى. وفي النشأة الأولى، وفي النشأة الأخرى، يغني الله من يشاء من عباده ويقنيه: ﴿**وأنه هو أغنى وأقنى..**﴾ فالله منه وحده الغِنَى. ومنه وحده ما يدخره الإنسان من مقومات الغنى.. فالناس إلى الله كلهم فقراء لا يملكون شيئاً من مقومات الحياة!.. ﴿**وأنه هو رب الشعرى**﴾: الشعرى نجم عبده الناس باعتباره الجالب للخير والشر، وقد كانوا يرصدونه في طلوعه وغروبه، يتوقعون منه الأحداث المهمة في الأرض.. فبهذه التقارير التي شملت أعمال الإنسان وأحواله في نفسه وفيما حوله في هذا العرض؛ ينتقل السياق بعدها إلى جولة مع وقائع التاريخ التي مرت بالإنسان وما

فيها من أحداث: ﴿**وأنه أهلك عاد الأولى. وثموداً فما أبقى. وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى. والمؤتفكة أهوى.. فغشاها ما غشى**﴾!!.. فعادٌ وثمودٌ وقومُ نوح يعرفهم قارىء القرءان في مواضع شتّى. والمؤتفكة: من الإفك والبهتان والضلال. وهذا وصف لقوم لوط أو من الائتفاك. وهو الانقلاب وهو وصف القرى المنقلبة بأهلها.. ﴿**فجعلنا عاليها سافلها**﴾ فغشّاها ما غشّى من فنون العذاب. وفيه من التهويل والتفظيع ما لا غاية وراءه!.. فتتراءى من خلاله صور الدمار والخسف والتنكيل الذي يشمل كل شيء من الكثير والقليل!.. ﴿**فبأي آلاء ربك تتمارى**﴾؟!: فلقد كانت إذنْ تلك المصارع آلاء الله وإفضالاً ونعماً لا تقدر! والخطاب لكل أحد.. ولكل من يتدبر صنع الله.. فيرى النعمة.. حتى في البلوى.. ﴿**فقطع دابر القوم الذين ظلموا، والحمد لله رب العالمين!**﴾ وعلى مصارع الغابرين المكذبين بالنذر يلقى السياق بالإنذار الأخير قوياً عميقاً عنيفاً. كأنه صيحة الخطر قبل الطامة الكبرى: ﴿**هذا نذير من النذر الأولى.. هذا النذير الذي أنذر به القرءان مشركي مكة ومن حولها.. نذير مثل النذر الأولى..**﴾ فهو نذير سبق زمانه. ومع هذا.. فهو نذير لما سيأتي.. فالساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر: ﴿**أزفت الآزفة. ليس لها من دون الله كاشفة**﴾!.. فبينما الخطر الداهم قريب، والنذير الناصح يدعوكم إلى النجاة إذ أنتم سادرون لاهون لا تقدرون الموقف ولا تفيقون: ﴿**أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون. وأنتم سامدون**﴾؟!.. فها هو النذير يرسلها صيحة في آذان الغافلين اللاهين.. فيصرخ بهم إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه ليتداركوا به أنفسهم وهم على حافة الهاوية: ﴿**فاسجدوا لله واعبدوا**﴾. وفي هذا براعة المقطع. وربط آخر هذه السورة بآخر السورة التي قبلها بالأمر بالتسبيح.. فيكون الناس على النهج القويم المستقيم على منهج النذير محمد الرسول الكريم! عليه الصلاة والتسليم.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿**والنجم إذا هوى. ما ضل صاحبكم وما غوى. وما ينطق عن الهوى. إن هو إلاّ وَحْيٌ يوحى..**﴾: في هذا التوجيه بيان حقيقة الوحي وطبيعته.. فيصف مشهدين من مشاهدِهِ: مشهداً في الأرض، ومشهداً في الملإ الأعلى.. فيؤكد تلقي الرسول من جبريل تلقّي روية وتمكن ودقة.. ففي هذا المطلع يعيش القارىء والسامع لحظات في ذلك الأفق الوضيء الذي عاش فيه

محمد رسول الله.. وهو يتلقى من الملإ الأعلى: يسمع ويرى، ويحفظ ما وَعَى. وهي لحظات خُصّ بها قلب النبئ المصفى.. ولكن الله يمن على عباده.. فيصف لهم هذه اللحظات وصفاً موحياً مؤثراً، ينقل أصداءها وظلالها وإيحاءها إلى قلوبهم..

فيبدأ الوصف الموحي بقسم من الله تعالى: والنجم إذا هوى. هذا هو القسم.. فأما المقسم عليه فهو: ما ضل صاحبكم وما غوى. وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى.. فصاحبكم الذي تعرفونه ذاتا وصفاتاً راشدٌ غيرُ ضال، مهتدٍ غيرُ غاوٍ. مخلص غيرُ مغرض. مبلّغ بالحق عن الحق غيرُ واهم ولا مفترٍ ولا مبتدع. ولا ناطق عن الهوى فيما يبلغكم من الرسالة. وهو يبلغكم ما يوحى إليه صادقاً أميناً. وقد كنتم تقولون عنه قبل الرسالة: إنه الصادق الأمين!. هذا الوحي معروف حامله، مستيقن طريقه، مشهودة رحلته، رءاه الرسول رأى العين والقلب.. فلم يكن واهماً ولا مخدوعاً: ﴿**علمه شديد القوى. ذو مرة فاستوى. وهو بالأفق الأعلى.. ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى..**﴾ فهذا هو الطريق، وهذه هي الرحلة، مشهودة بدقائقها وتفصيلاتها.. فهي رؤية واتصال مباشرين: محمد وجبريل عن قرب بعد الترائي عن بعد. وهو وحي وتعليم ومشاهدة وتيقن. وهي حال لا يتأتى معها كذب في الرؤية، ولا تحتمل مماراة أو مجادلة: ﴿**ما كذب الفؤاد ما رأى.. أفتمارونه على ما يرى**﴾؟!.. فلقد رأى.. فتثبّت.. فاستيقن فؤاده أنه الملك حامل الوحي رسول ربه إليه؛ ليعلمه ويكلفه تبليغ ما يعلم.. فانتهى المراء والجدال.. فما عاد لهما مكان، بعد تثبت ويقين الفؤاد. وليست هذه هي المرة الوحيدة التى رأى محمدٌ جبريلَ فيها على صورته الملكية.. فقد تكررت مرة أخرى: ﴿**ولقد رءاه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى. عندها جنة المأوى..**﴾ فهذه هي رحلة المعراج التي رأى فيها الرسول جبريل.. فهي رؤية في الملإ الأعلى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى.. فكل هذا غيب من غيب الله تعالى، أطلع عليه عبده المصطفى ﷺ ولم يرد إلينا عنه إلا هذا وكله أمر فوق طاقتنا أن ندرك كيفيته.. ثم يذكر السياق ما لابس هذه الرؤية عند سدرة المنتهى؛ زيادة في التوكيد واليقين: ﴿**إذ يغشى السدرة ما يغشى..**﴾ فهذا جمال دون تفصيل.. فلا يفصله ولا يحدده.. فقد كان الأمر أعظم وأضخم من الوصف والتحديد. وكان ذلك كله حقاً

يقيناً: ﴿**ما زاغ البصر وما طغى..**﴾ فلم تكن زغللة عين ولا تجاوز رؤية.. إنما هي المشاهدة الواضحة المحققة التي لا تحتمل شكاً ولا ظناً. وقد عاين فيها الرسول الآيات الكبرى: ﴿**لقد رأى من آيات ربه الكبرى**﴾!!.. فالأمر إذن أمر عيان مشهود، ورؤية محققة، ويقين جازم، واتصال مباشر، ومعرفة مؤكدة، وصحبة محسوسة، ورحلة واقعية، بكل تفصيلاتها ومراجعها. وعلى هذا اليقين تقوم دعوة صاحبكم محمدٌ الذي لا تشكون في صدقه وأمانته، الذي عاش معكم وعرفتم كل ما فيه دون لبس ولا ارتياب!!.. فذلك هو الأمر المستيقن الذي يدعوهم إليه محمد ﷺ فأما هم فعلام يستندون في عبادتهم وآلهتهم وأساطيرهم؟ علام يستندون في عبادتهم للاّت والعزى ومناة؟!.. فإلى أي بينة؟ وإلى أي حجة؟ وإلى أي سلطان يرتكنون في هذه الأوهام؟ هذا ما يعالجه الموضوع الثاني في السورة:

التوجيه الثاني: ﴿**أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى..**﴾: في هذا التوجيه لفت الأنظار إلى ما كانت تعبدُهُ قريش من التماثيل والأشجار والأحجار.. فكانت اللات صخرة بيضاء منقوشة، وعليها بيت بالطائف، له أستار وسدنة. وكانت العزى شجرة عليها بناء وأستار بنخلة.. فهو مكان بين مكة والطائف. وكانت مناة بالمسّلل ـ عند قديد ـ بين مكة والمدينة. وكان ببلاد العرب كثير من هذه المعبودات تعظمها القبائل المختلفة من اليمن إلى الشام ومن البحر الأحمر إلى الخليج العربي.. ولكن هذه الثلاثة كانت أشهر من غيرها لاتفاق العرب على تعظيمها.. ثم لما ذكر هذه المعبودات المؤنثة التي ترمز عندهم إلى إناث مقدسة، عقب عليها باستنكار دعواهم أن لله الإناث وأن لهم الذكور: ﴿**ألكم الذكر وله الأنثى**﴾؟!.. فهذا مما يوحي بأن لهذه المعبودات عند العرب صلة بأسطورة أنوثة الملائكة ونسبتها إلى الله سبحانه وتعالى وقد كانوا هم يكرهون ولادة البنات لهم! ومع هذا لم يستحيوا أن يجعلوا الملائكة إناثاً، وأن ينسبوا هذه الإناث إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ. والله يأخذهم هنا بتخيلاتهم وأساطيرهم، ويسخر منها ومنهم: إنها إذن قسمة غير عادلة: قسمتكم بين أنفسكم وبين الله: ﴿**تلك إذن قسمة ضيزى**﴾!.. فالمسألة كلها وهم لا أساس له من العلم ولا من الواقع. ولا حجة فيها ولا دليل: ﴿**إن هي إلاّ أسماء سميتموها أنتم وءاباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان..**﴾ فهذه الأسماء: اللات. العزى. مناة.. وتسميتها آلهة. وتسميتها

ملائكة. وتسمية الملائكة إناثاً. وتسمية الإناث بناتِ الله تعالى!.. فكلها أسماء لا مدلول لها. ولا حقيقة وراءها. ولم يجعل الله لكم حجة فيها. وكل ما لم يقرره الله فلا قوة فيه ولا سلطان له؛ لأنه لا حقيقة له. وللحقيقة ثقل وللحقيقة قوة. وللحقيقة سلطان وحجة.. فأما الأباطيل فهي خفيفة لا وزن لها. ضعيفة لا قوة لها. مهينة لا سلطان فيها.. فهذه هي طريقهم وهذه هي أوهامهم المتخيلة: ﴿**إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس!.. ولقد جاءهم من ربهم الهدى**﴾!.. فلا وجود للظن والهوى وشهوة النفس والتمنيات الخاوية الخائبة بعد مجيء الهدى من الله ربهم ورب الناس أجمعين. ومتى انتهى الأمر إلى شهوة النفس وهواها فلن يستقيم أمر ولن يجدي هدى؛ لأن العلة ليست خفاء الحق ولا ضعف الدليل.. إنما هي الهوى وشهوة النفس: ﴿**أم للإنسان ما تمنى**﴾؟!. فليس الأمر كما يتمنى الإنسان.. إنما الأمر كله لله يتصرف فيه كما يشاء في الدنيا وفي الآخرة سواء: ﴿**فلله الآخرة والأولى..**﴾

فإذا خلص الأمر كله لله في الآخرة والأولى فإن أوهام المشركين عن شفاعة الآلهة المدّعاة لهم عند الله؛ كما قالوا: ﴿**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾ ﴿**ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله!!**﴾ فهذه الأقوال الناتجة عن الأوهام لا أصل لها بحال من الأحوال: ﴿**وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى..**﴾ فمن هنا تسقط دعواهم من أساسها.. فلا عبادة لغير الله. ولا شفاعة إلا برضى الله.. فالأمر في النهاية إلى الله! ﴿**إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يُغني من الحق شيئاً..**﴾ فهذا التعقيب الأخير يوحي بعلاقة اللات والعزى ومناة.. بأسطورة أنوثة الملائكة ونسبتهم إلى الله تعالى! وهي أسطورة واهية، لا يتبعون فيها إلا الظن المبني على الوهم.. فليس لهم من وسيلة لأن يعلموا شيئاً مستيقناً عن طبيعة الملائكة.. فأما نسبتهم إلى الله فهي الباطل الذي لا دليل عليه إلا الوهم الباطل!. وكل هذا لا يغني عن الحق شيئاً، ولا يقوم مقامه في شيء: الحق الذي يتركونه ويستغنون عنه بالأوهام والظنون الباطلة والتمنيات والأحلام!!..

التوجيه الثالث: ﴿فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا.

ذلك مبلغهم من العلم..﴾: في هذا التوجيه يتجه السياق بالخطاب إلى الرسول؛ ليهمل شأن الذين أعرضوا عن ذكر الله، ويعرض عنهم، ويترك أمرهم لله الذي يعلم المسيء والمحسن.. فهذا الأمر بالإعراض عمّن تولى عن ذكر الله، ولم يؤمن بالآخرة، ولم يرد إلا الحياة الدنيا موجّه ابتداء إلى الرسول ﷺ، ليهمل شأن أولئك المشركين الذين سبق الحديث في السورة عن أساطيرهم وأوهامهم وعدم إيمانهم بالآخرة.

وهو موجّه بعد ذلك إلى كل مسلم يواجهه من يتولى عن ذكر الله ويعرض عن الإيمان به، ويجعل وجهته الحياة الدنيا وحدها، لا ينظر إلى شيء وراءها، ولا يؤمن بالآخرة ولا يحسب حسابها. ويرى أن حياة الإنسان على هذه الأرض هي غاية وجوده، لا غاية بعدها؛ ويقيم منهجه في الحياة على هذا الاعتبار.. فالمؤمن بالله وبالآخرة لا يستطيع أن يشغل بَالَهُ من يعرض عن ذكر الله وينفي الآخرة من حسابه.. فيتمسك بالدنيا ويجعلها غايته القصوى: ذلك مبلغهم من العلم.. فهو مبلغ تافه زائل بزوال هذه الدنيا. ومن ثم يجب الإعراض عمن يتولى عن ذكر الله ولم يرد إلا الحياة الدنيا. وقد علم الله أن هؤلاء ضالون.. فلم يرد لنبيه ولا للمهتدين من أمته أن يشغلوا أنفسهم بشأن الضالين، ولا أن يصاحبوهم، ولا أن يخدعوا في ظاهر علمهم المضلّل القاصر الذي يقف عند حدود الحياة الدنيا: **﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى.. ولله ما في السماوات وما في الأرض؛ ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾**: وهذا التقرير لملكية الله لما في السماوات وما في الأرض بمنح قضية الآخرة قوّة وتأثيراً.. فالذي جعل الآخرة وقدّرها هو الذي يملك كل شيء في السماوات والأرض، وهو القادر على الجزاء والمختص به المالك لأسبابه. ومن شأن هذه الملكية أن تحقق الجزاء الكامل العادل للمسيء وللمحسن.. ثم يحدد الذين أحسنوا هؤلاء، والذين يجزيهم بالحسنى.. فهم: **﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم..﴾** فكبائر الإثم والفواحش كل ذنب أوعد الله فاعله بالعقاب في الآخرة أو جعل له حدّاً في الدنيا. أما اللمم فهو الذنب الذي يلم به الإنسان ثم يتوب منه قبل فوات الأوان: **﴿إن ربك واسع المغفرة..﴾** فهذا الجزاء مستند إلى علم الله بحقيقة دخائل الناس في أطوارهم كلها: **﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض﴾**: حين أنشأ أول مخلوق من البشر وهو آدم عليه السلام.

واستمر هذا العلم معكم من وقت وجودكم في بطون أمهاتكم: ﴿**وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم..**﴾ فهو العلم السابق على كل فرد، واللاحق لكل فرد!.. ﴿**فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى**﴾: فما هو بحاجة إلى أن تدلوه على أنفسكم، ولا أن تزنوا له أعمالكم.. فعنده العلم الكامل الشامل، وعنده الميزان الدقيق العادل.. فجزاؤه العدل، وقوله الفصل. وإليه يرجع الأمر كله.

التوجيه الرابع: ﴿**أفرأيت الذي تولى؟ وأعطى قليلاً وأكدى؟ أعنده علم الغيب؟ فهو يرى**﴾! في هذا التوجيه توجيه الرسول وكل من يسمع هذا التوجيه إلى حقيقة أمر من يتولى ويعرض عن هذه الدعوة الثابتة المستقرة من عهد إبراهيم وموسى إلى عهد محمد خاتم النبيئين عليهم الصلاة والتسليم.. فالذي يتولى عن هذا المنهج الحديث القديم، ويترك ما كان قد بذله في سبيل هذا المنهج.. فيكدى ويضعف وينقطع بالكلية عن هذا المنهج أمره عجيب يستحق التعجيب.. فيتخذ القرءان من حال هذا نموذجاً لعرض حقائق العقيدة وتوضيحها. وقد كان المشركون وأهل الكتاب يعتقدون جازمين أنهم في أمان من عذاب الله؛ لأنهم من سلالة إبراهيم وعلى دين موسى وعيسى.. فهذا الذي يدّعِي هذا الادعاء ويعرِض عن الحق ويبخل بما له في سبيل دعوة الرسول الحق: أعنده علم الغيب؟.. فهو يرى!.. ﴿**أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفّى: ألاّ تزر وازرة وزر أخرى، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى..**﴾ فالمسؤولية الفردية تتضح قاطعة مستمرة دون انقطاع ولا انفصال.. فهي كما في صحف إبراهيم الذي وفى بها كاملة تامة وفي صحف موسى شاملة عامة غير أن العرب المشركين وأهل الكتاب اعتبروا أنفسهم في منجاة من عقاب الله لأنهم من ذرية إبراهيم نسباً.. ﴿**ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين**﴾ فعلى قاعدة المسؤولية الشخصية لا تحمل نفس حمل أخرى، لا تخفيفاً عن نفس ولا تثقيلاً على أخرى.. فما يحسب للإنسان إلا كسبه.. فلا يفيده حسبه ولا نسبه.. فلا يزاد عليه شيء من عمل غيره، ولا ينقص منه شيء لينال غيرُه من خيره.. فلن يضيع شيء من السعي والعمل والكسب؛ ولن يغيب شيء عن علم الله وميزانه الدقيق. وسينال كل امرىء جزاء سعيه وافياً كاملاً لا نقص فيه ولا ظلم: ﴿**وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى..**﴾ فكذلك يتحدد مبدأ فردية التبعة إلى جانب عدالة الجزاء فتتحقق للإنسان قيمته الإنسانية، القائمة على اعتباره مخلوقاً

راشداً مسؤولاً مؤتمناً على نفسه كريماً، تتاح له الفرصة للعمل.. ثم يؤخذ بما عمل.

وتتحقق له كذلك الطمأنينة على عدالة الجزاء، عدالة مطلقة لا يميل بها الهوى ولا يقعد بها القصور، ولا ينقص منها الجهل بحقائق الأمور. ولهذه الحقيقة قيمتها وأثرها في تكييف مشاعر الإنسان وتصوره: ﴿**وأن إلى ربك المنتهى**..﴾ فلا طريق إلا الطريق الذي يصل إليه، وما ملجأ من دونه. فحين يحس الإنسان أن المنتهى إلى الله. منتهى كل شيء: وإليه يرجع الأمر كله.. فإنه يستشعر من أول الطريق نهايته التي لا مفر منها ولا محيص عنها.. فيصوغ نفسه وعمله وفق هذه الحقيقة.. ويظل قلبه ونظره معلقين بتلك النهاية منذ أول الطريق، وبعدما يصل السياق بالقلب البشري إلى نهاية المطاف يكر راجعاً به إلى الحياة؛ يريه فيها آثار مشيئة الله في كل مرحلة وفي كل حال: ﴿**وأنه هو أضحك وأبكى**..﴾ فتحت هذا النص تكمن حقائق كثيرة، ومن خلاله تنبعث صور وظلال موحية مثيرة.. فأودع الله الإنسان خاصية الضحك وخاصية البكاء. وهما سر من أسرار التكوين البشري، لا يدري أحد كيف هما، ولا كيف تقعان في هذا الجهاز المركب المعقد.. وأنشأ الله للإنسان دواعي الضحك ودواعي البكاء، وجعله يضحك لهذا ويبكي لهذا.. وجعل في اللحظة الواحدة ضاحِكِين وباكِين.. فهذه الصورة والظلال والمشاعر والأحوال وغيرها كثير تنبثق من خلال النص القصير. وهذا هو الإعجاز في صورة من صوره الكثيرة في هذا القرءان. ﴿**وأنه هو أمات وأحيا**..﴾ فكذلك تنبثق من هذا النص صور لا عداد لها في الحس. إنها حشود من الصور وحشود، تطلقها هذه الحروف البسيطة في كلمتين اثنين: أمات وأحيا!.. فتهز القلب البشري من أعماقه.. ﴿**وأنه خلق الزوجين: الذكر والأنثى. من نطفة إذا تمنى**..﴾ فهي الحقيقة الهائلة الواقعة المتكررة في كل لحظة.. فينساها الإنسان لتكرارها أمام عينيه. وهي أعجب من كل عجيبة! كيف؟. كيف تمت هذه العجيبة؟.. وأين كان هذا الإنسان المركب الشديد التركيب؟.. وأين على وجه التخصيص كانت خصائص الذكر وخصائص الأنثى في تلك الخلية؟!.. ﴿**وأن عليه النشأة الأخرى**..﴾ فإذا كانت النشأة الأولى من نطفة إذا تمنى فإن النشأة الأخرى من عظام ورفات أَهونُ على تقدير الناس من النشأة الأولى.. ﴿**وأنه هو أغنى وأقنى**..﴾ فأغنى من عباده من شاء في الدنيا بأنواع الغنى وهو شتّى:

غنى المال. وغنى الصحة. وغنى الذرية. وغنى النفس. وغنى الفكر.

وغنى الصلة بالله والزاد الذي ليس مثله زاد. وأغنى عباده من شاء في الآخرة من غنى الآخرة.. وأقنى لعباده من كل ما يقتنى في الدنيا كذلك والآخرة.. فهي لمسة من واقع ما يعرف الناس، وما تتعلق به أنظارهم وقلوبهم هنا وهناك؛ ليتطلعوا إلى المصدر الوحيد. ويتجهوا إلى الخزائن العامرة وحدها.. ﴿**وأنه هو رب الشعرى**..﴾ فالشعرى نجم كان يعبده بعض الناس.. وكان العرب يرصدونه يتوقعون منه الخصب أو الجدب.. فهو النَّوْءُ الذي كانت تترقبه العرب من هذا النجم وغيره.. فتقرير أن الله هو رب الشعرى له مكانه في هذه السورة التي تبدأ بالقسم بالنجم إذا هوى. وبهذا تنتهي تلك الجولة المديدة في الأنفس والآفاق، لتبدأ بعدها جولة في مصارع الغابرين بعد ما جاءتهم النذر فكذبوا بها كما يكذب المشركون. وهي جولة مع قدرة الله تعالى ومشيئته وآثارها في الأمم قبلهم واحدة واحدة: ﴿**وأنه أهلك عاد الأولى. وثموداً فما أبقى. وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى. والمؤتفكة أهوى، فغشاها ما غشى**..﴾ فهذه جولة سريعة تتألف من وقفة قصيرة على مصرع كل أمة.. ﴿**فبأي ءالاء ربك تتمارى؟!.. هذا نذير من النذر الأولى.. أزفت الآزفة**..﴾ فهذا الرسول الذي تتمارون في رسالته وفي نذارته نذير من النذر الأولى التي أعقبها ما أعقبها!.. فقد أزفت الآزفة، واقتربت كاسحة جارفة!. وهي الطامة والقارعة التي جاء هذا النذير يحذركم إياها!. ﴿**ليس لها من دون الله كاشفة.. أفمن هذا الحديث تعجبون. وتضحكون ولا تبكون؟. وأنتم سامدون**﴾!.. فهذا الحديث جدّ عظيم يلقي على كاهل الناس واجبات ضخمة، وفي الوقت ذاته يقودهم إلى المنهج الكامل.. فمم يعجبون؟ ومم يضحكون؟ وهذا الجد الصارم، وهذه التبعات الكبيرة، وما ينتظر الناس من حساب على حياتهم في الأرض!.. فكل هذا يجعل البكاء أجدر بالموقف الجد، وما وراءه من الهول والكرب!!.. ﴿**فاسجدوا لله واعبدوا**..﴾ وما ينبغي لعاقل بعد هذا الحديث إلا أن يسجد لله ويعبده حق عبادته مخلصاً له الدين!.

4 ـ اقتربت الساعة وانشق القمر،
وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر!



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿1﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿2﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿3﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿4﴾ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿5﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿6﴾ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿7﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿8﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿9﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿10﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿11﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿12﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿13﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿14﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿15﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿16﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن

مُّدَّكِرٍ ﴿17﴾ * كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿18﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿19﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿20﴾
فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿21﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿22﴾
كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿23﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا
لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿24﴾ أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ
أَشِرٌ ﴿25﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴿26﴾
إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿27﴾
وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿28﴾ فَنَادَوْا
صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿29﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿30﴾
إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿31﴾
وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿32﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿33﴾
إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴿34﴾ نِّعْمَةً مِّنْ
عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿35﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا
بِالنُّذُرِ ﴿36﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي
وَنُذُرِ ﴿37﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿38﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿39﴾
وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿40﴾ * وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ
النُّذُرُ ﴿41﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿42﴾
أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿43﴾ أَمْ يَقُولُونَ

نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿44﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿45﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿46﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿47﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿48﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿49﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿50﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿51﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿52﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿53﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿54﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿55﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**اقتربت الساعة**﴾: قرب مجيء وقت القيامة التي استعجل بها أهل مكة استخفافاً. ﴿**وانشق القمر**﴾: انصدع وانفصل شقين منفصلين.. يقال: شق الشيء فانشق. ﴿**وإن يروا ءاية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر**﴾: وإن ير أهل مكة علامة تدل على صدق الرسول في دعوته كذبوه وأعرضوا عنه، وقالوا هذا سحر دائم مطرد قوي مستحكم، وسيزول بزواله. ﴿**وكذبوا واتبعوا أهواءهم**﴾: واستمروا على هذا مكذبين الرسول متبعين ما زين لهم الشيطان من الأهواء والأباطيل الكاذبة ﴿**وكل أمر مستقر**﴾: وكل أمر من الأمور يبقى على حاله حتى يأتي وقته المحدد لنهايته.. ﴿**ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر**﴾: ولقد جاء أهل مكة من الأخبار المهمة والخطيرة ما فيه الكفاية من الازدجار عن الكفر والعصيان والعناد. والزجر والازدجار: المنع الشديد من الشيء المخوف. ﴿**حكمة بالغة**﴾: هذا الذي

جاءهم فيه حكمة بالغة غايتها في السداد والرشاد. ولكنهم قوم تشبثوا بالكفر والعناد: **﴿فما تغني النذر﴾**. مهما بلغت من القوة والوضوح.. **﴿فتول عنهم﴾**: فأعرض عن هؤلاء المعاندين؛ لأنهم بهذه النذر غير مزدجرين!. **﴿يوم يَدْعُو الداعي إلى شيء نكر. خشعاً أبصارهم﴾**: فتول عنهم، واذكر لهم يوم يدعو الداعي.. فيوم يدعو الداعي: يوم القيامة. وشيء نكر: شيء فظيع خطير.. خشعاً أبصارهم من هوله وشدة ويله: **﴿يوم يخرجون من الأجداث﴾**: يوم يخرجون من القبور: **﴿كأنهم جراد منتشر..﴾** فالعرب تدرك معنى هذا التشبيه بالجراد المتراكم المنتشر في الجو وعلى الأرض!!.. **﴿مهطعين إلى الداعي﴾**: مسرعين مادي أعناقهم إلى الداعي.. فلا يلتفتون إلى شيء آخر ـ مع ما في أبصارهم من الذلة والفزع ـ **﴿يقول الكافرون: هذا يوم عسر﴾**: هو يوم صعب شديد الوقع علينا. والعِسرُ: صيغة مبالغة في الشدة والفظاعة والخطورة البالغة!. **﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾**: شروع في تعداد بعض ما ذكر من الأنباء الموجبة للازدجار.. **﴿فكذبوا عبدنا﴾**: نوحاً. كما كذبك قومك يا محمد..

﴿وقالوا: مجنون﴾. كما قالوا عنك. **﴿وازدجر﴾**: منع من التبليغ؛ كما أراد قومك لك.. **﴿فدعا ربه: أنى مغلوب.. فانتصر.. ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيوناً.. فالتقى الماء على أمر قد قدر. وحملناه على ذات ألواح ودسر. تجري بأعيننا؛ جزاء لمن كان كفر..﴾** فنادى نوح ربه بعد تكذيبه وازدجاره.. فقال: إنّي مغلوب على أمري لشدة بأس قومي.. فانتصر يا رب لي. وذلك عندما قال: **﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾** فاستجاب ربّه له. وفتح عليهم أبواب السماء فصبت عليهم ماء ينصب صباً.. وفجرنا الأرض عيوناً تفور فوراً مثل فوران التنور بالدخان في عنان السماء.. فالتقى الماء: ماء السماء النازل وماء الأرض الصاعد على أمر مقدر مهيىءٍ على هذه الكيفية العجيبة! وحملناه على ذات ألواح ودسر: مركبة من خشب ومسامير. تجري بأعيننا: برعايتنا وحفظنا.. وهذا جزاء لنوح الذي كُذِّب وكُفر به. وهو نعمة أرسلها الله إلى الناس.. **﴿ولقد تركناها ءاية﴾**: والله لقد صارت بعد نوح علامة دالة على جزاء المنكرين والمكذبين للرسل بعد نوح.. **﴿فهل من مدّكر؟!.. فكيف كان عذابي ونذري﴾**؟!.. فكان العذاب والنذر على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف!.. **﴿ولقد يسرنا القرءان للذكر﴾**: والله لقد سهلنا هذا القرءان للحفظ

والفهم والاتعاظ والادّكار بما فيه من الحكم والإرشاد والوعد والوعيد.. ولكن أين من يسمع ويفهم ويتعظ ويتذكر؟!: ﴿**فهل من مدّكر؟!.. كذبت عاد.. فكيف كان عذابي ونذري؟!.. إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً**﴾: شديدة البرودة. وهو الصِّرّ، كمثل ريح فيها صرّ.. قوية الصوت. وهو الصرير القوي المزعج. ﴿**في يوم نحس مستمر**﴾: في يوم شؤم استمر عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً! ﴿**تنزع الناس**﴾: تقلع الريح الناس من أماكنهم. والنزع: أخذ الشيء الثابت بشدة. ﴿**كأنهم أعجاز نخل منقعر**﴾: مثل جذوع النخل المقلوع الفارغ الوسط. وهي هياكل هاوية خاوية!.. ﴿**فكيف كان عذابي ونذري؟!. ولقد يسرنا القرءان للذكر.. فهل من مدكر؟!.. كذبت ثمود بالنذر**﴾: الإنذارات والمواعظ التي سمعوها من صالح ـ عليه السلام ـ. ﴿**فقالوا: أبشراً منا واحداً نتبعه**﴾: أَنَتَّبِعُ بشراً واحداً وهو مثلنا لا ميزة له علينا؟!.. ﴿**إنا إذن لفي ضلال وسعر**﴾: إذا كان الأمر كذلك فنحن في ضلال عن الصواب وجنون بعيد عن العقل!. ﴿**أأُلقى الذكر عليه من بيننا؟!.. بل هو كذاب أشر**﴾: ليس الأمر كما يدّعي.. بل حمله بطره وتكبره على الكذب علينا!!.. ﴿**سيعلمون غداً: من الكذاب الأشر**﴾؟.. فسيعلم قوم صالح يوم يأتيهم العذاب: أصالح أم من كذّبه من قومه؟!.. ﴿**إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم**﴾: إنا مخرجوا الناقة اختباراً وامتحاناً لهم..

﴿**فارتقبهم**﴾: أمر لصالح بانتظار أمرهم. ﴿**واصطبر**﴾: اصبر صبراً جميلاً على ما تلاقيه من قومك. ﴿**ونبئهم أن الماء قسمة بينهم**﴾: أخبرهم خبراً يقيناً بقسمة الماء بينهم وبين الناقة: لها شرب ولكم شرب يوم معلوم: ﴿**كل شرب محتضر**﴾: كل يوم شرب يحضره صاحبه في موعده المحدّد.. ﴿**فنادوا صاحبهم**﴾: فدعوا صاحب الشأن فيهم ليعمل العمل الشنيع.. ﴿**فتعاطى**﴾: فاجترأ على تعاطي الأمر العظيم غير مكترث له.. ﴿**فعقر**﴾: فأحدث العقر بالناقة. والعقر: الضرب الشديد المُميت.. ﴿**فكيف كان عذابي ونذري؟!.. إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة.. فكانوا كهشيم المحتظر**﴾: إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة: صرخة قوية أهلكتهم جميعاً.. فصاروا مثل نبات يابس يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته!.. ﴿**ولقد يسرنا القرءان للذكر.. فهل من مدّكر؟!.. كذبت قوم لوط بالنذر.. إنا أرسلنا عليهم حاصباً**﴾: أرسلنا عليهم بركاناً يحصبُهم بالحجارة النارية: ﴿**وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل..!!**﴾ ﴿**إلا آل لوط نجيناهم بسحر**﴾:

أهلكناهم جميعاً إلا آل لوط المؤمنين نجيناهم عندما خرجوا: آخر الليل من القرية. ﴿**نعمة من عندنا**﴾: نجيناهم لأجل إنعامنا عليهم. ﴿**كذلك نجزي من شكر**﴾: مثل ذلك الجزاء العجيب نجزي من شكر نعمتنا بالإيمان والطاعة. ﴿**ولقد أنذرهم بطشتنا**﴾: أنذر وحذر لوطٌ قومه أخذتنا الشديدة بالعذاب. ﴿**فتماروا بالنذر**﴾: فكذبوا بالعذاب شاكّين فيه. ﴿**ولقد راودوه عن ضيفه**﴾: طلبوا منه أن يفعلوا الفاحشة بضيوفه يقال: راوده عن نفسه، طلب منه أن يفعل به الفاحشة. ﴿**وراودته التي هو في بيتها عن نفسه**﴾ ﴿**ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فطمسنا أعينهم**﴾: أعميناهم.. فلم يروهم.. ﴿**فذوقوا عذابي ونذر**﴾: قلنا لهم: ذوقوا العذاب الذي أنذركم به رسولنا لوط. ﴿**ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر**﴾: والله لقد جاءهم في الصباح الباكر عذاب ثابت ملازم لهم.. ﴿**فذوقوا عذابي ونذري.. ولقد يسرنا القرءان للذكر.. فهل من مدّكر**﴾؟!..

﴿**ولقد جاء آل فرعون النذر**﴾: والله لقد جاء فرعون وقومه الإنذارات من موسى.. ﴿**كذبوا بآياتنا كلها**﴾: كذب آلُ فرعون بآيات الله كلها التي جاء بها موسى إليهم.. وهي تسع آيات.. ﴿**فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر! أكفاركم خير من أولئكم**﴾: أكفاركم يا معشر العرب خير قوة وشدة وعِدّة وعُدّة من أولئكم الذين ذكروا.. ﴿**أم لكم براءة في الزبر**﴾؟: بل ألكم براءة وأمن من تبعات ما تعملون من الكفر والمعاصي وغوائلهما في الكتب المنزلة من الله؟!.. ﴿**أم يقولون: نحن جميع منتصر**﴾؟: بل أيقولون واثقين بشوكتهم: نحن أولو حزم ورأي، أمرنا مجتمع لا نرام ولا نظام؟!.. ﴿**سيهزم الجمع ويولون الدبر**﴾: وعيدٌ به في مستقبل الأيام. عندما هزموا في معارك الجهاد بعد الهجرة بِمَا ذَاقُوهُ من قتل وأسر وانهزام ما مثلُه انهزام!!.. ﴿**بل الساعة موعدهم**﴾: ليس هذا نهاية عقوبتهم.. بل الساعة موعدهم؛ وفيها العذاب الدائم الذي لا ينقطع بالموت.. ﴿**والساعة أدهى وأمر**﴾!!.. فالأدهى والأمر من عذاب الدنيا عذاب الآخرة بعد قيام الساعة. والأدهى: أشد الدواهي. وهو الأمر الفظيع الخطير الذي ليس منه خلاص. والأمرّ: الأشد مرارة من كل مرّ!. ﴿**إن المجرمين في ضلال وسعر**﴾: في متاهات الضلال وغباوات العقول.. فالسعر هنا: الجنون. والمجنون مسعور؛ مثل الكلب المسعور. وهو داء الكلب الذي يصيب الكلاب فيجعلها تائهة هائمة لا تدري أين تتجه!!. ﴿**يوم يسحبون في النار على وجوههم. ذُوقُوا مَسَّ سقر**﴾:

يقال لهم في ذلك اليوم هذا الكلام.. ذوقوا مَسّ حرها وشدة عذابها. وسقر: علم على جهنم. ﴿**إنا كل شيء خلقناه بقدر**﴾: ملتبساً بقدر معين اقتضته الحكمة التي يدور عليها أمر التكوين. ﴿**وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر**﴾: أمرنا للشيء بكلمة واحدة. وهو كلمة كن. يقع سريعاً مثل لمح البصر. ﴿**ولقد أهلكنا أشياعكم**﴾: أمثالكم في الكفر والمساعدين لكم فيه.. ﴿**فهل من مدّكر**؟!.. **وكل شيء فعلوه في الزبر**﴾: كل شيء فعلوه من الكفر والمعاصي مكتوب عليهم في ديوان الحفظة. ﴿**وكل صغير وكبير مستطر**﴾: مكتوب مسطر عند الله؛ كما في قوله تعالى: ﴿**وعندنا كتاب حفيظ إن المتقين في جنات ونهر. في مقعد صدق عند مليك مقتدر**﴾!..

مبحث الإعراب

﴿**اقتربت الساعة**﴾ فعل وفاعل. ﴿**وانشق القمر**﴾ فعل وفاعل. معطوف على ما قبله. ﴿**وإن يروا آية**﴾ فعل وفاعل ومفعول. دخل عليه حرف الشرط الجازم. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**يعرضوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة جواب الشرط. ﴿**ويقولوا**﴾ فعل وفاعل. معطوف على جواب الشرط. ﴿**سحر**﴾ خبر لمبتدإٍ مقدر. أي هو سحر. والجملة مقول القول. ﴿**مستمر**﴾ نعت لسحر. ﴿**وكذبوا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**واتبعوا أهواءهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**وكل**﴾ مبتدأ. ﴿**أمر**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**مستقر**﴾ خبر المبتدإِ. والجملة تذييل. ﴿**ولقد جاءهم**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**من الأنباء**﴾ متعلق بجاءهم. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل رفع فاعل جاء. ﴿**فيه**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**مزدجر**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة صلة ما. ﴿**حكمة**﴾ بدل من ما. ﴿**بالغة**﴾ نعت لحكمة. ﴿**فما تغني النذر**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة مرتبة بالفاء على ما قبلها. ﴿**فتول**﴾ أمر موجه إلى الرسول. والفاء للسببية. ﴿**يوم**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بيخرجون الآتي. ﴿**يدع الداع**﴾ فعل وفاعل. وحذف واو يدع وياء الداع تخفيفاً. ﴿**إلى شيء**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**نكر**﴾ نعت لشيء. ﴿**خشعاً**﴾ حال من فاعل يخرجون الآتي. قدم للاهتمام به. ﴿**أبصارهم**﴾ فاعل باسم الفاعل ـ خُشَّعاً ـ ﴿**يخرجون**﴾ فعل وفاعل. وتقدير الكلام يخرجون يوم يدع الداع إلى شيء نكر

حالة كونهم خشعاً أبصارُهم. ﴿**من الأجداث**﴾ متعلق بيخرجون. ﴿**كأنهم**﴾ كأنَّ واسمها. ﴿**جراد**﴾ خبرها. ﴿**منتشر**﴾ نعت لجراد. ﴿**مهطعين**﴾ حال من فاعل يخرجون. مثل: خشعاً. وكأنهم جراد، ثلاث حالات وصف بها أولئك المعرضون المكذبون يوم يخرجون.. ﴿**إلى الداع**﴾ متعلق بمهطعين. ﴿**يقول الكافرون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**يوم**﴾ خبره. ﴿**عسر**﴾ نعت ليوم. والجملة مقول القول، وجملة يقول الكافرون هذا يوم عسر: استئناف. ﴿**كذبت**﴾ فعل ماض. ﴿**قبلهم**﴾ متعلق بكذبت.

﴿**قوم**﴾ فاعل كذبت. ﴿**نوح**﴾ مضاف إلى قوم. ﴿**فكذبوا عبدنا**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة معقبة بالفاء على كذبت.. ﴿**وقالوا**﴾ عطف على كذبوا. ﴿**مجنون**﴾ خبر لمبتدإٍ محذوف: هو مجنون. والجملة مقول القول. ﴿**وازدجر**﴾ فعل ماض مبني للمجهول، معطوف على قالوا مجنون. ونائب الفاعل ضمير يعود على نوح. ﴿**فدعا**﴾ نوحٌ ربَّه: ﴿**أنّي مغلوب**﴾ الجملة من أن واسمِها وخبرِها تفسير لدعاء نوح ربه. ﴿**فانتصر**﴾ دعاء من نوح إلى ربه مرتب على ما قبله.. ﴿**ففتحنا أبواب**﴾ فعل وفاعل ومفعول. مرتب على ما قبله. ﴿**السماء**﴾ مضاف إلى أبواب. ﴿**بماء**﴾ متعلق بفتحنا. ﴿**منهمر**﴾ نعت لماء. ﴿**وفجرنا الأرض**﴾ معطوف على فتحنا أبواب. وهو مثله في الإعراب. ﴿**عيوناً**﴾ منصوب على التميز المحول عن المفعول. ﴿**فالتقى الماء**﴾ فعل وفاعل مرتب على ما قبله. ﴿**على أمر**﴾ متعلق بالتقى. ﴿**قد قدر**﴾ فعل ماض مبنيّ للمجهول. دخل عليه حرف التحقيق. ونائب الفاعل ضمير يعود على أمر. والجملة نعت لأمر. ﴿**وحملناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. معطوف على ما قبله. ﴿**على ذات**﴾ متعلق بحملنا. ﴿**ألواح**﴾ مضاف إلى ذات. ﴿**ودسر**﴾ معطوف على ألواح. ﴿**تجري**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على ذات ألواح. ﴿**بأعيننا**﴾ متعلق بتجري. ﴿**جزاء**﴾ مفعول لأجله. أي: فعلنا ذلك لأجل جزاءَ من كان كُفِر. وهو نوح كَفَرَ به قَوْمُه. ﴿**كفر**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على نوح. والجملة خبر كان. واسم ﴿**كان**﴾ ضمير يعود على مَنْ. ﴿**ولمن**﴾ متعلق بجزاء. وجملة كان كفر صلة مَنْ. ﴿**ولقد تركناها**﴾ فعل وفاعل ومفعول. دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف. ﴿**آية**﴾ حال من الضمير المفعول. ﴿**فهل من مدّكر**﴾ من زائدة ومدّكر نائب فاعل لفعل مقدر. والتقدير: فهل يوجد مدّكر يتذكر هذا.. والفاء للتعقيب.

وهل للاستفهام. ﴿**فكيف**﴾ خبر كان مقدم. ﴿**كان عذابي**﴾ كان واسمها. ﴿**ونذر**﴾ معطوف على عذابي. وحذفت ياء المتكلم تخفيفاً. ﴿**ولقد يسّرنا القرءان**﴾ فعل وفاعل ومفعول. . ﴿**للذكر**﴾ متعلق بيسرنا. ﴿**فهل من مدّكر**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**كذبت عاد**﴾ فعل وفاعل. ﴿**فكيف كان عذابي ونذر**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**إنا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**أرسلنا**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر إنّ. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بأرسلنا.

﴿**ريحاً**﴾ مفعول به. ﴿**صرصراً**﴾ نعت لريح. ﴿**في يوم**﴾ متعلق بأرسلنا. ﴿**نحس**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**مستمر**﴾ نعت لنحس. ﴿**تنزع**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الريح. ﴿**الناس**﴾ مفعول به. ﴿**كأنهم**﴾ كأنّ واسمها. ﴿**أعجاز**﴾ خبرها. ﴿**نخل**﴾ مضاف إلى أعجاز. ﴿**منقعر**﴾ نعت لأعجاز نخل. ﴿**فكيف كان عذابي ونذر**﴾ تقدم إعراب مثله. وكذلك ﴿**ولقد يسرنا القرءان للذكر . . فهل من مدّكر**﴾ ﴿**كذبت ثمود**﴾ فعل وفاعل. ﴿**بالنذر**﴾ متعلق بكذبت. ﴿**فقالوا**﴾ فعل وفاعل مرتب بالفاء على ما قبله. ﴿**أبشراً**﴾ مفعول بفعل مقدر. ﴿**منا**﴾ متعلق بمحذوف نعت لبشر. ﴿**واحداً**﴾ نعت آخر. ﴿**نتبعه**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل نحن. وتقدير الكلام أنتبع بشراً واحداً مثلنا؟! . . ﴿**إنّا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**إذن**﴾ ظرف معترض. والتنوين عوض عن المضاف إليه. ﴿**لفي ضلال**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ. ﴿**وسعر**﴾ عطف على ضلال. ﴿**أألقي**﴾ فعل ماض مبني للمجهول دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**الذكر**﴾ نائب الفاعل. ﴿**عليه من بيننا**﴾ متعلقان بألقى. ﴿**بل هو**﴾ في محل رفع مبتدأ دخل عليه حرف الإضراب. ﴿**كذاب**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**أشر**﴾ نعت لكذاب. ﴿**سيعلمون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**غدا**﴾ ظرف متعلق بالفعل قبله. ﴿**من**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**الكذاب**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**الأشر**﴾ نعت للكذاب. والجملة مفعول يعلمون. ﴿**إنا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**مرسلوا**﴾ خبر إنّ. ﴿**الناقة**﴾ مضاف إلى مرسلوا. من إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله. ﴿**فتنة**﴾ مفعول لأجله. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف نعت ﴿**لفتنة**﴾. ﴿**فارتقبهم**﴾ أمر موجه إلى الرسول صالح. ﴿**واصطبر**﴾ معطوف عليه. ﴿**ونبئهم**﴾ كذلك. ﴿**أن الماء**﴾ أن واسمها. ﴿**قسمة**﴾ خبر أنّ. ﴿**بينهم**﴾ متعلق بقسمة. وجملة أنّ واسمها وخبرها تفسير للنبإ المأمور به. ﴿**كل**﴾ مبتدأ. ﴿**شرب**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**محتضر**﴾ خبر لمبتدإ. ﴿**فَنَادَوْا صَاحِبَهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. وهو تعقيب بالفاء على ما سبقه. ﴿**فتعاطى**﴾

مرتب على نادوا. . ﴿**فعقر**﴾ مرتب على تعاطى. وفاعل تعاطى وعقر ضمير صاحبهم. . ﴿**فكيف كان عذابي ونذر**﴾: مثل ما تقدم. ﴿**إنا أرسلنا عليهم صيحة**﴾ مثل إنّا أرسلنا عليهم ريحاً. . ﴿**واحدة**﴾ نعت لصيحة.

﴿**فكانوا**﴾ كان واسمها. والفاء للترتيب والتعقيب. ﴿**كهشيم**﴾ الكاف بمعنى مثل في محل نصب خبر كان. وهشيم مجرور بالكاف. ﴿**المحتظر**﴾ مضاف لهشيم. ﴿**ولقد يسرنا القرءان للذكر. . فهل من مدّكر؟!**﴾ ﴿**كذبت قوم لوط بالنذر**﴾ على قياس النظير السابق. ﴿**إنا**﴾ إن واسمها. ﴿**أرسلنا**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر إنّ. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بأرسلنا. ﴿**حاصباً**﴾ مفعول به. ﴿**إلا آل**﴾ منصوب على الاستثناء. ﴿**لوطٍ**﴾ مضاف إليه. ﴿**نجيناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**بسحر**﴾ متعلق بنجيبنا. ﴿**نعمة**﴾ مفعول لأجله. ﴿**من عندنا**﴾ متعلق بنعمة. ﴿**كذلك**﴾ الكاف بمعنى مثل في محل نصب نعت لمفعول مطلق. واسم الإشارة مجرور بالكاف. ﴿**نجزي**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. ﴿**من**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**شكر**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على مَن. والجملة صلتها. ﴿**ولقد أنذرهم**﴾ أنذر قَوْمَه لوطٌ. ﴿**بطشتنا**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**فتماروا**﴾ فعل وفاعل والجملة مرتبة بالفاء على ما قبلها. ﴿**بالنذر**﴾ متعلق بتماروا. ﴿**ولقد راودوه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**عن ضيفه**﴾ متعلق براودوه. ﴿**فطمسنا أعينهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول مرتب على ما قبله. ﴿**فذوقوا عذابي ونذر**﴾: تقدم إعراب مثله. ﴿**ولقد صبّحهم**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**بكرة**﴾ منصوب على الظرفية. متعلق بالفعل قبله. ﴿**عذاب**﴾ فاعل صبّحهم. ﴿**مستقر**﴾ نعت لعذاب. ﴿**فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرءان للذكر. . فهل من مدّكر؟!**﴾ ﴿**ولقد جاء**﴾ فعل ماض. . ﴿**آل**﴾ مفعول به. ﴿**فرعون**﴾ مضاف إلى آل. ﴿**النذر**﴾ فاعل جاء. ﴿**كذبوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**بآياتنا**﴾ متعلق بكذبوا. ﴿**كلها**﴾ توكيد لآيات. ﴿**فأخذناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. مرتب بالفاء على ما قبله. ﴿**أخذ**﴾ مفعول مطلق. ﴿**عزيز**﴾ مضاف إلى أخذ. ﴿**مقتدر**﴾ نعت لعزيز. ﴿**أكفاركم**﴾ مبتدأ. دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**خير**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**من أولئكم**﴾ متعلق بخير. ﴿**أم لكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. دخل عليه حرف الإضراب. ﴿**براءة**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**في الزبر**﴾ متعلق ببراءة. ﴿**أم يقولون**﴾ فعل وفاعل. دخل عليه حرف الإضراب. ﴿**نحن**﴾ في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿**جميعٌ**﴾ خبر المبتدإ.

﴿**منتصر**﴾ نعت لجميع. ﴿**سيهزم**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿**الجمع**﴾ نائب الفاعل. ﴿**ويولون**﴾ معطوف على سيهزم.. ﴿**الدبر**﴾ مفعول ثانٍ.

﴿**بل الساعة**﴾ مبتدأ. دخل عليه حرف الإضراب. ﴿**موعدهم**﴾ خبر المبتدإِ. ﴿**والساعة**﴾ مبتدأ. ﴿**أدهى**﴾ خبره. مرفوع بضمة مقدرة على الألف. ﴿**وأمرُّ**﴾ معطوف على أدهى. ﴿**إن المجرمين**﴾ إنّ واسمها. ﴿**في ضلال**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ. ﴿**وسعر**﴾ معطوف على ضلال. ﴿**يوم**﴾ ظرف متعلق بقول مقدر أي: يُقال لهم يوم ﴿**يسحبون**﴾ الفعل ونائب الفاعل مضاف إلى الظرف. ﴿**في النار**﴾ متعلق يسحبون. ﴿**على وجوههم**﴾ كذلك. ﴿**ذوقوا**﴾ أمر موجه إلى المجرمين. وهو مقول القول. ﴿**مس**﴾ مفعول به. ﴿**سقر**﴾ مضاف إلى مس مجرور بالفتحة للعلمية والتأنيث. ﴿**إنا**﴾ إن واسمها. ﴿**كل**﴾ مفعول. ﴿**شيء**﴾ مضاف إليه. ﴿**خلقناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**بقدر**﴾ متعلق بخلقنا. وجملة خلقناه مفسّرة لجملة خلقنا كل شيء المقدر. أي: إنا خلقنا كل شيء خلقناه بقدر. وجملة خلقناه. خبر إنّ. ﴿**وما أمرنا**﴾ مبتدأ. دخل عليه حرف النفي. ﴿**إلا واحدة**﴾ خبر المبتدإِ. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**كلمح**﴾ الكاف بمعنى مثل في محل نصب حال من أمرنا. ولمح مجرور بالكاف. ﴿**بالبصر**﴾ متعلق بلمح. ﴿**ولقد أهلكنا أشياعكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. وهو معطوف على ما قبله.. ﴿**فهل من مدّكر؟!**﴾ ﴿**وكل**﴾ مبتدأ. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**فعلوه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة نعت لكل شيء. ﴿**في الزبر**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإِ. ﴿**وكل**﴾ مبتدأ. ﴿**صغير**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**وكبير**﴾ معطوف على صغير. ﴿**مستطر**﴾ خبر المبتدإِ. ﴿**إن المتقين**﴾ إن واسمها. ﴿**في جنات**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ. ﴿**ونهر**﴾ معطوف على جنات. ﴿**في مقعد**﴾ متعلق بالخبر. ﴿**صدق**﴾ مضاف إلى مقعد. ﴿**عند**﴾ ظرف متعلق بالخبر أيضاً. ﴿**مليك**﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿**مقتدر**﴾ نعت لمليك.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**اقتربت الساعة..**﴾ فهذه الجملة لها ارتباط وثيق بآخر السورة السابقة في قوله تعالى: أزفت الآزفة.. وفيما بين السورتين تناسب ظاهر: في التسمية؛ لما بين النجم والقمر من الملابسة. وفي هذه السورة تفصيل لما في السورة السابقة

عندما ذكر فيها أحوال الأمم مجملة. وفي المطلع براعة استهلال مثيرة تنذر المنكر وتذكّر الغافل. ﴿**وانشق القمر**﴾: موصول بالعطف على ما قبله.. ففي الجملة الأولى خبر مثير، وفي الجملة الثانية إرهاص خطير!.. ففي مطلع هذه السورة يجيء النذير باقتراب الساعة وانشقاق القمر بإيقاع في التعبير يهز القلب البشري هزّاً. وهو يتوقع الساعة التي اقتربت، ويتأمل الآية التي وقعت. ومع اقتراب الموعد المرهوب ووقوع الحادث الكوني المثير، وقيام الآيات التي يرونها في صور شتى.. فإن تلك القلوب تلجّ في العناد؛ وتصرّ على الضلال ولا تتأثر بالوعيد كما لا تتأثّر بإيقاع الآيات الكثيرة الكافية للعظة والكف عن التكذيب: ﴿**وإن يَرَوْا ءاية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر**﴾.

﴿**وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر. ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر. حكمة بالغة فما تغني النذر**﴾!. وعند هذا الحد من تصوير إعراضهم وإصرارهم وعدم انتفاعهم بالأنباء وقلّة جدوى النذر مع هؤلاء يتوجه الخطاب إلى الرسول، للإعراض عنهم وتركهم يلاقون اليوم الذي أعرضوا عن الخبر باقترابه، وهم يرون انشقاق القمر بين يدي مجيئه: ﴿**فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر. خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر. مهطعين إلى الداع يقول الكافرون: هذا يوم عسر..**﴾ فهذا هو اليوم الذي اقترب، وهم عنه معرضون وبه يكذبون.. فتولّ عنهم واتركهم لمصيرهم.. ثم بعد هذا الإيقاع العنيف في مطلع السورة، والمشهد المكروب الذي يشمل المكذبين في يوم القيامة، يأخذ السياق في عرض مشاهد التنكيل والتعذيب الذي أصاب بالفعل أجيال المكذبين قبل قريش؛ وعرض مصارع الأمم التي سلكت من قبل مسلكهم بادئاً بقوم نوح: ﴿**كذبت قبلهم قوم نوح.. فكذبوا عبْدنا، وقالوا مجنون..**﴾ كما قالت قريش ظالمة عن الرسول.. ﴿**وازدجر..**﴾ بدلاً من أن ينزجروا هم ويرعووا!!.. ﴿**فدعا ربه أنّي مغلوب فانتصر..**﴾ فالأمر أمرك والدعوة دعوتك وقد انتهى دوري!.. ﴿**ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر. وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر..**﴾ فتفتَّحُ السماءِ بالماء الغزير المنهمر وتفجَّرُ الأرضِ بالماء المتفجّر: هو تعبير يرسم مشهد الماء النازل والماء الصاعد بهذه الصورة المثيرة للانتباه.. فالتقى الماء على أمر قد قدر.. فهما على اتفاق لتنفيذ هذا الأمر المقدر.

وإفراد الماء يدل على أن التقاء الماءين ـ ماء السماء وماء الأرض ـ لم يكن

بطريق المجاورة، والمقارب.. بل بطريق الاختلاط والاتحاد.. حتى إذا صارا طوفاناً يطم ويعم امتدت يد الله لرسوله بالنجاة والتكريم: ﴿**وحملناه على ذات ألواح ودسر. تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر..**﴾ ففي العبارة تفخيم السفينة وتعظيم أمرها.. فهي ذات ألواح ودسر. توصف ولا تُذكر لفحامتها وقيمتها.. وهي تجري في رعاية الله. وهي جزاء لمن كان كُفِرَ وجُحِد وازدُجِر. أي: فعلنا ذلك جزاء لنوح؛ لأنه كان نعمة على قومه.. فكفروها.. فإن كل نبئ نعمة من الله على أمته ورحمة، وأي نعمة وأي رحمة؟!.. وعلى مشهد الانتصار يتوجه السياق إلى كل من يرى هذا المشهد وكأنه حاضر أمامه: ﴿**ولقد تركناها آية.. فهل من مدّكر؟!.. فكيف كان عذابي ونذر**﴾؟!.. فهو استفهام تعظيم وتعجيب من تلك الآية التي تركت لجميع الأجيال التي جاءت بعد قوم نوح.. أي: كان عذابي ونذري على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف. ﴿**ولقد يسرنا القرءان للذكر**﴾: هذه جملة قسمية وردت في أواخر القصص الأربع، تقريراً لمضمون ما سبق من قوله تعالى: ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر: حكمة بالغة.. فما تغني النذر. وتنبيهاً على أن كل قصة منها مستقلة بإيجاب الادّكار، كافية في الازدجار. ومع ذلك لم تقع واحدة في حيز الاعتبار.. ﴿**فهل من مدّكر**﴾: إنكار ونفي للمتعظ على أبلغ وجه وآكده؛ حيث يدل على أنه لا يقدر أحد أن يجيب المستفهِم بنعم. ﴿**كذبت عاد**﴾: هذا هو المشهد الثاني من مشاهد التعذيب العنيف. يبدؤه بالإخبار عن السبب الذي جاء من أجله هذا المشهد المخيف. وقبل أن يكمل المشهد يسأل سؤال التعجيب والتهويل: ﴿**فكيف كان عذابي ونذر**﴾؟!.. ثم يجيب: ﴿**إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر. تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر**﴾!.. فجرس اللفظ يصور نوع الريح.. والمشهد مفزع مخيف!.. ﴿**فكيف كان عذابي ونذر**﴾؟!.. فهذه الجملة تكرر بعد عرض المشهد.. والمشهد هو الجواب. إنها ريح عاتية عاصفة جارفة تحرق الأجساد بلهيب بردها.. فتجعلهم كأعجاز نخل منقعر!: في الهيئة واللَّوْن.. ثم يختم الحلقة بالتعقيب المكرر في السورة وفق نسقها الخاص: ﴿**ولقد يسرنا القرءان للذكر.. فهل من مدّكر**﴾؟!..

ثم يمضي السياق إلى المشهد الثالث في السياق وفي التاريخ: ﴿**كذبت ثمود بالنذر.. فقالوا: أبشراً منا واحداً نتبعه؟!.. إنا إذن لفي ضلال وسعر**﴾: على

تقدير أتباعنا له وهو منفرد ونحن أمة جمة!. ومن ثم يتهمون رسولهم بالكذب والطمع: ﴿**بل هو كذاب أشر. .**﴾ فهو كذاب، لم يلق عليه الذكر. أشر: شديد الطمع في اختصاص نفسه بالمكانة. وبينما يجرِي السياق على أسلوب الحكاية لقصة مضت في التاريخ يلتفت فجأة وكأنما الأمر حاضر والأحداث جارية. . فيتحدّث عما سيكون ويهدد بهذا الذي سيكون: ﴿**سيعلمون غداً من الكذاب الأشر**﴾. وهذه إحدى طرق العرض القرءاني للقصص. وهي طريقة تنفخ روح الحياة الواقعية في القصة، وتحيلها من حكاية تحكي إلى واقعة تُعرض على الأنظار، يترقب النظارة أحداثها الآن، ويرتقبون في مقبل الزمان. ﴿**إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم**﴾: استئناف بياني. سيق لبيان مبادىء الموعود حتماً. . ﴿**فارتقبهم واصطبر. .**﴾ فهذا أمر موجه إلى صالح عليه السلام. ﴿**ونبئهم أن الماء قسمة بينهم. . كل شرب محتضر. . فنادوا صاحبهم. . فتعاطى. . فعقر. . فكيف كان عذابي ونذر**﴾؟!. . فهي أحداث متتابعة متوالية مرتبة بالفاء المفيدة للتعقيب. . ﴿**إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة. . فكانوا كهشيم المحتظر. .**﴾ فلم يفصّل النص هذه الصيحة هنا. وقد وصفت في سورة فصلت أنها صاعقة. . وعلى أية حال. . فقد أرسلت على القوم صيحة واحدة. . ففعلت بهم ما فعلت!. . فكانوا كهشيم المحتظر. . فهو مشهد مفجع مفزع، يعرض رداً على التعَالي والتكبّر. . فإذا العالون المتكبرون هشيم. وهشيم مهين كهشيم المحتظر. وهو صاحب حظيرة الماشية يأتي ما يجده من نبات بالٍ متهشم به إلى ماشيته لتأكله وتدوسه وتروثه فيصبح هشيماً تذروه الرياح. ﴿**ولقد يسرنا القرءان للذكر. . فهل من مدّكر**﴾؟!

﴿**كذبت قوم لوط بالنذر**﴾: هذا المشهد الرابع من مشاهد التعذيب في الواقع والتاريخ. . وعلى أثر هذه الإشارة يصف السياق ما نزل بهم من النكال: ﴿**إنا أرسلنا عليهم حاصباً. .**﴾ فهي الحجارة التي ذكرت في سورة هود وغيرها: حجارة من سجيل. . ﴿**إلا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا. . كذلك نجزي من شكر. .**﴾ فننجيه وننعم عليه في وسط المهالك والمخاوف. فالآن ـ وقد عرض القصة من طرفيها: طرف التكذيب وطرف الأخذ الشديد. . فإنه يعود السياق لشيء من التفصيل فيما وقع بين الطرفين. . فهذه إحدى طرق العرض القرآني للقصة حين يراد إبرازُ إيحاآتٍ معيّنة من إيرادها في هذا النسق: ﴿**ولقد أنذرهم بطشتنا. . فتماروا بالنذر. ولقد راودوه عن ضيفهِ. . فطمسنا أعينهم. .**

فذوقوا عذابي ونذر. . ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر. . فذوقوا عذابي ونذر. . ولقد يسرنا القرآن للذكر. . فهل من مدّكر﴾؟!. . ثم تختم هذه المشاهد بمشهد خارج الجزيرة العربية، ومصرع من المصارع المشهورة المذكورة، في إشارة سريعة خاطفة: **﴿ولقد جاء آل فرعون النذر. كذبوا بآياتنا كلها. . فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر. . ﴾** فأخذهم الله أخذاً شديداً يناسب ما كانوا عليه من ظلم وغشم وبطش وجبروت. وعلى هذا المشهد الأخير على مصرع فرعون الجبار يُسدلُ الستار. **﴿أكفّاركم خير من أولئكم﴾**؟!. . فهل تطمعون يا معشر قريش أن لا يصيبكم مثل ذلك؟!. . فأنتم شر منهم مكاناً وأسوأ حالاً!. . **﴿أم لكم براءة في الزبر﴾**؟!: إضراب وانتقال من التبكيت بوجه آخر. أي: بل ألكم براءة وأمن من تبعات ما تعملون من الكفر والمعاصي وغوائلهما في الكتب المنزلة من الله؟!. . فلذلك تصرون على ما أنتم عليه!!. . **﴿أم يقولون: نحن جميع منتصر﴾**؟!. . فهو إضراب آخر من التبكيت. . والالتفات تعجيب من حالهم، وحكاية قبائحهم لغيرهم. . فلم يكونوا أهلاً للخطاب. . فهم يقولون: نحن جمع منتصر لا نُهزم ولا نُضام!: **﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر. . ﴾** فليس هذا تمام عقوبتهم. . **﴿بل الساعة موعدهم. . والساعة أدهى وأمرّ﴾**!!. . فهم اليوم في ضلال وسعر: **﴿إن المجرمين في ضلال وسعر﴾**!. ويوم القيامة يواجهون بهذا التبكيت والتقريع: **﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم. . ذُوقُوا مسّ سقر!!. . إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾**: إن كل شيء مخلوق بقدر، مصرّف بقصد، مدبر بحكمة. **﴿وما أمرنا إلا واحدة؛ كلمح بالبصر﴾**: وهي إشارة واحدة أو كلمة واحدة يتم بها كل أمر. . فهذا تشبيه لتقريب الأمر إلى حس البشر المقيّد بالزمن. . ثم يذكر أهل مكة بمصير أمثالهم المكذبين: **﴿ولقد أهلكنا أشياعَكم. . فهل من مدّكر﴾**؟!. . ولم ينته حسابهم بمصارعهم الأليمة. . فوراءهم حساب لا يفلت منه شيء: **﴿وكل شيء فعلوه في الزبر. . ﴾** فكل شيء مسطر في الصحائف ليوم الحساب: **﴿وكل صغير وكبير مستطر﴾**!. . فهو مُوَثّق مكتتب في سطور لا تُنسى ولا تمحى. ولما كان بيان سوء حال الكَفرة المجرمين مما يستدعي بيان حسن حال المؤمنين؛ ليتكافأ الترهيب والترغيب، بيّن ما لهم من حسن الحال بطريق الإجمال فقال: **﴿إن المتقين في جنات ونهر. في مقعد صدق عند مليك مقتدر. . ﴾** فهذه الصورة استوفت النعيم بقسميه: نعيم الحس والجوارح في تعبير جامع شامل. . ونعيم

القلب والروح: نعيم القرب والتكريم.. فعند هذا الإيقاع الهادي في هذا المقعد الآمن تنتهي السورة التي حفلت مشاهدها بالفزع والكرب والأخذ والتدمير.. فإذا للمقعد الآمن والإيقاع الهادىء طعْم ورَوْح أعمق وأروح!. فمن بديع هذا الكلام رد العجز على الصدر بإيراد التضاد، وبراعة المقطع وحسن الختام!!..

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿**اقتربت الساعة وانشق القمر. وإن يروا ءاية يعرضوا ويقولوا: سحر مستمر..**﴾: في هذا التوجيه مطلع باهر مثير.. مطلع فيه خبر خطير: اقتربت الساعة!. وحدث آخر قد وقع دليلاً على الخبر المثير: وانشق القمر.. فيا له من حدث! ويا له من خبر!.. فلقد رأوا الحدث الذي وقع.. فلم يبق إلا أن ينتظرالناس الحدث الأكبر: ﴿**اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون!**﴾ وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا: سحر مستمر!: ومع اقتراب الموعد الرهيب، ووقوع الحادث العجيب. ومع قيام الآيات التي يراها الناس في صور شتى.. فإن هؤلاء الناس لا تزال تلج في العناد وتصر على الضلال؛ ولا تتأثر بالوعيد، كما لا تتأثر بإيقاع الآيات الكثيرة الكافية للعظة والكف عن التكذيب.. فلقد أعرض أهل مكة، وقالوا: ﴿**سُكّرت أبصارنا.. بل نحن قوم مسحورون**﴾ كما فرض هذا القول منهم إظهاراً لعنادهم ورفضهم الدعوة من أساسها.. فهذا قولهم كلما رأوا آية! ولما كانت الآيات متواصلة؛ فقالوا: سحر مستمر!.. فكذبوا بالآيات وشهادتها؛ كذبوا اتباعاً لأهوائهم، لا استناداً إلى حجة: ﴿**وكذبوا واتبعوا أهواءهم..**﴾ فهم لم يتدبروا ولم ينظروا إلى ما في هذه الآيات من دليل ثابت ومستقر: ﴿**وكل أمر مستقر..**﴾ فكل شيء في موضعه في هذا الوجود الكبير. وكل أمر في مكانه الثابت الذي لا يتزعزع ولا يضطرب.. فأمر هذا الكون يقوم على الثبات والاستقرار.

لا على الهوى المتقلب والمزاج المتغير. أو المصادفة العابرة، والارتجال العارض.. فكل شيء في موضعه وفي زمانه، وكل أمر في مكانه وفي إبّانه. والاستقرار يحكم كل شيء من حولهم، ويتجلى في كل شيء: في دورة الأفلاك، وفي سنن الحياة. وفي أطوار النبات والحيوان. وفي الظواهر الثابتة للأشياء والمواد.. لا ميل في انتظام وظائف أجسامهم وأعضائهم التي لا سلطان لهم

عليها، والتي لا تخضع للأهواء. وبينما هذا الاستقرار يحيط بهم ويسيطر على كل شيء من حولهم، ويتجلى في كل أمر من بين أيديهم ومن خلفهم؛ إذا هم وحدهم مضطربون تتجاذبهم الأهواء.. فالقلوب المطموسة والأهواء المنحرفة لا تتفتح لرؤية الآيات، ولا تزدجر بالأنباء التي بلغت من الحكمة والموعظة الحسنة غاية كافية لكل من يتعظ ويعتبر: ﴿**ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر: حكمة بالغة.. فما تغني النذر..**﴾ فعند هذا الحد من تصوير إعراضهم وإصرارهم وعدم انتفاعهم بالأنباء، وقلة جدوى النذُر مع هؤلاء، يتجه الخطاب إلى الرسول؛ للإعراض عنهم وتركهم يلاقون اليوم الذي غفلوا عنه مع اقترابه: ﴿**فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر. مهطعين إلى الداع..**﴾ فهذا مشهد من مشاهد هذا اليوم الذي يصور فيه النصُّ هذه الجموع الخارجة من القبور مثل الجراد المنتشر! ومشهد الجراد المعهود يساعد على تصور المنظر المعروض!.. فهذه الجموع خاشعة أبصارها من الذل والهول، وهي تسرع في سيرها لا تلتفت إلى شيء نحو الداعي الذي يدعوها لأمر غريب شديد النّكر لا تعرفه ولا تطمئن إليه عند ذلك كله: ﴿**يقول الكافرون: هذا يوم عسر**﴾!.. فهذا هو اليوم الذي اقترب وهم عنه معرضون وبه يكذبون.. فتول عنهم يوم يجيء، ودعهم لمصيرهم فيه. وهو هذا المصير المرعب المخيف!!.. وبعد هذا الإيقاع العنيف في مطلع السورة، والمشهد المكروب الذي يشمل المكذبين في يوم القيامة؛ يأخذ السياق في عرض مشاهد التنكيل والتعذيب الذي أصاب بالفعل أجيال المكذبين قبل مشركي قريش وغيرهم من العرب، وعرض مصارع الأمم التي سلكت من قبلُ مسلكهم، بادئاً بقوم نوح:

التوجيه الثاني: ﴿**كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا: مجنون وازدجر..**﴾: فالمقصود من هذا التوجيه تهديد قريش من هذا الموقف الذي وقفوه ضد الرسول كما وقف قوم نوح ضد رسولهم نوح.. فكذبوا عبدنا وقالوا: مجنون!. مثل ما قالوا لمحمد ﷺ: إنك لمجنون!. وازدجر!.. ﴿**فدعا ربه: أنّي مغلوب.. فانتصر..**﴾ فقد انتهت طاقتي.. انتهى جهدي.. وغلبت على أمري.. فانتصر أنت يا ربي.. انتصر لدعوتك.. انتصر لمنهجك.. فالأمر أمرك.. فقد انتهى دوري!. وما تكاد هذه الكلمة تقال.. حتى يأتي أمر الله بتنفيذ هذا الدعاء في الحال: ﴿**ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر. وفجرنا الأرض عيوناً.. فالتقى**

الماء على أمر قد قدر. .﴾ فهي حركة كونية ضخمة غامرة تصورها ألفاظ وعبارات مختارة. تبدأ بإسناد الفعل إلى الله مباشرة: ففتحنا. . فيحس القارىء والسامع يد الجبار «تفتح: أبواب السماء» بهذا اللفظ وبهذا الجمع. . بماء منهمر: غزير متوالٍ. . وبالقوة ذاتها وبالحركة نفسها: وفجرنا الأرض عيوناً. . فهو تعبير يرسم مشهد التفجُّر، وكأنه ينبثق من الأرض كلها. . وكأنما الأرض كلها قد استحالت عيوناً. . ففارت كما يفور التنور صاعداً دخانه إلى عَنان السماء. . **﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور﴾** فالتقى الماء المنهمر من السماء بالماء المتفجر الصاعد الفوار من الأرض على أمر قد قدر. . فهما على اتفاق لتنفيذ هذا الأمر المقدر. طائعان للأمر، محققان للقدر. وصارا طوفاناً يطم ويعم ويغمر وجه الأرض. . فيصير موجاً كالجبال. . فيطهّر الدنس الذي يغشى وجه الأرض، وقد يئس الرسول نوح من تطهيره، وغُلب على أمره في علاجه. . فامتدت اليدُ القوية الرحيمة إلى الرسول الذي دعا دعوته. . فتحرك له الكون كله. امتدت له هذه اليد بالنجاة وبالتكريم: **﴿وحملناه على ذات ألواح ودسر. تجري بأعيننا. .﴾** فهي سفينة لها المقومات الأساسية من ألواح وما تشد به الألواح. . فهي مصنوعة صنعاً متقناً محكماً: **﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا﴾** وهي تجري في رعاية الله وحفظه وعنايته. وذلك كله كان **﴿جزاء لمن كان كفر. .﴾** فهو جزاء يمسح بالرعاية على الجفاء. . وبالتكريم على الاستهزاء!. . وعلى مشهد الانتصار الهائل الكامل، والمحْق الحاسم الشامل، يتوجه إلى القلوب التي شهدت المشهد كأنها تراه. يتوجه إليها بلمسة التعقيب، لعلها تتأثر وتستجيب: **﴿ولقد تركناها آية. . فهل من مدّكر﴾**؟!. . فهذه الواقعة بملابساتها المعروفة، تركناها آية للأجيال. . فهل من مدّكر؟. . فيتذكر ويعتبر!!. . ثم سؤال لإيقاظ القلوب إلى هول العذاب وصدق النذير: **﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾**؟!. . فكان هذا كما صوره القرءان: كان عذاباً مدمراً جباراً.

وكان نذيراً صادقاً بهذا العذاب. وهذا هو القرءان حاضراً، سهل التناول، ميسر الإدراك. فيه جاذبية ليُقرأ ويُتدبّر. فيه جاذبية الصدق والبساطة، وموافقة الفطرة، واستجاشة الطبع. لا تنفد عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد. وكلما تدبره القلب عاد منه بزادٍ جديدٍ. وكلما صحبته النفس زادت له ألفة وبه أنساً: **﴿ولقد يسرنا القرءان للذكر. . فهل من مدّكر﴾**؟!. وهذا هو التعقيب الذي يتكرر بعد كل

مشهد يُصوَّر.. فيقف السياق عنده بالقلب البشري يدعوه دعوة هادئة إلى التذكر والتدبر؛ بعد أن يعرض عليه حلقة من العذاب الأليم الذي حل بالمكذبين. وهذه الحلقة الثانية من حلقات التعذيب والتنكيل تأتي بعد ذكر ما حل بقوم نوح، أول ما حل بهم هذا الأمر الوبيل: ﴿**كذبت عاد.. فكيف كان عذابي ونذر؟!.. إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر. تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر..**﴾ فالريح الصرصر التي أرسلت على عاد في يوم شؤم هي جند من جنود الله. وهي قوة من قوى هذا الكون، من خلق الله. يسلطها على من يشاء.. ﴿**فكيف كان عذابي ونذر**﴾؟!.. ثم يختم الحلقة بالتعقيب المكرر في السورة وفق نسقها الخاص: ﴿**ولقد يسرنا القرءان للذكر.. فهل من مدّكر**﴾؟!.. ثم يمضي السياق إلى المشهد التالي: ﴿**كذبت ثمود بالنذر..**﴾ فهي الأمة التي ظهرت بعد عاد.. فكذبت ثمود بالنذر، كما كذبت عاد.. ﴿**فقالوا: أبشراً منا واحداً نتبعه**﴾؟!.. فهذه هي الشبهة المكررة التي تحيك في صدور المكذبين جيلاً بعد جيل، كما أنها هي الكبرياء الجوفاء التي لا تنظر إلى حقيقة الدعوة.. إنما تنظر إلى شخص الداعية.. فهي شبهة واهية لا تقوم إلا في النفوس المنحرفة التي تستكبر عن اتباع فرد اختاره الله من البشر! ﴿**إنا إذن لفي ضلال وسعر**﴾: لو وقع منا هذا الأمر المستنكر لكنا حقاً تائهين غير غافلين: ﴿**أألقى الذكر عليه من بيننا**﴾؟!.. فهذا هو الأمر الغريب العجيب!!.. ﴿**بل هو كذاب أشر**﴾!!. وهو الاتهام الذي يواجه به كل رسول: اتهامه بأنه يتخذ الدعوة ستاراً لتحقيق مآربه ومصالحه..

ثم يلتفت السياق.. فيتحدث عما سيكون: ﴿**سيعلمون غداً: من الكذاب الأشر؟!.. إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم**﴾: هذه الناقة التي أرسلها الله لهم خاصة، ذات خصائص معينة تجعلها علامة وآية: فتنة وامتحاناً واختباراً.. ﴿**فارتقبهم واصطبر. ونبئهم أن الماء قسمة بينهم: كل شرب محتضر**﴾. وهذا هو الاختبار الدقيق: لكم شرب يوم تحضرونه.. ولها شرب يوم تحضره.. فلا يعتد أحد عليها في يوم شربها: ﴿**لها شرب ولكم شرب يوم معلوم. ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم!**﴾ ﴿**فنادوا صاحبهم.. فتعاطى.. فعقر..**﴾ ﴿**فعقروها فأصبحوا نادمين.. فأخذهم العذاب فكيف كان عذابي ونذر**﴾؟!.. وتمت الفتنة ووقع البلاء!!: ﴿**إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة.. فكانوا كهشيم المحتظر..**﴾

فهي صيحة واحدة، فعلت بهم ما فعلت.. فقد صار القوم كهذا الهشيم بعد الصيحة الواحدة! وأمام هذا المشهد العنيف المخيف يرد السياق الناس إلى القرءان ليتذكروا ويتدبروا. وهو ميسر للتذكر والتدبر: ﴿**ولقد يسرنا القرءان للذكر.. فهل من مدّكر**﴾؟!. ويسدل الستار على الهشيم المهين، وفي العين منه مشهد، وفي القلب منه أثر. والقرآن يدعو من يتذكر ويتفكر.. ثم يرفع الستار عن حلقة جديدة تالية: ﴿**كذبت قوم لوط بالنذر..**﴾ قصة قوم لوط وردت مفصلة في مواضع أخرى.. فالمقصود بعرضها هنا ليس هو تفصيلاتها.. إنما هي العبرة من عاقبة التكذيب، والأخذ الأليم الشديد. ومن ثم تبدأ القصة بذكر ما وقع منهم من تكذيب بالنذر.. وعلى إثر هذه الإشارة يصف ما نزل بهم من النكال: ﴿**إنا أرسلنا عليهم حاصباً..**﴾ فالحاصب البركان الذي حصبهم بالحجارة الملتهبة ـ حجارة من سجيل ـ ولم ينج منه أحد من قوم لوط: ﴿**إلا آل لوط نجيناهم بسحر**﴾. وذلك لأجل إنعامنا عليهم بنعمة النجاء جزاء إيمانهم وشكرهم: ﴿**كذلك نجزي من شكر.. ولقد أنذرهم بطشتنا.. فتماروا بالنذر..**﴾ فطالما أنذر لوط ـ عليه السلام ـ قومه اللئام!: أنذرهم عاقبة المنكر الشاذ الذي كانوا يأتونه ما سبقهم به أحد من الأنام!.. فتماروا بالنذر وتشككوا فيها وارتابوا.

وتبادلوا الشك والارتياب فيما بينهم وتداولوه، وجادلوا نبيئهم فيه. وبلغ منهم الفجور والاستهتار: أن يراودوه هو نفسه عن ضيفه من الملائكة.. فقد رأوهم غلماناً يافعين فتياناً صباحاً فاتنين: ﴿**ولقد راودوه عن ضيفه**﴾!.. فهاج سعارُهم الشاذ الملوث القذر!. وساروا لوطاً يريدون الاعتداء المنكر على ضيوفه الكرام! غير محتشمين ولا مستحيين، ولا متحرّجين من انتهاك حرمة نبيئهم الكريم، الذي حذرهم وأنذرهم عاقبة هذا العمل المنكر!: ﴿**فطمسنا أعينهم..**﴾ فلم يعودوا يرون شيئاً ولا أحداً.. ولم يعودوا يقدرون على مساورة لوط ولا الإمساك بضيفه!. والإشارة إلى طمس أعينهم لا ترد إلا في هذا الموضع بهذا الوضوح.. ففي موضوع آخر وردت: «قالوا: يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك» فزاد هنا ذكر الحالة التي صارت تمنعهم من أن يصلوا إليه. وهي انطماس العيون!.. ﴿**فذوقوا عذابي ونذر..**﴾ فهذا هو العذاب الذي حُذرتم منه.. وهذه هي النذر التي تماريتم بها وشكّكتم فيها!.. فكان طمس العيون في المساء في انتظار الصباح الذي قدره الله لأخذهم فيه جميعاً: ﴿**ولقد صبّحهم بكرةً عذابٌ**

مستقر..﴾ فهو الحاصب الذي طهر الأرض من تلك اللوثة ومن ذاك الفساد الذي لا يطهره الماء، وإنما تطهره النار المحرقة لجراثيمه العميقة!.. **﴿فذوقوا عذابي ونذر..﴾** ففيه الكفاية، وبه النهاية.. ثم يجيء التعقيب المألوف عقب المشهد العنيف: **﴿ولقد يسرنا القرءان للذكر.. فهل من مدّكر﴾**؟!.. **﴿ولقد جاء آل فرعون النذر﴾**: هنا يذكر السياق قصة آل فرعون في إشارة سريعة.. **﴿كذبوا بآياتنا كلها.. فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر..﴾** وهكذا تختصر قصة فرعون وملإِه في طرفيها: مجيء النذر لآل فرعون، وتكذيبهم بالآيات التي جاءهم بها رسولهم، وأخذهم بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر. والإشارة إلى العزة والاقتدار تلقي عنفوان الشدة في الأخذ. وفيها تعريض بعزة فرعون واقتداره على البغي والظلم.. فقد ضاعت العزة الباطلة، وسقط الاقتدار الموهوم.. فأخذهم الله القوي المقتدر أخذاً شديداً يناسب ما كانوا عليه من ظلم وغشم وبطش وجبروت.. وعلى هذه الحلقة الأخيرة على مصرع فرعون الجبار، تستكمل المشاهد ويُسدلُ الستار!.

التوجيه الثالث: ﴿أكفاركم خير من أولئكم؟!..﴾: في هذا التوجيه توجيه الخطاب إلى مشركي العرب، وفي مقدمتهم مشركوا مكة يحذرهم مصرعاً كتلك المصارع، وينذرهم ما هو أدهى وأفظع!.. فهو الإنذار بعذاب الدنيا وعذاب الآخرة؛ وإسقاط كل شبهة وكل شك في صدق الإنذار، وسد كل ثغرة وكل طمع في الهرب والفكاك.. أو المغالطة في الحساب والفرار من الجزاء!. تلك كانت مصارع المكذبين.. فما يمنعكم أنتم من مثل ذلك المصير؟.. فما ميزة كفاركم على أولئكم؟: **﴿أم لكم براءة في الزبر﴾**؟!.. بل ألكم براءة تشهد بها الصحائف المنزلة من الله تعفيكم من جرائر الكفر والتكذيب؟!.. فلا هذه ولا تلك.. فلستم خيراً من أولئكم، وليست لكم براءة في الصحائف المنزلة. وليس هنالك إلاّ لِقاء المصير الذي لقيه الكفار من قبلكم، في الصورة التي يقدرها الله لكم.. ثم يلتفت السياق عن خطابهم إلى خطاب عام يعجب فيه من أمرهم: **﴿أم يقولون: نحن جميع منتصر..﴾** ذلك حين يرون جمعهم.. فتعجبهم قوتهم.. فيغترون بتجمعهم.. فيقولون: إنا منتصرون: لا هازم لنا ولا غالب!. الآن يأتي الرد على هذه التساؤلات: **﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر..﴾** فلا يعصمهم تجمعهم، ولا تنصرهم قوتهم.. فقد كان ذلك؛ كما لا بد أن يكون.. فانهالت الهزائم على قريش ومن لف لفهم من أهل الكتاب والمشركين.. ابتدأت بيوم بدر وانتهت بفتح

مكة. وانتقلت بعد ذلك إلى الروم والفرس.. ثم لا يزال الأمر على هذه القاعدة ما بقي المسلمون يناضلون ويجاهدون في سبيل الله!!.. فكانت هذه هزيمة الدنيا.. ولكنها ليست هي الأخيرة، وليست هي الأشد والأدهى!. فهو يضرب عن ذكر الأولى إلى ذكر الأخرى: ﴿**بل الساعة موعدهم، والساعة أدهى وأمر**﴾!.. فالساعة أدهى وأمر من كل عذاب رأوه أو يرونه في هذه الأرض. وأدهى وأمر من كل مشهد رأوه مرسوماً فيما مر: من الطوفان إلى الصرصر.. إلى الصاعقة.. إلى الحاصب.. إلى أخذ فرعون وآله أخذ عزيز مقتدر..!. ثم يفصّل كيف هي أدهى وأمر. يفصّل هذا في مشهد عنيف من مشاهد القيامة: ﴿**إن المجرمين في ضلال وسعر. يوم يُسْحَبُون في النار على وجوههم! : ذُوقُوا مَسَّ سقر**﴾!. وذلك الأخذ في الدنيا.. وهذا العذاب في الآخرة.. وما كان قبلهما من رسالات ونذر ومن قرءان وزبر.. وما حول ذلك كله من خلق ووجود وتصريف لهذا الوجود.. فذلك كله، وكل صغيرة وكبيرة مخلوقة بقدر، مصرفة بقصد مدبرة بحكمة؛ لا شيء جزاف.. ولا شيء عبث.. ولا شيء مصادفة.. ولا شيء ارتجال: ﴿**إنا كل شيء خلقناه بقدر**..﴾ فالله سبحانه يبين للناس في هذا القرآن أن كل شيء بقدر؛ ليسلموا الأمر لصاحب الأمر، وتطمئن قلوبهم وتستريح. ويسيروا مع قدر الله في توافق وفي تناسق، وفي أنس بصحبة القدر في خطوة المطمئن الثابت الوثيق..

ومع التقدير والتدبير القدرة التي تفعل أعظم الأحداث بأيسر الإشارات: ﴿**وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر**..﴾ فإشارة واحدة تنشيء هذا الوجود الهائل! وواحدة تبدِّلُ فيه وتغيّر! وواحدة تحيي كل حي! وواحدة ترده إلى الموت! وواحدة تبعث الخلائق جميعاً! وواحدة تجمعهم ليوم الحشر والحساب!. واحدة لا تحتاج إلى جهد. ولا تحتاج إلى زمن. واحدة فيها القدرة ومعها التقدير!. وكل أمر معها مقدر ميسور. وبواحدة كان هلاك المكذبين على مدار القرون!. وفي هذه يذكّرهم بمصير أمثالهم من المكذبين: ﴿**ولقد أهلكنا أشياعَكم**..﴾ فهذه مصارع المكذبين معروضة في الحلقات التي تضمنتها السورة من قبل.. ﴿**فهل من مدّكر**﴾؟!.. ولم ينته حسابهم بمصارعهم الأليمة.. فوراءهم حساب لا يفلت منه شيء: ﴿**وكل شيء فعلوه في الزبر**..﴾ فهو مسطر في الصحائف ليوم الحساب: ﴿**وكل صغير وكبير مستطر**..﴾ فلا ينسى منه شيء، وهو مسطور في كتاب!.

وعند هذا الحدّ من العرض والتعقيب يلتفت السياق إلى صفحة أخرى غير صفحة المكذبين. ويعرض صورة أخرى في ظل وادعٍ أمين.. صورة المتقين: ﴿**إن المتقين في جنات ونهر. في مقعد صدق عند مليكٍ مقتدر**..﴾ ذلك بين المجرمين في ضلال وسعر. يسحبون في النار على وجوههم في مهانة، ويلذعون بالتأنيب، كما يلذعون بالسعير: ذوقوا مسّ سقر.. فهذه صورة للنعيم بطرفيه: الحسي والمعنوي.. فهو نعيم الجسم والجوارح في نعيم جامع شامل.. فيلقي ظلال النعماء واليسر.. حتى في لفظه الناعم المنساب. وليس لمجرد إيقاع القافية تجيء كلمة نهَر بفتح الهاء.. بل كذلك لإلقاء ظل اليسر والنعومة في جرس اللفظ وإيقاع التعبير!. ومع هذا نعيم القلب والروح، نعيم القرب والتكريم.. فهو مقعد ثابت مطمئن، قريب كريم! ذلك أنهم المتقون الخائفون المترقبون! والله لا يجمع على نفس خوفين: خوفها منه في الدنيا، وخوفها يوم القيامة.. فمن اتقاه في العاجلة، أمنه في الآجلة. ومع الأمان في أفزع موطن، يغمره بالأمن والتكريم. وعند هذا الإيقاع الهادىء، في هذا الظل الآمن، تنتهي السورة التي حفلت حلقاتها بالفزع والكرب والأخذ والتدمير.. فإذا لِلْمَقْعَدِ الآمن، والإيقاع الهادىء طعم ورَوْح أعمق وأروح. وهذه هي التربية الكاملة: تربية العليم الحكيم بمسارب النفوس ومداخل القلوب. وهذا هو التقدير الدقيق لخالق كل شيء بقدر.. وهو اللطيف الخبير..

5 ـ الرحمٰن علم القرآن، خلق الإنسان علمه البيان



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* الرَّحْمَٰنُ ﴿1﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿2﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿3﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿4﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿5﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿6﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿7﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿8﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿9﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿10﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿11﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿12﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿13﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿14﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿15﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿16﴾ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿17﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿18﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿19﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿20﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿21﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿22﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿23﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿24﴾

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (23) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (24) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ
رَبِّكَ ذُو الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ (25) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (26)
يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ (27)
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (28) سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ (29)
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (30) * يَٰمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ
أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ (31)
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (32) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ (33)
وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ (34) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (35)
فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (36)
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (37) فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن
ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ (38) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (39)
يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَٰصِى وَالْأَقْدَامِ (40)
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (41) هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ الَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (42)
يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ (43) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (44)
وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ (45) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (46)
ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ (47) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (48)
فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (49) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (50)
فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ (51) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (52)

مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿53﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿54﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿55﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿56﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿57﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿58﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿59﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿60﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿61﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿62﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿63﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿64﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿65﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿66﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿67﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿68﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿69﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿70﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿71﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿72﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿73﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿74﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿75﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿76﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿77﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**الرحمٰن علم القرآن..**﴾ الرحمٰن: اسم من أسماء الله تعالى خاص به لا يطلق على أحد غيره. بخلاف الرحيم.. فهو اسم من أسماء الله، ووصف من أوصاف الإنسان.. علّم القرءان: علم الله الرسولَ القرآنَ بوساطة جبريل.

والرسول علم أمته القرآن.. ﴿**خلق الإنسان.. علمه البيان**﴾: علم الله الإنسان النطق المعبر به عما في ضميره.. ﴿**الشمس والقمر بحسبان**﴾: يجريان بحساب مقدر في منازلهما.. فالشمس يعرف بها اليوم من طلوعها إلى غروبها. وتعرف بها الفصول الحارة والباردة والمعتدلة.. والقمر يعرف به الشهر القمري من أوله إلى آخره. ﴿**والقمر قدرناه منازل.. حتى عاد كالعرجون القديم**﴾ بحيث تُنَظّم بذلك أمور الناس؛ ﴿**لتبتغوا فضلاً من ربكم؛ ولتعلموا عدد السنين والحساب والنجم**﴾: النبات الذي لا ساق له ينجم على الأرض. ﴿**والشجر**﴾: المرتفع على سوقه الملتف بفروعه بعضه مع بعض.. ﴿**يسجدان**﴾: ينقادان لأمر الله تعالى فيما يريد بهما طبعاً، انقياد الساجدين من المكلفين طوعاً. ﴿**والسماء رفعها**﴾: خلقها مرفوعة محلاً ورتبة. والسماء: كل ما سما وتعلّى.. فيشمل ما يُرى وما لا يُرى.. ﴿**ووضع الميزان**﴾: شرع العدل وأمر به.. فجعله بين الناس المعدل لشؤون حياتهم: ﴿**الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان ألا تطغوا في الميزان.. وأقيموا الوزن بالقسط، ولا تخسروا الميزان..**﴾ فُسر وضع الميزان بعدم التعدي فيه. وإقامته بالقسط بالعدل ـ عند التعامل به. والنهي عن تَطْفِيفِهِ وبخسه.. ﴿**والأرض وضعها للأنام**﴾: خلق الله الأرض على هذا الوضع للناس حيث تستقر حياتهم فيها وتمضي كما قدر الله لها أن تكون: ﴿**فيها فاكهة**﴾: كل ما يتفكه به الإنسان من مطعم ومشرب.. ﴿**والنخل ذات الأكمام**﴾: الأكمام الحاملة للتمر. جمع كِمّ بكسر الكاف. ﴿**والحب ذو العصف.. والريحان**﴾: ذو الريحان.. فالحب: ثمر الزرع كالقمح والشعير وغيره..

والعصف: ما يغلف الحب من قشر. وفيه إشارة إلى الشكل المميز لكل نوع ولون.. والريحان: ما في الحب من رائحة تميزه في نوعه. فكل حب له شكل ولون خاص، ورائحة خاصّة. ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!!.. خلق الإنسان من صلصال كالفخار**﴾: خلق الله الإنسان الأول ـ آدم ـ من طين يابس بعد أن كان حمأً مسنوناً.. ﴿**وخلق الجان من مارج من نار**﴾: ﴿**والجان خلقناه من قبل من نار السموم فبأي آلاء ربكما تكذبان؟! رب المشرقيْنِ ورب المغربيْنِ**﴾: مشرقيْ الشمس في الصيف والشتاء، ومغربيْها فيهما. ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان. مرج البحرين يلتقيان**﴾: خلط الله الماءين: الماء العذب والماء الملح؛ في نظر العين.. ولكن.. بينهما حاجز ـ فاصل ـ في حقيقة الأمر؛ بحيث يمكن انفصالهما عن

بعضهما بعملية التبخير الطبيعي والصناعي.. لا يبغيان بحيث يمتزجان امتزاجاً لا يمكن فصلهما عن بعضهما. وهذه حقيقة علمية توصل إليها العلم حديثاً!.. **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!.. يُخرج منهما اللؤلؤ والمرجانُ﴾**: من المائين عند مرجهما قبل انفصال كل عن الآخر، وذلك في البحار لا في الأنهار. يخرج اللؤلؤ والمرجان! وقد كانا لهما عند الناس قيمة كبيرة. **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!.. وله الجواري المنشآت في البحر كالأعلام﴾**: السفن الجاريات المرتفعات: الجاريات في البحر، المرفوعات على سطح الماء. مثل الجبال ارتفاعاً وثباتاً!.. **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!.. كل من عليها فان﴾**: كل من على الأرض من الإنس والجن والحيوان والنبات هالك فان لاَ بَقَاءَ له على هذه الأرض.. **﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾**: والبقاء الدائم خاص بالله وحده ـ سبحانه ـ ذو الجلال والإكرام!.. فهو ذو الاستغناء المطلق، والفضل الكامل المحقَّق!!.. **﴿يسأله من في السماوات والأرض﴾**: تفسير لذو الجلال والإكرام.. فكل من في السماوات والأرض محتاج إلى الله في كل شأن من شؤونه.. **﴿كل يوم هو في شأن﴾**: في كل وقت وفي كل لحظة يعطي ويحيى. وينشيء.. فشؤون الله لا يحصيها عدّ ولا يحدها حد!.. **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!.. سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾**: هذه كلمة تهديد تقال لأمر مهمّ يراد تحقيقه!. والخطاب للجن والإنس. وسمي الثقلان لثقلهما بالتكليف دون باقي المخلوقات.. فتكليفها طبعاً لا شرعاً، **﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا؟! فبأي ءالاء ربكما تكذبان؟!.. يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض.. فانفذوا.. لا تنفذون إلا بسلطان﴾**: هذا تعجيز للإنس والجن. وأنهم حين يُفرغ لحسابهم وجزائهم لا يمكن لهم الهروب والاختفاء عن المحاسب والمجازي.. فنفوذهم من أقطارالسماوات والأرض يحتاج إلى قوة؛ وهم لا يملكون أيّ قوة في ذلك اليوم العصيب العسير!.. **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!.. يُرسل عليكما شواظ من نار ونحاس.. فلا تنتصران﴾**: يرسل عليكما هذا العذاب لو فُرِضَ منكما الهروب من أقطار السماوات والأرض!!... والشواظ: القذيفة الملتهبة الحارقة.

والنحاس: المعدن المعروف المصهور.. فكل من يصب عليه ينصهر معه ويذوب.. **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!.. فإذا انشقت السماء.. فكانت وردةً**

كالدهان﴾: انصدعت وسالت وتلونت مثل الورد وذابت كما يذوب الدهان.. **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!... فيومئذٍ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾**: يوم تتصدع السماء وتذوب لا يسأل إنس ولا جان عن ذنبه.. **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!.. يعرف المجرمون بسيماهم﴾**: لا يسأل المجرم عن ذنبه بل تظهر عليه علامته واضحة جلية.. **﴿فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾**: فتجمع ناصيته مع قدميه ويرمى به في نار جهنم.. **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!.. هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون﴾**: يقال لهم هذا الكلام تبكيتاً وتقريعاً!. **﴿يطوفون بينها وبين حميم ءان﴾**: هما عذابان: الحرق بالنار والصهر بالماء الحار!!.. **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!.. ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾**: لكل من خاف ربه وقام بما أوجبه عليه من أمرٍ ونهي من الجن والإنس جنتان: جنة للإنس وجنة للجن.. **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!.. ذواتا أفنان﴾**: لكل جنة أفنان من أنواع الثمار وألوان الأشجار الجميلة العجيبة!.. **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!.. فيهما عينان تجريان﴾**: في كل جنة من جنة الإنس والجن منبع ماء يجري منساباً دون عمل وجهد.. **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!.. فيهما من كل فاكهة زوجان﴾**: في كل جنة زوجان من كل نوع من أنواع الفاكهة بحيث لا تحتاج إلى تذكير من الخارج؛ كما هو معروف في ثمار الدنيا.

لا بد من تلقيح بوساطة الإنسان أو الحشرات أو الريح!.. **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!.. متكئين على فرش، بطائنها من إستبرق، وَجَنَا الجنتين دان﴾**: حالة كون الخائفين من الفريقَيْن متكئين على فرش حريرية ـ من إستبرق ـ والإستبراق: أحسن أنواع الحرير لوناً وجمالاً. ودلالة الإستبرق على الحسن والجمال؛ لشدة لمعانه وتوهج منظره واضحة!.. ومع هذه الراحة التامة في متناولهم جَنْىُ الجنتين دون تعب من مشى، ودون صعوبة من قطف!. **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!.. فيهن قاصرات الطرف، لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾**: في قصور الجنتين أزواج من الحور قصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم لم يطأهن أحد قبلهم من الإنس والجن. والطمث: فضّ البكر بالوطء الناشىء منه دم.. **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!.. كأنهن الياقوت والمرجان﴾**: تشبيه الحور بالياقوت في حمرة الخد، وبالمرجان في بياض القدّ!. **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!.. هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾**: ما جزاء الإحسان في العمل إلا الإحسان في

الثواب. ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!**. . **ومن دونهما جنتان**﴾: ومن دون الجنتين السابقتين جنتان للإنس والجن من أصحاب اليمين. . ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!**. . **مدهامتان**﴾: جنتان خضراوانِ تضربان إلى السواد من شدة الخضرة. ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!**. . **فيهما عينان نضّاختان**﴾: في كل جنة عين فوارة بالماء. ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!**. . **فيهما فاكهة**﴾: من كل ما يتفكه به من الثمار. . ﴿**ونخل ورمان**﴾: زيادة على الفاكهة المتقدمة. . فالنخل فاكهة وغذاء، والرمان فاكهة ودواء!. . ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!**. . **فيهن خيرات حسان**﴾: في قصور تلك الجنتين نساء خيّرات حسان. . ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!**. . **حور مقصورات في الخيام**﴾: تلك الخيّرات الحسان حور مقيمات في خيام الجنة التي ليست كخيام الدنيا. . فالملوك والمترفون في الدنيا يتنزهون في خيام يجعلونها للفسحة في الحدائق والمزارع. ﴿**فبأيّ آلاء ربكما تكذبان؟!**. . **لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان**﴾: سبق بيانُ مِثلِها. ﴿**فبأيّ آلاء ربكما تكذبان؟!**. . **متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان**﴾: حالة كونهم متكئين على رفرف خضر: رقة حسن وجمال لون! وعبقري حسان: من كل غريب وعجيب!!. . ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾؟!. . إحدى وثلاثون مرة ذكرت هذه الآية!. ﴿**تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام**﴾: تبارك الله رب العالمين المنعم المتفضل بهذه الآلاء على عباده أجمعين.

مبحث الإعراب

﴿**الرحمن**﴾ مبتدَأ. ﴿**علّم**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الرحمن. والجملة خبر المبتدإ. ﴿**القرآن**﴾ مفعول به. مفعول ثانٍ. والمفعول الأول مقدر. أي: علم الرحمٰن الإنسانَ القرآن. ﴿**خلق**﴾ مثل علم في الإعراب. ﴿**الإنسان**﴾ مفعول به. والجملة مثل سابقتها. . ﴿**علمه**﴾ كذلك. ﴿**البيان**﴾ مفعول ثانٍ. والمفعول الأول الضمير المتصل بالفعل. ﴿**الشمس**﴾ مبتدأ. ﴿**والقمر**﴾ معطوف على الشمس. ﴿**بحسبان**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**والنجم**﴾ معطوف على الشمس. ﴿**والشجر**﴾ معطوف على النجم. ﴿**يسجدان**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر النجم والشجر. . وجملتا الشمس والقمر بحسبان. والنجم والشجر يسجدان خبران آخران للرحمٰن. ﴿**والسماء**﴾ مفعول بفعل مقدر، يفسره ما بعدها ﴿**رفعها**﴾

فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على الرحمٰن. ﴿**ووضع**﴾ معطوف على ما قبله. ﴿**الميزان**﴾ مفعول به. وجملة والسماء رفعها معطوفة على جملة الشمس والقمر بحسبان.. ﴿**أن**﴾ تفسيرية. ﴿**لا تطغوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النهي الجازم، والجملة مفسَّرة بأنْ لا محل لها من الإعراب. ﴿**في الميزان**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**وأقيموا**﴾ أمر موجه إلى المخاطبين. معطوف على النهي قبله. ﴿**الوزن**﴾ مفعول به. ﴿**بالقسط**﴾ متعلق بأقيموا. ﴿**ولا تخسروا الميزان**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النهي الجازم. وجملة النهي معطوفة على جملة الأمر. ﴿**والأرض**﴾ مثل والسماء في الإعراب. ﴿**وضعها**﴾ مثل رفعها.. ﴿**للأنام**﴾ متعلق بوضعها. ﴿**فيها**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**فاكهة**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة مستأنفةٌ بَيَانٌ لما قبلها. ﴿**والنخل**﴾ مبتدأ. ﴿**ذات**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**الأكمام**﴾ مضاف إلى ذات. ﴿**والحب**﴾ معطوف على النخل. ﴿**ذو**﴾ خبر الحبّ. ﴿**العصف**﴾ مضاف إلى ذو. ﴿**والريحان**﴾ معطوف على ذو بحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه.. وجملتا النخل والحب معطوفتان على جملة فيها فاكهة. ﴿**فبأي**﴾ الفاء للتعقيب والترتيب. والجار والمجرور متعلق بتكذبان الآتي.. ﴿**آلاء**﴾ مضاف إلى أيّ. ﴿**ربكما**﴾ مضاف إلى آلاء. والضمير فيه مضاف إليه.. ففي هذا الكلام ثلاث إضافات. ﴿**تكذبان**﴾ فعل وفاعل. وتقدير الكلام: فتكذبان بأي آلاء ربكما؟!.. ففيه تعجيب من حال الإنس والجن؛ لتكذيبهم نعم الله في الخلق والرزق والتعليم والبيان.

﴿**خلق**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على ربكما.. ﴿**الإنسان**﴾ مفعول به. ﴿**من صلصال**﴾ متعلق بخلق. ﴿**كالفخار**﴾ الكاف بمعنى مثل في محل جر نعت لصلصال. والفخار مجرور بالكاف. ﴿**وخلق الجان من مارج**﴾ معطوف على خلق الإنسان من صلصال. وهو مثله في الإعراب. ﴿**من نار**﴾ بيان لمارج. فبأي آلاء.. الخ.. ﴿**رب**﴾ خبر لمبتدإٍ محذوف. أي: هو ربُّ ﴿**المشرقين**﴾ مضاف إلى رب. ﴿**ورب المغربين**﴾ معطوف على رب المشرقين.. فبأي آلاء.. الخ الآية. ﴿**مرج**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على رب. ﴿**البحرين**﴾ مفعول به. ﴿**يلتقيان**﴾ فعل وفاعل. والجملة حال من البحرين. ﴿**بينهما**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**برزخ**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**لا يبغيان**﴾ فعل وفاعل دخل عليه

حرف النفي. والجملتان حال مثل الحال الأولى. فبأي آلاء.. الخ. ﴿**يخرج**﴾ فعل مضارع مبنيّ للمجهول. ﴿**منهما**﴾ متعلق بيخرج. ﴿**اللؤلؤ**﴾ نائب الفاعل. ﴿**والمرجان**﴾ معطوف عليه. ﴿**فبأي آلاء..**﴾ الخ. ﴿**وله**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**الجواري**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**المنشآت**﴾ نعت للجواري. ﴿**في البحر**﴾ متعلق بما قبله. ﴿**كالأعلام**﴾ الكاف بمعنى مثل في محل نصب حال من الجواري. والأعلام مجرور بالكاف. ﴿**فبأي آلاء..**﴾ إلخ. ﴿**كل**﴾ مبتدأ. ﴿**من**﴾ في محل جر مضاف إلى كل. ﴿**عليها**﴾ متعلق بمحذوف صلة مَنْ. ﴿**فانٍ**﴾ خبر المبتدإِ. وأصل فانٍ فاني استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان الياء الساكنة والتنوين فحذفت الياء. ﴿**ويبقى وجه**﴾ فعل وفاعل معطوف على فان.. ﴿**ربك**﴾ مضاف إلى وجه. ﴿**ذو**﴾ نعت لوجه. ﴿**الجلال**﴾ مضاف إلى ذو. ﴿**والإكرام**﴾ معطوف على الجلال. ﴿**فبأي آلاء..**﴾ الخ. ﴿**يسأله**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**من**﴾ في محل رفع فاعل. ﴿**في السماوات**﴾ متعلق بمحذوف صلة مَنْ. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**كل**﴾ منصوب على الظرفية لإضافته إلى ﴿**يوم**﴾.. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**في شأن**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإِ. وهو متعلق الظرف ـ كل ـ أيضاً. ﴿**فبأي ءالاء..**﴾ الخ. ﴿**سنفرغ**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. ﴿**لكم**﴾ متعلق بسنفرغ.

﴿**أيها**﴾ منادى حذف منه حرف النداء مبني على الضم في محل نصب وها للتنبيه. ﴿**الثقلان**﴾ نعت لأيُّ باعتبار لفظها مرفوع بالألف لأنه مثنى. ﴿**فبأي آلاء..**﴾ الخ. ﴿**يا معشر**﴾ منادى منصوب بالفتحة لإضافته إلى ﴿**الجن**﴾.. ﴿**والإنس**﴾ معطوف على الجن. ﴿**إن استطعتم**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الشرط. ﴿**أن تنفذوا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه أن المصدرية الناصبة. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول باستطعتم. ﴿**من أقطار**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**السماوات**﴾ مضاف إلى أقطار. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**فانفذوا**﴾ أمر موجه إلى جماعة الجن والإنس. والجملة جواب الشرط. والفاء رابط للجواب. ﴿**لا تنفذون**﴾ فعل وفاعل منفي بلا. ﴿**إلا بسلطان**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**فبأي آلاء..**﴾ الخ. ﴿**يرسل**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿**عليكما**﴾ متعلق بيرسل. ﴿**شواظ**﴾ نائب الفاعل. ﴿**من نار**﴾ بيان لشواظ. ﴿**ونحاس**﴾ معطوف على شواظ. ﴿**فلا تنتصران**﴾ فعل وفاعل دخل عليه

حرف النفي وفاء التعقيب. ﴿**فبأي آلاء..**﴾ الخ. ﴿**فإذا**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿**انشقت السماء**﴾ فعل وفاعل. ﴿**فكانت**﴾ السماءُ. ﴿**وردة**﴾ خبر كانت. ﴿**كالدهان**﴾ الكاف في محل نصب نعت لوردةً. والدهان مجرور بالكاف. وجملة فكانت وردة.. جواب شرط إذا. والفاء رابط للجواب. ﴿**فبأي آلاء..**﴾ الخ. ﴿**فيومئذٍ**﴾ يوم إذ تنشق السماءُ ﴿**لا يسأل**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿**عن ذنبه**﴾ متعلق به. ﴿**إنس**﴾ نائب الفاعل. ﴿**ولا جان**﴾ معطوف على إنس. والجملة تعقيب على ما قبلها بالفاء. ﴿**فبأي آلاء..**﴾ الخ. ﴿**يعرف**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿**المجرمون**﴾ نائب الفاعل. ﴿**بسيماهم**﴾ متعلق بيعرف. ﴿**فيؤخذ**﴾ مرتب على يُعرف. ﴿**بالنواصي**﴾ الجار والمجرور ناب عن الفاعل. أي: بنواصيهم. ﴿**والأقدام**﴾ معطوف على النواصي. ﴿**فبأي آلاء..**﴾ الخ. ﴿**هذه**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**جهنم**﴾ خبره. ﴿**التي**﴾ في محل رفع نعت لجهنم. ﴿**يكذب**﴾ فعل مضارع. ﴿**بها**﴾ متعلق به، ﴿**المجرمون**﴾ فاعل. والجملة صلة التي. ﴿**يطوفون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**بينها**﴾ متعلق بيطوفون. ﴿**وبين**﴾ معطوف على بينها.

﴿**حميم**﴾ مضاف إلى بين. ﴿**آن**﴾ نعت لحميم. وأصل آنٍ آني. حذفت كسرة الياء هنا لثقلها فالتقى ساكنان الياء الساكنة والتنوين فحذفت الياء لالتقاء الساكنين. ﴿**فبأي آلاء..**﴾ الخ. ﴿**ولمن**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**خاف**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**مقام**﴾ مفعول به. ﴿**ربه**﴾ مضاف إلى مقام. وجملة خاف صلة مَنْ. ﴿**جنتان**﴾ مبتدأ مؤخر. مرفوع بالألف.. ﴿**فبأي آلاء..**﴾ الخ. ﴿**ذواتا**﴾ نعت لجنتان. ﴿**أفنان**﴾ مضاف إلى ذواتا. ﴿**فبأي آلاء..**﴾ الخ. ﴿**فيهما**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**عينان**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة نعت ثانٍ «لجنتان». ﴿**تجريان**﴾ فعل وفاعل. والجملة نعت «لعينان». ﴿**فبأي آلاء..**﴾ الخ. ﴿**فيهما من كل**﴾ متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿**فاكهة**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**زوجان**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة نعتٌ، مثل ما قبلها. ﴿**فبأي آلاء..**﴾ الخ. ﴿**متكئين**﴾ حال من ضمير خاف مقام باعتبار معنى مَنْ. ﴿**على فرش**﴾ متعلق بمتكئين. ﴿**بطائنها**﴾ مبتدأ. ﴿**من إستبرق**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإِ والجملة نعت لفرش. ﴿**وجنا**﴾ مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على الألف. ﴿**الجنتين**﴾ مضاف إلى جَنَا. ﴿**دانٍ**﴾ خبر المبتدإ. ودانٍ مثل فانٍ وآنٍ المتقدمتين. ﴿**فبأيِّ آلاء..**﴾ الخ.. ﴿**فيهن**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**قاصرات**﴾ مبتدأ

مؤخر. ﴿**الطرف**﴾ مضاف إلى قاصرات. ﴿**لم يطمثهن**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**إنس**﴾ فاعل. ﴿**قبلهم**﴾ متعلق بيطمث.. ﴿**ولا جانٌّ**﴾ معطوف على إنس. ﴿**فبأي آلاء..**﴾ الخ. ﴿**كأنهن**﴾ كأن واسمها. ﴿**الياقوت**﴾ خبرها. ﴿**والمرجان**﴾ معطوف على الياقوت. وهذه الجملة والتي قبلها حالان من قاصرات الطرف. ﴿**فبأي آلاء..**﴾ الخ. ﴿**هل**﴾ ما ﴿**جزاء**﴾ مبتدأ. ﴿**الإحسان**﴾ مضاف إلى جزاء. ﴿**إلا الإحسان**﴾ خبر المبتدإِ. والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها. ﴿**فبأي آلاء..**﴾ الخ. ﴿**ومن دونهما**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**جنتان**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**فبأي آلاء..**﴾ الخ. ﴿**مدهامتان**﴾ نعت «لجنتان».

﴿**فيهما**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**عينان**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة نعت ثانٍ «لجنتان». ﴿**نضاختان**﴾ نعت لـ «عينان» ﴿**فبأي آلاء..**﴾ الخ. ﴿**فيهما فاكهة**﴾ مثل فيهما عينان في الإعراب. ﴿**ونخل ورمان**﴾ معطوفان على فاكهة. ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾. ﴿**فيهن خيرات**﴾ مثل ما سبق من فيهما.. ﴿**حسان**﴾ نعت لخيرات. فبأي آلاء.. الخ. ﴿**حور**﴾ بدل من خيرات. ﴿**مقصورات**﴾ نعت لحور. ﴿**في الخيام**﴾ متعلق بمقصورات. فبأي آلاء.. الخ. ﴿**لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان**﴾ تقدم إعراب مثله. ﴿**فبأي آلاء..**﴾ الخ. ﴿**متكئين**﴾ حال من فاعل فعل مقدّر. والتقدير: يتنعم أهل الجنتين متكئين، ﴿**على رفرف**﴾ متعلق بمتكئين. ﴿**خضر**﴾ نعت لرفرف. ﴿**وعبقري**﴾ معطوف على رفرف.. ﴿**حسان**﴾ نعت لعبقري. ﴿**فبأي آلاء..**﴾ الخ. ﴿**تبارك**﴾ اسم فعل وفاعل. ﴿**ربك**﴾ مضاف إلى اسم. ﴿**ذي**﴾ نعت لربك. مجرور بالياء. ﴿**الجلال**﴾ مضاف إلى ذي. ﴿**والإكرام**﴾ معطوف على الجلال.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**الرحمان..**﴾ فهذا الاسم مرتبط بمليك مقتدر آخر السورة السابقة. ﴿**علم القرآن**﴾.. مرتبط بقوله تعالى: ﴿**ولقد يسرنا القرآن للذكر..**﴾ فكرر في السورة السابقة ولقد يسرنا القرآن للذكر.. وكرر في هذه فبأي آلاء ربكما تكذبان.. الرحمان.. كلمة واحدة في معناها الرحمة!.. وفي لفظها ورنتها الإعلان والإعلام!.. والسورة بعد ذلك بيان للمسات الرحمة ومعرض لآلاء الرحمان!..

ويبدأ معرض الآلاء بتعليم القرآن بوصفه النعمة الكبرى على الإنسان تسبق في الذكر خلق الإنسان: ﴿**علم القرآن**. .﴾ ثم يذكر خلق الإنسان، ومنْحَه الصفة الإنسانية الكبرى: ﴿**خلق الإنسان علمه البيان**. .﴾ ومن ثم يفتح صحائف الوجود في هذا العرض المشهود. . الصحائف الناطقة بآلاء الله الحق المعبود!. . ثم يأخذ السياق في بيان وتفصيل آلاء الرحمٰن في المعرض الكوني العام: ﴿**الشمس والقمر بحسبان**. .﴾ فهنا تتجلى دقة التقدير مع رقة التعبير، في تنسيق التكوين والحركة، بما يملأ القلب روعة ودهشة، وشعوراً بضخامة هذه الإشارة الوجيزة البسيطة؛ وما في طياتها من حقائق بعيدة الآماد عميقة الأغوار. . ﴿**والنجم والشجر يسجدان**﴾: وصلت هذه الجملة بالعطف على الجملة التي قبلها؛ لتناسبهما من حيث التقابل؛ إذ أن الشمس والقمر علويّان، والنجم والشجر سفليّان. وقد كانت الإشارة السابقة إلى الحساب والتقدير، والإشارة الثانية إلى الانقياد والتسخير: إن هذا الوجود مرتبط ارتباط العبودية والعبادة بمصدره الأول وخالقه المبدع الحكيم الخبير.

﴿**والسماء رفعها**﴾: وصل الكلام بالعطف على ما قبله. . فالإشارة إلى السماء هنا تقصد إلى تنبيه القلب الغافل، وإنقاذه من بلادة الألفة، وإيقاظه لعظمة هذا الكون الكبير!!. . فالإشارة إلى السماء ـ أيا كان مدلول السماء ـ توجه النظر إلى أعلى: إلى هذا الفضاء الهائل السامق الذي لا تبدو له حدود معروفة، والذي تسبح فيه ملايين الملايين من الأجرام الضخمة. . فلا يلتقي منها اثنان، ولا تصطدم مجموعة منها بمجموعة!!. . وإلى جوار هذه العظمة في رفع هذه السماء الهائلة الواسعة ﴿**ووضع الميزان! : ألاّ تطغوا في الميزان. . وأقيموا الوزن بالقسط، ولا تخسروا الميزان**. .﴾ فشرع الله العدل وأمر به: ألا تطغوا في الميزان. . فوفَّى كُلَّ ذي حقٍّ حقَّه. . حتى انتظم به أمر العالَم واستقام. وفي مقدمة هذا الميزان القرآن. ﴿**الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان**﴾ ﴿**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان؛ ليقوم الناس بالقسط!**﴾ أمر الله أولاً بالتسوية. . ثم نهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة. . ثم عن الخسران الذي هو تطفيف وخسران. وكُرّر لفظ الميزان تشديداً للتوصية به، وتأكيداً للأمر باستعماله والحث عليه. ومن ثَمّ يستقر الوزن بالقسط بلا طغيان ولا خسران. ومن ثَمَّ يرتبط في الأرض وفي حياة البشر. ويرتبط بالسماء: في مدلولها الغيبي حيث ينزل منها وحي الله ونهجه. . ومدلولها الحسي المنظور حيث تمثل ضخامة هذا الكون وثباته

بأمر الله وقدرته وعلمه وحكمته!.. ﴿**والأرض وضعها للأنام. فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام**﴾: وصلت هاتان الآيتان بالعطف على ما قبلهما من آيات السماء والميزان تنبيهاً وتذكيراً للناس بمنافع الأرض ذاتها وبما فيها: فيها فاكهة.. فهذه الجملة استئناف مسوق لتقرير ما أفادته الجملة السابقة من كون الأرض موضوعة لمنافع الأنام، وتفصيل المنافع العائدة إلى البشر. وجملتا: والنخل ذات الأكمام.. والحب ذو العصف والريحان: هما تفصيل لَمَا عُمّمَ من جملة فيها فاكهة؛ لما في النخل من فوائد للأنام، وما فيها من دلائل على نعم الله ذي الجلال والإكرام. ولما في الحب من منافع القوت للإنسان والحيوان.. وَلِمَا فيها من دلائل بديع الخلق من الهيئة واللون والرائحة لكل نوع مما يدل على وحدة خلق الرحمٰن!.. ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾؟!.. فإذا كان الأمر كما فصّل من تعداد أنعم الله وءالائه: تعليم القرءان. وخلق الإنسان. وتعليمه البيان. وتنسيق الشمس والقمر بحسبان. ورفع السماء ووضع الميزان.

ووضع الأرض للأنام وما فيها من فاكهة ونخل وحب ذي لون وريحان.. عند هذا المقطع يهتف بالجن والإنسان بهذا السؤال على سبيل التسجيل والإشهاد.. فما يملك إنس ولا جان أن يكذب بآلاء الرحمٰن!.. ثم ينتقل السياق من الامتنان على الإنس والجن بآلاء الله في الكون إلى الامتنان عليهما بآلائه في ذوات أنفسهما، وفي خاصة وجودهما وإنشائهما: ﴿**خلق الإنسان من صلصال كالفخار. وخلق الجان من مارج من نار**..﴾ فحين يمتن الله على الإنس والجن بنعمة الإيجاد والإنشاء، فإنما يمتن عليهما بالنعمة التي تفوق حد الإدراك.. فقد كان آدم ـ أول البشر ـ خلق من تراب، كما هو نص قاطع في القرآن. وقد أثبت العلم حديثاً أن جسم الإنسان يحتوي من العناصر ما تحتويه الأرض؛ كما هو نص قاطع في القرآن: منها خلقناكم.. غير أن هذا الذي أثبته العلم لا يجوز أن يؤخذ على أنه التفسير الحتمي للنص القرءاني.. فالقرآن معجز سواء طابقت الكشوف العلمية المتأرجحة نصوصه الثابتة أم لم تطابقها.. فكل ما يستفاد من الكشوف العلمية في تفسير نصوص القرآن؛ هو توسيع مدلولها في تصورنا، كلما أطلعنا العلم على شيء مما تشير إليه إشارات مجملة من آيات الله في الأنفس والآفاق؛ دون أن يحمل النص القرآني على أن مدلوله هو هذا الذي كشفه العلم.. إنما جواز أن يكون هذا بعض ما يشير إليه.. فأما خلق الجان من مارج من نار فمسألة

خارجة عن حدود العلوم البشرية. والمصدر الوحيد فيها هو هذا القرآن. خبر الله الصادق الذي خلق وهو أعلم بمن خلق!. والخطاب هنا للجن والإنس؛ لتذكيرهما بنعمة الوجود، كلٌّ من الأصل الذي أنشأه الله منه. وهي النعمة التي تقوم عليها سائر النعم.

ومن ثَمَّ يعقب عليها السياق بتعقيب التسجيل والإشهاد العام: ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾؟!.. ﴿**رب المشرقين ورب المغربين**﴾: ربوبية الله للمشرقين والمغربين بعض نعمه على الإنسان في هذا الكون. ولعل الجان كذلك.. ومن ثم يجيء التعقيب المعهود في السورة، بعد هذه اللفتة القصيرة: ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾؟!.. مما في ذلك من فوائد لا تحصى من اعتدال الهواء واختلاف الفصول، وحدوث ما يناسب كل فصل في وقته.. إلى غير ذلك.. ﴿**مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان**﴾: من أعظم نعم الله على الأنام: أن جعل الماء سبب حياة كل حي من نبات وحيوان.. فالبحران: ماء البحر الملح الأجاج. وماء المطر العذب الفرات.. فبعضه يصب على البحر، وبعضه يكون أنهاراً تصب في البحر. وهذان الماآن يختلطان في نظر العين.. ولكنهما لا يمتزجان امتزاجاً لا يمكن فصلُهما.. بل ثبت بالتجربة العملية فصلُ الماء العذب عن الماء الملح.. كما هو الواقع المشاهد في عملية الأمطار في جميع الأمصار. ولا شك أن هذه الحقيقة العلمية أشار إليها القرآن للتحدّي والاعتبار. فلا عجب هنا أن يذكر السياق البحرين وما بينهما من برزخ يمنع المزج، ومن مزج في الظاهر بينهما برزخ في نفس الأمر، لا يبغي أحد الماءين على الماء الآخر لما فيه من خاصية المنع والحجز!. وأن يجعلهما في مجال الآلاء التي لا تقبل التكذيب: ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾؟!.. ﴿**يُخرج منهما اللؤلؤ والمرجان**﴾: من فوائد البحر، ومن نعم الله على الأنام إخراج هذه الزينة: اللؤلؤ والمرجان.. فهي نعمة اقتصادية عظيمة.. فيتخذ من اللؤلؤِ والمرجان حلى غالية الثمن عالية القيمة.. فيمتن الله على عباده بهما؛ ويعقب على ذكرهما في السورة ذلك التعقيب المشهود: ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾؟!.. ثم ينتقل السياق إلى الفلك التي تجري في البحار كأنها لضخامتها الجبال: ﴿**وله الجواري المنشَآت في البحر كالأعلام**..﴾ فهذه من أضخم النعم التي من الله بها على الأنام.. فيسرت لهم من أسباب الحياة والانتقال والرفاهية والكسب ما هو جدير بأن يذكر ولا ينكر: ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾؟!.. فالآن

ينتهي هذا الاستعراض في صفحة الكون المنظور، وتطوى صفحة الكون الفاني، وتتوارى أشباح الخلائق جميعاً، ويفرغ المجال من كل حيّ؛ ويتجلى وجه الكريم الباقي منفرداً بالبقاء، منفرداً بالجلال: ﴿**كل من عليها فانٍ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام. .**﴾ ثم يعقب على هذه اللمسة العميقة الأثر بنفس التعقيب. . فيعُدَّ استقرار هذه الحقيقة: حقيقة الفناء لكل من على الأرض، وبقاء الوجه الجليل الكريم وحدَهُ. . فيعد النص استقرار هذه الحقيقة نعمة يواجه بها الجن والإنس في معرض الآلاءِ: ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾؟!. . فمن حقيقة البقاء الدائم وراء الخلق الفاني تنبثق حقيقة أخرى. . فكل أبناء الفناء. . إنما يتجهون في كل ما يقوم بوجودهم إلى الواحد الباقي الحي القيوم: ﴿**يسأله من في السماوات والأرض. .**﴾ فهو صاحب التدبير. وصاحب التدبير لا يشغله شأن عن شأن: ﴿**كل يوم هو في شأن. .**﴾ فمن هذا الشأن شأن العباد في الأرض من إنس وجان. . فمن ثَمّ يواجهما السياق بهذه النعمة مواجهة التسجيل والإشهاد: ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾؟!. . ثم يبدأ مقطع جديد.

فيه تهديد وفيه وعيد. تمهيداً لهول القيامة الذي يطالع الثقلين في سياق السورة بعد هذا التمهيد: ﴿**سنفرغ لكم أيها الثقلان. .**﴾ والله ـ سبحانه ـ ليس مشغولاً فيفرغ. وإنما هو تصوير وتمثيل بتقريب الأمر للتصور البشري. . كما نقول باللسان الدارج: تَوْنَلهْىَ بيك. ونْورّيك!. . وفي سياق هذا الهول الرعيب يَسأَلُ الثقلين الضعيفين: ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾؟!. . ثم يمضي السياق في الإيقاع المرعب المزلزل، يتحداهما أن ينفذا من أقطار السماوات والأرض: ﴿**يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض. . فانفذوا. . لا تنفذون إلا بسلطان. .**﴾ فلا يملك السلطان إلا صاحب السلطان!. . ومرة أخرى يواجههما بالسؤال: ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾؟!. . ولكن الجملة الساحقة تستمر إلى نهايتها، والتهديد الرهيب يلاحقها: ﴿**يرسل عليكما شواظ من نار ونحاسٌ. . فلا تنتصران. . فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾؟!. . فهذه الجمل صور من الهول فوق مألوف البشر!. وهي صور أعنف وأقوى وأرعب وأدهى مما وقع في القرآن من صور التهديد والوعيد!.

ومن هنا إلى نهاية السورة تبدأ مشاهد اليوم الآخر: مشهد الانقلاب الكوني؛

وما يعقبه من مشاهد الحساب، ومشاهد العقاب والثواب: ﴿**فإذا انشقت السماء.. فكانت وردة كالدهان..**﴾ فهذه الآية وغيرها كثير تشير إلى ذلك الانقلاب الخطير.. فلا يعلم إلا الله حقيقة ذلك الأمر الكبير!!.. ﴿**فيومئذٍ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جانٌ!.. فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾؟!.. فهو يوم يعرف فيه المجرم بسمته وهيئته: ﴿**يعرف المجرمون بسيماهم.. فيؤخذ بالنواصي والأقدام**﴾!.. ففي هذا الموقف لا تكذيب ولا نكران.. فهو مشهد عنيف، ومع العنف الهوان: حيث تجمع الأقدام إلى الجِبَاهِ.. ثم يقذف بها على هذه الهيئة إلى النيران!. وبينما المشهد معروض.. يلتفت السياق إلى شهود هذا الاستعراض، وكأنهم حاضرون عند تلاوة السورة فيقول لهم: ﴿**هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون.. يطوفون بينها وبين حميم آنٍ!!.. فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!.. ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان**﴾: هذا شروع في تعداد الآلاء الفائضة على الجن والإنس في الآخرة بعد تعداد ما وصل إليهما في الدنيا من الآلاء الدينية والدنيوية، واعلم أن ما عدد فيما بين هذه الآية وبين خاتمة السورة الكريمة من فنون الكرامات؛ كما أن أنفسها آلاء جليلة واصلة إليهم في الآخرة؛ كذلك حكاياتها الواصلة إليهم في الدنيا آلاء عظيمة؛ لكونها داعية لهم إلى السعي في تحصيل ما يؤدي إلى نيلها من الإيمان والطاعة. وأن ما فصّل من فاتحة السورة الكريمة إلى قوله تعالى: ﴿**كل يوم هو في شأن**﴾ من النعم الدينية والدنيوية﴾، الأنفُسيّة والآفاقية آلاء جليلة واصلة إليهم في الدنيا. وكذلك حكاياتها من حيثُ إيجابُها للشكر، والمثابرة على ما يؤدي إلى استدامتها. وأما ما عدّد فيما بين قوله تعالى سنفرغ لكم أيها الثقلان، وبين هذه الآية ـ ولمن خاف ...ـ من الأحوال الهائلة التي ستقع في الآخرة فليست هي من قبيل الآلاء.. وإنما الآلاء حكاياتها الموجبة للانزجار عما يؤدي إلى الابتلاء بها من الكفر والمعاصي؛ كما أشير إليه في تضاعيف تعدادها.. والجنتان هنا لمن خاف مقام ربه من الإنس، ولمن خاف مقام ربه من الجن؛ فإن الخطاب في هذه السورة للفريقين من الثقلين.. فقد وصفت هاتان الجنتان بأوصاف جليلة عظيمة: ذواتا أفنان.. فيهما عينان تجريان.. فيهما من كل فاكهة زوجان.. وبين كل وصف ووصف: فبأيّ آلاء ربكما تكذبان.. ثم بعد وصف الجنتين يأتي وصف أهلهما من الثقلين: ﴿**متكئين على فرش بطائنها من إستبرق..**﴾ فهم في راحة تامة.. حتى في تناول الثمار:

﴿**وجنا الجنتين دانٍ. . فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾؟!. . ومع الراحة والنعيم التنعم بقاصرات الطرف في القصور والخدور في بهجة وسرور: ﴿**فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان!. . فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!. . كأنهن الياقوت والمرجان**﴾!!. . فهذه أوصاف نساء أهل الجنتين من الثقلين. . ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!. . هل جزاء الإحسان إلا الإحسان**﴾: استئناف مقرر لمضمون ما فُصّل قبله من وصف الجنتين، ووصف أهلهما من الثقلين. والمعنى: ما جزاء الإحسان في العمل إلا الإحسان في الثواب. . ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾؟!. .

﴿**ومن دونهما جنتان**﴾: ومن دون تَيْنَك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين من الثقلين جنتان أخريان لأصحاب اليمين من الثقلين. . ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!. . مدهامتان**﴾: وصف للجنتين بالخضرة المتناهية. . ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!. . فيهما عينان نضاختان**﴾: وصف ثان للجنتين، ينضخ الماء من عين كل جنة. . ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!. . فيهما فاكهة ونخل ورمان**﴾. ففي كل جنة من الجنتين فاكهة متنوعة ونخل ورمان زيادة في بيان فضلهما. ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!. . فيهن خيرات حسان**﴾: في قصور الجنتين نساء خيّرات حسان: ﴿**حور مقصورات في الخيام. .**﴾ وجملة ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ اعترضت بين البدلَيْن. . ﴿**لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان. . فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!. . متكئين على رفرق خُضْرٍ وعبقري حسان**﴾: أحسن وأجمل وأزهى فرش يتكىء عليه المنعَّم المكرم. وهذه الأوصاف التي ذكرت للجنتين الأخيرتين من أحسن ما يوصف به مساكن الريف في أجمل وقت من أوقات الربيع النزيهة الوافرة بأنواع الخيرات، العامرة بالنساء الحسناوات الخيرات!. . ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!. . تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام. .**﴾ ففي هذا الكلام براعة المقطع وحسن الختام. وفي ذكر اسم ربك ربط آخر السورة بأولها. . وإضافته إلى الرسول من تمام الإكرام!. .

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿**الرحمن علم القرآن، خلق الإنسان علمه البيان. .**﴾: في هذا التوجيه إعلان عام في ساحة الوجود الكبير. وإعلام بآلاء الله الباهرة الظاهرة في جميل صنعه وإبداع خلقه وفي فيض نعمائه؛ وفي تدبيره للوجود وما فيه، وتوجه

الخلائق كلها إلى وجهه الكريم. ويبدأ معرض الآلاء بتعليم القرآن بوصفهِ المنة الكبرى على الإنسان.. ثم يذكر خلق الإنسان ومنحه الصفة الإنسانية الكبرى: البيان!.. فهذه هي النعمة الكبرى التي تتجلى فيها رحمة الرحمٰن بالإنسان: القرآن الذي يفتح حواسه وإدراكه.. والبيان الذي يعبر به عما في ضميره.. فقدم تعليم القرآن على خلق الإنسان وتعليمه البيان.. ولكن كيف ينطق الإنسان باللفظ الواحد؟ إنها عملية معقدة كثيرة المراحل والخطوات والأجهزة؛ مجهولة في بعض المراحل خافية حتى الآن!..

ثم يستعرض السياق في بيان آلاء الرحمٰن في المعرض الكوني العام: ﴿**الشمس والقمر بحسبان..**﴾ فحجم الشمس ودرجة حرارتها وبعدها عنا.. وكذلك حجم القمر وبعده ودورته.. كلها محسوبة حساباً كامل الدقة بالقياس إلى آثارهما في حياة الأرض التي يعيش عليها الإنسان. ﴿**والنجم والشجر يسجدان**﴾: إن هذا الوجود مرتبط ارتباط العبودية والعبادة بالله مصدره الأول وخالقه المبدع، والنجم والشجر نموذجان منه.. فالكون كله يتجه إلى مبدعه بحركة روحه بالانقياد والتسبيح: ﴿**يسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن.. وإن من شيء إلا يسبح بحمده.. ولكن لا تفقهون تسبيحهم**﴾ ﴿**ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات.. كلٌّ قد علم صلاته وتسبيحه**﴾ فهذه إشارة ذات أبعاد وآماد وأعماق!.. ﴿**والسماء رفعها ووضع الميزان..**﴾ فالإشارة إلى السماء أيا كان مدلول السماء توجّه النظر إلى أعلى إلى هذا الفضاء الهائل السامق الذي لا تبدو له حدود معروفة.. ﴿**أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها..**﴾؟!. ووضع الميزان: وضع الله الميزان لتقدير القيم: قيم الأشخاص والأحداث والأشياء؛ كي لا يختل تقويمها ولا يضطرب وزنها فوضعه في الفطرة ووضعه في هذا المنهج الإلهي الذي جاءت به الرسالات وتضمنه القرآن: ﴿**ألا تطغوا في الميزان.. وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان**﴾، ومن ثَمّ يرتبط الحق في الأرض وفي حياة البشر: ﴿**والأرض وضعها للأنام: فيها فاكهة..**﴾ فقد يسر الله لهم فيها الحياة وقدر فيها أقواتها التي يذكر منها هنا الفاكهة، ويخص منها النخل ذات الأكمام: ﴿**والنخل ذات الأكمام**﴾؛ ليشير إلى جمال هيئتها بجانب فائدة ثمرتها.. ثم يذكر الحب بما فيه من لون ورائحة تميز بعضَه من بعض: ﴿**والحب ذو العصف والريحان!.. فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾؟!.. فعند هذا

المقطع يهتف بالجن والإنسان في مواجهة الكون وأهل الكون.. ﴿**خلق الإنسان من صلصال كالفخار. وخلق الجان من مارج من نار**﴾: الخطاب هنا للجن والإنس؛ لتذكيرهما بنعمة الإيجاد بعد تذكيرهما بنعمة الإمداد. وهي النعمة التي تقوم عليها سائر النعم. ومن ثم يعقب عليها بتعقيب التسجيل والإشهاد: ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!.. رب المشرقين ورب المغربين**﴾: فهذه الإشارة التي تملأ القلب بفيض غامر من الشعور بوجود الله حيثما توجه وحيثما تلفت وحيثما امتد النظرُ حوله في الآفاق.. فحيث الشروق وحيث الغروب هناك الله: ربوبيته ومشيئته وسلطانه، ونوره وتوجيهه وهدايته!!. وربوبية الله للمشرقين والمغربين بعض آلائه في هذا الكون.

ومن ثم يجيء التعقيب المعهود: ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾؟!.. ومن هذه الجولة البعيدة في الآفاق يعود السياق إلى الأرض وما فيها من ماء جعله الله بِقَدَرٍ: قدر في نوعه، وقدر في تصريفه، وقدر في الانتفاع به: ﴿**مرج البحرين يلتقيان. بينهما برزخ لا يبغيان..**﴾ فتقسيم الماء على هذا النحو في الأرض لم يجيء مصادفة ولا جزافاً.. فهو مقدر تقديراً عجيباً.. فلا عجب يذكر السياق البحرين وما بينهما من برزخ في مجال الآلاء: ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾؟!.. ثم يذكر من آلاء الله في البحرين بعضَ ما هو قريب من الناس في حياتهم: ﴿**يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان..**﴾ فاللؤلؤ والمرجان في حياة الناس لهما قيمة اقتصادية عظيمة بما فيهما من مظهر الزينة، وجمال القنية، ورفاهية الحياة الناعمة!.. ﴿**وله الجواري المنشآت في البحر كالأعلام**﴾: إن هذه السفن الجواري في البحر المرتفعة على سطحه لله سبحانه وتعالى.. فهي تجري بقدرته. ولا يحفظها في خضمّ البحر وتيج الموج إلا حفظه، ولا يقرها على سطحه المتماوج إلا كلاءته.. فهي له سبحانه وتعالى!.. فهذا من الوضوح والظهور بحيث يُستغرب التكذيبُ به والإنكار: ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!.. كل من عليها فانٍ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾: هذا حكم الله على كل من على الأرض بالفناء الذاتي الذي يشمل كل حي، ويطوي كل حركة. والله ذو الجلال والإكرام الباقي الدائم أزلاً وأبداً!.. فلا يملك التعبير البشري أن يصور الموقف، ولا يملك أن يزيد شيئاً على النص القرآني!.. فالقرآن وحده هو الذي يرسم مشهد الفناء لكل من على الأرض التي كانت حافلة بالحركة والحياة!. ويرسم في الوقت ذاته حقيقة البقاء

الذاتي، ويطبعها في الحس البشري الذي لا يعرف في تجاربه صورة للبقاء الدائم.. ولكنه يدركها بعمق في هذا النص القرآني العجيب!!.. فيعدُّ السياق هذه الحقيقة نعمة يواجه بها الجن والإنس في معرض الآلاء: **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾**؟.. فمن حقيقة البقاء إذن تنبثق جميع الآلاء!. **﴿يسأله من في السماوات والأرض﴾**: فالله سبحانه مناط السؤال وغيرُه لا يُسأل؛ لأنه فانٍ لا يتعلق به سؤال. يسألونه وهو وحده الذي يستجيب، وقاصده وحده هو الذي لا يخيب. وماذا يملك الفاني للفاني، وماذا يملك المحتاج للمحتاج؟!.. وهو سبحانه ـ **﴿كل يوم هو في شأنٍ..﴾** فهذا الوجود الذي لا يدرك الإنسان حدوده متعلق بمشيئة الله وتقديره وتدبيره.. فصاحب التدبير والتقدير لا يشغله شأن عن شأن. ومن هذا الشأن شأن العباد في الأرض من إنس وجان. ومن ثَمّ يواجههما بهذه النعمة مواجهة التسجيل والإشهاد: **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾**؟!..

التوجيه الثاني: **﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان..﴾**: في هذا التوجيه التهديد والوعيد الشديد للمشركين والكافرين من هؤلاء العبيد.. ففي هذا التوجيه الهول المرعب المزلزل، الذي لا يثبت له إنس ولا جانّ.. فهو أمر خطير وهول كبير!.. فهو فوق كل تصور واحتمال يتخيله الإنسان!.. فالله سبحانه وتعالى لا يشغله شأن عن شأن.. ولكن شؤون العالم في الدنيا من حياة وموت وبسط رزق وقبضه وإعطاء ما يُسأل ومنعه.. إلى غير ذلك من شؤون الله في خلقه ستوقف يوم القيامة، ويفرغ الحق سبحانه إلى جزاء المكلفين فقط. وتخويف الله عباده من هذا المصير نعمة لا تقابل بالتكذيب والتنكير: **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!.. يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض.. فانفذوا.. لا تنفذون إلا بسلطان﴾**: نداء من الله تعالى للثقلين المخاطبين بالتحذير والتهديد السابقين إن كانوا يستطيعون الآن في هذا اليوم العسير من القرار إلى أي مكان.. فينفذون من أقطار السماوات والأرض.. فليفعلوا ما بدا لهم إن كانت لهم القدرة التي تمكنهم الهروب والقرار!.. فكيف؟ وأين؟ لا تنفذون إلا بسلطان!.. فلا سلطان لإنس ولا لجان!.. **﴿فبأيّ آلاء ربكما تكذبان؟!.. يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس.. فلا تنتصران﴾**!.. فلو حاول الجن والإنس الهروب من موقف الحساب لقذفتهم جنود الرحمٰن بقذائف من نار وأمطرتهم بوابل من النحاس المصهور يصْهر الأبدان.. **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!.. فإذا انشقت السماء..﴾**

﴿**فكانت وردة كالدهان**﴾: هذه الآية من مجموع الآيات التي وردت في وصف مصير الكون يوم القيامة. وهي تشير كلها إلى وقوع دمار كامل يشمل الكون المعروف للإنسان الآن: من سماء وشمس ونجوم وأرض وجبال وبحار.. ﴿**فإذا النجوم طمست وإذا السماء فرجت وإذا الجبال نسفت**﴾ ﴿**إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت**﴾ إلى غير ذلك من الآيات التي تشير إلى ذلك الحادث الهائل الذي سيقع في الكون كله. ولا يعلم حقيقته إلا الله تعالى.. فلا تكذيب عندئذٍ ولا نكران. ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!.. فيومئذٍ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان..**﴾ فذلك في موقف من مواقف ذلك اليوم المشهود، الذي ستكون فيه مواقف شتى: منها ما يسأل فيه العباد، ومنها ما لا يسألون فيه عن شيء.. ومنها ما تجادل كل نفس عن نفسها.. ومنها ما لا يسمح فيه بكلمة ولا جدال ولا خصام.. فهو يوم طويل مديد.. فكل موقف من مواقفه هائل مشهود!.. ففي هذا الموقف: هل من تكذيب ونكران: ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾؟!.. ففي هذا الموقف تعرف صفة كل فردٍ من أفراد المجرمين.. فتبدو في وجوههم معالم الشقوة: ﴿**يعرف المجرمون بسيماهم.. فيؤخذ بالنواصي والأقدام..**﴾ فهل حين ذاك من تكذيب أو نكران: ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!.. هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون..**﴾ فهذه جهنم حاضرة يراها أهل الموقف.. ﴿**وبرزت الجحيم لمن يرى**﴾ فهؤلاء المجرمون يطوفون بين جهنم التي تحرق وبين الماء البالغ الحرارة فيه المجرم يغرق: ﴿**يطوفون بينها وبين حميم آنٍ..**﴾ فالمجرمون الآن يتراوحون بين جهنم وبين هذا السائل الآتي.. ﴿**يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به في بطونهم والجلود**﴾ فهل هذا موقف التكذيب والنكران: ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾؟!..

التوجيه الثالث: ﴿**ولمن خاف مقام ربه جنتان..**﴾: في هذا التوجيه عرض لما يلقاه المقربون من الثقلين: الإنس والجن من النعيم والتكريم، بعد عرض ما يلقاه المجرمون من الفريقين من الهوان والعذاب الأليم.. فهاتان الجنتان ﴿**ذواتا أفنان**﴾ فهما رائعتان ريّانتان نضرتان سامقتان طولاً وعرضاً!.. ﴿**فيهما عينان تجريان..**﴾ فماؤهما غزير وسهل يسير!. ﴿**فيهما من كل فاكهة زوجان..**﴾ ففي هاتين الجنتين فواكه متنوعة الأنواع والأشكال والألوان زوجان لا تحتاج إلى شيء من الخارج في تذكيرها وتأبيرها مثل ما تحتاج فواكه الدنيا.. وأهل الجنتين من

المقربين من الثقلين ما حالهم؟: ﴿**متكئين على فرش بطائنها من إستبرق**..﴾ فهو أعظم فرش يتخيلها البشر.. فعلى هذه الحالة يتناولون ثمار الجنتين من قريب دون تنقل ومشقة جنْيٍ: ﴿**وجنا الجنتين دانٍ**﴾!.. ثم هم بعد هذا كله يتنعمون في القصور في حبور مع الحور في بهجة وسرور!: ﴿**فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان**..﴾ فهن عفيفات النظر والشعور.. فهن بعد هذا ناضرات جميلات لامعات: ﴿**كأنهن الياقوت والمرجان**﴾!.. فهذه الآلاء في الجنتين للإنس والجن قد تخللها التذكير بقوله تعالى: ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾. ذلك كله جزاء من خاف مقام ربه من خشية وهيبة.. فتقرب إليه بحسن العبادة من خشوع وخضوع ومراقبة.. فنال كل من المقربين من الثقلين جزاء الإحسان من عطاء الرحمن!: ﴿**هل جزاء الإحسان إلا الإحسان**﴾!!.. وفي معرض الإنعام والإحسان يجيء التعقيب في موضعه بعد كل فقرة: ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!.. ومن دونهما جنتان**﴾: هذان جنتان لفريقين آخرين من الجن والإنس دون المقربين منهما؛ وهم أصحاب اليمين الذين سيفصّل وصفُهم في سورة الواقعة. ولا زال التعقيب مثل التعقيب الوارد في وصف الجنتين السابقتين: ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾؟!.. فهاتان الجنتان ﴿**مدهامتان**﴾: مخضرتان خضرة تميل إلى السواد من كثرة الأعشاب، وزهوها وانتشارها على أرض عظيمة الإخصاب.. فهذه من النعم التي لا يحصيها عد ولا حساب: ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!.. فيهما عينان نضاختان**﴾: في هاتين الجنتين عينان نضاختان تسقيان الأعشاب بهدوء وانسياب. وأعظم منظر منظر المياه يتساقط كالمطر على منظر خلاَّب!: ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!.. فيهما فاكهة ونخل ورمان**﴾: وفي هاتين الجنتين للإنس والجن فاكهة متنوعة عامة.. ونخل ورمان بنوع خاص.. ففي الجنتين كل ما لذ وطاب من أنواع الفواكه والثمار وأشكال الأعشاب: ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾؟!..

﴿**فيهن خيرات حسان**﴾: في مساكن الجنتين نساء خيرات في الخُلق حسان في الخَلق!: ﴿**حور مقصورات في الخيام**..﴾ فهن حور في حسنهن وجمالهن. وهن في راحة ونعيم لا يخرجن إلى قضاء حوائجهن للشمس والريح والمطر.. فالجو هنا جو بادية منعمة: تنعم بجمال الطبيعة في جمال الأعشاب وزهوها ونمائها وانتشارها؛ ولذائذ الفواكه من ثمار النخل ونتاج الرمان.. وراحة الخيام

الجميلة الرفيعة الواسعة التي تزيد الجالس والمتكىء فيها جمالاً وبهجة!. وهذه نعمة من جهتين: راحة الخيام، والتلذذ بالحور العين الأبكار الحسان: ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!.. لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان.. فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!.. متكئين على رفرف خضرٍ وعبقريّ حسان..**﴾ فهذه المتاكىء في حسنها وجمالها تشبه مناظر الأرض التي تحيط بهم بما فيها من مناظر خلابة!!.. فقد كان العرب ينسبون الشيء الجميل الغريب إلى عبقر.. ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾؟!.. فهذا جزاء أصحاب اليمين من الثقلين.. والذي قبله جزاء المقربين من الفريقين.. فمن هذا الكلام: السابق واللاحق نأخذ دليلاً واضحاً على أن الجن مكلفون؛ لأنهم من الثقلين.. وأنهم مثابون إن كانوا من المقربين أو من أهل اليمين مثل ما سيفصل في حكم الإنس من المقربين وأصحاب اليمين. ونأخذ كذلك أن للجن جنة خاصة بهم لها صفة جنة الإنس في المرتبتين: مرتبة جنة المقربين ومرتبة جنة أهل اليمين. وما يقال من غير هذا الكلام، هو كلام مشحون بالخيالات والأوهام. وبعدُ.. ففي ختام هذه السورة التي استعرضت آلاء الله في الكون، وآلاءه في الخلق، وآلاءه في الآخرة يجيء الإيقاع الأخير تسبيحاً باسم الجليل الكريم، الذي يفنى كل حي ويبقى وجهه الكريم: ﴿**تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام**﴾!!.. فهذا أنسب ختام لسورة الرحمٰن. ونسأل الله ربَّنا الرحمٰنَ حُسْنَ الختام.

6 ـ إذا وقعت الواقعة، ليس لوقعتها كاذبة، خافضة رَافِعَة



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿1﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿2﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿3﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴿4﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿5﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ﴿6﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿7﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿8﴾ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿9﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿10﴾ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿11﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿12﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿13﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿14﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿15﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿16﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿17﴾ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿18﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿19﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿20﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿21﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿22﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿23﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿24﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿25﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿26﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿27﴾ * وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿28﴾ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿29﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿30﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿31﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿32﴾ وَمَاءٍ

مَسْكُوبٍ ﴿33﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿34﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿35﴾
وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ ﴿36﴾ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿37﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ
أَبْكَاراً ﴿38﴾ عُرُباً أَتْرَاباً ﴿39﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿40﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿41﴾
وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿42﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿43﴾ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿44﴾
فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿45﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿46﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿47﴾
إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿48﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى
الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿49﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً
وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿50﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿51﴾ قُلْ إِنَّ
الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿52﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿53﴾
ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿54﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ
مِّن زَقُّومٍ ﴿55﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿56﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ
الْحَمِيمِ ﴿57﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿58﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿59﴾
نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿60﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿61﴾
ءَآنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿62﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ
وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿63﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ
فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿64﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَّكَّرُونَ ﴿65﴾
أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿66﴾ ءَآنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿67﴾
لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿68﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿69﴾

بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿70﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿71﴾
ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿72﴾ لَوْ نَشَاءُ
جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿73﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿74﴾
ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿75﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا
تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿76﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿77﴾
* فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿78﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿79﴾
إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿80﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿81﴾ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿82﴾
تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿83﴾ أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿84﴾ وَتَجْعَلُونَ
رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿85﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿86﴾ وَأَنتُمْ
حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿87﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿88﴾
فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿89﴾ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿90﴾ فَأَمَّا إِن
كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿91﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿92﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ
مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿93﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿94﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ
مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿95﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿96﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿97﴾
إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿98﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿99﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**إذا وقعت الواقعة**﴾: قامت القيامة. والوقوع: النزول. يقال: وقع ما كنت أتوقعه بمعنى: نزل ما كنت أترقب نزوله. ﴿**ليس لوقعتها كاذبة**﴾: لا يكون عند وقوع القيامة نفس تكذب على الله تعالى. ﴿**خافضة رافعة**﴾: ترفع أقواماً وتضع آخرين. ﴿**إذا رجت الأرض رجاً**﴾: حركت تحريكاً شديداً.. حتى ينهدم كل شيء عليها من جبل وبناء.. ﴿**وبست الجبال بساً**﴾: تفتت تفتيتاً دقيقاً حتى تصير كالسويق الملتوت. مأخوذ من قول العرب. بسّ السويق إذَا لَتَّهُ. ﴿**فكانت هباء منبثاً**﴾: غباراً منتشراً متفرقاً.. ﴿**وكنتم أزواجاً ثلاثة**﴾: وصرتم أيها المخاطبون أزواجاً من ذكر وأنثى، ثلاثة أصناف: المقربين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال. ﴿**فأصحاب الميمنة**﴾: أصحاب المنزلة الميمونة الآمنة. ﴿**ما أصحاب الميمنة**﴾: تعجيب من حالهم. ﴿**وأصحاب المشأمة**﴾: المشؤومة الذميمة الدنيئة.. ﴿**ما أصحاب المشأمة**﴾: تعجيب من سوء حالهم. ﴿**والسابقون**﴾: في الخيرات بالإيمان والأعمال الصالحات، ﴿**السابقون**﴾: إلى الجنات. ﴿**أولئك المقربون**﴾: هم السابقون مقربون إلى الله في دار نعيمه: ﴿**في جنات النعيم.. ثلة من الأولين**﴾: جماعة كثيرة من السابقين الأولين. وهم الذين سبقوا غيرهم في اتباع رسولهم.. ﴿**وقليل من الآخرين**﴾: جماعة قليلة تمسكت بمبادىء رسولها ولم تقس قلوبهم بسبب طول الأمد عليهم بينهم وبين رسولهم.. ﴿**على سرر موضونة**﴾: جمع سرير. والموضونة: المنسوجة بأنواع الزينة.. المركبة من طبقات. مأخوذ من وضن الشيء إذا ثنى بعضه على بعض. وهي فرش وثيرة مريحة، جميلة عالية فسيحة! ﴿**متكئين عليها متقابلين**﴾: حالة كونهم متكئين على تلك الفرش الموضونة. متقابلين في المنظر والمقر..

فهو وصف لهم بحسن العشرة وكمال الآداب.. ﴿**يطوف عزليهم ولدان مخلدون**﴾: مُبقون أبداً على شكل الولدان، جمالاً وحيوية وطاعة وعفوية.. فخدام الجنان من الولدان الذين لا يعرفون العناد والعصيان. ﴿**بأكواب وأباريق وكأس من معين**﴾: يطوف هؤلاء الولدان على أهل الجنان بأيديهم الأكواب والأباريق مختلفة الأشكال والألوان.. فالكوب: هو الطاس يملأ من الإبريق.

والإبريق: إناء جميل يوضع فيه الشراب السلسبيل!. والكأس إناء فيه خمر. وهو خمر من معين متوفر غزير.. ﴿**لا يصدعون عنها**﴾: لا يحصل لهم تفرق عن اجتماعهم ـ كما هو المعروف في اجتماع شاربي خمر الدنيا ـ ﴿**ولا يُنزَفون**﴾: يحرمون من شرابهم عند نفاده.. فمجالسهم مرحة دائمة، وشرابهم متوفر وموارده قائمة. ﴿**وفاكهة مما يتخيرون**﴾: يطوف عليهم الولدان بأنواع الفواكه التي يتخيّرون منها ما يشاءون.. ويطوف الولدان بلحم طير مما يشتهون نوعه وشكله وهيئته.. ﴿**وحور عين**﴾: ولهم في جنة النعيم حور عين.. ﴿**كأمثال اللؤلؤ المكنون.. جزاء بما كانوا يعملون**﴾: هذا النعيم الذي جوزوا به هو جزاء لأجل أعمالهم الصالحة. ﴿**لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قيلاً: سلاماً سلاماً**﴾!!.. فهؤلاء المقربون في أمن وسلام في النعيم المقيم. ﴿**وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين**﴾: هم أصحاب الميمنة.. ﴿**في سدر مخضود**﴾: شجر لا شوك فيه.. ﴿**وطلح منضود**﴾: شجر منسق منمق جميل المنظر.. ﴿**وظل ممدود**﴾: منبسط على الأرض ممتد مد البصر. ﴿**وماء مسكوب**﴾: جار بلا حدّ ولا خدّ. ﴿**وفاكهة كثيرة**﴾: ومع هذه المناظر الجميلة، الفواكه الكثيرة الدائمة طول الوقت: ﴿**لا مقطوعة ولا ممنوعة..**﴾ فلا تقطع عنهم ولا تمنع منهم!!.. ﴿**وفرش مرفوعة**﴾: على فرش عالية مع الأزواج الغالية: ﴿**هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون!! إنا أنشأناهن إنشاء**﴾: هذه الأزواج أنشأهن الله إنشاء جديداً.. ﴿**فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً**﴾: هذه صفة الأزواج المنشأة إنشاء جديداً.. فهن أبكار دائماً.. بارزة فيهن صفة الأنوثة المغرية للرجل!.. متساويات في العمر.. فليس في الجنة عجائز ولا أرامل، ولا عوانس ولا حوامل!.

﴿**لأصحاب اليمين**﴾: هؤلاء الحسان لأهل اليمين من أصحاب تلك الجنان!!.. ﴿**ثلة من الأولين وثلة من الآخرين**﴾: هؤلاء الذين لهم هذه الجنان والأزواج الحسان أمة من الأولين وأمة من الآخرين.. فهم جماعة كثيرة من السابقين واللاحقين؛ لأنهم أصحاب اليمين غير المقربين من السابقين.. ﴿**وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال**﴾: وهم أصحاب المشأمة. وهم الفريق الثالث.. ﴿**في سموم**﴾: عذاب نافذ في المسام لقوة حره.. ﴿**وحميم**﴾: ماء يقطع الأمعاء لشدة صهره: ﴿**يصب من فوق رءوسهم الحميم، يصهر به ما في بطونهم والجلود! وظل من يحموم**﴾: قاتم خانق: ﴿**لا بارد**﴾: مثل الظل

المعروف. ﴿**ولا كريم**﴾: فيه المرء يستريح بالنسيم!. ﴿**إنهم كانوا قبل ذلك مترفين**﴾: سبب ذلك البلاء العظيم إترافهم وتنعمهم في الدنيا بأنواع النعيم. ﴿**وكانوا يصرون على الحنث العظيم**﴾: الذنب العظيم الذي من أعظمه الشرك، ومن أشده إنكار البعث: ﴿**وكانوا يقولون: أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً، إنا لمبعوثون؟!.. أو آباؤنا الأولون.. قل: إن الأولين والآخرين لمجموعون**﴾: يجمع الأولون بعد الموت ـ موت كل فرد منهم ـ ﴿**إلى ميقات يوم معلوم.. ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ثم إنكم أيها الضالون المكذبون. لآكلون من شجر من زقوم**: ﴿**إن شجرة الزقوم طعام الأثيم**﴾ ﴿**إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم فمالئون منها البطون.. فشاربون عليه من الحميم.. فشاربون شرب الهيم**﴾: الإبل المصابة بداء الهيم.. فلا تروي مهما شربت من ماء!.. ﴿**هذا نزلهم يوم الدين**﴾: هذا قرى هؤلاء الضيوف قراهم ومقرهم ومصيرهم يوم الدين.. ﴿**نحن خلقناكم.. فلولا تصدقون**﴾: فهلاّ تصدقون في الخلق؟!.. فمن كذب بالبعث كمن كذب بالخلق. ﴿**أفرأيتم ما تمنون**﴾: ما تقذفونه في الأرحام من النطف.. ﴿**أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون**﴾؟.. أأنتم أم الله؟!.. ﴿**نحن قدرنا بينكم الموت..**﴾ فلا أحد منكم يستطيع أن يفلت منه. ﴿**وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم.. وننشئكم فيما لا تعلمون**﴾: وما نحن بعاجزين على تبديل أمثالكم في النشأة الثانية يوم القيامة. وننشئكم نشأة جديدة لا تعلمون حقيقتها.. ﴿**ولقد علمتم النشأة الأولى.. فلولا تذكرون**﴾؟!.. فهلاّ تتذكرون؟. فتقيسون النشأة الثانية على النشأة الأولى!. ﴿**أفرأيتم ما تحرثون**﴾؟: أفرأيتم الحرث الذي تحرثونه بشق الأرض وبذر الحب فيها.. ﴿**أأنتم تزرعونه، أم نحن الزارعون**﴾؟: أأنتم لكم قدرة على إنباته وجعله زرعا نامياً يانعاً أم نحن؟!.. ﴿**لو نشاء لجعلناه حطاماً**﴾: لو نشاء لجعلنا هذا الزرع حطاماً متهشماً متفتّتاً تذروه الرياح.. ﴿**فظلتم تفكهون: إنا لمغرمون**﴾: فظلتم تفكهون بتنقل الكلام بينكم. وهو قولكم: إنا لمغرمون في هذا العمل الفاشل.. ﴿**بل نحن محرومون**﴾: حرمنا من فوائد العمل الذي كنا نرجو منفعته.. ﴿**أفرأيتم الماء الذي تشربون.. أأنتم أنزلتموه من المزن، أم نحن المنزلون؟!.. لو نشاء جعلناه أجاجاً!.. فلولا تشكرون**﴾!..

فالمزن: السحاب المتراكم الذي يحمل الماء الغزير. والأجاج: المالح المر الزعاق، مثل ماء البحر.. فهلا شكرتم هذه النعم من المطعوم والمشروب؟!..

﴿**أفرأيتم النار التي تورون؟! . . أأنتم أنشأتم شجرتها، أم نحن المنشئون**﴾؟! . . العرب يورون النار بحك عود بعود من شجر معلوم عندهم. . فمنها شجر المرخ وشجر العفار. . مثل قوله تعالى: ﴿**الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون نحن جعلناها تذكرة**﴾: تذكر بحرها حرّ جهنم. . ﴿**ومتاعاً للمقوين**﴾: ومنافع ينتفع بها المسافر أكثر من غيره لحاجته إليها بالطبخ والدفء والاستضاءة. . ﴿**فسبح باسم ربك العظيم**﴾: فإذا كانت هذه النعم من ربك العظيم فَالْهَجْ بحمده ونزهه عما لا يليق به. واعبُدْه مخلصاً له الدين. ﴿**فلا أقسم بمواقع النجوم**﴾: قسم من الله تعالى بهذه المخلوقات العظيمة: ﴿**وإنه لقسم ـ لو تعلمون ـ عظيم! . إنه لقرءان كريم**﴾!: جواب للقسم. . ﴿**في كتاب مكنون. . لا يمسه إلا المطهرون. . تنزيل من رب العالمين**﴾: هذا القرءان الكريم، المقسم عليه بالقسم العظيم. المصون عن تناول غير المطهّرين: هو تنزيل من رب العالمين. . ﴿**أفبهذا الحديث أنتم مدهنون**﴾؟! . . فالمدهن: من يتهاون في الأمر ولا يتصلب فيه تهاوناً به. ﴿**وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون**﴾: تجعلون شكر رزقكم التكذيب بكل ما يأتي من الله، والإنكار العجيب! . . ﴿**فلولا إذا بلغت الحلقوم. وأنتم حينئذٍ تنظرون. ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون**﴾: ثلاث آيات متواليات فيها تبكيت للمخاطبين من المشركين، مبني على تكذيبهم بالقرءان ورفضهم لدعوة الإسلام. وتعجيز لهم في أشد الحاجة إلى العون والمساعدة. وكانوا يفتخرون بحماية القريب والجار. . ﴿**فلولا إن كنتم غير مدينين. ترجعونها إن كنتم صادقين؟! . . فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم**﴾: يتجه عمل المتوفى من المقربين يوم القيامة. ﴿**وأمّا إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين**﴾: وهم القسم الثاني من الأزواج الثلاثة. ﴿**وأما إن من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم**﴾: القسم الثالث وهم أصحاب المشأمة. . ﴿**إن هذا لهو حق اليقين**﴾: دخول جنة النعيم، وتصلية الجحيم هو الحق اليقين الثابت بالإحساس والممارسة. ودونه عين اليقين، وهو الثابت بالمشاهدة. ودونه علم اليقين الثابت بالأدلّة والبراهين. ﴿**فسبح باسم ربك العظيم.**﴾ سبحان الله العظيم! ! . .

مبحث الإعراب

﴿**إذا**﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان متضمن معنى الشرط، خافض لشرطه منصوب بجوابه. ﴿**وقعت الواقعة**﴾ فعل وفاعل. والجملة في محل جر مضافة إلى الظرف. ﴿**ليس**﴾ فعل ماض ناقص.. ﴿**لوقعتها**﴾ متعلق بمحذوف خبر ليس مقدم. ﴿**كاذبة**﴾ اسم ليس مؤخر. والجملة من ليس واسمها وخبرها جواب شرط إذا. ﴿**خافضة**﴾ خبر لمبتدإٍ محذوف. هي خافضة. ﴿**رافعة**﴾ خبر ثانٍ. ﴿**إذا رجت الأرض**﴾ فعل ونائب وفاعل فعل شرط إذا. وهو بَدَلٌ من قوله تعالى: إذا وقعت الواقعة.. ﴿**رجا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**وبست الجبال**﴾ الفعل ونائب الفاعل معطوف على الفعل ونائب الفاعل قبله.. ﴿**بسا**﴾ مفعول مطلق مثل «رجّا». ﴿**فكانت**﴾ اسم كانت ضمير يعود على الجبال. ﴿**هباء**﴾ خبر كانت. ﴿**منبثاً**﴾ نعت لهباءً. والجملة مرتبة بالفاء على الجملة التي قبلها. ﴿**وكنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**أزواجاً**﴾ خبر كان. ﴿**ثلاثة**﴾ نعت له. ﴿**فأصحاب**﴾ مبتدأ أول. ﴿**الميمنة**﴾ مضاف لأصحاب. ﴿**ما**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ ثانٍ. ﴿**أصحاب**﴾ خبر المبتدإ الثاني. ﴿**الميمنة**﴾ مضاف إلى أصحاب. والمبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدإِ الأول. والجملة مفرعة بالفاء على ما قبلها من قوله تعالى: وكنتم أزواجاً ثلاثة. ﴿**وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة**﴾ معطوف على ما قبله وهو مثله في الإعراب. ﴿**والسابقون**﴾ مبتدأ. ﴿**السابقون**﴾ خبره. والجملة معطوفة على جملة فأصحاب الميمنة.. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**المقربون**﴾ خبره. والجملة بيانية. ﴿**في جنات**﴾ متعلق بمحذوف خبر ثانٍ.

﴿**النعيم**﴾ مضاف إلى جنات. ﴿**ثلة**﴾ خبر لمبتدإٍ مقدر. أي: هم ثلّة. ﴿**من الأولين**﴾ متعلق بمحذوف نعت لثلة. ﴿**وقليل من الآخرين**﴾ معطوف على ثلة من الأولين، ﴿**على سرر**﴾ متعلق بمحذوف حال من المقربين. ﴿**موضونة**﴾ نعت لسرر. ﴿**متكئين**﴾ حال ثانية. ﴿**عليها**﴾ متعلق بمتكئين. ﴿**متقابلين**﴾ حال ثالثة. ﴿**يطوف**﴾ فعل مضارع. ﴿**عليهم**﴾ متعلق به. ﴿**ولدان**﴾ فاعل. ﴿**مخلدون**﴾ نعت لولدان. وجملة يطوف.. بيانية. ﴿**بأكواب**﴾ متعلق بيطوف. ﴿**وأباريق**﴾ معطوف على أكواب مجرور بالفتحة لصيغة منتهى الجموع. ﴿**وكأس**﴾ معطوف على أكواب. ﴿**من معين**﴾ متعلق بمحذوف نعت لكأس. ﴿**لا يصدعون**﴾ جملة الفعل

ونائب الفاعل بيانية. ﴿**ولا ينزفون**﴾ معطوفة على الجملة قبلها. وهي مثلها في الإعراب. ﴿**وفاكهة**﴾ معطوف على أكواب. ﴿**مما**﴾ متعلق بمحذوف نعت لفاكهة. ﴿**يتخيرون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**ولحم**﴾ معطوف على أكواب. ﴿**طير**﴾ مضاف إلى لحم. ﴿**مما يشتهون**﴾ إعرابه مثل إعراب مما يتخيّرون. ﴿**وحور**﴾ مبتدأ خبره مقدر. والتقدير: ولهم في جنات النعيم حور ﴿**عين**﴾ نعت لحور. ﴿**كأمثال**﴾ الكاف في محل نصب حال من حور عين. وأمثال مجرور بالكاف. ﴿**اللؤلؤ**﴾ مضاف إلى أمثال. ﴿**المكنون**﴾ نعت للؤلؤ. ﴿**جزاءً**﴾ مفعول مطلق بفعل مقدر. أي جزاهم الله ذلك جزاء. ﴿**بما**﴾ متعلق بالفعل المقدر. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**يعملون**﴾ فعل وفعل والجملة خبر كان. وجملة كانوا يعملون صلة ما. ﴿**لا يسمعون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. ﴿**فيها**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**لغوا**﴾ مفعول به. ﴿**ولا تأثيماً**﴾ معطوف على المفعول به. ﴿**إلا قيلاً**﴾ منصوب على الاستثناء. ﴿**سلاماً**﴾ بدل من «قيلاً» ﴿**سلاماً**﴾ كرّر للدلالة على فشو السلام وكثرته فيما بينهم.. ﴿**وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين؟!**..﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب جملةِ فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة، ﴿**في سدر**﴾ متعلق بمحذوف خبر لمبتدإٍ مقدر، والتقدير: هم كائنون في سدر ﴿**مخضود**﴾ نعت لسدر. ﴿**وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة**﴾ معطوفات على سدر مخضود.. ﴿**لا مقطوعة ولا ممنوعة**﴾ معطوفان على كثيرة. ﴿**وفرش**﴾ وعلى فرش، وهو معطوف على قوله تعالى: في سدر.. إلخ. ﴿**مرفوعة**﴾ نعت لفرش. ﴿**إنا**﴾ إنّ واسمها.

﴿**أنشأناهن**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر إنّ. وجملة إنا أنشأناهن بيانية لما تضمنه معنى الفرش المرفوعة بما عليها من الأزواج.. ﴿**إنشاء**﴾ مفعول مطلق. ﴿**فجعلناهن**﴾ مرتب على أنشأناهن. ﴿**أبكاراً**﴾ مفعول ثان لجعلناهن. وكذلك ﴿**عرباً أتراباً**.. **لأصحاب**﴾ متعلق بمحذوف خبر لمبتدإ مقدر. أي هن كائنات لأصحاب ﴿**اليمين**﴾ مضاف لأصحاب. ﴿**ثلة من الأولين. وثلة من الآخرين**﴾ تقدم إعراب مثل هذا الكلام.. ﴿**وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال؟!**..﴾ تقدم إعراب مثله في قوله تعالى: فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة. وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة. ﴿**في سموم**﴾ متعلق بمحذوف خبر لمبتدإٍ مقدر؛ أي: هم كائنون في سموم. ﴿**وحميم وظل**﴾ معطوفان على

سموم. ﴿**من يحموم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لظل. ﴿**لا بارد**﴾ نعت ثان لظل. ﴿**ولا كريم**﴾ معطوف على «لا بارد». ﴿**إنهم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**قبل**﴾ ظرف متعلق بمترفين الآتي. ﴿**ذلك**﴾ في محل جر مضاف إلى الظرف. ﴿**مترفين**﴾ خبر كان. وجملة كان واسمها وخبرها خبر إنّ. وجملة إن واسمها وخبرها تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب. ﴿**وكانوا. . يصرون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. ﴿**وكانوا. . يقولون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. ﴿**أإذا**﴾ في محل نصب ظرف دخل عليها حرف الاستفهام. ﴿**متنا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**وكنا**﴾ كان واسمها. ﴿**تراباً**﴾ خبر كان. ﴿**وعظاماً**﴾ عطف على الخبر. ﴿**إنا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لمبعوثون**﴾ خبر إنّ. واللام لتوكيد الخبر. وجملة كنا تراباً معطوف على متنا. ومبعوثون تعلق به الظرف «إذا» وتقدير الكلام: أنبعث في وقت كوننا تراباً وعظاماً؟!. . ﴿**أو آباؤنا**﴾ فاعل بفعل مقدر بعد أو. أي: أو يُبعث آباؤنا ﴿**الأولون**﴾ نعت «لآباؤنا». ﴿**قل. . إن الأولين**﴾ إنّ واسمها. ﴿**والآخرين**﴾ معطوف على الأولين. ﴿**لمجموعون**﴾ خبر إنّ. واللام لتوكيد الخبر. والجملة مقول القول. ﴿**إلى ميقات**﴾ متعلق بمجموعون. ﴿**يوم**﴾ مضاف إلى ميقات. ﴿**معلوم**﴾ نعت ليوم. ﴿**ثم إنكم**﴾ إنّ واسمها دخل عليها حرف العطف ـ ثُمّ ـ ﴿**أيها**﴾ منادى حذف منه حرف النداء. مبني على الضم في محل نصب. و «ها» للتنبيه. ﴿**الضالون المكذبون**﴾ نعتان لأيُّ باعتبار لفظها المضموم. .

﴿**لآكلون**﴾ خبر إنّ. واللام للتوكيد. ﴿**من شجر**﴾ متعلق بآكلون. ﴿**من زقوم**﴾ بيان لشجر. ﴿**فشاربون**﴾ مرتب على «آكلون». ﴿**عليه**﴾ متعلق باسم الفاعل «شاربون». ﴿**من الحميم**﴾ كذلك. ﴿**فشاربون**﴾ تفسير لما قبله. ﴿**شرب**﴾ مفعول مطلق. ﴿**الهيم**﴾ مضاف إلى شرب. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**نزلهم**﴾ خبره. ﴿**يوم**﴾ متعلق بنزلهم. ﴿**الدين**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**نحن**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**خلقناكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر المبتدإِ. ﴿**فلولا**﴾ حرف تحضيض دخل عليه فاء الترتيب. ﴿**تصدقون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**أفرأيتم**﴾ فعل وفاعل. دخل عليه فاء التعقيب وحرف الاستفهام. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول به. ﴿**تمنون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**أأنتم**﴾ في محل رفع مبتدأ. دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**تخلقونه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر المبتدإِ. ﴿**أم نحن**﴾ معطوف على أأنتم. ﴿**الخالقون**﴾ خبر لمبتدإ

مقدر، أي: نحن الخالقون. ﴿**نحن**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**قدرنا**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر المبتدإِ. ﴿**بينكم**﴾ متعلق بقدرنا. ﴿**الموت**﴾ مفعول به. ﴿**وما نحن**﴾ في محل رفع اسم ما العاملة عمل ليس. ﴿**بمسبوقين**﴾ خبر ما. جُرّت بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿**على أن نبدل**﴾ فعل مضارع منصوب بأن المصدرية. والفاعل نحن. ﴿**أمثالكم**﴾ مفعول به. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بعلى متعلق بمسبوقين. والتقدير: وما نحن بمسبوقين على تبديل أمثالِكم. ﴿**وننشئكم**﴾ معطوف على نبدل. ﴿**فيما**﴾ متعلق بننشئكم. ﴿**لا تعلمون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة صلة ما. ﴿**ولقد علمتم النشأة**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف. ﴿**الأولى**﴾ نعت للنشأة. ﴿**فلولا تذكرون**﴾ تقدم إعراب مثلها في قوله: فلولا تصدقون. ﴿**أفرأيتم ما تحرثون. أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون**﴾ إعراب هذا مثل إعراب.. أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه.. ﴿**لو**﴾ حرف امتناع لامتناع متضمن معنى الشرط. ﴿**نشاء**﴾ فعل الشرط، والفاعل نحن. ﴿**لجعلناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول، واللام لتوكيد الجواب. والجملة جواب لو.

﴿**حطاماً**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**فظلتم**﴾ ظل واسمها. والفاء للتعقيب. ﴿**تفكّهون**﴾ فعل وفاعل. والجملة في محل نصب خبر ظلّ. ﴿**إنا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لمغرمون**﴾ خبر إنّ. واللام للتوكيد. ﴿**بل نحن**﴾ في محل رفع مبتدأ. دخل عليه حرف الإضراب. ﴿**محرومون**﴾ خبر المبتدإِ. ﴿**أفرأيتم الماء الذي تشربون.. أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون؟!**﴾ إعراب هذا الكلام مثل إعراب أفرأيتم ما تحرثون الخ.. وكذلك ﴿**أفرأيتم النار التي تورون. أأنتم أنشأتم شجرتها أمْ نحن المنشئون**﴾؟!﴾ ﴿**نحن**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**جعلناها**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر المبتدإِ. ﴿**تذكرة**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**ومتاعاً**﴾ معطوف على تذكرة. ﴿**للمقوين**﴾ متعلق بـ «متاعاً». ﴿**فسبح**﴾ أمر موجه إلى كل سامع. ﴿**باسم**﴾ متعلق بسبح. ﴿**ربك**﴾ مضاف إلى اسم. ﴿**العظيم**﴾ نعت لربك. ﴿**فلا أقسم**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي وفاء التعقيب. والفاعل ضمير المتكلم. ﴿**بمواقع**﴾ متعلق بأقسم. ﴿**النجوم**﴾ مضاف إلى مواقع. ﴿**وإنه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لقسم**﴾ خبر إنّ. والجملة معترضة. ﴿**لو تعلمون**﴾ جملة شرطية حذف جوابها. وهي معترضة بين الوصف والموصوف.

﴿**عظيم**﴾ نعت لقسم. ﴿**إنه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لقرءان**﴾ خبرها. ﴿**كريم**﴾ نعت لقرآن. والجملة جواب القسم. ﴿**في كتاب**﴾ متعلق بمحذوف نعت ثان لقرآن. ﴿**مكنون**﴾ نعت لكتاب. ﴿**لا يمسه**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**إلا المطهرون**﴾ فاعل. والجملة نعت ثالث للقرآن. ﴿**تنزيل**﴾ نعت رابع للقرآن. ﴿**من رب**﴾ متعلق بتنزيل. ﴿**العالمين**﴾ مضاف إلى رب. ﴿**أفبهذا**﴾ متعلق بمدهنون الآتي والفاء للتعقيب. والهمزة للاستفهام. ﴿**الحديث**﴾ بيان لاسم الإشارة. ﴿**أنتم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**مدهنون**﴾ خبره. والمعنى: أفأنتم مدهنون بهذا الحديث؟! ﴿**وتجعلون**﴾ فعل وفاعل. والجملة معطوفة على «أنتم مدهنون». ﴿**رزقكم**﴾ مفعول به. ﴿**أنكم**﴾ أن واسمها. ﴿**تكذبون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر أنّ. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول ثان لتجعلون. والمعنى: وتجعلون بدل شكر الرزق التكذيب. ﴿**فلولا**﴾ حرف تحضيض. ﴿**إذا بلغت**﴾ فعل ماض دخلت عليه إذا الظرفية. والفاعل ضمير يعود على الروح. ﴿**الحلقوم**﴾ مفعول به.

﴿**وأنتم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**حينئذٍ**﴾ ظرف مضاف إلى إذ. والتنوين عوض عن المضاف إليه. وحينئذٍ متعلق بما بعده: ﴿**تنظرون**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر المبتدإ. وجملة المبتدإ والخبر حال من المخاطبين. ﴿**ونحن**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أقرب**﴾ خبره. ﴿**إليه منكم**﴾ متعلقان بأقرب. والجملة اعتراضية. ولكن حرف استدراك. ﴿**لا تبصرون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**فلولا**﴾ تكرير لحرف التحضيض ﴿**إن كنتم**﴾ كان واسمها فعل شرط إن. ﴿**غير**﴾ خبركان. ﴿**مدينين**﴾ مضاف إلى غير. ﴿**ترجعونها**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة جواب إذا العاملة فيها النصب. ﴿**إن كنتم**﴾ كان واسمها. فعل شرط إن. ﴿**صادقين**﴾ خبر كان. وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب إذا.. وهو جواب لولا سد مسد جواب إن. ﴿**فأما**﴾ حرف تفصيل دخل عليه حرف التعقيب. ﴿**إن كان**﴾ اسم كان ضمير يعود على المُتَوَفَّى. ﴿**من المقربين**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان. ﴿**فروح**﴾ مبتدأ خبره محذوف. أي: فله روحٌ ﴿**وريحان وجنة**﴾ معطوفان على روح. ﴿**نعيم**﴾ مضاف إلى جنة. والجملة جواب أمّا سد مسد جواب إنْ.. ﴿**وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك**﴾ مثل إعراب ما سبق.. ﴿**من أصحاب**﴾ متعلق بالخبر المتعلق به لك. ﴿**وأما إن كان من المكذبين الضالين**﴾ نعت

للمكذبين. ﴿**فنزل**﴾ مثل إعراب فروح. ﴿**من حميم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لنزل. ﴿**وتصلية**﴾ معطوف على نزل. ﴿**جحيم**﴾ مضاف إلى تصلية. ﴿**إن هذا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لهو**﴾ ضمير فصل. ﴿**حق**﴾ خبر إنّ. ﴿**اليقين**﴾ مضاف إلى حق. ﴿**فسبح باسم ربك العظيم**﴾ تقدم إعراب مثل هذا الأمر. وهو مرتب على ما سبقه؛ كما رتب الأول على سابقه.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة. .**﴾ فسورة الواقعة لها مناسبة واضحة بعلاقتها بسورة الرحمٰن؛ في أن كلاً منهما ذكر فيها حال المؤمنين وحال الكافرين، وما لهما من الثواب والعقاب. وفصل في سورة الواقعة ما أجمل في سورة الرحمٰن. حيث قسم الناس إلى ثلاثة أقسام: ـ سابق بالخيرات ومقتصد وظالم لنفسه ـ السابقون، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال. ابتداء الكلام بإذا الشرطية المتحقق جواب شرطها دون إن. . والتعبير عنها بالواقعة. وهي القيامة؛ المقصود منه تحقق الوقوع لا محالة. وجواب الشرط ليس لوقعتها كاذبة؛ أي: لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله؛ لأن الإيمان حينئذٍ؛ بما هو غائب الآن، ضروريٌّ، إلا أنه غير نافع، لأنه إيمان اليأس والاضطرار. ﴿**خافضة رافعة**﴾: هذا بيان مقرر لعظمة الواقعة وتهويل لأمرها؛ لأن الوقائع العظام شأنها كذلك: من حط الأشقياء إلى الدركات، ورفع السعداء إلى أعلى الدرجات!. وتقديم الخفض على الرفع للتشديد في التهويل. ﴿**إذا رجت الأرض رجاً. وبست الجبال بساً. فكانت هباء منبثاً**﴾: بيان وتوضيح لما سيقع حين تقع الواقعة من انقلاب الكون. برجّ الأرض وتفتيت الجبال حتى تصير هباً متفرقاً. .

ثم ذكر حال الناس يومئذٍ: ﴿**وكنتم أزواجاً ثلاثة. .**﴾ كل صنف من الأصناف الثلاثة ذكر وأنثى. . ﴿**فأصحاب الميمنة، ما أصحاب الميمنة**﴾؟!: تفصيل للأصناف الثلاثة. . فأصحاب الميمنة المؤمنون الذين يؤتون كتابهم باليمين. وجملة ما أصحاب الميمنة: تعجيب السامع من حسن حالهم. ﴿**وأصحاب المشأمة**﴾: وهم الكافرون الذين يؤتون كتابهم بشمائلهم. . ﴿**ما أصحاب المشأمة**﴾؟!: تعجيب السامع من سوء حالهم. ﴿**والسابقون**﴾: وهم الذين سبقوا في الإيمان والعمل الصالح وهم السابقون إلى الإيمان بالرسل المصاحبون لهم الناشرون

لدعوتهم المحافظون على منهجهم وسنتهم. ﴿**السابقون**﴾: هم السابقون حقاً في الخيرات والسابقون إلى الجنات: ﴿**أولئك المقربون. في جنات النعيم..**﴾ فالسابقون هم القسم الأول. وأُخّروا في الذكر لبيان حالهم وما أعدّ لهم من النعيم المقيم. والقسم الثاني أصحاب الميمنة، والقسم الثالث أصحاب المشأمة.. وجملة ﴿**ثلة من الأولين وقليل من الآخرين**﴾ بيان للسابقين المقربين؛ لأن قُرْبَهُمْ من زمن الدعوة يكثّرهم وبُعْدَهم عنها يقللهم. وقد حصل هذا في مراحل جميع أمم الرسل.. والدليل عليه ما كان في هذه الأمة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين.. ثم بعد ذلك حال المقربون من هذه الأمة الحائزون على قصب السبق بالمسارعة في الخيرات.. ثم وصف الله تعالى حال المقربين في جنات النعيم: ﴿**على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين..**﴾ كما وصفهم في سورة يس بقوله تعالى: ﴿**إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون**﴾.. فهو وصف لهم بحسن العشرة، وتهذيب الأخلاق وأنبل الآداب.

﴿**يطوف عليهم ولدان مخلدون**﴾: استئناف مقرر لما هم فيه من مجالسهم العامة، حين يطوف عليهم هؤلاء الولدان الحسان النشطون الفرهون الباقون على هذه الأوصاف أبداً.. ﴿**بأكواب وأباريق وكأس من معين..**﴾ فهذه هي وظيفتهم.. ﴿**لا يصدعون عنها ولا ينزفون**﴾: لا يفرقون عن هذه المجالس، كما يحصل في مجالس الشراب في الدنيا.. ولا يَنفَدُ شرابهُم، لقلته وغلاء ثمنه؛ كما هو معروف في خمر الدنيا.. ﴿**وفاكهة مما يتخيرون**﴾: فواكه كثيرة متنوعة يختار كل منهم ما يرضاه.. ﴿**ولحم طير مما يشتهون**﴾: لحم الطير تختلف أنواعه.. فأطيبه لحم الحجل والسّمّان واليمام والحمام. وهو طعام الملوك في الدنيا. وهناك من الطير له لحم متوسط مثل الدجاج والوز والبط.. ولحم رديء مثل البوم والغراب والخطاف.. ﴿**وحور عين**﴾: في مساكنهم الخاصة حور عين.. ﴿**كأمثال اللؤلؤ المكنون!.. جزاء بما كانوا يعملون. لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قيلاً سلاماً سلاماً.. وأصحاب اليمين**﴾: وصل الكلام بالعطف على السابقين المقربين من قوله تعالى: ﴿**والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم..**﴾ فهو شروع في تفصيل ما أجمل من قوله تعالى: ﴿**وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة**﴾؛ إثر تفصيل حال السابقين المقربين.. وقوله تعالى: ﴿**ما**

أصحاب اليمين؟﴾ جملة استفهامية مسوقة لتفخيمهم والتعجيب من حالهم. **﴿في سدر مخضود. وطلح منضود. وظل ممدود. وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾**: استئناف جيء به بياناً لما أبهم في قوله: ما أصحاب اليمين؟ من علو الشأن.. أي: هم في سدر.. الخ. وهو مثل لحال أهل الأرياف في أرقى ما يتصور ويتخيل المخاطبون من العرب عند نزول هذه الآيات. كما مثل فيما سبقه من حال أهل الحضر سكان القصور وأصحاب البساتين والجنان، ومجالس الشراب مع الأحبة والأصحاب في أرقى ما يتصور ويتخيل!!.. **﴿وفرش مرفوعة﴾**: حساً ومعنىً.. وهم عليها مع أزواجهم اللائي جدد الله إنشاءهن إنشاء جديداً: **﴿إنا أنشأناهن إنشاء.. فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً..﴾** فقد وصفت نساء أهل اليمين في الجنة بأرقى مما يتصور ويتخيل البشر.. فهذه النساء لأصحاب اليمين. **﴿ثلة من الأولين وثلة من الآخرين﴾**: أصحاب اليمين أكثر في العدد من المقربين، والمقربون أكثر في الثواب من أصحاب اليمين. **﴿وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال﴾**؟!: تفصيل لحال أصحاب المشأمة الذين سبق ذكرهم. وهم الفريق الثالث من فرق الأزواج الثلاثة. **﴿في سموم وحميم﴾**.

﴿وظل من يحموم. لا بارد ولا كريم﴾: هذا مقابل ما لأصحاب اليمين.. فالسموم يقابل السدر المخضود والطلح المنضود. والماء المسكوب.. يقابله الحميم. والظل الممدود يقابله الظل الخانق المغْبَر القاتم. والفاكهة الكثيرة لا تكون في هذا الجو المحرق.. والفرش المرفوعة لا تكون في هذه الدركات المنحطة الوضيعة المُهينة: **﴿إنهم كانوا قبل ذلك مترفين..﴾** فهذه الجملة تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب.. فإنهم كانوا قبل هذا في الدنيا منعّمين بأنواع النعم من المآكل والمشارب والمساكن الطيبة والفرش الرفيعة والمقامات الكريمة منهمكين في الشهوات.. فلا جرم عذبوا بنقائضها.. ثم بين السياق ما كانوا عليه من الكفر، وما قالوا من تكذيب ونكر: **﴿وكانوا يصرون على الحنث العظيم. وكانوا يقولون: أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً إنا لمبعوثون. أو آباؤنا الأولون﴾**؟!.. ففي هذا الكلام من الدلالة على غلوهم في الكفر؛ وتماديهم في الضلال مَا لاَ مَزِيدَ عليه!. **﴿قل: إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم﴾**: أمر الله رسوله بأن يرد على هؤلاء المنكرين المعاندين المكذبين الضالين.. وفي تقديم الأولين مبالغةٌ في الرد حيث كان إنكارهم لبعث آبائهم أشدَّ من إنكارهم لبعثهم؛

مع مراعاة الترتيب الوجودي. . ﴿**ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم. . فمالئون منها البطون. . فشاربون عليه من الحميم. . فشاربون شرب الهيم**﴾: وصل هذا الكلام بالعطف بثم على ما قبله زيادة في بيان ما يلقونه يوم الميقات المعلوم. . فهو داخل تحت القول. وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب مواجهة بهذا الكلام. . فالخطاب لأهل مكة المكذبين الضالين. . ثم يشمل مَنْ ماثلهم في التكذيب والكفر والضلال. والكلام مرتب ترتيباً طبيعياً من الأكل أولاً. . ثم الشرب ثانياً. وما هو الأكل؟. وما هو الشرب؟ بينته الآيات بياناً لا مزيد عليه من شرح وتوضيح. ﴿**هذا نزلهم يوم الدين**﴾: استئناف مسوق من قبل الله تعالى بطريق الفذلكة مقرر لمضمون الكلام الملقّن غير داخل تحت القول. وفيه من التهكم بهم ما لا يخفى!. . فإذا كان ذلك نزلهم وهو ما يعد للنازل مما حضر. . فما ظنك بما لهم بعد ما استقر بهم القرار، واطمأنت بهم الدار في النار؟!. .

﴿**نحن خلقناكم**﴾: تلوين للخطاب، وتوجيه له إلى الكفرة بطريق الإلزام والتبكيت!. والفاء في قوله تعالى: ﴿**فلولا تصدقون؟**﴾ لترتيب التحضيض على ما قبله. . فإن ما لا يحققه العمل ويساعده. . بل ينبىء عن خلافة ليس من التصديق في شيء. ﴿**أفرأيتم ما تمنون؟. . أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون**﴾؟!: أأنتم تخلقون هذا المنيَّ المقذوف في الرحم أم نحن؟. نحن الخالقون!. . ﴿**نحن قدرنا بينكم الموت**﴾: هذا هو الدليل القاطع والبرهان الساطع!. ﴿**وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم، وننشئكم فيما لا تعلمون**﴾: وحيث ثبت بالدليل ثُبُوتُ خَلْقِنَا لكم، لا يعجزنا أحد على إعادة بعثكم بعد موتكم وإنشائنا لكم من جديد في صورة لا تعلمونها. . ﴿**ولقد علمتم النشأة الأولى. . فلولا تذكرون**﴾؟!. . فإن من قدر على النشأة الأولى قدر على النشأة الثانية من باب أولى. ﴿**أفرأيتم ما تحرثون؟. . أأنتم تزرعونه أم نحن؟ الزارعون**﴾ ـ نحن ـ!. وهذا الكلام وارد في تقرير صحة الخلق ووقوع البعث مثل الكلام السابق. ﴿**لو نشاء لجعلناه حطاماً**﴾: جملة شرطية فُرض فيها شيئان لم يحصلا؛ لرحمة الله بهم. . ﴿**فظلتم تفكهون: إنا لمغرمون. . بل نحن محرومون**﴾!!. . فهذا مرتب على ما فرض حصوله من تحطيم النبات. . فاستعير التفكه للتنقل بهذا الحديث من قولهم: إنا لمغرمون. . بل نحن محرومون. . ﴿**أفرأيتم الماء الذي تشربون؟. أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن؟ المنزلون**﴾ ـ نحن ـ، ﴿**لو نشاء جعلناه أجاجاً!. . فلولا تشكرون**﴾؟!. .

فهذا الكلام مرتب على ما قبله من نعمة إنبات الزرع. وهو إنزال الماء المسبّب عنه إنبات الزرع.. والشرطيتان في قوله تعالى: ﴿**لو نشاء**﴾ مسوقتان لبيان أن حفظه وعصمته تعالى للزرع والماء عما يخل بالتمتع بهما نعمة أخرى بعد نعمة الإنبات والإنزال مستوجبة للشكر: فهلاّ تشكرون؟!.. فهو تحضيض على شكر الكل. وأكدت جملة لو نشاء لجعلناه حطاماً دون جملة لو نشاء جعلناه أجاجاً؛ للتعويل على علم السامع بوحدتهما واتصالهما. ﴿**أفرأيتم النار التي تورون؟. أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن!؟ المنشئون**﴾ ـ نحن ـ: هذا الكلام مثل الكلام الذي قبله من خلق الإنسان وإنبات الزرع وإنزال الماء.. فنعمة إنشاء النار نعمة جليلة على الإنسان. ودليل قاطع على قدرة الله في الخلق والإبداع.. ﴿**نحن جعلناها تذكرة**﴾: استئناف مبين لمنافع النار من حيث إنها تذكر بنار جهنم..

﴿**ومتاعاً للمقوين**﴾: ويتمتع بها من يحتاج إليها في طبخ وتدفئة وإضاءة واستئناس ومناعة. ومن حسن الترتيب جاء هذا التنسيق العجيب: حيث بدأ يذكر خلق الإنسان، فقال: أفرأيتم ما تمنون.. فإن النعمة فيه سابقة على جميع النعم.. فنعمة الإيجاد قبل نعمة الإمداد.. ثم يذكر ما فيه قوام الحياة وهو الحب من الزرع.. فقال: أفرأيتم ما تحرثون.. ثم يذكر ما يعجن به ويشرب عليه وهو الماء.. ثم بما يخبز به. وهو النار.. فحصول الطعام بمجموع الثلاثة.. فلا يستغنى عنه الإنسان ما دام حياً.. ﴿**فسبح باسم ربك العظيم**﴾: فنزه ربك عما لا يليق به أيها المستمع المستدل.. فهذا مرتب على ما عُدّد من بدائع صنعه تعالى، وروائع نعمه الموجبة لتسبيحه وتعظيمه وعبادته.. ﴿**فلا أقسم بمواقع النجوم**﴾: تعقيب على ما سبق من كل ما ذكر في السورة.. فيقسم الله بأعظم ما يرى الإنسان من بدائع الكون. وهو مواقع النجوم.. على أعظم ما أنزل من كتب.. ﴿**وإنه لقسم**﴾: جملة معترضة بين القسم والمقسم عليه.. ﴿**لو تعلمون**﴾: جملة أخرى معترضة بين النعت والمنعوت! ﴿**عظيمٌ. إنه لقرآن كريم**﴾: جواب القسم.. ﴿**في كتاب مكنون**﴾: نعت ثان لقرآن.. ﴿**لا يمسه إلا المطهرون**﴾: نعت ثالث له.. ﴿**تنزيل من رب العالمين**﴾: رابع كذلك.. فالقرآن كريم لنفعه.. مصون لحفظه ورفعه.. بعيد عن كل ما يغيره ويلوّثه لدفعه.. تنزيل من رب العالمين بوضعه..!!.. ﴿**أفبهذا الحديث أنتم مدهنون**﴾؟!.. سؤال موجه للذين استهانوا بالقرآن الموصوف بما ذكر قبله. المقسوم عليه بأعظم ما في الكون..

فهذا يوجب الشكر، لا الكفر والتكذيب والنكر: ﴿**وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون**﴾. فتضعون التكذيب موضع الشكر.. ﴿**فلولا إذا بلغت الحلقوم. وأنتم حينئذٍ تنظرون. ونحن أقرب إليه منكم، ولكن لا تبصرون.. فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين**﴾: تعقيب على موقف المكذبين المتهاونين بالقرآن.. فهو تبكيت مبني على تكذيبهم به. من قوله: نحن خلقناكم.. إلى هنا من القوارع الدالة على كونهم تحت ملكوت الله تعالى: من حيث ذواتهم.. ومن حيث طعامهم وشرابهم.. وسائر أسباب معايشهم. ولولا للتحضيض لإظهار عجزهم. وأعيدت مرتين للتأكيد..

﴿**فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم**﴾: فهذا خلاصة ما تقدم من وصف حال المقربين يوم الدين: رَوْح وريحان وجنة نعيم.. ﴿**وأما إَنْ كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين**﴾!.. وقد فصل حالهم في قوله: وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين؟ في سدر مخضود.. الخ. وهو نعيم مثل ما للسابقين المقربين من نعيم. لأن الفريقين مصيرهم واحد في جنات النعيم.. ﴿**وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم..**﴾ وقد فُصّل حالُهم في قوله: وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال؟ في سموم وحميم.. الخ.. فهذه هي فرق الأزواج الثلاثة التي أشير إليها في ابتداء السورة.. ففي هذا الكلام هنا رد العجز على الصدر؛ ليرتبط الكلام أوله وآخره برباط واحد.. ﴿**إن هذا لهو حق اليقين**﴾: في هذا الكلام مسك الختام بما يوحيه هذا اليقين الثابت الجازم من اتجاه إلى الله بالتسبيح والتعظيم!.. ﴿**فسبح باسم ربك العظيم**﴾!!..

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿**إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة. إذا رجت الأرض رجاً. وبست الجبال بساً. فكانت هباءً منبثاً. وكنتم أزواجاً ثلاثة...**﴾: في هذا التوجيه ذكر ما يقع عند وقوع الواقعة يوم القيامة.. فمن أحداث هذا اليوم ما يميزه عن كل يوم؛ حيث تتبدل أوضاع الأرض وما عليها.. وتتبدل أقدار الناس.. فمطلع السورة واضح فيه التهويل في عرض هذا الحدث الهائل!.. ثم يتبدى الهول في كيان هذه الأرض.. فما أهول هذا الهول الذي

يرجُّ الأرضَ رجاً! ويبس الجبال بساً!.. وما أجهل الذين يتعرضون له، وهم مكذبون باءلاخرة مشركون بالله!!، وهذا أثره في الأرض والجبال!. وينتهي هذا المشهد الأول للواقعة ليشهد السامعون آثارها في الخفض والرفع وفي أقدارهم ومصائرهم المتوقعة يوم وقوع الواقعة: ﴿**وكنتم أزواجاً ثلاثة: فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة؟!.. وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة؟!.. والسابقون السابقون..**﴾ فيبدأ الحديث عن أصحاب الميمنة، وهم أصحاب اليمين.. ولكن لا يفصل عنهم الحديث.. إنما يصفهم باستفهام عنهم للتضخيم والتفخيم.. وكذلك يذكر أصحاب المشأمة. وهم أصحاب الشمال بنفس الأسلوب.. فهو أسلوب التهكم والتوبيخ!..

ثم يذكر الفريق الثالث.. يذكرهم.. فيصفهم بوصفهم.. كأنما ليقول: إنهم هم.. وكفى.. فهو مقام لا يزيده الوصف شيئاً. ومن ثم يأخذ في بيان قدرهم عند ربهم وتفصيل ما أعد من النعيم لهم: ﴿**أولئك المقربون في جنات النعيم..**﴾ فإنه يبدأ في بيان هذا النعيم: النعيم الأكبر والنعيم الأسنى. نعيم القرب من ربهم. وجنات النعيم كلها لا تساوي ذلك التقريب، ولا تعدل ذلك النصيب!. ومن ثَمّ يقف السياق عند هذه الدرجة؛ ليقول: من هم أصحابها؟ إنهم: ﴿**ثلة من الأولين وقليل من الآخرين..**﴾ فهم عدد محدود، وفريق منتقى. كثرتهم في الأولين، وقلتهم في الآخرين. والأولون هم خواص الرسل من الأمم السابقة.. والصحابة والتابعون وتابعوهم من هذه الأمة.. والقليلون هم الذين بقوا على مبادىء الصحابة.. فلم يخلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً.. ثم بعد بيان من هم المقربون من الفريقين: الكثيرين والقليلين يأخذ السياق في تفصيل مناعم الجنة التي أُعدّت لهم. وهي بطبيعة الحال المناعم التي في طوقهم أن يتصوروها ويدركوها؛ وراءها مناعم أخرى يعرفونها هنالك، يوم يتهيأون لإدراكها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر!: ﴿**على سرر موضونة.. متكئين عليها متقابلين..**﴾ فهم في راحة وخلو بال من الهموم والمشاغل، وفي طمأنينة على ما هم فيه من نعيم، لا خوف من فوته ولا نفاذه.. فهم في مجالسهم الناعمة ﴿**يطوف عليهم ولدان مخلدون.. بأكواب وأباريق وكأس من معين..**﴾ فهؤلاء الولدان المخلدون وظيفتهم القيام على مجالس المقربين وإتحافهم بهذه الأواني المملوءة بأنواع الشراب الصافي السائغ المتميِّزِ الغزِيرِ: ﴿**لا يصدعون عنها ولا**

يُنزفون﴾!!.. فلا هم يفرَّقُون عنها، ولا هي تنفد من بين أيديهم.. فكل شيء هنا للدوام والأمان!. **﴿وفاكهة مما يتخيرون﴾**: ومع هذا الشراب الفواكه المتنوعة. يختار منها كل واحد ما يعجبه.. **﴿ولحم طير مما يشتهون﴾**: مما كان معروفاً عند ملوك العرب وأغنيائهم من لحوم الطير المشتهاة عندهم؛ كالحَجل والسمان واليمام وغيرها.. **﴿وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾**: هذه الحور مقصورات في القصور.. ففي التعبير بهذا الوصف كناية عن معانٍ حسية ونفسية لطيفة!.. فالمرأة عند العرب الشرفاء مصونة نزيهة، شريفة كريمة عزيزة.. فليس في مجالسهم نساء راقصات مبتذلات.. إنما نساؤهم محافظات عفيفات!..

وذلك كله: **﴿جزاء بما كانوا يعملون..﴾** فهو مكافأة على عمل كان في دار العمل. مكافأة يتحقق فيها الكمال الذي كان ينقص كلَّ المناعم في دار الفناء.. ثم هم بعد ذلك كله يَحْيَوْنَ في هدوء وسكون، وفي ترفع وتنزيه عن كل لغو في الحديث، وكل جدل وكل مؤاخذة: **﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قيلاً سلاماً سلاماً..﴾** فحياتهم كلها سلام. يرف عليها السلام. ويشيع فيها السلام: تسلم عليهم الملائكة في ذلك الجو الناعم الآمن! ويسلم بعضهم على بعض! ويبلغهم السلام من الرحمٰن!.. فالجو كله سلام في سلام!.. فإذا انتهى الحديث عن ذلك الفريق السابق المختار؛ بدأ الحديث عن الفريق الذي يليه؛ فريق أصحاب اليمين: **﴿وأصحاب اليمين. ما أصحاب اليمين﴾**؟!. فأصحاب اليمين هم أصحاب الميمنة الذين أشار إليهم تلك الإشارة المجملة في أول السورة.. ثم أخّر تفصيل نعيمهم إلى موعده هنا بعد السابقين المقربين. وهو يعيد السؤال عنهم بتلك الصيغة التي تفيد التضخيم والتفخيم: ما أصحاب اليمين؟!.. **﴿في سدر مخضود وطلح منضود..﴾** فلِهؤلاء نعيم خاص يتصوره العربي ساكن البادية، وهو ما يعد عندهم من أرقى النعيم. وهو ما تحدثت عنه آيات الرحمٰن من قوله تعالى: **﴿ومن دونهما جنتان﴾** إلى قوله: **﴿حور مقصورات في الخيام﴾** فهم في سدر مخضود؛ بلا شوك. وطلح منضود منسق ملفوف.. **﴿وظل ممدود﴾**، نتيجة لتكاثف الأشجار وامتدادها وانتشارها. **﴿وماء مسكوب﴾**؛ يروى الأرض والأشجار ويلطف الجو.. **﴿وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة..﴾** فمع هذه المناظر الجميلة فواكه كثيرة، متنوعة الأشكال.. دائمة لا تنقطع بحال، متوفرة دون حاجة إلى شرائها بمال!.

﴿**وفرش مرفوعة**﴾: في أماكن خاصة للنساء والرجال.. فمساكن أهل الجنة غير المجالس العامة للنزهة التي يطوف عليهم فيها الولدان المخلدون.. فلهذا ينتقل السياق من الفرش المرفوعة إلى ذكر من فيها من الأزواج: ﴿**إنا أنشأناهن إنشاء.. فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً..**﴾ فأزواج أهل الجنة أنشِئْنَ إنشاءً جديداً، على أحسن وأجمل وأكمل وصف يتخيله الإنسان شكلاً فريداً!. فهن أبكار.. وهن عُرُبٌ.. ففيها معنى الأنوثة ظاهرة واضحة، وهن أتراب.. في مستوى واحد في السن.. فليس فيهن امرأة كهلة، ولا عجوز مترهلة.. هؤلاء الحسان في المساكن والجنان مخصصات ﴿**لأصحاب اليمين!!.. ثلة من الأولين وثلة من الآخرين..**﴾ فأصحاب اليمين أكثر من المقربين في العدد وأقل منهم في الثواب المُعد.. فأصحاب اليمين كل من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. وخلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً.. فأما المقربون الذين وصفهم الله بأوصاف لم تظهر إلاّ في الصحابة الذين عاشوا مع الرسول ﷺ؛ وفي تابعيهم وتابعي تابعيهم ـ رضي الله عنهم أجمعين.. فهم قد قَلُّوا فعلاً بعد الأجيال الثلاثة.. فلم تظهر إلا في الذين قال الله عنهم: ﴿**إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون. والذين هم بآيات ربهم يؤمنون. والذين هم بربهم لا يشركون. والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون.. أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون!!**﴾ فلذلك أشار إلى الفريق الثاني بقوله: ﴿**ولا نكلف نفساً إلا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون**﴾ سورة المؤمنون. وهنا يصل السياق إلى أصحاب الشمال. وهم أصحاب المشأمة الذين سبقت الإشارة إليهم في أول السورة: ﴿**وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال**﴾؟!.. فأين هم الآن؟: ﴿**في سموم وحميم. وظل من يحموم..**﴾ فإن كان أصحاب اليمين في ظل ممدود وماء مسكوب.. فأصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم.. ﴿**لا بارد ولا كريم..**﴾ فالهواء شواظ خارق ينفذ إلى المسام، ويشوي الأجسام. والماء متناهٍ في الحرارة، لا يُبرِد ولا يروى. وهناك ظل.. ولكنه ظل الدخان اللافح الخانق الغامق.. فلا راحة ولا أمل لمن فيه غارق!.. فهذا العناء وهذا الشقاء الدائم بلا نهاية جزاء لعمل أصحاب المشأمة موافق!: ﴿**إنهم كانوا قبل ذلك مترفين..**﴾ وما أشدَّ أَلَمَ الشظف والشقاء للمترفين المنَعّمين!..

﴿**وكانوا يصرون على الحنث العظيم**﴾: والحنث العظيم الذنب. وهو هنا

الشرك بالله. وفيه إلْمَاح إلى الحنث بالعهد الذي أخذه على فطرة العباد أن يؤمنوا به ويوحدوه. ﴿**وكانوا يقولون: أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً إنا لمبعوثون؟ أوْ آباؤنا الأولون**﴾!: كانوا.. هكذا يعبر القرآن؛ كأنما الدنيا التي فيها المخاطبون قد طويت وانتهت.. فإذا هي ماض، والحاضر هو هذا المشهد وهذا العذاب!. ذلك أن الدنيا كلها ومضة. فهذا الحاضر هو العقبى والمآب. وهنا يلتفت السياق إلى الدنيا في أنسب الأوقات لهذه اللفتة ليرد على سؤالهم ذاك: ﴿**قل: إن الأولين والآخرين لمجموعون.. إلى ميقات يوم معلوم..**﴾ فهو هذا اليوم الحاضر المعروض المشهود!.. ثم يعود إلى ما ينتظر المكذبين.. فيتم صورة العذاب الذي يلقاه المترفون: ﴿**ثم إنكم أيها الضالون المكذبون. لآكلون من شجر من زقوم..**﴾ فلا يدري أحد ما شجرة الزقوم إلا ما وصفها الله به في سورة الصافات من قوله تعالى: ﴿**إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رءوس الشياطين**﴾ فرؤوس الشياطين لم يرها أحد.. ولكنها تُلقي في الحسّ ما تلقيه!. على أن لفظ الزقوم نفسه يصور بجرسه ملمساً خشناً شائكاً مُدَبّباً يشوك الأكفّ ـ بَلْهَ الحلوق ـ. وذلك في مقابل السدر المخضود والطلح المنضود!.. ومع أن الزقوم كرءوس الشياطين.. فإنهم لآكلون منها. ﴿**فمالئون منها البطون..**﴾ فالجوع طاغ والمحنة غالبة. وإن الشوك الخشن ليدفع إلى الماء لتسليك الحلوق وريّ البطون! وإنهم لشاربون: ﴿**فشاربون عليه من الحميم..**﴾ فلا يُبرد غلّة ولا يروى ظمأً!.. ﴿**فشاربون شرب الهيم..**﴾ فقد مُثِّلُوا بهذا الأكل والشرب بإبل مصابة بداء الهيام الذي يصيب الإبل.. فلا تُرْوَىٰ مهما شربت من ماء!.. ﴿**هذا نزلهم يوم الدين**﴾!.. فأصحاب الشمال المشائيم هذا نزلهم في دار الجحيم!. هذا نزلهم في اليوم الذي كانوا يشكون فيه، ويتساءلون عنه، ولا يصدقون خبر القرءان به. كما كانوا يشركون بالله ولا يخافون وعيده بذلك اليوم المشهود. ﴿**نحن خلقناكم.. فلولا تصدقون**﴾؟!. بهذا التعليق الأخير في عرض هذا التوجيه الخطير ينتهي استعراض المصائر والأقدار. يوم تقع الواقعة الخافضة الرافعة. وينتهي كذلك الشوط الأول من السورة.

التوجيه الثاني: ﴿**أفرأيتم ما تمنون؟!.. أأنتم تخلقونه أم نحن؟ الخالقون..**﴾: في هذا التوجيه لفت نظر الناس وفي مقدمتهم المخاطبون بهذا القرآن أول نزوله الذين استهانوا به، ولم يلتفتوا إلى طريقة تأديبه وتأنيبه! وهو

يعرض عليهم ءايات القدرة المبدعة في خلقهم وفي مقومات رزقهم. وهي أبسط ما يقع تحت أبصارهم من مألوفات حياتهم. كذلك يصور لهم لحظة النهاية: نهاية الحياة على هذه الأرض، وبدء الحياة في العالم الآخر: اللحظة التي يواجهها كل أحد. والتي تنتهي عندها كل حيلة؛ والتي تقف الأحياء وجهاً لوجه أمام القدرة المطلقة المتصرفة وقفة فاصلة، لا محاولة فيها ولا مجال!. حيث تسقط جميع الأقنعة وتبطل جميع المعاذير والتعلات!. من هذه المشاهدات التي يراها الناس في خلقهم وفي مقومات رزقهم ينشىء القرآن العقيدة الصحيحة المفيدة لكل إنسان: في كل بيئة وقبيل وجيل في كل زمان ومكان!. إن هذا الأمر: أمر النشأة الأولى ونهايتها أمر الخلق وأمر الموت. إنه أمر منظور ومألوف وواقع في حياة الناس.. فإن دور البشر في أمر هذا الخلق لا يزيد على أن يودع الرجل ما يُمنِي رحِمَ المرأة.. ثم ينقطع عملُه وعملها.. فتأخذ يد القدرة في العمل وحدها في هذا الماء المهين. تعمل وحدها في خلقه وتنميته، وبناء هيكله ونفخ الروح فيه. ومنذ اللحظة الأولى وفي كل لحظة تالية تتم المعجزة وتقع الخارقة التي لا يصنعها إلا الله تعالى؛ والذي لا يدري البشر كنهها وطبيعتها؛ كما لا يعرفون كيف تقع. بله أن يشاركوا فيها!.. فهذه هي البداية. أما النهاية فلا تقل عنها إعجازاً ولا غرابة! وإن كانت مثلها من مشاهدات الناس المألوفة: ﴿**نحن قدرنا بينكم الموت..**﴾ فهذا الموت الذي ينتهي إليه كل حي من البشر.. ما هو؟.. وكيف يقع؟.. وأي سلطان له لا يقاوم؟.. إنه قدر الله.. فمن ثَمّ لا يفلت منه أحد.. ومن كانت قدرته هكذا على البشر فكيف يعجز عن إعادتهم من جديد بما لهم من ذوات وصفات وسحنات وملامح.. فكل إنسان له مثل يميزه عن غيره من البشر في كل لمحة ولون ولحنة وهيئة: ﴿**وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم.. وننشئكم فيما لا تعلمون**﴾: ننشئكم من جديد: ﴿**كما بدأكم تعودون**﴾ في ذلك العالم المغيب المجهول، الذي لا يدري عنه البشر إلا ما يخبرهم به الله. وعندئذٍ تبلغ النشأة تمامها، وتصل القافلة إلى مقرّها. هذه هي النشأة الآخرة.. ﴿**ولقد علمتم النشأة الأولى.. فلولا تذكرون**﴾؟!.. فهي قريب من قريب، وليس فيها من غريب.

بهذه البساطة وبهذه السهولة يعرض القرآن قصة النشأة الأولى، ويجعلها دليلاً على النشأة الآخرة.. فبهذه البساطة وهذه السهولة يقف السياق بالفطرة أمام

المنطق الذي تعرفه، ولا تملك أن تجادل فيه؛ لأنه مأخوذ من بديهياتها هي، ومن مشاهدات البشر في حياتهم القريبة؛ بلا تعقيد ولا تجريد ولا فلسفة تكدّ الأذهان، ولا تصل إلى الوجدان. إنها طريقة الله مبدع الكون وخالق الإنسان ومنزّل القرآن!. ومرة أخرى في بساطة ويسر يأخذ السياق بقلوب الناس إلى أمر مألوف لهم، مكرر في مشاهداتهم؛ ليريهم يد الله فيه؛ ويطلعهم على المعجزة التي تقع بين أيديهم، وعلى مرأى من عيونهم، وهم عنها غافلون: ﴿**أفرأيتم ما تحرثون؟ أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون**﴾؟. فهذا الزرع الذي ينبت بين أيدي الناس ـ وفي مقدمتهم المُخاطبون وقت نزول القرآن ـ وينمو ويؤتى ثماره ما دورهم فيه؟ إنهم يحرثون ويلقون الحب والبذور التي صنعها الله.. ثم ينتهي دورهم، وتأخذ يد القدرة في عملها المعجز الخارق العجيب!. تأخذ البذرة طريقها لإعادة نوعها.. فحبة القمح يكمن فيها هذا العود وهذا الورق وهذه السنبلة بما فيها.. والنواة تكمن فيها نخلة كاملة سامقة بكل ما تحتويه!.. ثم يقول الناس زرعنا وهم لم يتجاوزوا الحرث وإلقاء البذور!.. فلو شاء الله لم تبدأ رحلتها، ولو شاء لم تتم قصتها: ﴿**لو نشاء لجعلناه حطاماً..**﴾ فهي بمشيئتِهِ تقطع رحلتها من البدء إلى الختام. ولو وقع هذا لظلّ الناس يلونون الحديث وينوعونه: ﴿**فظلتم تفكهون: إنا لمغرمون.. بل نحن محرومون**﴾!!.. ولكن فضل الله يمنحهم الثمر، ويسمح للنبتة أن تتم دورتها وتكمل رحلتها. وهي ذاتها الرحلة التي تقوم به الخلية التي تُمنى. وهي صورة من صور الحياة التي تنشئها القدرة وترعاها.. فماذا في النشأة الأخرى من غرابة؛ وهذه هي النشأة الأولى في الإنسان وفي مقومات حياته من نبات. وكذلك في الماء: ﴿**أفرأيتم الماء الذي تشربون؟ أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون**﴾؟.. فهذا الماء أصل الحياة وعنصرها الذي لا تنشأ إلا به كما قدَّر الله.. فما دور الإنسان فيه؟.. دوره أنه يشربه عذباً فراتاً سائغاً شرابه!. أما الذي أنشأه من عناصره، وأما الذي أنزله من سحائبه فهو الله سبحانه. وهو الذي قدر أن يكون عذباً فكان: ﴿**لو نشاء جعلناه أجاجاً..**﴾ فهلّا يشكرون فضل الله الذي أجرى مشيئته بما كان: ﴿**فلولا تشكرون**﴾؟!..

فالعرب المخاطبون ابتداء بهذا القرآن كان الماء النازل من السحائب في صورته المباشرة مادّة حياتهم، وموضع احتفالهم، والحديث الذي يهز نفوسهم.. وقد خلدته قصائدهم وأشعارهم.. ولم تنقص قيمة الماء بتقدم الإنسان

الحضاري.. بل لعلها تضاعفت.. والذين يشتغلون بالعلم ويحاولون تفسير نشأة الماء الأولى أشد شعوراً بقيمة هذا الحدث من سواهم.. فهو مادة اهتمام للبدائي في الصحراء، وللعالم المشتغل بالأبحاث سواء. وبعد هَذَيْنِ العنصرين عنصر ثالث لا يقل أهمية منهما: ﴿**أفرأيتم النار التي تورون؟ أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن؟ المنشئون**﴾؟.. فالإنسان يوقد النار.. ولكن من الذي أنشأ وقودها؟ من الذي أنشأ الشجر الذي توقد به ومنه النار؟. لقد مر حديث الزرع والشجر من هذ الزرع.. على أن هناك لفتة أخرى في ذكر «شجرتها» فمن احتكاك فرع من شجرة بفرع آخر من شجرة أخرى كان العرب يوقدون نارهم.. فالأمر أظهر وأقرب إلى تجاربهم المعروفة. أمّا معجزة النار وسرها عند العلماء الباحثين فهو مجال للبحث والنظر والاهتمام.. وبمناسبة ذكر النار يُلَمِّحُ السياق إلى نار الآخرة: ﴿**نحن جعلناها تذكرة..**﴾ فهي تذكر بالنار الأخرى.. كما جعلناها ﴿**متاعاً للمقوين**﴾. وكان لهذه الإشارة وقعُها العميق في نفوس المخاطبين؛ لما تمثله في واقع حياتهم من مدلول حيّ حاضر.. فالنار عندهم أقوى ما يتمتع به.. ويستدل به.. ويرمز إليها من نفع وضر.. وحين يبلغ السياق إلى هذا الحد من عرض هذه الدلائل والحقائق والأسرار: الناطقة بدلائل الإيمان، الموضحة للحقائق التي يبحث عنها الإنسان.. يلتفت إلى الحقيقة التي تنتهي إليها هذه الحقائق: حقيقة قدرة الله وعظمته وحكمته وربوبيته. وهي حقيقة تواجه الفطرة مواجهة ذات قوة وسلطان.. فيهيب بالرسول أولاً، وبكل مخاطب يسمع هذا القرآن، أن يحيى هذه الحقيقة في السر والإعلان: ﴿**فسبح باسم ربك العظيم**﴾!.. ثم يلتفت السياق التفاتة أخرى إلى المكذبين بهذا القرآن.. فيربط بينه وبين هذا الكون في قسم عظيم من رب العالمين:

التوجيه الثالث: ﴿**فلا أقسم بمواقع النجوم. وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرءان كريم في كتاب مكنون..**﴾: فالقسم بمواقع النجوم تعظيم للمقسم عليه بهذا القسم العظيم ـ لو يعلم الناس هذا.. ولكنهم غفلوا واستعانوا به.. وبدلاً من أن يشكروا هذه النعمة كفروا بها وكذبوا بمصدرها الذي دلهم عليها، وبين لهم حقيقة خلقهم، ومقومات رزقهم.. فإنه قرآن كريم في كتاب مكنون.. ﴿**لا يمسه إلا المطهرون.. تنزيل من رب العالمين..**﴾ فالأمر لا يحتاج إلى قسم.. ولكن الحال تقتضيه.. ثم يأتي هذا السؤال، المناسب لموقف أهل العناد التائهين في الضلال: ﴿**أفبهذا الحديث أنتم مدهنون**﴾؟!.. أفأنتم شاكون في هذا الحديث

الذي يقال لكم عن النشأة الآخرة.. مكذبون بالقرآن وما يقصه عليكم من شأن الآخرة، وما يقرره لكم من أمور العقيدة.. فأنتم مدهنون متلاعبون متساهلون بهذه الحقائق: ﴿**وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون**﴾!!.. فإذا التكذيب هو شغلكم الشاغل بدل شكر هذا الرزق النازل.. فماذا أنتم فاعلون حين تبلغ الروح الحلقوم، وتقفون في موقف الأجل المحتوم؟: ﴿**فلولا إذا بلغت الحلقوم. وأنتم حينئذٍ تنظرون. ونحن أقرب إليه منكم.. ولكن لا تبصرون..**﴾ فالسياق يصور الموقف التصوير الموحي الذي يرسم ملامح الموقف كلها في لمسات سريعة ناطقة بكل ما فيه، وبكل ما وراءه وبكل ما يوحيه.. فهنا في هذه اللحظة ـ وقد فرغت الروح من أمر الدنيا، وخلفت وراءها الأرض وما فيها ـ تستقبل الروح عالَما لا عهد لها به، ولا تملك من أمره شيئاً إلا ما ادّخرت من عمل، وما كسبت من خير، وما اكتسبت من شر. هنا. وهي ترى، ولا تملك الحديث عما ترى، وقد انفصلت عمن حولها وما حولها. الجسد هو الذي يراه الناظرون.. ولكنهم ينظرون ولا يرون ما يجري ولا يملكون من الأمر شيئاً!.. فإذا هذا المجلس ـ مجلس الموت والاحتضار ـ تجلله رهبة الاحتضار، فوق ما فيه من عجز ورهبة وانقطاع ووداع!. وفي غمرة هذه الأحداث يجيء التحدي الذي يقطع كل قول، ويُنْهِي كل جدال: ﴿**فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين**﴾؟!.. فلو كان الأمر كما تقولون: إنه لا حساب ولا جزاء.. فأنتم إذنْ طلقاء غير مدانين ولا محاسبين.. فدونكم إذنْ فلترجعوها ـ وقد بلغت الحلقوم ـ لتردوها عما هي ذاهبة من حساب وجزاء! وأنتم حولها تنظرون. وهي ماضية إلى الدينونة الكبرى وأنتم ساكنون عاجزون!. هنا تسقط كل تعلّة، وتنقطع كل حجة، ويبطل كل محال، وينتهي كل جدال.. ثم يمضي السياق في بيان مصير هذه الروح الذي يتراءى لها من بعيد حين تبلغ الحلقوم، وتستدبر الحياة الفانية، وتستقبل الحياة الباقية، وتمضي إلى الدينونة الكبرى التي يكذب بها المجرمون: ﴿**فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم..**﴾ فقد مرت في أول السورة صور من نعيم المقربين..

فالروح هنا ترى علائم هذا النعيم الذي ينتظرها: روح وريحان وجنة نعيم. والألفاظ ذاتها تقطر رقّة ونداوة، وتلقي ظلال الراحة الحلوة والنعيم والأُنس الكريم. ﴿**وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين..**﴾ فيلتفت الخطاب إليه يبلغه سلام إخوانه من أصحاب اليمين. وما أندى السلام

ساعتئذٍ وما أحبَّه! حين يتلقاه ـ وقد بلغت الحلقوم ـ فيطمئن باله، ويشعر بالأنس في الصحبة المقبلة مع أصحاب اليمين. ﴿**وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم**﴾: وما أسوأه نزلاً ومثوى ذلك الحميم الحارق! وما أشدَّه عذاباً ذلك الحميم!. يتراءى له ويعلم أنه ملاقيه عن يقين!: ﴿**إن هذا لهو حق اليقين**..﴾ فالآن وقد بلغ الموقف ذروته، تجيء الخاتمة في إيقاع عميق رزين!.. فتلتقي رجاحة اليقين وثقله في ميزان، بالواقعة التي وقعت في ابتداء السورة، وتختم بما يوحيه هذا اليقين الثابت الجازم من اتجاه إلى الله بالتسبيح والتعظيم: ﴿**فسبح باسم ربك العظيم**﴾!.

7 ـ أظهرُ ما في سورة الحديد بعد إظهار حقيقة التوحيد بيان شدة كفر المنافق وقوّة إيمان الشهيد



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿1﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿2﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿3﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿4﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿5﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿6﴾ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿7﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۙ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿8﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ

مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿9﴾
وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ
لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ
دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ
ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿10﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ
قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴿11﴾
يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم
بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿12﴾ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ
لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ
فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗاۖ فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ
وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ
فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ
جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿13﴾ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ
فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿14﴾
* أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ
وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ
مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ

فَٰسِقُونَ ﴿15﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ
قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿16﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ
وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿17﴾
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ
وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿18﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ
ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ
وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ
مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ
وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ
ٱلْغُرُورِ ﴿19﴾ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ
ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿20﴾
* مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ
مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿21﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟
عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ
كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿22﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ
بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿23﴾

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (25) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ (26) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ (27) يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (28) لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (29)

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**سبح لله ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم. .**﴾: التسبيح: تنزيه الله تعالى اعتقاداً وقولاً وفعلاً ومجيئه في بعض الفواتح ماضياً. . وفي البعض مضارعاً. . وفي سورة بني إسرائيل بلفظ المصدر ـ سبحان ـ وفي الأعلى بلفظ الأمر ـ سبح اسم ربك. . استعادا لهذه الكلمة من جميع جهاتها. وهي أربع: المصدر والماضي والمضارع والأمر. ﴿**له ملك السماوات والأرض. . يحيى ويميت. . وهو على كل شيء قدير. . هو الأول. . والآخر. . والظاهر. . والباطن. .**﴾ فالله سبحانه تعالى متّصف باستمرار الوجود الذاتي. . فلا يدخل في الزمان. والظهور الذاتي بدلائل الأكوان. . والخفاء الذاتي فلا يدرك كنهه الإنسان. ﴿**وهو بكل شيء عليم. . هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش. . يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها. . وما ينزل من السماء وما يعرج فيها. .**﴾ فهذا تفسير لاستواء الله على العرش. ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾: معية العلم والقدرة والتصرف. . ﴿**والله بما تعملون بصير. . له ملك السماوات والأرض**﴾: أعيدت هذه الجملة تمهيداً لقوله: ﴿**وإلى الله ترجع الأمور. . يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل. . وهو عليم بذات الصدور. .**﴾ فالله مطلع على أخفى الأشياء عند الإنسان. .

﴿**ءامنوا بالله ورسوله**﴾: أمر من الله موجه إلى جميع الناس. ﴿**وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه**﴾: أمر موجه من الله إلى المؤمنين بدليل: ﴿**فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير**﴾. والاستخلاف: تولية الشخص فيما لغيره. ﴿**وما لكم لا تؤمنون بالله**﴾: استفهام موجه إلى الناس السامعين له. . ﴿**والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم**﴾: والحال أن الرسول يدعوكم لتؤمنوا بالله ربكم. . ﴿**وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين**﴾: والحال أن الله قد أخذ ميثاقكم يوم الميثاق! إن كنتم مؤمنين بهذا الميثاق الذي أخذه الله عليكم. ﴿**هو الذي يُنَزّل على عبده آيات بينات: ليخرجكم من الظلمات إلى النور. . وإن الله بكم لرءوف رحيم**﴾: هذه الآيات البينات الذي ينزلها الله على عبده محمد الغاية منها إخراجكم أيها الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم لتهتدوا بها إلى الحق. وهو دين الإسلام. ﴿**وما**

لكم ألا تنفقوا في سبيل الله؟ ولله ميراث السماوات والأرض﴾! : في هذ الكلام حث المؤمنين على الإنفاق ببيان أنه لله وليس لهم فيه إلا التولية. . **﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل﴾**: بيان لسبق المؤمنين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين أنفقوا وجاهدوا قبل فتح مكة حين كانوا قليلين وضعفاء وفقراء محصورين في المدينة. . فقد ضحوا بالنفس والنفيس في سبيل الله: **﴿أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعدُ وقاتلوا. .﴾** فأولئك السابقون المنفقون المقاتلون أعظم درجة وأكثر أجراً من الذين أنفقوا وقاتلوا بعد فتح مكة. عندما دخل الناس في دين الله أفواجاً، وفتحت الطرق وسهل نقل المال من بلد إلى بلد. **﴿وَكُلاًّ وعد الله الحسنى. .﴾** فوعد الله كل فريق من الفريقين: السابق واللاحق المثوبة الحسنى في الدنيا والآخرة. . **﴿والله بما تعملون خبير. . من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾**؟: من ذا الذي ينفق ماله في سبيل الله تعالى رجاء أن يعوضه. . فالقرض هنا: سلف المال للغير. وسمي السلف قرضاً؛ لأنه مقروض. . **﴿فيضاعفُه له﴾**: فهو يضاعفه له ويزيده أكثر مما أعطى. .

﴿وله أجر كريم﴾: زيادة على الإضعاف. . **﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم﴾**: لهم الأجر الكريم في هذا اليوم الذي يظهر للمؤمن فيه نور إيمانه وعمله الصالح فيسير به إلى الجنة. وتقول لهم الملائكة: **﴿بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها. . ذلك هو الفوز العظيم! . . يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين ءامنوا: انظرونا نقتبس من نوركم﴾**: هذا مقابل يوم ترى المؤمنين. . الخ. **﴿قيل: ارجعوا وراءكم. . فالتمسوا نوراً. . فضرب بينهم بسور: له باب باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب! . . ينادونهم: ألم نكن معكم؟! . . قالوا: بلى. . ولكنكم فتنتم أنفسكم﴾**: محنتموها بالنفاق وأهلكتموها. . **﴿وتربصتم﴾** بالمؤمنين الدوائر. . **﴿وارتبتم﴾**: في أمر الدين. . **﴿وغرتكم الأماني﴾**: طول الآمال والطمع في امتداد الأعمار. . **﴿حتى جاء أمر الله﴾**: الموت. . **﴿وغركم بالله الغرور﴾**: غركم الشيطان بأنه لا بعث ولا نشور! . . **﴿فاليوم لا يؤخذ منكم فدية﴾**: فداء تفدون به أنفسكم من النار. . **﴿ولا من الذين كفروا﴾**: كذلك. . **﴿مأواكم النار﴾**: مكانكم ومثواكم. . **﴿هي مولاكم﴾**: الذي يتولى أمركم!! . . **﴿وبئس المصير﴾**: النارُ أتعس وأفظع مصير ينتهي إليه الكافر الشرّير! . **﴿ألم يَأْنِ للذين ءامنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله**

وما نزل من الحق﴾؟!: ألم يحنِ الوقتُ للذين ءامنوا إيماناً صادقاً لخشوع قلوبهم لذكر الله بما في القرآن من الحق ووعد الصدق؟!.. **﴿ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل﴾**: ولا يكونوا مثل اليهود والنصارى من قبلهم.. **﴿فطال عليهم الأمد﴾**: بَعُدَ مَا بينهم وبين زمن رسلهم.. فنسوا عهدهم.. **﴿فقست قلوبهم.. وكثير منهم فاسقون﴾**: خارجون عن الدين الحق، ومتبعون لأهوائهم وشهواتهم!!.. **﴿اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها﴾**: اعلموا أيها المؤمنون يحيى القلوب بالإيمان كما يحيى الأرض بعد موتها بالماء النازل من السماء. **﴿قد بينا لكم الآيات﴾**: التي من جملتها هذه الآيات.. **﴿لعلكم تعقلون﴾**: كي تعقلوا ما فيها، وتعملوا بموجبها، فتفوزوا بسعادة الدارين.. **﴿إن المصَّدِّقين والمصَّدِّقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يُضاعَف لهم ولهم أجر كريم..﴾** الذين يتصدقون بأموالهم من الرجال والنساء ويقرضون الله قرضاً حسناً يضاعف لهم الأجر أضعافاً كثيرة!. **﴿والذين ءامنوا بالله ورسله أولئك هم الصِّدِّيقون﴾**: والذين آمنوا بالله وصاحبوا رسله أولئك هم الصديقون.. **﴿والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم﴾**: والذين استشهدوا في الجهاد لهم أجرهم الزائد، ونورهم السائد..

﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾: وهم غير الصديقين والشهداء الذين عاصروهم ولم يكونوا منهم. وهم الكفار المنافقون الذين أمر الله نبيئه بقتال الكافرين، والإغلاظ على المنافقين.. **﴿يا أيها النبئ جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير! اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب﴾**: كلعب الصبيان.. **﴿ولهو﴾**: كلهو الفتيان.. **﴿وزينة﴾**: كزينة النسوان.. **﴿وتفاخر بينكم﴾**: كتفاخر الأقران.. **﴿وتكاثر في الأموال والأولاد: كمثل غيث أعجب الكفار نباته.. ثم يهيج فتراه مصفراً.. ثم يكون حطاماً.. وفي الآخرة عذاب شديد.. ومغفرة من الله ورضوان.. وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور.. سابقوا إلى مغفرة من ربكم﴾**: سارعوا مسارعة المُسابقين لأقرانهم في المضمار.. **﴿وجنة﴾**: **﴿عرضها كعرض السماء والأرض.. أعدت للذين ءامنوا بالله ورسله.. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.. والله ذو الفضل العظيم!.. ما أصاب من مصيبة في الأرض﴾**: من الجدب والرياح والزلازل والبراكين.. **﴿ولا في أنفسكم﴾**: من الأمراض والأوصاب وموت الأولاد.. **﴿إلا في كتاب﴾**: مثبت في علم الله، **﴿من قبل أن نبرأها﴾**: نخلق الأنفس. **﴿إن ذلك على الله يسير.. لكيلا تأسوا**

على ما فاتكم﴾: لأجل عدم حزنكم على ما ضاع لكم من الدنيا.. **﴿ولا تفرحوا بما آتاكم﴾**: ولكي لا تفرحوا بما أعطاكم الله بطراً وافتخاراً.. **﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾**: متكبر متباهٍ بما عنده على غيره.. **﴿الذين يبخلون﴾**: يمتنعون عن إنفاق المال.. **﴿ويأمرون الناس بالبخل﴾**: يأمرونهم بأن يكونوا مثلهم بخلاء أشحّاء!. **﴿ومن يتول﴾**: يعرض عن أوامر الله ونواهيه.. **﴿فإن الله الغني الحميد﴾**: فلا حاجة له إلى الناس.. والناس محتاجون إليه ـ سبحانه وتعالى.. **﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات.. وأنزلنا معهم الكتاب والميزان.. ليقوم الناس بالقسط.. وأنزلنا الحديد.. فيه بأس شديد﴾**: تتخذ منه آلات الحرب قديماً وحديثاً.. **﴿ومنافع للناس﴾**: في شؤون حياتهم في الصناعة والزراعة والسفر.. **﴿وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب﴾**: يستعملون الحديد للدفع والانتفاع؛ ولإظهار علم الله من يجاهد في سبيل الله ممتثلاً أمر الله إيماناً بالغيب: **﴿إن الله قوي عزيز!.. ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم﴾**: الأب الثاني للناس. والأب الثاني لبني إسرائيل والعرب.. **﴿وجعلنا في ذريتهما النبوءة﴾**: كهود وصالح.. وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى ومحمد..

﴿والكتاب﴾: التوراة والإنجيل والقرءان.. **﴿فمنهم مهتدٍ.. وكثير منهم فاسقون.. ثم قفينا على آثارهم برسلنا﴾**: رسولاً بعد رسول.. **﴿وقفينا بعيسى ابن مريم وءاتيناه الإنجيل.. وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة﴾**: مودة ورقة وليناً.. **﴿ورحمة﴾**: تعطفاً على إخوانهم.. فالرأفة سبب الرحمة. **﴿ورهبانية﴾**: المبالغة في العبادة وإظهار التقشف والزهد في الدنيا والبعد عن الناس. وهذه الرهبانية ابتدعوها من عند أنفسهم: **﴿ابتدعوها ما كتبناها عليهم..﴾** لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله حسبما يدّعون. **﴿فما رعوها حق رعايتها!.. فآتينا الذين ءامنوا منهم أجرهم﴾**: وهم الذين دخلوا في الإسلام من النصارى، **﴿وكثير منهم فاسقون.. يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله.. وءامنوا برسوله.. يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم.. لئلاّ يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شيء من فضل الله﴾**: ليعلم أهل الكتاب أن الشأن لا ينالون شيئاً من فضل الله إذا لم يؤمنوا برسول الله محمد ﷺ. وليعلموا كذلك: **﴿أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.. والله ذو الفضل العظيم﴾**: المفردات في هذا واضحة.

مبحث الإعراب

﴿**سبح**﴾ فعل ماض. ﴿**لله**﴾ متعلق بسبح. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل رفع فاعل. ﴿**في السماوات**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**العزيز**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**الحكيم**﴾ خبر ثانٍ. والجملة تذييل. ﴿**له**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**ملك**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**السماوات**﴾ مضاف إلى ملك. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**يحيى**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**ويميت**﴾ معطوف على يحيى. وهو مثله في الإعراب. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**على كل**﴾ متعلق بالخبر الآتي. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**قدير**﴾ خبر المبتدإِ.

﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الأول**﴾ خبر المبتدإِ. ﴿**والآخر والظاهر والباطن**﴾ معطوفات على الأول. ﴿**وهو بكل شيء عليم**﴾ إعراب هذا مثل إعراب وهو على كل شيء قدير. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع خبر. ﴿**خلق**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة صلة الموصول. ﴿**السماوات**﴾ مفعول به. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**في ستة**﴾ متعلق بخلق. ﴿**أيام**﴾ مضاف إلى ستة. ﴿**ثم استوى**﴾ فعل ماض معطوف بثم على خلق.. ﴿**على العرش**﴾ متعلق باستوى. ﴿**يعلم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**يلج**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على ما. والجملة صلتها. ﴿**في الأرض**﴾ متعلق بيلج. ﴿**وما يخرج**﴾ معطوف على ما يلج. ﴿**منها**﴾ متعلق بيخرج. ﴿**وما ينزل من السماء وما يعرج فيها**﴾ كذلك. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**معكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإِ. ﴿**أينما**﴾ متعلق بالخبر أيضاً. ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها وخبرها مقدر؛ والتقدير: وهو كائن معكم في أي مكان كنتم موجودين فيه. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**بما**﴾ متعلق بالخبر الآتي. ﴿**تعملون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**بصير**﴾ خبر المبتدإِ. ﴿**له ملك السماوات والأرض**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**وإلى الله**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**ترجع**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿**الأمور**﴾ نائب الفاعل. ﴿**يولج**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**الليل**﴾ مفعول به ﴿**في النهار**﴾ متعلق بيولج. ﴿**ويولج النهار في الليل**﴾ معطوف على ما قبله. وهو مثله

في الإعراب. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**عليم**﴾ خبره. ﴿**بذات**﴾ متعلق بعليم. ﴿**الصدور**﴾ مضاف إلى ذات. ﴿**آمنوا**﴾ أمر من الله موجه إلى المخاطبين. ﴿**بالله**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف على الله. ﴿**وأنفقوا**﴾ معطوف على آمنوا. ﴿**مما**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**جعلكم**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول أول. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**مستخلفين**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**فيه**﴾ متعلق بمستخلفين. ﴿**فالذين**﴾ في محل رفع مبتدأ أول. ﴿**ءامنوا**﴾ صلة الموصول.

﴿**منكم**﴾ متعلق بآمنوا. ﴿**وأنفقوا**﴾ معطوف على آمنوا. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**أجر**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**كبير**﴾ نعت لأجر. والجملة خبر المبتدإِ الأول. والفاء للتعقيب. ﴿**وما**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**لكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإِ. ﴿**لا تؤمنون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة حال من الكاف في لكم. ﴿**بالله**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**والرسول**﴾ مبتدأ. ﴿**يدعوكم**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على الرسول. والجملة حال من ضمير الجماعة ـ الواو في تؤمنون ـ ﴿**لتؤمنوا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه أن المصدرية ولام التعليل. والتقدير: يدعوكم للإيمان. ﴿**بربكم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**وقد أخذ**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف التحقيق. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة حال من فاعل يدعوكم ـ الرسول ـ ﴿**ميثاقكم**﴾ مفعول به. ﴿**إن كنتم**﴾ كان واسمها. فعل شرط إن. ﴿**مؤمنين**﴾ خبر كان. وجواب الشرط محذوف يدل عليه وقد أخذ ميثاقكم. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع خبر. ﴿**ينزل**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الذي ـ الله ـ والجملة صلة الموصول. ﴿**على عبده**﴾ متعلق بينزل. ﴿**آيات**﴾ مفعول به. ﴿**بينات**﴾ نعت لآيات. ﴿**ليخرجكم**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على الله. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بينزل. أي: ينزل.. لإخراجكم ﴿**من الظلمات إلى النور**﴾ متعلقان بيخرجكم. ﴿**وإن الله**﴾ إن واسمها. ﴿**بكم**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**لرءوف**﴾ خبر إنّ. واللام لتقوية الخبر. ﴿**رحيم**﴾ خبر ثانٍ. والجملة تعليلية. ﴿**وما لكم**﴾ مثل ما سبق في إعراب مثلها. ﴿**ألاّ تنفقوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي وأن المصدرية الناصبة.. وأن وما دخلت عليه

في تأويل مصدر مجرور بحرف جر مقدر متعلق بما تعلق به لكم. ﴿**في سبيل**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ولله**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**ميراث**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة حال من ضمير الجماعة في ألا تنفقوا. ﴿**السماوات**﴾ مضاف إلى ميراث. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**لا يستوي**﴾ فعل مضارع منفي بلا. ﴿**منكم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**من**﴾ اسم موصول في محل رفع فاعل. ﴿**أنفق**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. والجملة صلة الموصول. ﴿**من قبل**﴾ متعلق بأنفق.

﴿**الفتح**﴾ مضاف إلى قبل. ﴿**وقاتل**﴾ معطوف على أنفق. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أعظم**﴾ خبره. ﴿**درجة**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**من الذين**﴾ متعلق بأعظم. ﴿**أنفقوا**﴾ صلة الموصول. ﴿**من بعد**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**وقاتلوا**﴾ معطوف على أنفقوا. ﴿**وكلاً**﴾ مفعول أول مقدم. ﴿**وعد الله**﴾ فعل وفاعل. ﴿**الحسنى**﴾ مفعول ثانٍ. . ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**بما**﴾ متعلق بالخبر الآتي. ﴿**تعملون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**خبير**﴾ خبر المبتدإِ. ﴿**من ذا**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع خبره. ﴿**يقرض**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الذي. ﴿**الله**﴾ معمول يقرض. ﴿**قرضاً**﴾ مفعول مطلق. ﴿**حسناً**﴾ نعت له. ﴿**فيضاعفه**﴾ فعل مضارع مرتب على ما قبله. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على الله. وهذه الجملة والتي قبلها صلة الذي. ﴿**له**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**وله**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**أجر**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**كريم**﴾ نعت لأجر. ﴿**يوم**﴾ ظرف متعلق بما قبله. ﴿**ترى**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**المؤمنين**﴾ مفعول به. ﴿**والمؤمنات**﴾ معطوف عليه. ﴿**يسعى نورهم**﴾ فعل وفاعل. والجملة حال من المؤمنين. ﴿**بين**﴾ ظرف متعلق بيسعى. ﴿**أيديهم**﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿**وبأيمانهم**﴾ معطوف على بين أيديهم. ﴿**بشراكم**﴾ مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على الألف. والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**اليوم**﴾ ظرف متعلق ببشراكم. ﴿**جنات**﴾ خبر المبتدإِ. وجملة بشراكم اليوم جنات مقول لقول مقدّر. ﴿**تجري**﴾ فعل مضارع. ﴿**من تحتها**﴾ متعلق بتجري. ﴿**الأنهار**﴾ فاعل. والجملة نعت لجنات. ﴿**خالدين**﴾ حال من جنات. ﴿**فيها**﴾ متعلق بخالدين. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**هو**﴾ ضمير فصل. ﴿**الفوز**﴾ خبر المبتدإِ. ﴿**العظيم**﴾ نعت للفوز. ﴿**يوم**﴾ بدل من يوم

ترى.. ﴿**يقول المنافقون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**والمنافقات**﴾ معطوف على الفاعل. ﴿**للذين**﴾ متعلق بيقول. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الذين. ﴿**انظرونا**﴾ أمر موجه من المنافقين إلى المؤمنين. والجملة مقول القول. ﴿**نقتبس**﴾ فعل مضارع مجزوم في جواب الأمر. والفاعل نحن. ﴿**من نوركم**﴾ متعلق بنقتبس. ﴿**قيل**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿**ارجعوا**﴾ أمر موجه من القائلين إلى المنافقين.

﴿**وراءكم**﴾ ظرف متعلق بارجعوا. ﴿**فالتمسوا**﴾ مرتب على ارجعوا.. ﴿**نوراً**﴾ مفعول به. ﴿**فضرب**﴾ فعل ماض مبني للمجهول مرتب على مضمون الكلام السابق. ﴿**بينهم**﴾ ظرف متعلق بضرب. ﴿**بسور**﴾ نائب الفاعل. مجرور بحرف الجر الزائد في محل رفع. ﴿**له**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**باب**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة نعت لسور. ﴿**باطنه**﴾ مبتدأ أول. ﴿**فيه**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**الرحمة**﴾ مبتدأ مؤخر. وجملة فيه الرحمة خبر المبتدإِ الأول. وجملة باطنه فيه الرحمة نعت لباب. ﴿**وظاهره من قبله العذب**﴾ معطوف على ما قبله. وهو مثله في الإعراب. ﴿**ينادونهم**﴾ فعل وفعل ومفعول. والجملة استئناف بياني. ﴿**ألم نكن**﴾ فعل مضارع ناقص مجزوم بلم. والهمزة للاستفهام. واسم نكن نحن. ﴿**معكم**﴾ ظرف متعلق بمحذوف خبر نكن. ﴿**قالوا: بلى**﴾ حرف جواب يجاب به عن الاستفهام المنفي.. ﴿**ولكنكم**﴾ لكنّ واسمها. ﴿**فتنتم أنفسكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر لكن. ﴿**وتربصتم وارتبتم وغرتكم**﴾ هذه الجمل من الفعل والفاعل معطوفة على فتنتم.. ﴿**الأمانيّ**﴾ فاعل غرتكم. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**حتى جاء أمر**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه حتى الغائية. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى أمر. ﴿**وغرّكم**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**بالله**﴾ متعلق بغركم. ﴿**الغرور**﴾ فاعل. ﴿**فاليوم**﴾ ظرف متعلق بما بعده: ﴿**لا يؤخذ**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿**منكم**﴾ متعلق به. ﴿**فدية**﴾ نائب الفاعل. والفاء للتعقيب. ﴿**ولا من الذين كفروا**﴾: ولا يؤخذ من الذين كفروا فدية أيضاً. ﴿**مأواكم**﴾ مبتدأ. مرفوع بضمة مقدرة على الألف. والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**النار**﴾ خبر المبتدإِ. ﴿**هي**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**مولاكم**﴾ خبر المبتدإِ. ﴿**وبئس المصير**﴾ فعل وفاعل. أي: النار بئس المصير!. ﴿**ألم يأن**﴾ فعل مضارع مجزوم بحرف النفي الجازم. وعلامة جزمه حذف الياء. والهمزة للاستفهام. ﴿**للذين**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الموصول. ﴿**أن تخشع قلوبهم**﴾ فعل

وفاعل دخلت عليه أن المصدرية الناصبة. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع فاعل يَأْنِ. أي: ألم يَأْنِ للذين آمنوا خشوع قلوبهم.

﴿**لذكر**﴾ متعلق بتخشع. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى ذكر. ﴿**وما**﴾ اسم موصول في محل جر معطوف على ذكر. ﴿**نزل**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على ما. والجملة صلتها. ﴿**من الحق**﴾ متعلق بنزل. ﴿**ولا يكونوا**﴾ يكون واسمها دخل عليها حرف النفي. ﴿**كالذين**﴾ الكاف في محل نصب خبر يكون. والذين في محل جر بالكاف. ﴿**أوتوا**﴾ جملة الفعل ونائب الفاعل صلة الموصول. ﴿**الكتاب**﴾ مفعول به. ﴿**من قبل**﴾ متعلق بأوتوا. وجملة ولا يكونوا.. معطوفة على جملة أن تخشع قلوبهم منصوبة بحذف النون.. ﴿**فطال**﴾ فعل ماض. والفاء للتعقيب والترتيب. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بطال. ﴿**الأمد**﴾ فاعل. ﴿**فقست قلوبهم**﴾ فعل وفاعل مرتب على فطال. ﴿**وكثير**﴾ مبتدأ. ﴿**منهم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لكثير. ﴿**فاسقون**﴾ خبر المبتدإِ. ﴿**اعلموا**﴾ أمر موجه من الله إلى المخاطبين. ﴿**أن الله**﴾ أن واسمها. ﴿**يحيى**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله تعالى. والجملة خبر أنّ. وأنَّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول باعلموا.. ﴿**الأرض**﴾ مفعول به. ﴿**بعد**﴾ ظرف متعلق بيحيى. ﴿**موتها**﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿**قد بينا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق. ﴿**لكم**﴾ متعلق ببينا. ﴿**الآيات**﴾ مفعول به.. ﴿**لعلكم**﴾ لعل واسمها. ﴿**تعقلون**﴾ فعل وفاعل. الجملة خبر لعلّ، وجملة لعلكم تعقلون تعليل.. ﴿**إنّ المصّدِّقين**﴾ إن واسمها. ﴿**والمصَّدِّقات**﴾ معطوف على المصدقين. ﴿**وأقرضوا**﴾ صلة لموصول مقدر معطوف على المصدقين. أي: الذين تصدقوا والذين أقرضوا.. ﴿**الله**﴾ مفعول لأقرضوا. ﴿**قرضاً**﴾ معفول مطلق. ﴿**حسناً**﴾ نعت له. ﴿**يضاعف**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿**لهم**﴾ متعلق به. والجملة خبر إنّ. ﴿**ولهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**أجر**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**كريم**﴾ نعت لأجر. وجملة ولهم أجر كريم معطوفة على جملة يضاعف لهم. ﴿**والذين**﴾ في محل رفع مبتدَأ. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الذين. ﴿**بالله**﴾ متعلق بآمنوا. ﴿**ورسله**﴾ معطوف على الله. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ ثان. ﴿**هم**﴾ ضمير فصل. ﴿**الصديقون**﴾ خبر المبتدإِ الثاني. والمبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدإ الأول. ﴿**والشهداء**﴾ مبتدأ. ﴿**عند**﴾ متعلق بالشهداء. ﴿**ربهم**﴾ مضاف إلى عند. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**أجرهم**﴾ مبتدَأ

مؤخر. ﴿**ونورهم**﴾ معطوف على أجرهم. وجملة لهم أجرهم ونورهم خبر المبتدإ الأول - الشهداءُ -. ﴿**والذين**﴾ في محل رفع مبتدأ.

﴿**كفروا**﴾ صلة الذين. ﴿**وكذبوا**﴾ معطوف على كفروا. ﴿**بآياتنا**﴾ متعلق بكذبوا. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ ثانٍ. ﴿**أصحاب**﴾ خبره. ﴿**الجحيم**﴾ مضاف إلى أصحاب. وجملة أولئك أصحاب الجحيم خبر المبتدإ الأول ﴿**والذين كفروا**﴾، وجملة والذين كفروا.. معطوفة على جملة إن المصدقين والمصدقات.. ﴿**اعلموا**﴾ أمر موجه إلى الناس جميعاً.. ﴿**أنما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**الحياة**﴾ مبتدَأ. ﴿**الدنيا**﴾ نعت للحياة. ﴿**لعب**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**ولهو وزينة وتفاخر**﴾ معطوفات على لعب. ﴿**بينكم**﴾ متعلق بتفاخر. ﴿**وتكاثر**﴾ معطوف كذلك. ﴿**في الأموال**﴾ متعلق بتكاثر. ﴿**والأولاد**﴾ معطوف على الأموال. ﴿**كمثل**﴾ الكاف في محل رفع خبر لمبتدإ محذوف. ومثل مجرور بالكاف. ﴿**غيث**﴾ مضاف إلى مثل. ﴿**أعجب**﴾ فعل ماض. ﴿**الكفّار**﴾ مفعول به. ﴿**نباته**﴾ فاعل. وجملة أعجب الكفار نباته نعت لغيث. ﴿**ثم يهيج**﴾ مرتب على أعجب.. ﴿**فتراه**﴾ مرتب على يهيج. ﴿**مصفراً**﴾ حال من الضمير المفعول. ﴿**ثم يكون**﴾ اسم يكون ضمير يعود على النبات. ﴿**حطاماً**﴾ خبر يكون. والجملة مرتبة على ما قبلها. ﴿**وفي الآخرة**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**عذاب**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**شديد**﴾ نعت لعذاب. ﴿**ومغفرة**﴾ معطوف على عذاب. ﴿**من الله**﴾ متعلق بمحذوف نعت لمغفرة. ﴿**ورضوان**﴾ معطوف على مغفرة. ﴿**وما الحياة**﴾ مبتدأ دخل عليه حرف النفي. ﴿**الدنيا**﴾ نعت للحياة. ﴿**إلا متاع**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**الغرور**﴾ مضاف إلى متاع. ﴿**سابقوا**﴾ أمر موجه إلى المخاطبين.. ﴿**إلى مغفرة**﴾ متعلق بسابقوا. ﴿**من ربكم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لمغفرة. ﴿**وجنة**﴾ معطوف على مغفرة. ﴿**عرضها**﴾ مبتدأ مرفوع بالضمة. والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**كعرض**﴾ الكاف في محل رفع خبر المبتدإ. وعرض مجرور بالكاف. ﴿**السماء**﴾ مضاف إلى عرض. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماء. والجملة نعت لجنة. ﴿**أعدت**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على جنة. ﴿**للذين**﴾ متعلق بأعدت. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الموصول. ﴿**بالله**﴾ متعلق بآمنوا. ﴿**ورسله**﴾ معطوف على الله. والجملة نعت ثانٍ لجنة. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**فضل**﴾ خبره. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى فضل.

﴿**يؤتيه**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**من**﴾ في محل نصب مفعول ثانٍ. ﴿**يشاء**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة صلة مَنْ. وجملة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء تذييل. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**ذو**﴾ خبره. ﴿**الفضل**﴾ مضاف إلى ذو. ﴿**العظيم**﴾ نعت للفضل. والجملة للتذييل قبله.. ﴿**ما أصاب**﴾ فعل ماض منفيّ بما. ﴿**من مصيبة**﴾ فاعل مجرور بحرف الجر الزائد في محل رفع. ﴿**في الأرض**﴾ متعلق بمحذوف نعت لمصيبة. ﴿**ولا في أنفسكم**﴾ معطوف على الأرض. ﴿**إلا في كتاب**﴾ متعلق بما تعلق به في الأرض. ﴿**من قبل**﴾ متعلق بمحذوف نعت لكتاب. ﴿**أن نبرأها**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والضميرالمتصل به مفعول. والفاعل نحن وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور مضاف إلى قبل. أي من قبل برئنا إياها.. ﴿**إن ذلك**﴾ إنّ واسمها. ﴿**على الله**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**يسير**﴾ خبر إنّ. والجملة تعليل. ﴿**لكيلا تأسوا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه كي المصدرية الناصبة. وحرف النفي. واللام للتعليل. وكي وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بما تضمنه معنى الكلام السابق أي: أخبرناكم بذلك لكيلا تأسوا.. لعدم يأسكم ﴿**على ما**﴾ متعلق بتأسوا ﴿**فاتكم**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على ما. والجملة صلتها. ﴿**ولا تفرحوا**﴾ معطوف على لكيلا تأسوا.. ﴿**بما**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**آتاكم**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة صلة ما. ﴿**والله**﴾ مبتدَأ. ﴿**لا يحب**﴾ فعل مضارع منفي بلا. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر المبتدإ. ﴿**كل**﴾ مفعول به. ﴿**مختال**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**فخور**﴾ نعت لمختال. وجملة والله لا يحب.. تذييل. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع خبر لمبتدإٍ مقدر.. ﴿**يبخلون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة الموصول. ﴿**ويأمرون**﴾ معطوف على يبخلون. ﴿**الناس**﴾ مفعول به. ﴿**بالبخل**﴾ متعلق بيأمرون. ﴿**ومن يتول**﴾ فعل مضارع مجزوم بمَن الشرطية. وعلامة جزمه حذف الألف. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**فإن الله**﴾ إن واسمها.

﴿**الغني**﴾ خبرها. ﴿**الحميد**﴾ خبر ثانٍ.. وجملة فإن الله الغني الحميد جواب شرط مَنْ. والفاء رابط. ﴿**لقد أرسلنا رسلنا**﴾ فعل وفاعل ومفعول. دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم. ﴿**بالبينات**﴾ متعلق بأرسلنا. ﴿**وأنزلنا**﴾ معطوف على

أرسلنا. ﴿**معهم**﴾ متعلق بمحذوف حال من الكتاب مقدم عليه. ﴿**الكتاب**﴾ مفعول به. ﴿**والميزان**﴾ معطوف على الكتاب. ﴿**ليقوم الناس**﴾ فعل وفاعل. والفعل منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور باللام متعلق بأنزلنا. ﴿**بالقسط**﴾ متعلق بيقوم. ﴿**وأنزلنا الحديد**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**فيه**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**بأس**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**شديد**﴾ نعت لبأس. والجملة حال من الحديد. ﴿**ومنافع**﴾ معطوف على بأس. ﴿**للناس**﴾ متعلق بمحذوف نعت لمنافع. ﴿**وليعلم الله**﴾ فعل وفاعل، إعرابه مثل إعراب ليقوم الناس. ﴿**من**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول. ﴿**ينصره**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. والجملة صلة مَنْ. ﴿**ورسله**﴾ معطوف على الضمير المنصوب. ﴿**بالغيب**﴾ متعلق بمحذوف حال من فاعل ينصر. ﴿**إن الله**﴾ إن واسمها. ﴿**قوي**﴾ خبر إنّ. ﴿**عزيز**﴾ خبر ثانٍ. والجملة تذييل. ﴿**ولقد أرسلنا نوحاً**﴾ إعرابه مثل إعراب لقد أرسلنا رسلنا. ﴿**وإبراهيم**﴾ معطوف على نوح. ﴿**وجعلنا**﴾ معطوف على أرسلنا. ﴿**في ذريتهما**﴾ متعلق بجعلنا. ﴿**النبوءة**﴾ مفعول به. ﴿**والكتاب**﴾ معطوف على النبوءة. ﴿**فمنهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. والفاء للتعقيب. ﴿**مهتد**﴾ مبتدأ مؤخر. مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين. ﴿**وكثير**﴾ مبتدأ. ﴿**منهم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لكثير. ﴿**فاسقون**﴾ خبر المبتدإ. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**ثم قفينا**﴾ فعل وفاعل معطوف بِثُمّ على أرسلنا. ﴿**على آثارهم برسلنا**﴾ متعلقان بقفينا. ﴿**وقفينا**﴾ كذلك، ﴿**بعيسى**﴾ متعلق بقفينا. ﴿**ابن**﴾ نعت لعيسى. ﴿**مريم**﴾ مضاف إلى ابن مجرور بالفتحة للعلمية والتأنيث. ﴿**وآتيناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. معطوف على قفينا. ﴿**الإنجيل**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**وجعلنا**﴾ معطوف على قفينا.

﴿**في قلوب**﴾ متعلق بجعلنا. ﴿**الذين**﴾ في محل جر مضاف إلى قلوب. ﴿**اتبعوه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول. ﴿**رأفة**﴾ مفعول به. ﴿**ورحمة**﴾ معطوف على رأفة. ﴿**ورهبانية**﴾ مفعول بفعل مقدر، يفسره ما بعده ﴿**ابتدعوها**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**ما كتبناها**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**إلا ابتغاء**﴾ منصوب على الاستثناء. ﴿**رضوان**﴾ مضاف إلى ابتغاء. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى رضوان. ﴿**فما رعوها**﴾ فعل

وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي. والفاء للتعقيب. ﴿**حق**﴾ مفعول مطلق. ﴿**رعايتها**﴾ مضاف إلى حق. ﴿**فآتينا الذين**﴾ فعل وفاعل ومفعول تفريع على ما قبله. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الذين. ﴿**منهم**﴾ متعلق بآمنوا. ﴿**أجرهم**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**وكثير منهم فاسقون:**﴾ تقدم إعراب مثله قريباً. ﴿**يا أيها**﴾ منادى مبني على الضم في محل رفع. وها للتنبيه. ﴿**الذين**﴾ نعت لأيُّ. ﴿**آمنوا. اتقوا**﴾ أمر موجه إلى المؤمنين بدوام الإيمان. ﴿**الله**﴾ معمول اتقوا. ﴿**وآمنوا**﴾ معطوف على اتقوا. ﴿**برسوله**﴾ متعلق بآمنوا. ﴿**يؤتكم**﴾ فعل مضارع مجزوم في جواب الأمر. وعلامة جزمه حذف الياء. والضمير المتصل به مفعول أول. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**كفلين**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**من رحمته**﴾ متعلق بمحذوف نعت لكفلين. ﴿**ويجعل**﴾ معطوف على يؤتكم. ﴿**لكم**﴾ متعلق بيجعل. ﴿**نوراً**﴾ مفعول به. ﴿**تمشون**﴾ فعل وفاعل. والجملة نعت لنور. ﴿**به**﴾ متعلق بتمشون. ﴿**ويغفر**﴾ معطوف على يؤتكم. ﴿**لكم**﴾ متعلق بيغفر. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**غفور رحيم**﴾ خَبَرَانِ للمبتدإِ. والجملة تذييل. ﴿**لئلا: لأن لا يعلم أهلُ**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف المصدر الناصب ولام التعليل. ﴿**الكتاب**﴾ مضاف إلى أهل.

﴿**أن**﴾ مخففة من ﴿**الثقيلة**﴾ واسمها ضمير الشأن. ﴿**لا يقدرون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة خبر أنْ. . ﴿**على شيء**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**من فضل**﴾ متعلق بمحذوف نعت لشيء. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى فضل. والمعنى: لأن لا يعلم أهل الكتاب أن الشأن لا يقدرون على شيء كائن من عند الله. ﴿**وأن الفضل**﴾ أن واسمها. ﴿**بيد**﴾ متعلق بمحذوف خبر أنّ. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى يد. وجملة أن الفضل بيد الله معطوفة على أن لا يقدرون. ﴿**يؤتيه**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول أول. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**من**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول ثانٍ. ﴿**يشاء**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة صلة مَنْ. ﴿**والله**﴾ مبتدَأ. ﴿**ذو**﴾ خبر المبتدإِ مرفوع بالواو. ﴿**الفضل**﴾ مضاف إلى ذو. ﴿**العظيم**﴾ نعت للفضل. والجملة تذييل.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**سبح لله ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم. .**﴾ فهذا الخبر له علاقة وطيدة بما في آخر السورة السابقة من الأمر. وهو قوله تعالى: ﴿**فسبح باسم**

ربك العظيم﴾ أسند التسبيح هنا إلى كل ما في السماوات والأرض إسناداً عاماً مجازياً شاملاً لما نطق به لسان المقال ولسان الحال.. فإن لسان الحال يدل دلالة عقلية بوجود الصانع المتصف بكل كمال.. وجملة وهو العزيز الحكيم تذييل مقرر لمضمون ما قبله مشعر بعلة الحكم. وكذلك جملة **﴿له ملك السماوات والأرض. يحيي ويميت﴾**: استئناف مبين لبعض أحكام الملك والتصرف. **﴿وهو على كل شيء قدير﴾**: تذييل مقرر لمضمون قوله يحيي ويميت.. **﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾**: فالأول والآخر متصلتان بالعطف. والظاهر والباطن متصلتان كذلك بالعطف. وهما متصلتان بما قبلهما بواو العطف الوسطى.. فالله سبحانه متصف باستمرار الوجود قبل الزمان وبعده. ومتصف بالظهور في دليل صنعه. ومتصف بالبطون في خفاء كنهه. **﴿وهو بكل شيء عليم﴾**: **﴿ألا يعلم من خلق؟!﴾**.. وهو تذييل مقرر لمضمون معنى الأول والآخر، والظاهر والباطن. **﴿هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام﴾**: بيان لبعض أحكام ملك السماوات والأرض وبيان وتوضيح: أنه الأول.. **﴿ثم استوى على العرش﴾**: عطف بثم للترقي في مرتبة الملك.. فالعرش أعظم من السماوات والأرض!. والله مهيمن عليه وهو تحت ملكه وتصرفه.. فمع الخلق والهيمنة العلم الشامل لما في الأرض والسماء: **﴿يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها..﴾** فهذا النص القصير يشير إلى هذه الحركة الدائبة التي لا تنقطع من ولوج وخروج ونزول وعروج.. وإلى هذه الأحداث الضخام التي لا تحصى!!.. **﴿وهو معكم أينما كنتم﴾**: تمثيل لإحاطة علم الله تعالى بهم، وتصوير لعدم خروجهم عنه أينما داروا واتجهوا!.. **﴿والله بما تعملون بصير﴾**: تذييل مقرر لمضمون علم الله تعالى وإحاطته بهم وبأعمالهم المترتب عليها الجزاء.

﴿له ملك السماوات والأرض﴾: جاءت هذه الجملة مكررة للتأكيد.. وتمهيداً لقوله تعالى: **﴿وإلى الله ترجع الأمور..﴾** ففي تقديم الجار والمجرور قصر.. وفي بناء الفعل للمجهول إيجاز وحصر!.. وينتهي هذا المطلع بحركة لطيفة من حركات القدرة في مجال الكون وفي أطواء الضمير: **﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور..﴾** فهذه الجملة الأخيرة بيان لإحاطة علمه تعالى بما يضمر الناس من نياتهم بعد بيان إحاطته بأعمالهم التي يظهرونها.

هذا المطلع بإيقاعاته تلك، يدع القلوب في حساسية مرهفة للتلقي؛ ومن ثَمّ يجيء الهتاف لها بالإيمان والبذل في أنسب أوان: **﴿آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه.. فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير..﴾** ففي هذه الآية أمْران: أمر بالإيمان، وأمر بالإنفاق.. فهما مقترنان نتيجتهما واحدة: فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير!!.. ففي هذا الكلام من المبالغات ما لا يخفى: حيث جعلت الجملة ـ فالذين ـ اسمية. وربطت بما قبلها بالفاء.. وأعيد ذكر الإيمان والإنفاق.. وكرر الإسناد ـ آمنوا وأنفقوا ـ وفخم الأجر بالتنكير ـ أجرٌ ـ.. ووصف بالكبير!.. **﴿وما لكم لا تؤمنون بالله﴾**؟!.. استئناف مسوق لتوبيخ من لم يؤمن على ترك الإيمان حيث انتفى العذر بوضوح الأدلة العقلية، ووجود الأدلة النقلية الشرعية: **﴿والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم.. وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين﴾**: في هذا تحريض وإلهاب للمؤمنين الذين بايعوا الرسول ـ المهاجرون والأنصار ـ على الجهاد بالنفس والنفيس.. **﴿هو الذي ينزل على عبده ءايات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن الله بكم لرءوف رحيم﴾**: هذه الآية بينت حقيقة الرسول وما جاء به، والغرض منهما.. **﴿وما لكم ألاّ تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السماوات والأرض﴾**؟!.. لمّا حرّضهم على الإيمان بوجود موجباته.. حرضهم على الإنفاق بوجود مسبّباته!.. **﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل: أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعدُ وقاتلوا..﴾** فهذا بيان لتفاوت درجات المنفقين حسب تفاوت أحوالهم في الإنفاق، بعد بيان أن لهم أجراً كبيراً على الإطلاق.. **﴿وكلا وعد الله الحسنى.. والله بما تعملون خبير.. من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً؟!.. فيضاعفه له..﴾**

﴿وله أجر كريم﴾: ندب بليغ من الله تعالى إلى الإنفاق في سبيله بعد الأمر به والتوبيخ على تركه، وبيان درجات المنفقين: **﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم.. بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها: ذلك هو الفوز العظيم﴾**!!.. ولكن المنظر لا ينتهي عند هذا المشهد الظريف الطريف اللطيف.. فهناك المنافقون والمنافقات في حيرة وضلال، وفي مهانة وإهمال، وهم يتعلقون بأذيال المؤمنين والمؤمنات: **﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا: انظرونا نقتبس من نوركم﴾**!.. فحيثما تتوجه أنظار المؤمنين والمؤمنات يشع ذلك النور اللطيف الشفيف.. ولكن أنى للمنافقين

أن يقتبسوا من هذا النور، وقد عاشوا حياتهم كلها في الظلام؟!.. فهذا صوت مجهول يناديهم: ﴿**قيل ارجعوا وراءكم.. فالتمسوا نوراً..**﴾ فهو صوت التهكم والتذكير بما كان منهم في الدنيا من نفاق ودسّ في الظلام!. وعلى الفور يفصل بين المؤمنين والمؤمنات، والمنافقين والمنافقات.. فهذا يوم الفصل إذْ كانوا في الدنيا مختلطين في الجماعة: ﴿**فضرب بينهم بسور: له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب..**﴾ فيبدو أنه سور يمنع الرؤية، ولكنه لا يمنع الصوت.. فهاهم أولاء المنافقون ينادون المؤمنين: ﴿**ألم نكن معكم**﴾؟!.. فما بالنا نفترق عنكم؟!.. ﴿**قالوا: بلى**﴾!: كان الأمر كذلك.. ﴿**ولكنكم فتنتم أنفسكم..**﴾ فصرفتموها عن الهدى.. ﴿**وتربصتم..**﴾ فلم تعزموا ولم تختاروا الخيرة الحاسمة.. ﴿**وارتبتم..**﴾ فلم يكن لكم من اليقين ما تعتزمون به العزيمة الأخيرة. ﴿**وغرتكم الأماني.. حتى جاء أمر الله..**﴾ فانتهى الأمر. ﴿**وغركم بالله الغرور.. فاليوم لا يؤخذ منكم فدية.. ولا من الذين كفروا.. مأواكم النار، هي مولاكم.. وبئس المصير!. ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق**﴾؟!: هذا عتاب فيه الحضّ، وفيه الحقّ، وفيه الاستجاشة إلى الشعور بجلال والخشوع لذكر الله وتلقّي ما نزل من الحق.. وإلى جانب التحضيض والاستبطاء تحذير من عاقبة التباطؤ والتقاعس عن الاستجابة: ﴿**ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل.. فطال عليهم الأمد.. فقست قلوبهم. وكثير منهم فاسقون..**﴾ فلهذا كان هذا التذكير، وهذا التحذير..

ثم بعده هذا التنبيه والتعليم: ﴿**اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون..**﴾ ففي هذا القرآن ما يحيى القلوب كما تحيا الأرض.. فهو تمثيل لإحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة بإحياء الأرض بالغيث؛ للترغيب في الخشوع، والتحذير عن القساوة.. ويتبع هذه اللمسة المحيِيَة، وذلك العتاب المخجل، وذلك التذكير والتحذير بحافز جديد للبذل والعطاء: ﴿**إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم ولهم أجر كريم.. والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون**﴾: هذه رتبة ينالها أصحاب الأنبئاء السابقون بصحبتهم والوقوف معهم.. مثل حواري عيسى وأصحاب محمد من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار.. وفي مقدمتهم أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ. ﴿**والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم**﴾: هذه

رتبة ينالها الشهداء الذين قتلوا مع الأنبياء في الدفاع عن دعوتهم.. وفي مقدمتهم حمزة سيد الشهداء ـ رضي الله عنه ـ. ﴿**والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم**﴾: هؤلاء هم الذين وقفوا ضد دعوة الرسل.. ففي مقدمتهم أبو جهل فرعون هذه الأمة.. ولمسة أخرى بوضع قيم الدنيا كلها في ميزان الله إلى جانب قيم الآخرة؛ حيث تبدو قيم الأرض لقباً خفيفة الوزن؛ وترجح كفة الآخرة، ويبدو فيها الجد الذي يستحق الاهتمام: ﴿**اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد**﴾!.. فبعد ما بين حال فريق المؤمنين من المهاجرين والأنصار والصديقين والشهداء والذين اتبعوهم بإحسان، وحال فريق الكافرين في الآخرة، شرح حال الحياة الدنيا التي اطمأن بها الفريق الثاني من السابقين واللاحقين؛ وأشير إلى أنها من محقرات الأمور التي لا يركن إليها العقلاء، فضلاً عن الاطمئنان بها، وأنها مع ذلك سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال حيث قيل: ﴿**كمثل غيث أعجب الكفار نباته..**﴾ فالكفار هنا هم الزراع.. ولكن اختياره هنا فيه تورية وإلماع إلى إعجاب الكفار بالله بالحياة الدنيا.. ﴿**ثم يهيج فتراه مصفراً.. ثم يكون حطاماً..**﴾ فينتهي شريط الحياة كلها بهذه الصورة المتحركة المأخوذة من مشاهدات البشر المألوفة.. فينتهي بمشهد الحطام!.

وبعد ما بين السياق حقارة أمر الدنيا تزهيداً فيها، وتنفيراً مِنَ العكوف عليها أشير إلى فخامة شأن الآخرة وعظم ما فيها من اللذات والآلام، ترغيباً في تحصيل نعيمها المقيم، وتحذيراً من عذابها الأليم: ﴿**وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان..**﴾ فهي لا تنتهي في لمحة كما تنتهي الحياة الدنيا. وهي لا تنتهي إلى حطام مثل النبات البالغ أجله.. إنها حساب وجزاء.. ودوام.. يستحق الاهتمام. ﴿**وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور..**﴾ فما لهذا المتاع حقيقة ذاتية.. إنما يستمد قوامه من الغرور الخادع؛ كما أنه يُلهي ويُنسى.. فينتهي بأهله إلى غرور خادع!. ومن ثَمّ يدعوهم إلى السباق في ميدان السباق الحقيقي، للغاية التي تستحق السباق. الغاية التي تنتهي إليها مصائرهم، والتي تلازمهم بعد ذلك في عالم البقاء: ﴿**سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم**﴾!!.. ثَمّ تجيء لمسة أخرى في إيقاع عميق عن قدر الله الذي لا يكون

سواه: ﴿**ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها**..﴾ فكل مصيبة من خير أو شر تقع في الأرض كلها.. وفي أنفس البشر هي في ذلك الكتاب الأزلي من قبل ظهور الأرض وظهور الأنفس في صورتها التي ظهرت بها.. ﴿**إن ذلك على الله يسير.. لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم**﴾: أخبرناكم بذلك لكيلا تأسوا على فائت ولا تفرحوا بما هو آت.. فإن من علم أن الكل مقدر، يفوت ما قُدّر فواته، ويأتي ما قُدّر إتيانه لا محالة لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما هو آت. ﴿**والله لا يحب كل مختال فخور**﴾: تعقيب على ما سبق.. فإن من فرح بالحظوظ الدنيوية وعظمت في نفسه اختال وافتخر بها لا محالة. وفي تخصيص التذييل بالنهي عن الفرح المذكور إيذان بأنه أقبحُ من الأسى!: ﴿**الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل**..﴾ فإن المختال بالمال يضن به غالباً ويأمر غيره به. ﴿**ومن يتول فإن الله الغني الحميد**..﴾ فهذه الجملة الشرطية جاءت تذييلاً مقرراً لمضمون ما سبق من أمر الإنفاق والبخل.. فهو تهديد وإشعار بأن الأمر بالإنفاق لمصلحة المنفق. ﴿**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات.. وأنزلنا معهم الكتاب والميزان.. ليقوم الناس بالقسط**..﴾ فكل الرسالات جاءت لتقر في الأرض وفي حياة الناس ميزاناً ثابتاً يرجعون إليه.. ﴿**وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد.. ومنافع للناس**..﴾ فمثل إنزالنا الكتاب والميزان أنزلنا الحديد.. ﴿**وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب**..﴾ فهذه الجملة تشير إلى الجهاد بالسلاح. تجيء في موضعها في السورة التي تتحدث عن بذل النفس والمال..

وجملة ﴿**إن الله قوي عزيز**﴾ اعتراض تذييلي جيء به تحقيقاً للحق، وتنبيهاً على أن تكليفهم الجهاد ليس لحاجته تعالى.. بل ليصلوا به إلى الثواب الذي كان سببه امتثال أمر الله بالجهاد. ﴿**ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوءة والكتاب**﴾: تفصيل لما أجمل في قوله تعالى: ﴿**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات**..﴾ وتكرير القسم ـ لقد ـ لإظهار مزيد الاعتناء بالأمر.. ﴿**فمنهم مهتدٍ، وكثير منهم فاسقون**﴾: أما الذرية التي جاءتها النبوءات والكتب فلم تكن على شاكلة واحدة.. فمنهم مهتد إلى الحق.. وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق المستقيم.. ففيه مبالغة في الذم، وإيذان بغلبة أهل الضلال وكثرتهم.. ﴿**ثم قفّينا على آثارهم برسلنا.. وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل**..﴾ فأرسلنا رسولاً

بعد رسول.. حتى جاء عيسى ـ عليه السلام ـ بالإنجيل.. ﴿**وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة.. ورهبانيةً ابتدعوها.. ما كتبناها عليهم.. إلا ابتغاء رضوان الله.. فما رعوها حق رعايتها.. فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم.. وكثير منهم فاسقون**﴾: في هذا الكلام على عيسى وأتباعه ذم لبعض الذين ابتدعوا الرهبانية قصداً منهم التقرب إلى الله والتهرب من متاع الدنيا وزخرفها.. ولكنهم لم يراعوها حق رعايتها كما ادّعوا.. وبعد هذا العرض من تاريخ الرسل يجيء الهتاف الأخير للذين آمنوا، وهم الحلقة الأخيرة في سلسلة المؤمنين برسالة الله في تاريخها الطويل؛ وورثة هذه الرسالة الذين يقومون إلى يوم الدين: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم..**﴾ ولما كان أهل الكتاب يزعمون أنهم أبناء الله وأحبّاؤه ﴿**وقالوا: كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا**﴾ جاء هذا التعليل في ختام هذه السورة حسماً للوهم الكاذب ﴿**لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله.. وأن الفضل بيد الله.. يؤتيه من يشاء.. والله ذو الفضل العظيم..**﴾ ففضل الله غير مقصور على قوم، ولا محجوز لطائفة.. ولا محدود، ولا قليل!: والله ذو الفضل العظيم.. وفي هذا الكلام براعة الختام. وفيه ربط الآخر بالأول؛ لرد العجز على الصدر. وهو ختام يتناسق مع سياق السورة كلها.. ويتناسق مع الهتاف المكرر فيها: آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه.. فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير!!..

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿**سبح لله ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم..**﴾: في هذا التوجيه لفت النظر إلى ما يحتويه هذا الخبر.. فتسبيح ما في السماوات والأرض لله تعالى فرع عن العزة الغالبة والحكمة البالغة! ﴿**وإن من شيء إلا يسبح بحمده.. ولكن لا تفقهون تسبيحهم**﴾ فهو المهيمن على كل شيء بعزته وقوته.. وهو جاعل كل شيء وفق حكمته.. ﴿**له ملك السماوات والأرض يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير**﴾: إن كل شيء في السماوات والأرض سبّح لله مالِك السماوات والأرض.. لا شريك له في ملكه.. فهو تسبيح المملوك لمالكه المتفرّد، الذي يحيى ويميت.. فيخلق الحياة ويخلق الموت.. ويُقدّر الحياة لكل

حي، ويقدر له الموت. . فلا يكون إلا قدَرهُ الذي قضاه. والحياة ما تزال سراً في طبيعتها. . وغيباً في مصدرها. . فلا يملك أحد من البشر أن يقول من أين جاءت. . ولا كيف جاءت. . فضلاً على أن أحداً لا يدري ما هي على وجه الحقيقة. والنص القرآني يقول: إن الله هو الذي يحيي الذي يعطي الحياة للأحياء. وما يملك أحد أن ينكر هذا، ولا أن يُثبت غيره. . والموت كالحياة غيب وسر مغلّف، لا يعرف أحد طبيعته، ولا يملك أحد أن يُحْدثه. . فهذا وذلك من مظاهر الملكية المطلقة لله تعالى في السماوات والأرض يحيى ويميت. . وهو على كل شيء قدير: إجمالاً بغير حد ولا قيد. ومن ثَمّ يتمثل للقلب البشري من خلال هذه الآية سلطان الله المطلق في ملكه الذي لا شريك له فيه. والذي يتوجه إليه سبحانه بالتسبيح، وحق له أن يتوجّه، وحقّ عليه أن يُسبِّح. . وما يكاد القلب البشري يفيق من تصور هذه الحقيقة الضخمة التي تملأ الكيان البشري وتفيض. . حتى تطالعه حقيقةٌ أخرى؛ لعلها أضخم وأقوى: حقيقة أن لا كينونة لشيء في هذا الوجود على الحقيقة. . فالكينونة الواحدة الحقيقية هي لله وحده سبحانه!

ومن ثَمّ. . فهي محيطة بكل شيء، عليمة بكل شيء: ﴿**هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم**. .﴾ فهذا الوجود الإلهي هو الوجود الحقيقي، الذي يستمد منه كلُّ شيء وجودَه. . فليس وراءها حقيقة ذاتية ولا وجود ذاتي لشيء في هذا الوجود. وبعد إطلاق تلك الحقيقة الكبرى جعل يذكر كيف انبثقت منها حقائق الوجود الأخرى: ﴿**هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام**..﴾ فهذه حقيقة تكررت مراراً في القرآن لمناسبات تقتضي ذكرها. وكذلك الاستواء على العرش: ﴿**ثم استوى على العرش**. .﴾ فهو كناية عن الهيمنة الكاملة على هذه المخلوقات. . ومع الخلق والهيمنة العلم الشامل: ﴿**يعلم ما يلج في الأرض. . وما يخرج منها. . وما ينزل من السماء. . وما يعرج فيها**. .﴾ ففي كل لحظة يلج في الأرض ما لا عداد له ولا حصر من شتى أنواع الأحياء والأشياء. . ويخرج منها ما لا عداد له ولا حصر من خلائق لا يعلمها إلا الله. . وفي كل لحظة ينزل من السماء من الأمطار والأشياء المنظورة. . ومن الملائكة والأقدار والأسرار الغيبية غير المنظورة. . ويعرج فيها كذلك من المنظور والمستور ما لا يحصيه إلا الله!. والنص القصير يشير إلى هذه الحركة الدائبة التي لا تنقطع: يلج ويخرج وينزل ويعرج!. . وإلى هذه الأحداث الضخام التي لا تحصى. . وبينما

القلب في تلفته ذاك، في الأرض والسماء، إذا القرآن يرده إلى ذاته ويلمسه في صميمه! وإذا هو يجدُ الله تعالى معه، ناظراً إليه، مطلعاً عليه، بصيراً بعمله، قريب جد قريب: **﴿وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير..﴾** فهذه كلمة على الحقيقة لا على الكناية والمجاز.. فالله ـ سبحانه ـ مع كل أحد، ومع كل شيء، في كل وقت وفي كل مكان. مطلع على كل ما يُعمل، بصير بالعباد.. فهي حقيقة هائلة حين يتمثلها القلب المؤمن. حقيقة مذهلة من جانب، ومؤنسة من جانب!: مذهلة بروعة الجلال!. ومؤنسة بظلال القربى ومنظر الجمال!.

ومرة أخرى يعود السياق إلى ملكية السماوات والأرض في مجال آخر غير الذي وردت فيه أول مرة: **﴿له ملك السماوات والأرض وإلى الله ترجع الأمور..﴾** ففي المرة الأولى جاء ذكرها في معرض الإحياء والإماتة، والقدرة المطلقة؛ وهنا يجيء ذكرها في معرض رجعة الأمور كلها إلى الله.. فهي متصلة بملكية الله تعالى للسماوات والأرض ومكملة لحقيقة هو الأول والآخر.. فالشعور بهذه الحقيقة يحرس القلب من كل لفتة لغير الله في أيّ أمر!: في أول الأمر وفي آخره.. ويحميه من التطلع لغير الله في أي طلب.. ومراقبة غير الله في أي عمل.. ويقيمه على الطريق إلى الله في سره وعلنه وحركته وسكونه.. وهو يعلم أن لا مهرب من الله إلا إليه.. ولا ملجأ منه إلا إلى حماه!.. وينتهي هذا التوجيه بحركة لطيفة من حركات القدرة في مجال الكون وفي أطواء الضمير: **﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور..﴾** فدخول الليل في النهار ودخول النهار في الليل حركة دائبة. وهي في الوقت ذاته حركة لطيفة، سواء كان المعنى طول الليل وأخذه من النهار، وطول النهار وأخذه من الليل، أو كان المعنى مجرد تداخل الليل في النهار عند الغروب، وتداخل النهار في الليل عند الشروق. ومثل هذه الحركة في خفائها ولطفها حركة العلم بذات الصدور. وذات الصدور هي الأسرار المصاحبة لها التي لا تفارقها ولا تبرحها!. والشعور بيد الله تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل في لطف؛ ينشىء في القلب حالة من التأمل الرفيق والحساسية الشفيفة، كالشعور بعلم الله يتلطف في الاطلاع على ذات الصدور الساكنة في خبايا الضمير!..

التوجيه الثاني: ﴿آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه..﴾:

في هذا التوجيه دعوة الناس إلى إظهار الإيمان الصادق الواثق، وبذل المال في سبيل الله الخالق المالك الرازق.. فكذلك ترتبط هذه الإشارة بما سبق من الحقائق الكلية في مطلع السورة.. ثم تقوم هي بدورها في استثارة الخجل والحياء من الله. وهو المالك الذي استخلفهم وأعطاهم.. فماذا هم قائلون حين يدعوهم إلى إنفاق شيء مما استخلفهم فيه، ومما أعطاهم؟!.. فالله هو المعطي، ولا نفاد لما عنده.. فماذا يمسكهم عن البذل والعطاء، وما في أيديهم رهن بعطاء الله؟!.. ولكنه لا يكلهم إلى هذا التذكير وما يثيره من خجل وحياء ومن سماحة ورجاء.. إنما يخاطبهم بمؤثر جديد. يخجلهم من كرم الله ويطمعهم في فضله: ﴿**فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير**﴾!.. فكيف يتخلف متخلف عن الإيمان والبذل، في مواجهة هذا الكرم والفضل؟!..

غير أن القرآن لا يَكِلُ الناس إلى هذه اللمسات الأولى.. إنما يلحّ على قلوبهم بمُوحِيَاتِ الإيمان ومُوجباتِه من واقع حياتهم وملابساتها التي هم فيها وقت نزول القرآن: ﴿**وما لكم لا تؤمنون بالله؟ والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم! وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين.. هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور!!.. وإن الله بكم لرءوف رحيم**﴾!.. فما الذي يعوق الناس المعاصرين لزمن التنزيل عن الإيمان ـ وفيهم الرسول يدعوهم إلى الإيمان.. وقد أخذ الله ميثاقهم بهذا الإيمان!.. وما الذي يعوقهم عن الإيمان بالله وهو ينزل على عبده ـ محمد ـ آيات بينات ـ القرآن ـ يخرجهم من ظلمات الضلال والشك والحيرة، إلى نور الهدى واليقين والطمأنينة؟!.. ففي هذا وذاك من دلائل الرأفة والرحمة بهم ما فيه!!.. فإن نعمة وجود الرسول بين القوم يدعوهم بلغة السماء ويخاطبهم بكلام الله، ويصل بينهم وبين الله في ذوات نفوسهم وخواص شؤونهم. نعمة فوق التصور حين نتملّاها نحن الآن من بعيد.. فهذه الفترة ـ فترة الوحي ووجود الرسول ـ فترة عجيبة حقاً!.. فالله ـ جل جلالُه ـ يخاطب هذا البشر على لسان عبده، يقول لهم هذا الكلام!. فالأمر فوق ما يطيق الذي لم يعش هذه الفترة أن يتصور!.. ثم ينتقل بهم من موحيات الإيمان وموجباته إلى موحيات الإنفاق وموجباته في توكيد وتكرير: ﴿**وما لكم ألاّ تنفقوا في سبيل الله.. ولله ميراث السماوات والأرض**﴾؟!..

ففي هذه الإشارة عودة إلى حقيقة: ﴿**له ملك السماوات والأرض وإلى الله**

ترجع الأمور﴾. فميراث السماوات والأرض ملكه راجع إليه. وما استُخلفوا فيه إذن سيؤول إليه في الميراث.. فما لهم لا ينفقون في سبيله حين يدعوهم إلى الإنفاق؟!.. وهو استخلفهم فيه كما قال لهم هناك. وكله عائد إليه كما يقول لهم هنا!. وما الذي يبقى من دواعي الشح وهواتف البخل أمام هذه الحقائق في هذا الخطاب؟!. ولقد استجاب لهذا الدعاء من اختارهم الله.. فكانوا خير أمة أخرجت للناس. وبذلوا نفوسهم وأموالهم: **﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾** في ساعة العسرة وفترة الشدة قبل الفتح ـ فتح مكة ـ عندما كان الإسلام محاصراً من كل جانب، مطارداً من كل عدو، قليل الأنصار والأعوان.. لكن ما بذلوه من ناحية الكم ـ كان قليلاً بالقياس إلى ما أصبح الذين جاءوا بعد الفتح يملكون أن يبذلوه.. هنا نزل القرآن ليزن بميزان الحق بذل هؤلاء بعد الفتح وبذل أولئك قبله: **﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل.. أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا..﴾** فالذي ينفق ويقاتل والعقيدة مطاردة والأنصار قلة، وليس في الأفق ظل منفعة ولا سلطان ولا رجاء.. غير الذي ينفق ويقاتل والعقيدة آمنة والأنصار كثرة، والنصر والغلبة والفوز قريبة المنال. وبعد أن قرر النصُّ القِيَم الحقيقية في ميزان الله لهؤلاء وهؤلاء، عاد فقرر أن للجميع المثوبة الحسنى: **﴿وكلاًّ وعد الله الحسنى..﴾** فكل هذا الجزاء بالحسنى للجميع مرده إلى ما يعلمه الله من تقدير أحوالهم وما وراء أعمالهم من عزائمهم ونواياهم. وخبرته تعالى بحقيقة ما يعملون: **﴿والله بما تعملون خبير..﴾** فهي لمسة موقظة للقلوب في عالم النوايا المضمرة وراء الأعمال الظاهرة. وهي التي تناط بها القيم، وتُرجّح بها الموازين.. ثم مرحلة أخرى في استجاشة القلوب للإيمان والبذل، ومؤثرات أخرى وراء تلك المؤثرات: **﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم؟ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم..﴾** فهذا هتاف موح مؤثر آسر: يشد القلوب.. ويلفت الأنظار والأسماع.. فالله سبحانه وتعالى يقول للعباد الفقراء المحاويج: من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً؟!.. فمجرد تصور المسلم أنه هو الفقير الضئيل يقرض ربه كفيل بأن يطير به إلى البذل طيراناً!. إن الناس ليُسابقون عادةً إلى إقراض الثرى المليء منهم ـ وهم كلهم فقراء ـ لأن السداد مضمون ولهم الاعتزاز بأن أقرضوا ذلك الثرى المليء!.. فكيف إذا كانوا يقرضون الغنيَّ الحميد؟!.. ولا يكلهم ـ سبحانه ـ إلى

هذا الشعور وحده.. ولكن يعدهم على القرض الحسن الخالص له، المجرد من كل تلفت إلى سواه. يعدهم عليه الضعف في المقدار، والأجر الكريم بعد ذلك من عند الله: فيضاعفه له وله أجر كريم.. ثم يَعرض لهم صفحة وضيئة من ذلك الأجر الكريم، في مشهد من مشاهد اليوم الذي يكون فيه ذلك الأجر الكريم.

والمشهد هنا بإجماله وتفصيلاته جديد ـ بين المشاهد القرآنية ـ وهو من المشاهد التي يحييها الحوار بعد أن ترسم صورتها المتحركة رسماً قوياً.. فنحن الذين نقرأ القرآن اللحظة نشهد مشهداً عجيباً: هؤلاء هم المؤمنون والمؤمنات نراهم.. ولكننا نرى بين أيديهم وبأيمانهم إشعاعاً لطيفاً هادئاً. ذلك نورهم يشع منه ويفيض بين أيديهم.. فهذه الشخوص الإنسانية قد أشرقت وأضاءت وأشعّت نوراً يمتد منها.. فيُرى أمامها ويُرى عن يمينها.. فهو النور الذي أخرجه الله إليه وبه من الظلمات.. والذي أشرق على أرواحها فغلب على طينتها.. ثم ها نحن أولاء نسمع ما يوجه إلى المؤمنين والمؤمنات من تكريم وتبشير: ﴿**بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، ذلك هو الفوز العظيم**..﴾ ولكن المشهد لا ينتهي عند هذا المنظر الطّريف اللطيف.. فهناك المنافقون والمنافقات في حَيْرة وضلال.. وفي مهانة وإهمال.. وهم يتعلقون بأذيال المؤمنين والمؤمنات: ﴿**يوم يقول المنافقون للذين ءامنوا: انظرونا نقتبس من نوركم**..﴾ فحيثما تتوجه أنظار المؤمنين والمؤمنات يشع ذلك النور اللطيف الشفيف.. ولكن أنّى للمنافقين أن يقتبسوا من هذا النور، وقد عاشوا حياتهم كلها في الظلام؟!. إن صوتاً مجهولاً يناديهم: ﴿**قيل ارجعوا وراءكم.. فالتمسوا نوراً**..﴾ فيبدو أنه صوت للتهكم، والتذكير بما كان منهم في الدنيا من نفاق ودس في الظلام: ارجعوا وراءكم إلى الدنيا، إلى ما كنتم تعملون.. ارجعوا.. فالنور يلتمس من هناك من العمل في الدنيا.. ارجعوا.. فليس اليوم يلتمس النور!. وعلى الفور يفصل بين المؤمنين والمؤمنات، وبين المنافقين والمنافقات.. فهذا يوم الفصل إذْ كانوا في الدنيا مختلطين في الجماعة: ﴿**فضرب بينهم بسور: له باب باطنهُ فيه الرحمة وظاهِرُهُ من قبله العذاب**..﴾ فهو سور يمنع الرؤية.. ولكنه لا يمنع الصوت.. فها هم أولاء المنافقون والمنافقات ينادون المؤمنين: ﴿**ألم نكن معكم**؟..﴾ فما بالنا نفترق عنكم؟!.. ألم نكن معكم في الدنيا نعيش في صعيد واحد.. وقد بعثنا معكم؟.. هنا في صعيد واحد؟.. ﴿**قالوا: بلى**..﴾ كان الأمر

كذلك.. ﴿**ولكنكم فتنتم أنفسكم..**﴾ فصرفتموها عن الهدى.. ﴿**وتربصتم..**﴾ فلم تعزموا ولم تختاروا الخيرة الحاسمة.. ﴿**وارتبتم..**﴾ فلم يكن لكم من اليقين ما تعزمون به العزمة الأخيرة.. ﴿**وغرتكم الأماني**﴾ الباطلة في أن تنجوا وتربحوا بالذبذبة وإمساك العصا من طرفيها!!.. ﴿**حتى جاء أمر الله**﴾، وانتهى الأمر.. ﴿**وغركم بالله الغرور**﴾، وهو الشيطان الذي يطمعكم ويمنيكم.. ﴿**فاليوم لا يؤخذ منكم فدية.. ولا من الذين كفروا.. مأواكم النار. هي مولاكم.. وبئس المصير**﴾!.. فهذه هي كلمة الملإ الأعلى يسمعها جميع الخلائق في ذلك المشهد الجامع تيئيساً لأولئك الطامعين من النجاة من العذاب السعير!!.. وتنظر من ناحية التناسق الغنيّ في عرض المشهد.. فنجد لاختيار مشهد النور في هذا الموضع بالذات حكمة خاصة..

فالحديث هنا عن المنافقين والمنافقات، وهم يخفون باطنهم، ويتظاهرون بغير ما في الضمير المكنون، ويعيشون في ظلام من النفاق والدس والوقيعة؛ والنور يكشف المخبوء ويفضح المستور. كما أنه الصفة المقابلة الوضيئة لصفحة النفاق المظلمة المطموسة.. فهو أليق شيء بأن تطلق أشعته على المشهد الكبير. وبأن ينير بين أيدي المؤمنين والمؤمنات وبأيمانهم. بينما المنافقون في الظلام الذي يناسب ظلمات الضمير وظلمات الخفاء المستور!. وبعد.. فأيُّ قلب لا يهفو لذلك النور في ذلك اليوم؟!. وأي قلب لا يستجيب لهتاف الإنفاق والبذل تحت إيقاع تلك الموحيات العميقة التأثير؟!. إنه القرآن يعالج القلوب في ثبات واطراد، ويدعوها دعاء العليم الخبير بطبيعتها ومداخلها ومساربها؛ وما تستجيب وما يؤثر فيها.

التوجيه الثالث: ﴿**ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق. ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل.. فطال عليهم الأمد.. فقست قلوبهم. وكثير منهم فاسقون..**﴾: في هذا التوجيه استطراد في الدعاء ومزيد من موحيات الاستجابة على هذا المنهج وفي هذا الطريق.. فهذا الشوط امتداد لموضوع السورة الرئيسي: تحقيق حقيقة الإيمان في النفس.. حتى ينبثق عنها البذل الخالص في سبيل الله. وهو يبدأ برنّة عتاب من الله تعالى للمؤمنين الذين لم يصلوا إلى تلك المرتبة التي وصل إليها السابقون الأولون من المهاجرين

والأنصار.. وتلويح لهم بما كان من أهل الكتاب قبلهم من قسوة في القلوب، وفسق في الأعمال، وتحذير من هذا المآل الذي انتهى إليه أهل الكتاب بطول الأمد عليهم.

إنه عتاب مؤثر من المولى الكريم الرحيم. عتاب فيه الود، وفيه الحضّ، وفيه الاستجاشة إلى الشعور بجلال الله تعالى والخشوع لذكره. وإلى جانب التحضيض والاستبطاء تحذير من عاقبة التباطؤ والتقاعس عن الاستجابة؛ وبيان لما يغشى القلوب من الصدإ حين يمتد بها الزمن بدون جلاء؛ وما تنتهي إليه من القسوة بعد اللين حين تغفل عن ذكر الله، وحين لا تخشع للحق!.. فإن هذا القلب البشري سريع التقلب سريع النسيان.. فإذا طال عليه الأمد بلا تذكير ولا تذكر تبلد وقسا، وانطمست إشراقته وأظلم وأعتم!.. فلا بد من تذكير هذا القلب حتى يذكر ويخشع، ولا بدّ من الطرق عليه حتى يرق ويشفّ؛ ولا بد من اليقظة الدائمة كي لا يصيبه التبلد، ولا تعتريه القساوة.. ولكن لا بأس من قلب خمد وجمد وقسَا وتبلّد.. فإنه يمكن أن تدبّ فيه الحياة، وأن يشرق فيه النور، وأن يخشع لذكر الله.. فالله يحيى الأرض بعد موتها، فتنبض بالحياة وتزخر بالنبات والأزهار.. فتمنح الأكل والثمار!. وكذلك القلوب حين يشاء الله: ﴿**اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها..**﴾ ففي هذا القرآن ما يحيى القلوب كما تحيا الأرض.. وما يمدها بالغذاء والري والدفء: ﴿**قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون**﴾!!..

ثم يتبع السياق بحافز جديد للبذل والفداء: ﴿**إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يُضَاعَفُ لهم ولهم أجر كريم..**﴾ فأي حافز للتصدق أوقع وأعمق من شعور المعطي بأنه يقرض الغني الحميد، وأنه يتعامل مع مالك الوجود؟، وأن ما ينفقه مخلّف عليه مضاعفاً، وأن له بعد ذلك كله الأجرَ الكريم؟!.. ثم يعرض السياق نموذجين من نماذج الإيمان الصادق. والجهاد الفائق ليتبين الفرق بينهم وبين الكافر والمنافق: ﴿**والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون..**﴾ والصّدِّيق في مصطلح الشرع إنسان صحب صاحب الدعوة وبذل نفسه وماله في سبيلها حتى ظهرت وانتشرت.. والشهيد إنسان بذل نفسه فداء وتضحية دفاعاً عنها.. فنال الكرامة والشهادة عند ربه فاستقرت نفسه واستبشرت وفرحت!!: ﴿**والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم**﴾. وعاش مع هؤلاء الأبرار المنافقون والكفار: ﴿**والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب**

الجحيم. .﴾ ﴿إن الأبرار لفي نعيم! وإن الفجار لفي جحيم!﴾ واللمسة الأخرى في هذا الشوط تجيء تعقيباً على دعوة الإيمان والبذل، ودعوة الفداء والتضحية؛ تعقيباً يصور الدنيا كلها بصورة هزيلة زهيدة تهوّن من شأنها، وترفع النفوس عنها؛ وتعلّقها بالآخرة وقيمها: **﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة، وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد﴾!**. . فالحياة الدنيا حين تقاس بمقاييسها هي، وتوزن بموازينها تبدو في العين وفي الحس أمراً عظيماً هائلاً!. . ولكنها حين تقاس بمقاييس الوجود وتوزن بميزان الآخرة تبدو شيئاً زهيداً تافهاً. وهي هنا في هذا التصوير تبدو لعبة أطفال بالقياس إلى ما في الآخرة من جدّ تنتهي إليه مصائر أهلها بعد لعبة الحياة!. . فالدنيا لعب. . ولهو. . وزينة. . وتفاخر. . وتكاثر. . فهذه هي الحقيقة وراء كل ما يبدو فيها من جد حافل، واهتمام شاغل. . ثم يمضي السياق يضرب لها مثلاً مصوَّراً على طريقة القرآن المبدعة: **﴿كمثل غيث أعجب الكفار نباتُه. .﴾** فالكافر تعجبه الدنيا مثل ما يعجب الزارع نبات ما زرع وغرس. . **﴿ثم يهيج فتراه مصفراً. .﴾** فهذه هي مرحلة النبات. . فهو موقوت الأجل ينتهي عاجلاً ويبلغ أجله قريباً. . **﴿ثم يكون حطاماً. .﴾** فكذلك الدنيا تنتهي بهذه الصورة. . فأما الآخرة فلها شأن غير هذا الشأن: شأن يستحق أن يُحسب حسابُه، ويُنظر إليه، ويستعد له: **﴿وفي الآخرة عذاب شديد. . ومغفرة من الله ورضوان. .﴾** فهي لا تنتهي في لمحة كما تنتهي الحياة الدنيا. وهي لا تنتهي إلى حطام كذاك النبات البالغ أجلَه. . فهي حساب وجزاء، ودوام. . يستحق الاهتمام! **﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور. .﴾** فما لهذا المتاع حقيقة ذاتية. . إنما يستمد قوامه من الغرور الخادع!. . وهي حقيقة حين يتعمق القلب في طلب الحقيقة. حقيقة لا يقصد بها القرآن العزلة عن حياة الأرض، ولا إهمال عمارتها وخلافتها التي ناطها الله بهذا الكائن البشري. . إنما يقصد بها تصحيح المقاييس الشعورية والقيم النفسية، والاستعلاء على غرور المتاع الزائل، وجاذبيته المقيدة بالأرض. هذا الاستعلاء الذي كان المخاطبون بهذه السورة في حاجة إليه ليحققوا إيمانهم؛ والذي يحتاج إليه كل مؤمن. . فلا ينحرف بمفهوم النص. . فينجرف في مهاوِي الفاقة والعوز والحرمان!. . فالحياة الدنيا للمؤمن مطية تسير به إلى دار الخلود؛ إن استعملها حسب ما يريد الله منه من إيمان وإنفاق وإحسان.

ومن ثَمّ يدعوهم إلى السباق في ميدان السباق الحقيقي للغاية التي تستحق

السباق: ﴿**سابقوا إلى مغفرة من ربكم، وجنة عرضها كعرض السماء والأرض..**﴾ فليس السباق بإحراز اللهو واللعب والتفاخر والتكاثر بسباق.. يليق بمن شبوا عن الطوق وتركوا عالم اللهو واللعب للأطفال والصغار.. إنما السباق إلى ذلك الأفق، وإلى ذلك الهدف، وإلى ذلك الملك العريض. وذلك الملك العريض في الجنة يبلغه كل من أراد، ويسابق إليه كل من يشاء.. وعربونه: الإيمان بالله ورسله!.. ﴿**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.. والله ذو الفضل العظيم**﴾. وفضل الله غير محجوز ولا محجور.. فهو مباح متاح للراغبين والسابقين. وفي هذا.. فليتسابق المتسابقون. إن مقاييس هذه الأرض وموازينها لا تمثل الحقيقة التي ينبغي أن تستقر في ضمير المسلم.. بل ينبغي أن يتعامل مع الحقيقة الكبيرة الطليقة من قيود هذا الواقع الصغير.. فيتعامل مع الوجود الكبير الذي يتمثله في الأزل والأبد؛ وفي ملك الآخرة الواسع العريض.. ثم تجيء اللمسة الأخيرة في إيقاع عميق عن قدر الله الذي لا يكون سواه: ﴿**ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها..**﴾ فإنّ هذا الوجود من الدقة والتقدير بحيث لا يقع فيه حادث إلا وهو مقدر من قبلُ في تصميمه، محسوب حسابُه في كيانه.. لا مكان فيه للمصادفة، ولا شيء فيه جزاف.. فلكل حادث موضعه في تصميمه الكلي المكشوف لعلم الله.. فكل مصيبة من خير أو شر في الأرض كلها وفي أنفس البشر جميعاً. هي في ذلك الكتاب الأزلي من قبل ظهور الأرض وظهور الأنفس.. ﴿**إن ذلك على الله يسير..**﴾ فقيمة هذه الحقيقة التي لا يتصور العقل غيرها حين يتصور حقيقة الوجود الكبرى. قيمتها في النفس البشرية أن تسكب فيها السكون والطمأنينة عند استقبال الأحداث خيرها وشرها.. فلا تجزع الجزع الذي تطير به شعاعاً، وتذهب معه حسرات عند الضرّاء..

ولا تفرح الفرح الذي تستطار به وتفقد الاتّزان عند السراء: ﴿**لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم..**﴾ فاتساع أفق النظر، والتعامل مع الوجود الكبير، ورؤية الأحداث في مواضعها المقدرة في علم الله.. فكل ذلك يجعل النفس أفسح وأكثر ثباتاً ورزانة في مواجهة الأحداث العابرة.. ﴿**والله لا يحب كل مختال فخور: الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل**﴾: ووجه الصلة بين الحقيقة السابقة وبين الاختيال والفخر.. ثم بين هذا وذلك وبين البخل والأمر بالبخل: هو أن من يشعر بأن كل ما يصيبه هو من أمر الله لا يختال ولا يفخر.. فأما الذي لا

يشعر بتلك الحقيقة فيحسب أن ما عنده هو من كسب يده وجهده وكده.. ﴿**ومن يتول فإن الله الغنيّ الحميد**﴾: من ينفق فإنما ينفق لنفسه، ومن يستجيب فإنما يستجيب لمصلحته.. ومن يتول ويعرض فإنما ضيع عن نفسه كل خير.. فإن الله الغني الحميد..

التوجيه الرابع: ﴿**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان..**﴾: في هذا التوجيه عرض شامل، يعرض باختصار خط سير الرسالة.. فالرسالة واحدة في جوهرها، جاء بها الرسل ومعهم الآيات البينات.. وأنزلنا معهم الكتاب.. والميزان مع الكتاب.. فكل الرسالات جاءت لِتُقر في الأرض وفي حياة الناس ميزاناً ثابتاً ترجع إليه البشرية لتقويم الأعمال والأحداث والأشياء؛ وتقيم عليه حياتها في مأمن من اضطراب الأهواء واختلاف الأمزجة، وتصادم المصالح والمنافع.. ميزاناً لا يُجَابِي أحداً؛ لأنه يزن بالحق الإلهي للجميع، ولا يحيف على أحد؛ لأن الله رب الجميع. هذا الميزان الذي أنزله الله في الرسالة هو الضمان الوحيد للبشرية من العواصف والزلازل والاضطرابات والخلخلة التي تحيق بالناس في معترك الأهواء ومضطرب العواطف ومصطخب المنافسة وحب الذات.. فلابد من ميزان ثابت يَؤُوب إليه البشر.. فيجدون عنده الحق والعدل والنصفة بلا محاباة: ﴿**ليقوم الناس بالقسط..**﴾ فبغير هذا الميزان الإلهي الثابت في منهج الله وشريعته لا يهتدِي الناس إلى العدل. وإن اهتدوا إليه لم يثبت في أيديهم ميزانه، وهي تضطرب في مهب الجهالات والأهواء!. وهناك تقويم آخر للناس يرجعون إليه حين يشتد الاختلاف فيما بينهم: ﴿**وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد..**﴾ فهو الدافع إلى تقويم الحق وإقامة العدل.. فهو بأس شديد لا بد منه.. ﴿**ومنافع للناس**﴾ في غير الدفاع والمقاومة.. ﴿**وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب..**﴾ فهي إشارة إلى الجهاد بالسلاح!..

﴿**إن الله قوي عزيز**﴾: تذييل مقرر لمضمون ما سبق من حكمة إرسال الرسل وإنزال الكتاب والميزان والحديد.. فهذا كله لمنفعة الناس في دينهم ودنياهم.. أما الله سبحانه وتعالى فلا يحتاج منهم إلى نصر. ولما انتهى السياق من تقرير وحدة الرسالة في جوهرها وكتابها وميزانها، عاد يقرر وحدتها في رجالها.. فهم من ذرية نوح وإبراهيم: ﴿**ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوءة والكتاب..**﴾ فهي شجرة واحدة باسقة متشابكة الفروع. فيها النبوءة والكتاب..

فهي ممتدة من عهد نوح.. حتى إذا انتهت إلى إبراهيم تفرعت وامتدت وانبثقت النبوءات من ذلك الفرع الكبير الذي صار أصلاً باسقاً ممتداً إلى آخر الرسالات.. فأما الذرية التي جاءتها النبوءات والكتب فلم تكن على شاكلة واحدة: ﴿**فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون**..﴾ فهو تلخيص قصير لذلك الخط الطويل. وقرب نهاية الخط يجيء عيسى: ﴿**ثم قفينا على آثارهم برسلنا.. وقفينا بعيسى ابن مريم**..﴾ فكانت الرسالة ممتدة واحدة على إثر واحدة.. حتى جاء عيسى ابن مريم ﴿**وآتيناه الإنجيل**﴾. ويذكر السياق هنا صفة بارزة من صفات الذين اتبعوا عيسى ـ عليه السلام: ﴿**وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة**..﴾ فالرأفة والرحمة ظاهرة واضحة في المؤمنين حقيقة برسالة عيسى مِمَّنْ أحسنوا اتباعه. وقد أشارت إليها آيات أخرى في القرآن الكريم. كما حفظ منها التاريخ صوراً يرويها الرواة عن النجاشي ملك الحبشة ومن آمن معه من نصارى الحبشة.. ومن أفراد ممن وفدوا على دار الإسلام بعد ظهوره راغبين في الإسلام، بحكم ما استقر في قلوبهم من الحق؛ مذ كانوا أتباع عيسى ابن مريم بحق. كذلك يذكر النص هنا ظاهرة أخرى عرفت في تاريخ اتباع عيسى: ﴿**ورهبانية ابتدعوها.. ما كتبناها عليهم.. إلا ابتغاء رضوان الله**..﴾ فالظاهر من النص أن هذه الرهبانية التي عرفها تاريخ المسيحية كانت اختياراً من بعض النصارى ابتدعوها من عند أنفسهم.. ابتغاء رضوان الله.. وابتعاداً عن أوضار الحياة.. وهروباً من الإرهاق والمشاق التي واجهتهم، طلباً للنجاة!. ولم يكتبها الله عليهم ابتداء.. ولكنهم حين اختاروها وأوجبوها على أنفسهم صاروا مرتبطين بأن يرعوا حقوقها ويحافظوا على مقتضياتها من تطهر وترفع وقناعة وعفة وذكر وعبادة.. مما يحقق في أنفسهم حقيقة التجرد لله التي قصدوا بهذه الرهبانية التي ابتدعوها.. ولكنها انتهت إلى أن تُصبح طقوساً وشعائر خالية من الروح والشفافية والطهر والنزاهة.. وأن يتخذها الكثيرون مظهراً عارياً من الحقيقة.. فلا يصبر على تكاليفها إلا عدد منهم قليل: ﴿**فما رعوها حق رعايتها.. فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم.. وكثير منهم فاسقون**..﴾ فالله لا يأخذ الناس بالمظاهر والأشكال، ولا بالطقوس والمسوح.. إنما يأخذهم بالعمل والنية، ويحاسبهم على حقيقة الشعور والسلوك. وهو الذي يعلم خبايا القلوب وذوات الصدور..

وبعد هذا العرض السريع يجيء الهتاف الأخير للذين آمنوا وهم الحلقة

الأخيرة في سلسلة المؤمنين برسالة الله في تاريخها الطويل؛ وورثة هذه الرسالة التي يقومون عليها إلى يوم الدين: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم. .**﴾ ففي هذا النداء لمسة خاصة لقلوبهم. . واستحياء لمعنى الإيمان. . وتذكير برعايته حق رعايته. . واستجاشة للصلة التي تربطهم بربهم الذي يناديهم هذا النداء الكريم. . فيبدو للإيمان المطلوب معنى خاص. . يؤتكم كفلين من رحمته: يعطكم نصيبين من رحمته. . وهو تعبير عجيب. . فرحمة الله لا تتجزأ. ومجرد مسها للإنسان يمنحه حقيقتها. . ولكن في هذا التعبير زيادة امتداد للرحمة وزيادة فيض. . ويجعل لكم نوراً تمشون به: وهي هبة لدنية يودعها الله القلوب فتشرق وترى الحقيقة من وراء الحجب والحواجز. . فلا تتخبط ولا تلتوي بها الطريق. ويغفر لكم: فالإنسان إنسان مهما وهب من النور، إنسان يقصر حتى لو عرف الطريق. . إنسان يحتاج إلى المغفرة فتدركه رحمة الله: ﴿**والله غفور رحيم. لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شيء من فضل الله**﴾: فقد كان أهل الكتاب يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه. وكان اليهود يزعمون أنهم شعب الله المختار. . فالله يدعو الذين آمنوا إلى استحقاق رحمته وجنته وهبته ومغفرته حتى يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على احتجاز شيء من فضله: ﴿**وأن الفضل بيد الله، يؤتيه من يشاء. .**﴾ غير مقصور على قوم ولا محجوز لطائفة، ولا مجدود ولا قليل: ﴿**والله ذو الفضل العظيم. .**﴾ فهي دعوة فيها تحضيض واستجاشة واستثارة للسباق إلى الجنة والرحمة تختم بها السورة ختاماً يتناسق مع سياقها كلها، ومع الهتاف المكرر فيها لهذه القلوب؛ كي تحقق إيمانها وتخشع لربها وتستجيب لتكاليف الإيمان في الأموال والأرواح في تجرد وإخلاص. وبعد. . فهذه السورة نموذج من النماذج القرآنية الواضحة في خطاب القلوب البشرية واستجاشتها بأسلوب عميق التأثير. وهي في بدئها وسياقها وختامها، وفي إيقاعاتها وصورها وظلالها؛ درس رباني من صانع القلوب ومنزّل القرآن!.

1 ـ أظهر ما في سورة المجادلة بيان أحكام الله العادلة



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (1) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (2) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (3) فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (4) إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ (5) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (6)

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ
مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ
وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟
ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿7﴾
* أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ
وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ
بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ
حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿8﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ
ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿9﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿10﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟
يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ
وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿11﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً
ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿12﴾
ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ

عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ
خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿13﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم
مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿14﴾
أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿15﴾
ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ﴿16﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ
أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿17﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ
جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ
أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿18﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ
فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ
هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿19﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ
فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿20﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿21﴾
لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ
أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ
جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ
وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿22﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾: تراجعك الكلام في شأنه وفيما صدر عنه في حقها من الظهار. وأصل الجدل: اللدد في الخصومة والقدرة عليها. **﴿وتشتكي إلى الله﴾**: تظهر ما بها من المكروه. **﴿والله يسمع تحاوركما﴾**: مراجعتكما الكلام. من حار إذا رجع. والمراد هنا: التجاوب في الكلام بين المرأة والرسول ﷺ **﴿إن الله سميع بصير. . الذين يظهرون﴾**: يتظهّرون بقولهم لنسائهم: هي عليّ كظهر أمّي. **﴿منكم من نسائهم﴾**: كان الظهار عادة خاصة بالعرب. **﴿ما هن أمهاتهم﴾**: ما نساؤهم أمهاتِهم على الحقيقة. . وإنما هو كذب بحت!.

﴿إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم﴾: ما أمهاتهم في الحقيقة إلا اللاتي ولدنهم. . فالزوجات أبعد شيء عن الأمومة. **﴿وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً﴾**: فظهارهم قول منكر في العقل والشرع، وكذب باطل منحرف عن طريق الصواب. **﴿وإن الله لعفو غفور. . والذين يظّهّرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا﴾**: يعودون لنقض ما قالوا من تحريم نسائهم بالظهار، **﴿فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا﴾**: فعليه عتق رقبة كفارة لظهارِهِ قبل أن يستمتع بها كزوجة. **﴿ذلكم﴾**: حكم الكفارة. **﴿توعظون به﴾**: تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور: **﴿والله بما تعملون خبير. فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين﴾**: فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام. . **﴿من قبل أن يتماسّا. . فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً﴾**: فمن لم يستطع الصيام فعليه إطعام ستين مسكيناً. . والإطعام: إعطاء مد مما يطعم من غالب قوت أهل البلد. والمسكين: المحتاج إلى الإطعام؛ مثل الفقير الذي لا يملك قوت العام. **﴿ذلك. . لتؤمنوا بالله ورسوله. . وتلك حدود الله﴾**: إشارة إلى الأحكام المذكورة. وحدود الله: الحواجز بين الحلال والحرام. والحدود المترتبة على فعل ما فيه حدٌّ شرعيّ مثل الكفارات.

﴿وللكافرين عذاب أليم. . إن الذين يحادون الله ورسوله﴾: يتعدون حدود الله التي جاء بها الرسول، بالإعراض والبعد عنها. . **﴿كبتوا﴾**: خُذِلوا وأذِلوا وأهلِكوا. وأصل الكبت: الصرع والكبت الواقع من شخص قويّ غاضب!. . **﴿كما كُبِتَ الذين من قبلهم﴾**: من كفار الأمم الماضية المعادين للرسل. **﴿وقد**

أنزلنا آيات بينات﴾: تدل على صدق الرسول وبما جاء به من ربه. **﴿وللكافرين عذاب مهين﴾**: وللكافرين به عذاب يذهب بعزهم وكبرهم. **﴿يوم يبعثهم الله جميعاً.. فينبئهم بما عملوا.. أحصاه الله﴾**: أحاط به عدداً لم يفته منه شيء. وحفظه حفظاً لم يفلت منه شيء.. **﴿ونسوه﴾**: ضد حفظ. أي نسوا ما عملوا؛ لأنهم تهاونوا به حين عملوه. وإنما تحفظ مهمات الأمور. **﴿والله على كل شيء شهيد.. ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض: ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم!.. ولا خمسة إلا هو سادسهم.. ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا..﴾** فالله سبحانه يعلم كل شيء علماً تفصيلياً سواء كان في الزمان أو في المكان أو في الأشخاص فرداً أو عدداً.. **﴿ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة؛ إن الله بكل شيء عليم.. ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى.. ثم يعودون لما نهوا عنه..﴾** فالمنافقون كانوا يتناجون مع اليهود بما فيه مضرة على المؤمنين.. فنهاهم الرسول عنه.. ثم عادوا.. فلم ينتهوا.. **﴿ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول..﴾** فهذه هي طريقتهم في التناجي فيما بينهم.. **﴿وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله﴾**: وإذا جاؤوا إلى مجلس الرسول سمع منهم، أو قالوا كَلَاماً يخالف القصد من التحية في الإسلام.. ومع هذا.. **﴿يقولون في أنفسهم: لولا يعذبنا الله بما نقول﴾**؟!.. فهذا التناجي.. وهذا الكلام فيما بينهم.. وفيما بين كل واحد منهم وبين نفسه وقاحة وجهل ما بعده جهل: **﴿حسبهم جهنم يصلونها.. فبئس المصير! يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول.. وتناجوا بالبر والتقوى.. واتقوا الله الذي إليه تحشرون﴾**.. إنما النجوى: النجوى بالإثم والعدوان ومعصية الرسول كائنة من الشيطان؛ **﴿ليحزن الذين آمنوا..﴾** فتشاع فيما بين المؤمنين أخبارٌ تسوءهم بما يحصل من مكروه.. **﴿وليس بضارهم شيئاً إلا بإذن الله.. وعلى الله فليتوكل المؤمنون.. يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم: تفسحوا في المجلس فافسحوا يفسح الله لكم..﴾** فكلمة الفسح والتفسح تعني السعة. وفسح له وسّع له في المكان. وانفسح المكان فهو فسيح، ومعنى: يفسح الله لكم: يوسّع لكم في كل شيء يبتغي الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والحال. **﴿وإذا قيل: انشزوا فانشزوا..﴾** انهضوا للتوسعة على المقبلين القادمين على مجلس الرسول، أو على مجالسكم..

فالنشوز: الارتفاع.. ثم استعمل في كل ما في معناه؛ كنشزت المرأة نشوزاً ارتفعت وتكبرت على طاعة زوجها، ونشز الثوب رفع خيوطه بعضها على بعض، ونشزُ العظام تركيبُها.. ﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكم.. والذين أوتوا العلم درجات.. والله بما تعملون خبير.. يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة: ذلك خير لكم وأطهر.. فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم.. أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات.. فإذْ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، وأطيعوا الله ورسوله.. والله خبير بما تعملون.. ألم تر إلى الذين**﴾: المنافقين.. ﴿**تولوا**﴾: وَالُوا وصادقوا.. ﴿**قوماً غضب الله عليهم**﴾: اليهود.. ﴿**ما هم منكم**﴾: ليسوا من المؤمنين.. ﴿**ولا منهم**﴾: ولا من اليهود!.. ﴿**ويحلفون على الكذب وهم يعلمون**﴾: ويقولون: والله إنا لمسلمون والحال أنهم يعلمون أنهم منافقون. ﴿**أعد الله لهم عذاباً شديداً.. إنهم ساء ما كانوا يعملون!.. اتخذوا أيمانهم جنة**﴾: وقاية وسترة بتهيئة وإعداد الحلف!.. ﴿**فصدوا عن سبيل الله**﴾: فبهذا تمكنوا من صد غيرهم عن الدخول في الإسلام.. ﴿**فلهم عذاب مهين**﴾: بسبب كفرهم وأمر غيرهم.. ﴿**لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً.. أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**﴾: فالمنافقون يعذبون في الدنيا بفضيحتهم وسوء سمعتهم.. وفي الآخرة بعذاب النار وسوء نهايتهم!.. ﴿**سنعذبهم مرتين.. ثم يردّون إلى عذاب عظيم يوم يبعثهم الله جميعاً.. فيحلفون له**﴾: يحلفون لله يوم القيامة.. ﴿**كما يحلفون لكم..**﴾ في الدنيا. ﴿**ويحسبون..**﴾ هناك: ﴿**أنهم على شيء..**﴾ ينفعهم كما نفعهم في الدنيا!. ﴿**ألا إنهم هم الكاذبون**﴾: يعلمون أنهم كاذبون.. كما كانوا في الدنيا يعلمون أنهم كاذبون!. ﴿**استحوذ عليهم الشيطان**﴾: استولى عليهم وأحاط بهم وملكهم.. ﴿**فأنساهم ذكر الله.. أولئك حزب الشيطان.. ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون.. إن الذين يحادون الله ورسوله.. أولئك في الأذلين**﴾: مثل ما سبق من قوله: إن الذين يحادون الله ورسوله كتبوا.. كَتَبَ الله: قضى وأثبت وأمضى ونفّذ هذا الحكم: ﴿**لأغلبن أنا ورسلي.. إن الله قوي عزيز.. لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله.. ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم**﴾: من الممتنع أن تجد أيها المخاطب قوماً مؤمنين يوالون الكافرين.. ولو كانوا آباءهم.. الخ: ﴿**أولئك كتب**

في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه﴾: بكتاب أَحْيَا بِهِ أرواحهم. . وبسكينة عند لقاء أعدائهم. **﴿ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها. . رضي الله عنهم﴾**: رضي الله عنهم بإيمانهم وصالح أعمالهم. . **﴿ورضوا عنه﴾**: رضوا عن الله بثوابه العظيم ونعيمه المقيم. . **﴿أولئك حزب الله. . ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾**!!. .

مبحث الإعراب

﴿قد سمع الله قول﴾. . فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق. **﴿التي﴾** في محل جر مضاف إلى قول. **﴿تجادلك﴾** فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على التي. . والجملة صلة الموصول. **﴿في زوجها﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿وتشتكي﴾** معطوف على تجادل والفاعل هو الفاعل. **﴿إلى الله﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿والله﴾** مبتدأ. **﴿يسمع﴾** فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر المبتدإِ. وجملة المبتدإ والخبر تذييل. **﴿تحاوركما﴾** مفعول به. والضمير فيه مضاف إليه. **﴿إن الله﴾** إن واسمها. **﴿سميع﴾** خبر إنّ. **﴿عليم﴾** خبر ثان. والجملة تعليل. **﴿الذين﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿يظهرون﴾** فعل وفاعل. والجملة صلة الموصول. **﴿منكم من نسائهم﴾** متعلقان بيظهرون. **﴿ما﴾** تعمل عمل ليس. **﴿هن﴾** في محل رفع اسم ما. **﴿أمهاتهم﴾** خبرُ ما. منصوب بالكسرة. والضمير فيه مضاف إليه. وجملة ما هن أمهاتهم خبر المبتدإِ - الذين يظهرون . . - **﴿إن﴾** حرف نفي. **﴿أمهاتهم﴾** مبتدأ. **﴿إلا اللائي﴾** في محل رفع خبر المبتدإِ. وإلاّ ملغاة. **﴿وَلَدْنَهُمْ﴾** فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول. **﴿وإنهم﴾** إنّ واسمها. **﴿ليقولون﴾** فعل وفاعل. والجملة خبر إنّ. والجملة معطوفة على ما قبلها. **﴿منكراً﴾** نعت لمفعول مطلق؛ أي: قولاً منكراً. **﴿من القول﴾** متعلق بما قبله. **﴿وزوراً﴾** معطوف على «منكراً». **﴿وإن الله﴾** إن واسمها. **﴿لعفو﴾** خبر إنّ. واللام لتقوية الخبر. **﴿غفور﴾** خبر ثانٍ لإنّ. والجملة معطوفة على ما قبلها. **﴿والذين يظهرون من نسائهم:﴾** سبق إعراب مثله. **﴿ثم يعودون﴾** فعل وفاعل معطوف بثم على يظهرون.

﴿لما﴾ متعلق بيعودون. **﴿قالوا﴾** فعل وفاعل والجملة صِلَةُ ما. **﴿فتحرير﴾** مبتدأ خبره مقدر: فعليهم تحرير **﴿رقبة﴾** مضاف إلى تحرير. **﴿من قبل﴾** متعلق

بتحرير. ﴿**أن يتماسا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه أن المصدرية الناصبة. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور مضاف إلى قبل. أي: من قبل مماسة بعضهما بعضاً. وجملة فتحرير رقبة خبر المبتدإ. ودخلت الفاء فيه باعتبار الموصول يشبه الشرط. ﴿**ذلكم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**توعظون**﴾ الفعل ونائب الفاعل خبر المبتدإِ. ﴿**به**﴾ متعلق بتوعظون. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**بما**﴾ متعلق بالخبر الآتي. ﴿**تعملون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**خبير**﴾ خبر المبتدإِ. وجملة ذلكم توعظون به وما عطف عليها تذييل. ﴿**فمن لم يجد**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم دخلت عليه مَن الشرطية وفاء التعقيب. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**فصيام**﴾ خبر لمبتدإٍ مقدر. والجملة جواب الشرط. والفاء رابط. ﴿**شهرين**﴾ مضاف إلى صيام. ﴿**متتابعين**﴾ نعت لشهرين. ﴿**من قبل أن يتماسا:**﴾ تقدم إعراب مثله. ﴿**فمن لم يستطع فإطعام**﴾: إعراب هذا مثل إعراب «فمن لم يجد فصيام شهرين..». ﴿**ستين**﴾ مضاف إلى إطعام. ﴿**مسكيناً**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**لتؤمنوا**﴾ فعل وفاعل. وهو مؤوّل مع أن المضمرة بمصدر مجرور بلام التعليل متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**بالله**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف على الله. ﴿**وتلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**حدود**﴾ خبر المبتدإِ. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى حدود. ﴿**وللكافرين**﴾ متعلق بمحذوف خبره مقدم. ﴿**عذاب**﴾ مبتدأ مؤخر، ﴿**أليم**﴾ نعت لعذاب. ﴿**إن الذين**﴾ إن واسمها. ﴿**يحادون الله**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف على الله. ﴿**كبتوا**﴾ جملة الفعل ونائب الفاعل خبر إنّ. ﴿**كما**﴾ الكاف في محل نصب نعت لمفعول مطلق. وما اسم موصول في محل جر بالكاف. ﴿**كُبِتَ الذين**﴾ الفعل ونائب الفاعل صلة ما. ﴿**من قبلهم**﴾ متعلق بمحذوف صلة الذين. ﴿**وقد أنزلنا آيات**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق. ﴿**بينات**﴾ نعت لآيات. والجملة حال من واو كُبتوا. ﴿**وللكافرين عذاب مهين**﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب وللكافرين عذاب أليم. ﴿**يوم**﴾ ظرف متعلق بالخبر المتعلق به لهم.

﴿**يبعثهم**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الله**﴾ فاعل. ﴿**جميعاً**﴾ حال من الضمير المفعول. ﴿**فينبئهم**﴾ مرتب على يبعثهم. ﴿**بما**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**عملوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**أحصاه**﴾ فعل

ماض. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الله**﴾ فاعل. والجملة بيانية لا محل لها من الإعراب. ﴿**ونسوه**﴾ معطوف على أحصاه. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**على كُلِّ**﴾ متعلق بالخبر الآتي. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**شهيد**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**ألم تر**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف الألف دخل عليه حرف الاستفهام. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**أن الله**﴾ أن واسمها. ﴿**يعلم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر أنّ. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول به. ﴿**في السماوات**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**وما في الأرض**﴾ معطوف على ما في السماوات. ﴿**ما يكون**﴾ فعل مضارع منفي بما. ﴿**من نجوى**﴾ فاعل يكون مجرور بحرف الجر الزائد في محل رفع. ﴿**ثلاثة**﴾ مضاف إلى نجوى. ﴿**إلا**﴾ ملغاة. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**رابعهم**﴾ خبره. ﴿**ولا خمسة**﴾ معطوف على ثلاثة. ﴿**إلا هو سادسهم**﴾ مثل إلا هو رابعهم في الإعراب. ﴿**ولا أدنى**﴾ معطوف على ثلاثة. ﴿**من ذلك**﴾ متعلق بأدنى. ﴿**ولا أكثر**﴾ معطوف على أدنى مجرور بالفتحة لوزن الفعل. ﴿**إلا هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**معهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**أين**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. و﴿**ما**﴾ صلة. ﴿**كانوا**﴾ فعل وفاعل. وجواب الشرط محذوف والتقدير: أين ما كانوا يعلمْهم الله. ﴿**ثم ينبئهم**﴾ معطوف على الجواب المقدر. ﴿**بما**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**عملوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**يوم**﴾ متعلق بينبئهم. ﴿**القيامة**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**إن الله**﴾ إن واسمها. ﴿**بكل**﴾ متعلق بالخبر الآتي. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**عليم**﴾ خبر إنّ. والجملة تعليل. ﴿**ألم تر**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**إلى الذين**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**نهوا**﴾ الفعل ونائب الفاعل صلة الموصول، ﴿**عن النجوى**﴾ متعلق بنهوا. ﴿**ثم يعودون**﴾ معطوف على نهوا. ﴿**لما**﴾ متعلق بيعودون. ﴿**نُهوا**﴾ صلة ما. ﴿**عنه**﴾ متعلق بنهوا. ﴿**ويتناجون**﴾ فعل وفاعل معطوف على ما قبله. ﴿**بالإثم**﴾ متعلق بالفعل قبله.

﴿**والعدوان**﴾ معطوف على الإثم. وكذلك ﴿**ومعصية الرسول**﴾ مضاف إلى معصية. ﴿**وإذا جاءوك**﴾ فعل وفاعل ومفعول. فعل شرط إذا. ﴿**حَيَّوْك**﴾ جواب الشرط. ﴿**بما**﴾ متعلق بحيّوْك. ﴿**لم يحيّك**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم. وعلامة جزمه حذف الياء. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**به**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**الله**﴾ فاعل. وجملة لم يحيّك به الله صلة ما. ﴿**ويقولون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**في أنفسهم**﴾

متعلق بيقولون. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**لولا**﴾ حرف تحضيض. ﴿**يعذبنا**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الله**﴾ فاعل. ﴿**بما**﴾ متعلق بيعذبنا. ﴿**نقول**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. والجملة صلة ما. ﴿**حسبهم**﴾ مبتدأ. ﴿**جهنم**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**يصلونها**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**فبئس المصير**﴾ فعل وفاعل. تعقيب على ما قبله. ﴿**يا أيها**﴾ منادى مبني على الضم في محل نصب. وها للتنبيه. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب نعت لمحل أيّ. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الذين. ﴿**إذا تناجيتم**﴾ فعل وفاعل. فعل شرط إذا. ﴿**فلا تتناجوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النهي الجازم. والجملة جواب شرط إذا. والفاء رابط. ﴿**بالإثم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**والعدوان ومعصية**﴾ معطوفان على الإثم. ﴿**الرسول**﴾ مضاف إلى معصية. ﴿**وتناجوا**﴾ أمر معطوف على النهي. ﴿**بالبر**﴾ متعلق بالأمر. ﴿**والتقوى**﴾ معطوف على البر. ﴿**واتقوا**﴾ معطوف على الأمر قبله. ﴿**الله**﴾ معمول للأمر. ﴿**الذي**﴾ في محل نصب نعت لله. ﴿**إليه**﴾ متعلق بـ ﴿**تحشرون**﴾ الفعل ونائب الفاعل صلة الذي. ﴿**إنما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**النجوى**﴾ مبتدأ. ﴿**من الشيطان**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. وجملة إنما النجوى من الشيطان تعليل. وكذلك ﴿**لِيُحْزِنَ**﴾ أي: من الشيطان لأجل حزنه المؤمنين. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الموصول. ﴿**وليس**﴾ فاعل ماض ناقص. واسمها ضمير يعود على الشيطان. ﴿**بضارهم**﴾ خبر ليس. مجرور بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿**شيئاً**﴾ مفعول به. ﴿**إلا بإذن**﴾ متعلق بضارهم. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى إذن. ﴿**وعلى الله**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**فليتوكل**﴾ فعل مضارع مجزوم بلام الأمر. والفاء لترتيب الفعل على ما قبله. ﴿**المؤمنون**﴾ فاعل.

﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**إذا**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿**قيل**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿**لكم**﴾ متعلق بقيل. ﴿**تفسحوا**﴾ فعل أمر مقول القول. ﴿**في المجلس**﴾ متعلق بالأمر. ﴿**فافسحوا**﴾ جواب إذا ﴿**يفسح الله**﴾ فعل وفاعل. والفعل مجزوم في جواب الأمر. ﴿**لكم**﴾ متعلق بيفسح. ﴿**وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله**﴾: إعراب هذه الجملة مثل إعراب جملة إذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا يفسح الله لكم. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الذين. ﴿**منكم**﴾ متعلق بآمنوا. ﴿**والذين**﴾ عطف على الذين آمنوا. ﴿**أوتوا**﴾ الفعل ونائب الفاعل صلة الذين. ﴿**العلم**﴾ مفعول به. ﴿**درجات**﴾

مفعول بيرفع. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**بما**﴾ متعلق بالخبر الآتي. ﴿**تعملون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**خبير**﴾ خبر المبتدإِ. ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾: تقدم إعراب مثله. ﴿**إذا ناجيتم الرسول**﴾ فعل وفاعل ومفعول. فعل شرط إذا. ﴿**فقدموا**﴾ جواب شرط إذا. والفاء رابط. ﴿**بين**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**يَدَيْ**﴾ مضاف إلى بين ﴿**نجواكم**﴾ مضاف إلى يَدَيْ. ﴿**صدقة**﴾ مفعول به. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**خير**﴾ خبر المبتدإِ. ﴿**لكم**﴾ متعلق بخير. ﴿**وأطهر**﴾ معطوف على خير. ﴿**فإن لم تجدوا**﴾ فعل وفاعل. والفعل مجزوم بلم. والجملة في محل جزم فعل شرط إنْ. ﴿**فإن الله**﴾ إن واسمها. ﴿**غفور رحيم**﴾ خَبَرَانِ لإنّ. والجملة جواب شرط إن. والفاء رابط والفاء الأول للتعقيب. ﴿**أأشفقتم**﴾ فعل وفاعل. دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**أن تقدموا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف المصدر الناصب. . وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول بأشفقتم. ﴿**بين**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**يَدَيْ**﴾ مضاف إلى بين. ﴿**نجواكم**﴾ مضاف إلى يَدَيْ. ﴿**صدقات**﴾ مفعول به. ﴿**فإذ**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿**لم تفعلوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي الجازم. والجملة فعل شرط إذ. ﴿**وتاب الله**﴾ فعل وفاعل. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بتاب. ﴿**فأقيموا**﴾ جواب شرط إذْ. والفاء رابط. ﴿**الصلاة**﴾ مفعول به. ﴿**وآتوا**﴾ معطوف على أقيموا. ﴿**الزكاة**﴾ مفعول به.

﴿**وأطيعوا**﴾ معطوف على أقيموا. . ﴿**الله**﴾ معمول بأطيعوا. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف على الله. ﴿**والله**﴾ مبتدَأ. ﴿**خبير**﴾ خبره. ﴿**بما**﴾ متعلق به. ﴿**تعملون**﴾ صلة ما. ﴿**ألم تر إلى الذين**﴾: تقدم إعراب مثله. . ﴿**تولوا قوماً**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول. ﴿**غضب الله**﴾ فعل وفاعل. والجملة نعت لِ «قوماً». ﴿**عليهم**﴾ متعلق بغضب. ﴿**ما هم**﴾ في محل رفع اسم ما التي بمعنى ليس. ﴿**منكم**﴾ متعلق بمحذوف خَبرُ مَا. ﴿**ولا منهم**﴾ معطوف على ما هم منكم. ﴿**ويحلفون**﴾ فعل وفاعل. والجملة معطوفة على تولّوا. ﴿**على الكذب**﴾ متعلق بيحلفون. ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**يعلمون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر المبتدإ. وجملة وهم يعلمون حال من فاعل يحلفون. ﴿**أعد الله**﴾ فعل وفاعل. ﴿**لهم**﴾ متعلق بأعد. ﴿**عذاباً**﴾ مفعول به. ﴿**شديداً**﴾ نعت لِ «عذاباً». ﴿**إنهم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**ساء**﴾ فعل ماض. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل رفع فاعل

ساء. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**يعملون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة كانوا يعملون صلة ما. ﴿**اتخذوا أيمانهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**جنة**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**فصدوا**﴾ فعل وفاعل مرتب على اتخذوا. ﴿**عن سبيل**﴾ متعلق بصدوا. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سبيل. ﴿**فلهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**عذاب**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**مهين**﴾ نعت لعذاب. والجملة مرتبة على ما قبلها. ﴿**لن تُغْنِيَ**﴾ فعل مضارع منصوب بلن. ﴿**عنهم**﴾ متعلق بتغني. ﴿**أموالهم**﴾ فاعل ﴿**ولا أولادهم**﴾ معطوف على أموالهم. ﴿**من الله**﴾ متعلق بتغني. ﴿**شيئاً**﴾ مفعول. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدَأ. ﴿**أصحاب**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**النار**﴾ مضاف إلى أصحاب. ﴿**هم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**فيها**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**خالدون**﴾ خبر المبتدإِ. ﴿**يوم**﴾ متعلق بما قبله. ﴿**يبعثُهُم**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الله**﴾ فاعل ﴿**جميعاً**﴾ حال من الضمير المفعول. ﴿**فيحلفون**﴾ فعل وفاعل مرتب على ما قبله. ﴿**له**﴾ متعلق بيحلفون. ﴿**كما**﴾ الكاف في محل نصب نعت لمفعول مطلق مقدر. وما في محل جر بالكاف. ﴿**يحلفون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. وتقدير الكلام: فيحلفون له حلفاً مثل الحلف الذي كانوا يحلفونه لكم.. ﴿**ويحسبون**﴾ فعل وفاعل. معطوف على يحلفون له.

﴿**أنهم**﴾ أنّ واسمها. ﴿**على شيء**﴾ متعلق بمحذوف خبر أنّ. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول يحسبون. ﴿**ألا إنهم**﴾ إن واسمها دخل عليها حرف الاستفتاح. ﴿**هم**﴾ ضمير فصل. ﴿**الكاذبون**﴾ خبر إنّ. ﴿**استحوذ**﴾ فعل ماض. ﴿**عليهم**﴾ متعلق به. ﴿**الشيطان**﴾ فاعل. ﴿**فأنساهم**﴾ مرتب على استحوذ. ﴿**ذكر**﴾ مفعول ثانٍ بأنسى. والأول الضمير المتصل بالفعل. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى ذكر. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدَأ. ﴿**حزب**﴾ خبره. ﴿**الشيطان**﴾ مضاف إلى حزب. ﴿**ألا إن حزب**﴾ إنّ واسمها دخل عليها حرف الاستفتاح ﴿**الشيطان**﴾ مضاف إلى حزب. ﴿**هم**﴾ ضمير فصل. ﴿**الخاسرون**﴾ خبر إن. ﴿**إن الذين يحادون الله ورسوله**﴾: تقدم إعراب مثلها. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدَأ. ﴿**في الأذلين**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإِ. وجملة أولئك في الأذلين خبر إنّ.. ﴿**كتب الله**﴾ فعل وفاعل. والجملة بيان لما قبلها. ﴿**لأغلبن**﴾ فعل مضارع مؤكد بنون التوكيد واللام. ﴿**أنا**﴾ فاعل. ﴿**ورسلي**﴾ معطوف عليه. ﴿**إن الله**﴾ إن واسمها. ﴿**قوي عزيز**﴾ خَبَرَانِ لإنّ. والجملة تعليل. ﴿**لا تجد**﴾ فعل

مضارع منفي بلا. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**قوماً**﴾ مفعول به، ﴿**يؤمنون**﴾ فعل وفاعل. والجملة نعت لِ «قوماً». ﴿**بالله**﴾ متعلق بيؤمنون. ﴿**واليوم**﴾ معطوف على الله. ﴿**الآخر**﴾ نعت ليوم. ﴿**يوادون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**من**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**حاد**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على من. ﴿**الله**﴾ معمول بحادّ. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف على الله. وجملة يوادون حال من المفعول لوصفه. ﴿**وَلَوْ كانوا**﴾ كان واسمها دخلت عليها لو الوصلية. ﴿**آباءهم**﴾ خبر كان. ﴿**أو أبناءهم**﴾ معطوف على آباءهم ﴿**أو إخوانهم**﴾ معطوف على أبناءهم. ﴿**أو عشيرتهم**﴾ معطوف على إخوانهم. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**كتب**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر المبتدإِ. ﴿**في قلوبهم**﴾ متعلق بكتب. ﴿**الإيمان**﴾ مفعول به. ﴿**وأيدهم**﴾ معطوف على كتب. وهو مثله في الإعراب. ﴿**بروح**﴾ متعلق بأيّدهم. ﴿**منه**﴾ متعلق بمحذوف نعت لروح. ﴿**ويدخلهم**﴾ معطوف على أيّدهم. ﴿**جنات**﴾ مفعول ثانٍ. . ﴿**تجري**﴾ فعل مضارع. ﴿**من تحتها**﴾ متعلق به. ﴿**الأنهار**﴾ فاعل. والجملة نعت لجنات. ﴿**خالدين**﴾ حال من المفعول الأول. ﴿**فيها**﴾ متعلق بخالدين. ﴿**رضي الله**﴾ فعل وفاعل. ﴿**عنهم**﴾ متعلق برضي. ﴿**ورضوا عنه**﴾ معطوف على رضي الله عنهم. ﴿**أولئك حزب الله**﴾: مثل إعراب أولئك حزب الشيطان. ﴿**إلا إن حزب الله هم المفلحون**﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب جملة إلا إن حزب الشيطان هم الخاسرون.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها..**﴾ فهذه الافتتاحية تناسب ما ختمت به السورة قبلها من قوله: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.. والافتتاحية في هذه السورة من ذلك الفضل. وما في هذه السورة تفصيل لما في السورة قبلها من علم الله على وجه التفصيل والتوضيح.. فالسورة تبتدىء بصورة عجيبة!: في صورة مباشرة محسوسة ومشاركتها في الحياة اليومية لأسرة صغيرة فقيرة مغمورة؛ لتقرّر حكم الله في قضيتها.. فهذا هو الشأن الذي سمع الله تعالى ما دار فيه من حوار بين الرسول والمرأة التي جاءت تجادله فيه. وهذا هو الشأن الذي أنزل الله فيه حكمه؛ ليعطي هذه المرأة حقها، ويريح بالها وبال زوجها، ويرسم للمسلمين الطريق في مثل هذه المشكلة العائلية اليومية!.

وننظر في رواية الحادث في هذا النص.. فنجد عناصر التأثير والإيحاء والتربية والتوجيه تسير جنباً إلى جنب مع الحكم وتتخلله وتعقب عليه كما هو أسلوب القرآن الفريد!.. ففي جملة قد سمع الله.. إشعار بأن الرسول والمرأة المجادلة كانا يتوقعان أن ينزل الله تعالى حكم الحادثة. ومعنى سمع الله لقولها إجابة دعائها: ﴿**وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما..**﴾ وصيغة المضارع في تجادلك وتشتكي ويسمع؛ للدلالة على استمرار السمع حسب استمرار التحاور وتجدده. وفي نظم المرأة في سلك الخطاب تشريف لها من جهتين.. فإن إلحاحها في المسألة ومبالغتها في التضرع إلى الله، ومدافعة الرسول إياها بجواب منبىء عن التوقف وترقب الوحي وعلم الله بحالها من دواعي الإجابة.. فالله سبحانه وتعالى سمع كلامها.. فاستجاب لها. وجملة ﴿**إن الله سميع بصير**﴾ تعليل لما قبله بطريق التأكيد والتحقيق. وإظهار اسم الله في الموضعين: والله يسمع تحاوركما إن الله؛ لتربية المهابة وتعليل الحكم بوصف الألوهية، وتأكيد استقلال الجملتين. ﴿**الذين يظهرون منكم من نسائهم**﴾: هذا شروع في بيان شأن الظهار الذي جادلت المرأة الرسول في شأنه، في نفسه وحكمه المترتب عليه شرعاً بطريق الاستئناف. تقرير لأصل القضية، ولحقيقة الوضع فيها!.. ففي قوله «منكم» مزيد توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم في الظهار. وجملة ﴿**ما هن أمهاتهم**﴾ محط الحكم القاضي بخطإ هذه العادة.. فهذا الظهار قائم على غير أصل. فالزوجة ليست أُمّاً.. حتى تكون محرمة كالأم.. ﴿**إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم**﴾: فلا يمكن أن تتحوّل الزوجة أُمّاً بكلمة تقال!. إنها كلمة منكرة: ينكرها الشرع والعقل والطبع.. ومزورة على غير أساس من الحق!. وجملة ﴿**وإن الله لعفو غفور**﴾ تذييل تقرر فيه ما يقتضيه هذا الحكم.. فيغفر الله لما سلف منه، ووقع منكم دون قصد فبعد تقرير أصل القضية على هذا النحو المحدد الواضح صفة وحكماً؛ يجيء الحكم القضائي في الموضوع: ﴿**والذين يظهرون من نسائهم.. ثم يعودون لما قالوا.. فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا..**﴾ فهو تفصيل لحكم الظهار بعد بيان كونه أمراً منكراً من القول وزوراً. وهذا الحكم فصله الفقهاء في كتب الفقه تفصيلاً كاملاً.. وجملة ﴿**ذلكم توعظون به، والله بما تعملون خبير**﴾ تذييل مقرر لمضمون هذه الكفارة.. فهو زجر لكم وتحذير من ارتكاب هذا الأمر الخطير!. وهذا التعقيب يجيء قبل إتمام الحكم: لإيقاظ القلوب، وتربية النفوس. وتنبيهاً إلى قيام

الله على الأمر بخبرته وعلمه بظاهره وخافيه. . ثم يتابع بيان الحكم فيه: ﴿**فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا. . فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً. .**﴾

فهذه مراحل كفارة الظهار الثلاث. وقد فصلت في كتب الفقه بما لا مزيد عليه. ﴿**ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله**﴾: هذا تذييل يبين الغرض من هذه الكفارة. . وما فيها من ربط أحوال المخاطبين بأمر الله وقضائه. . ﴿**وتلك حدود الله**﴾: أقامها لتقفوا عندها ولا تتعدوها. . فالله سبحانه يغضب على من لا يرعاها ولا يقف دونها: ﴿**وللكافرين عذاب أليم**﴾. وتلك الجملة الأخيرة تناسب ختام الآية السابقة. . وهي في الوقت ذاته قنطرة تربط بينها وبين الآية اللاحقة التي تتحدّث عمن يحادون الله ورسوله على طريقة القرآن في الانتقال من حديث إلى حديث في تسلسل عجيب: ﴿**إن الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم. .**﴾ فالمقطع الأول في السورة كان صورة من صور الرعاية والعناية بالجماعة المسلمة. . وهذا المقطع الثاني صورة من صور الحرب والنكاية للفريق الآخر الكافر. . فهؤلاء لا يقفون عند حد الله ورسوله. . بل عند الحد الآخر المواجه!. وهو تمثيل للمتخاصمين المتنازعين؛ لتفظيع عملهم وتقبيح موقفهم. وساء موقف مخلوق يتحدى فيه خالقه ورازقه، ويقف في تبجح عند الحد المواجه لحده!!. . فهؤلاء المحادّون المشاقون المتبجحون كبتوا كما كبت الذين من قبلهم. . فالكبت القهر والذل، لعدم استطاعتهم على ما يريدون بالمؤمنين على حد قوله: ﴿**قل موتوا بغيظكم!**﴾ فقد حصل لأعداء محمد ﷺ كما حصل من قبله لأعداء الرسل ـ عليهم السلام ـ. . ﴿**وقد أنزلنا آيات بينات**﴾: تفصل هذه الجملة بين مصير الذين يحادون الله ورسوله في الدنيا ومصيرهم في الآخرة. . فهي تقرر أن هذا المصير وذاك قد تكفلت بيانَه هذه الآيات. وتقرر كذلك أنّهم يلاقون هذا المصير الدّنيوي والأخروي لا عن جهل ولا عن غموض في الحقيقة. . فقد وضحت لهم وعلموها بهذه الآيات البينات. . ثم يعرض مصيرهم في الآخرة مع التعقيب الموحي الموقظ المربى للنفوس: ﴿**وللكافرين عذاب مهين. .**﴾ فالمهانة جزاء التبجح والتعدي والتحدي!. وهي مهانة: ﴿**يوم يبعثهم الله جميعاً. .**﴾ فهي مهانة على مشهد الناس جميعاً. وهو عذاب يقوم على حق وبيان لما عملوا: ﴿**فينبئهم بما عملوا. .**﴾ فإن كانوا هم قد نسوه فإن الله أحصاه بعلمه الذي لا يندّ

عنه شيء ولا يغيب عنه خاف: ﴿**أحصاه الله ونسوه.. والله على شيء شهيد**﴾.

ويستطرد السياق من تقرير حقيقة.. ﴿**والله على كل شيء شهيد**﴾ إلى رسم صورة حية من هذا الشهود تمسّ أوتار القلوب: ﴿**ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض: ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم. ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم، أين ما كانوا.. ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة**﴾. وتنتهي الآية بصورة عامة كما بدأت: ﴿**إن الله بكل شيء عليم**﴾. وهكذا تستقر حقيقة العلم الإلهي في القلوب، بهذه الأساليب المنوعة في عرضها في الآية الواحدة. الأساليب التي تعمق هذه الحقيقة في القلب البشري، وهو تدخل بها عليه من شتّى المسالك والدروب!!.. فهذا التقرير العميق لحقيقة حضور الله وشهوده في تلك الصورة المؤثرة المرهوبة تمهد لتهديد اليهود الذين كانوا يتناجون ويتآمرون في مجالسهم السرية التي كانت وكراً للإثم والعدوان بعدما أعطاهم الرسول عهداً يكفل أمنهم وحريتهم بشرط ألا يتآمروا ولا ينقضوا هذا العهد المبرم الموثق: ﴿**ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى.. ثم يعودون لما نهوا عنه. ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول.. وإذا جاءوك حيَّوْك بما لم يحيّك به الله..**﴾ فهؤلاء اليهود كانوا يأتون إلى الرسول، ويخاطبونه بكلام ظاهره طاعة وباطنه غشّ وخداع: «من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون: سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا لياً بألسنتهم وطعناً في الدين!» وهنا يحيون الرسول بقولهم: السام عليكم ـ بدل السلام عليكم ـ: ﴿**ويقولون في أنفسهم: لولا يعذبنا الله بما نقول**﴾؟!.. فلو كان محمد نبيئاً لعذبنا الله بهذا القول!.. ﴿**حسبهم جهنم يصلونها.. فبئس المصير..**﴾ فهذا هو الرد الحاسم يكشف المؤامرات الخفية التي تحاك في مجالسهم السرية، وإفشاء نجواهم التي تخالف ما عاهدوا عليه الرسول ﷺ!. وكذلك فضح الله ما كانوا يقولونه في أنفسهم.. فهذا كله هو تصديق وتطبيق لحقيقة علم الله بما في السماوات وما في الأرض، وحضوره لكل نجوى وشهوده لكل اجتماع!.

وهنا يلتفت السياق إلى الذين آمنوا يخاطبهم بهذا النداء: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان.. ومعصية الرسول، وتناجوا بالبر والتقوى.. واتقوا الله الذي إليه تحشرون..**﴾ ثم ينفرهم من التناجي والمسارة

والتدسّس بالقول في خفية عن الجماعة المسلمة التي هم منها، ومصلحتهم مصلحتها، وينبغي ألاّ يشعروا بالانفصال عنها في شأن من الشؤون.. فيقول لهم: ﴿**إنما النجوى من الشيطان؛ ليحزن الذين آمنوا!.. وليس بضارهم شيئاً إلا بإذن الله.. وعلى الله فليتوكل المؤمنون..**﴾ فالمؤمنون لا يتوكلون إلا على الله.. فإن الله تعالى يعصمهم من شر الشيطان وأوليائه اليهود والمنافقين!.. ثم يتجه السياق مرة أخرى إلى الذين آمنوا بأدب آخر من آداب الجماعة: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم: تفسحوا في المجلس فافسحوا يفسح الله لكم.. وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات..**﴾ فقد كانت المناسبة مناسبة قرب من الرسول.. لتلقي العلم في مجلسه.. فالآية تعلمهم: أن الإيمان يَدفع إلى فسحة الصدر وطاعة الأمر، والعلم الذي يهذب القلب فيتسع ويطيع يؤديان إلى الرفعة عند الله درجات. ﴿**والله بما تعملون خبير..**﴾ فهو يجزي به عن علم وخبرة بحقيقة ما تعملون.. فهكذا يتولى القرآن تربية النفوس وتهذيبها؛ وتعليمها الفسحة والسماحة والطاعة بأسلوب التشويق والاستجاشة. كذلك يعلمهم القرآن أدباً آخر في علاقتهم بالرسول ﷺ ـ بعد ما تكونت الجماعة المسلمة في المدينة.. وقبل أن تنظم علاقات المسلمين بعضهم ببعض في اجتماعهم في الصلاة وتنظيم أموالهم في الزكاة.. فشاء الله أن يلزمهم بضريبة للجماعة تدفع من مال الذي يريد أن يناجي رسول الله في صورة صدقة يقدمها قبل أن يطلب المناجاة: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة: ذلك خير لكم وأطهر.. فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم..**﴾ فهذا الوجوب خاص بالمستطيع. ﴿**أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات؟.. فإذ لم تفعلوا، وتاب الله عليكم، فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة..**﴾ فقد تنظم اجتماع المسلمين في المساجد بالصلاة.. وتنظم وضعهم المالي بالزكاة.. وطاعة الله ورسوله هي الوسيلة والغاية: ﴿**وأطيعوا الله ورسوله.. والله خبير بما تعملون**﴾.

ثم توجه السياق مرة أخرى إلى الرسول لينظر إلى موقف المنافقين بعد ما توجه إليه في المرة الأولى لينظر إلى موقف اليهود: ﴿**ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم**﴾؟!.. فالذين غضب الله عليهم اليهود، والذين تولّوهم المنافقون. وكانوا حلقة وصل بالمؤامرة والتجسس على المسلمين.. ﴿**وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا: آمنا.. وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا: إنا معكم!!**﴾ ولكنهم في

واقع الأمر: ﴿**ما هم منكم.. ولا منهم.. ويحلفون على الكذب**﴾: موصول بالعطف على ما قبله في قوله: تولوا.. فهو داخل في حكم التعجيب.. وصيغة المضارع للدلالة على تكرر الحلف وتجدده حسب تكرر ما يقتضيه. وجملة ﴿**وهم يعلمون**﴾ حال من فاعل يحلفون مفيدة لكمال شناعة ما فعلوا.. فالمنافقون أصبحوا بين نارين: نار قوة المؤمنين بظهور دولتهم.. ونار من قبل أصدقائهم اليهود وضعف نجدتهم.. فَهُمْ يتقون المؤمنين بأيمانهم الكاذبة ما يتوقعونه من مؤاخذتهم بما ينكشف من دسائسهم: ﴿**اتخذوا أيمانهم جنة**﴾: وقاية!. وبذلك يستمرون في دسائسهم.. ﴿**فصدوا عن سبيل الله..**﴾ فالله يتوعدهم مرات في خلال هذه الآيات: أعد الله لهم عذاباً شديداً.. إنهم ساء ما كانوا يعملون.. ﴿**فلهم عذاب مهين.. لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً.. أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**﴾!.. ثم يصور السياق مشهدهم يوم القيامة في وضع مزر مهين؛ وهم يحلفون لله، كما كانوا يحلفون للناس: ﴿**يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم. ويحسبون أنهم على شيء..**﴾ ثم يدمغهم بالكذب الأصيل الثابت: ﴿**ألا إنهم هم الكاذبون**﴾!!.. ثم يكشف عن علة حالهم هذه: ﴿**استحوذ عليهم الشيطان..**﴾ فقد استولى عليهم الشيطان كلية.. ﴿**فأنساهم ذكر الله..**﴾ فقد صاروا في حزب المتآمرين على دين الله: ﴿**أولئك حزب الشيطان.. ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون..**﴾ فقد تكتل حزب معارض للإيمان بزعامة اللعين الشيطان.. وأعضاؤه اليهود والمنافقون في المدينة والمشركون وأحلافه من الأعراب خارج المدينة.. ثم يأتي النص القاطع مقرراً أن الله كتب على أعدائه الذلة والهزيمة؛ وفي مقدمتهم هذا الحزب اللعين المتمثل في اليهود والمنافقين ومن لف لفهم من المشركين المتربصين!. وكتب لنفسه ولرسله الغلبة والتمكين: ﴿**إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين. كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز**﴾: استئناف وارد لتعليل كونهم في الأذلين.

وفي النهاية تجيء القاعدة الثابتة في الميزان الدقيق للإيمان في النفوس: ﴿**لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حَادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم**﴾!.. فروابط الدم والقرابة هذه تنقطع عند حد الإيمان.. فكان هذا أبلغ ما ارتقى إليه تصور الروابط والقيم في ميزان الله تعالى. ﴿**أولئك كتب في قلوبهم الإيمان**﴾: إشارة إلى الذين لا يوادون من حاد الله

ورسوله. وما فيه من معنى البعد لرفعة درجتهم في الفضل.. فالإيمان مثبت في قلوبهم بيد الله. مكتوب في صدورهم بيمين الرحمان!. ﴿**وأيدهم بروح منه**﴾: بالنصر والظفر في الدنيا.. ﴿**ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها**﴾: هذا بيان لآثار رحمته الأخروية إثر بيان ألطافه الدنيوية. وجملة ﴿**رضي الله عنهم ورضوا عنه**﴾ بيان لابتهاجهم بما أوتوه عاجلاً وآجلاً.. وجملة ﴿**أولئك حزب الله**﴾ تشريف لهم ببيان اختصاصهم بالله تعالى. وجملة ﴿**ألا إن حزب الله هم المفلحون**﴾ بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة الدارين.. فهذا أنسب ختام للسورة التي بدأت بتصوير رعاية الله وعنايته بهذه الأمّة في واقعة المرأة التي سمع الله وهي تجادل رسول الله في شأنها وشأن زوجها!.. فهذا الختام من حسن براعة المقطع، وربطه ببراعة المطلع!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿**قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير..**﴾: في هذا التوجيه صورة عجيبة من صور هذه الفترة الفريدة في تاريخ البشرية: فترة اتصال الملإ الأعلى بالأرض في صورة مباشرة محسوسة.. ومشاركتها في الحياة اليومية لجماعة من الناس مشاركة ظاهرة. فهي صورة تملأ القلب بوجود الله وقربه وحفظه ورعايته.. فهذا هو الشأن الذي تفتتح به سورة من سور القرآن. وهي تتنزّل من الملإ الأعلى.. ففي هذا كله صورة من حياة تلك الجماعة الفريدة في تلك الفترة العجيبة!: ﴿**الذين يظّهّرون منكم من نسائهم ما هن أمّهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم..**﴾ فهذا علاج للقضية من أساسها. إن هذا الظهار قائم على غير أصل.. فالزوجة ليست أمّاً حتى تكون محرمة كالأم.. فالأم هي التي ولدت. ولا يمكن أن تستحيل الزوجة أُمّاً بكلمة تُقال.. إنها كلمة منكرة ينكرها الواقع، وكلمة مزورة ينكرها الحق: ﴿**وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً..**﴾ فالأمور في الحياة يجب أن تقوم على الحق والواقع في وضوح وتحديد.. فلا تختلط ذلك الاختلاط، ولا تضطرب هذا الاضطراب، ﴿**وإن الله لعفو غفور**﴾، فيما سلف من هذه الأمور. وبعد تقرير أصل القضية على هذا النحو المحدد الواضح، يجيء الحكم القضائي في الموضوع: ﴿**والذين يظّهّرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن**

يتماسا.. ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير..﴾ فهذه إحدى الكفارات الثلاث. وهي عتق رقبة قبل أن يتماسا..

فالكفارة تذكرة وموعظة بعدم العودة إلى الظهار الذي لا يقوم على حق ولا معروف.. ﴿**فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين..**﴾ فهذه كفارة ثانية لمن لا يملك الرقبة.. ﴿**فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً..**﴾ فهذه الكفارة الثالثة لمن لم يستطع الصيام.. وتفاصيل حكم الظهار مفصلة في كتب الفقه تفصيلاً كاملاً. ﴿**ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله**﴾: ذلك: بيان هذا الحكم؛ لتؤمنوا بالله ورسوله.. ﴿**وتلك حدود الله.. وللكافرين عذاب أليم..**﴾ فهذه الحدود لا يتعداها إلا الكافر. والكافر له عذاب أليم.. ﴿**إن الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم..**﴾ فهؤلاء المحادون مصيرهم مصير من سبقهم من الأمم المكذبة للرسل.. ﴿**وقد أنزلنا آيات بينات.. وللكافرين عذاب مهين: يوم يبعثهم الله جميعاً.. فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه.. والله على كل شيء شهيد..**﴾ فالله شاهد حاضر للعون والرعاية للمؤمنين.. وهو شاهد حاضر للعقاب والنكاية للكافرين.. فليطمئن بحضوره وشهوده المؤمنون وليحذر من حضوره وشهوده الكافرون!.. ثم يبدأ السياق بتقرير علم الله الشامل لما في السماوات وما في الأرض على إطلاقه.. ثم تتدرّج من هذا الإطلاق إلى ذوات المخاطبين.. فتمس قلوبهم بصورة من ذلك العلم الإلهي تهزّ القلوب: ﴿**ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم.. ولا خمسة إلا هو سادسهم.. ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم.. أينما كانوا..**﴾ فهي حقيقة في ذاتها.. ولكنها تخرج في صورة لفظية عميقة التأثير.. فحيثما اختلى ثلاثة تلفّتوا ليشعروا بالله رابعهم.. وحيثما اجتمع خمسة تلفتوا ليشعروا بالله سادسهم.. وحيثما كان اثنان يتناجيان فالله معهما.. وحينما كان أكثر فالله معهم مهما كثروا في أي مكان كانوا!.. ﴿**ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة.. إن الله بكل شيء عليم..**﴾ فهذه لمسة أخرى تُرجِفُ وتُزلزل.. فإن مجرد حضور الله وسماعه وعلمه السابق لكل شيء أمر هائل!.. فكيف إذا كان لهذا الحضور والسماع والعلم ما بعده من حساب وعقاب؟!.. وكيف إذا كان ما يسرّه المتناجون وينعزلون به ليخفوه سيعرض على الأشهاد يوم القيامة، وينبئهم الله به في الملإ الأعلى في ذلك اليوم المشهود؟!.

التوجيه الثاني: ﴿ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى. . ثم يعودون لما نهوا عنه. . ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول. .: في هذا التوجيه لفت النظر إلى ما قام به اليهود من الخيانة والغدر. . فقد كان اليهود يسكنون المدينة وما حولها من القرى. . وقد كان أحبارهم على علم من مبعث الرسول العربي الأمي. . ولما جاء رسول الله مهاجراً أعطى اليهود عهداً على أمنهم وسلامتهم في دينهم ونفوسهم وأموالهم ما لم يخونوا ويغدروا. . فلم يوف اليهود بما عاهدوا عليه. . بل أخذوا يدبرون المؤامرات وينشؤون المجالس السرية ـ كما هي عادة اليهود ـ لتجميع المناوئين للرسول ﷺ من العرب. وصارت لهم حلقات اتصال داخل المدينة وخارجها. . وأنهم بعدها كانوا يتسترون في خطتهم اللئيمة، وفي دسائسهم الخفية، وفي التدبير السيّىء للجماعة المسلمة. وفي اختيار الطرق والوسائل بتدخلهم بين المسلمين للإيحاء إليهم بالتمرد والعصيان على أوامر الله ورسوله. . ويفسدون أمر المسلمين بكل ما أوتوا من دهاء وخبرة. . وكانوا يدخلون على الرسول ويكلمونه بكلام فيه تورية ومغزى قد يخفى على المسلمين لما لهم من حسن النية وسلامة القلب. . فقد تحدّثت آياتُ سورة النساء ما يفيد أن اليهود أظهروا العصيان والطعن في الدين بما أظهروه من ولايتهم للمشركين. . فهنا يقول عنهم: **﴿وإذا جاؤوك حَيَّوْكَ بما لم يُحَيِّك به الله. .﴾** فقد ورد في الحديث الصحيح أن اليهود يقولون للرسول: السام عليكم. . فيرد الرسول ﷺ: وعليكم. . فالسام: الموت. **﴿ويقولون في أنفسهم: لولا يعذبنا الله بما نقول﴾**؟!. . فهذه مقولة اليهود الذين جعلوا وجودهم وبقاءهم في كل العصور دليلاً على كذب الرسل الذين أرسلوا إليهم وآخرهم محمد ﷺ إذ لو كان نبياً ونحن نقول فيه هذا القول لانتهى أمرنا بإهلاكنا جميعاً. ولم يدر اليهود أن الله كتب عليهم البقاء إلى أجل يعلمه الله!. . ولكن: **﴿حسبهم جهنم يصلونها. .﴾** فوعيد اليهود القيامة وما فيها من شدائد وأهوال: **﴿فبئس المصير!. . يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، وتناجوا بالبر والتقوى. .﴾**

فقد كان للعرب اجتماعات ومناجات فيما بينهم في الحي أو في القبيلة أو في جماعة القبائل فيما بينها عندما لم تكن لهم أمة يربطها نظام ويوجهها زعيم. . فقيدت هذه الاجتماعات بهذه التوجيهات. . حتى لا تؤدي إلى البلبلة وسوء التقدير!. وهنا يناديهم الله بصفتهم التي تربطهم بالله ورسوله. . وتجعل للنداء وقعه

وتأثيره.. ويبين لهم ما يليق بهم من الموضوعات التي يتناجى بها المؤمنون.. ويذكرهم بمخافة الله الذي يحشرون إليه: ﴿**واتقوا الله الذي إليه تحشرون.. إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا.. وليس بضارهم شيئاً إلا بإذن الله..**﴾ فهذا أدب رفيع كما أنه تحفظ حكيم لإبعاد كل الريب والشكوك.. وهذا هو الذي يدبره الشيطان ليحزن الذين آمنوا.. ووعد الله قاطع في أن الشيطان لن يبلغ بهذه الوسيلة ما يريد في الجماعة المؤمنة؛ لأن الله حارسها وكالئها. وهو شاهد حاضر في كل مناجاة، وعالم بما يدور فيها من كيد ودس وتآمر. ولن يضر الشيطان المؤمنين.. إلا بإذن الله.. وهو استثناء تحفّظي لتقرير طلاقة المشيئة في كل موطن من مواطن الوعد والحزم؛ لتبقى المشيئة حرة وراء الوعد والجزم.. ﴿**وعلى الله فليتوكل المؤمنون..**﴾ فهو الحارس الحامي، وهو القوي العزيز.. فالله وعد بحراسة المؤمنين.. فأي طمأنينة بعد هذا وأيّ يقين؟!.. ثم يأخذ السياق الذين آمنوا بأدب آخر من آداب الجماعة: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا يفسح الله لكم.. وإذا قيل انشزوا فانشزوا.. يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات. والله بما تعملون خبير**﴾: هذه الآية تحض على الإفساح للقادم ليجلس؛ كما تحض على إطاعة الأمر إذا قيل لجالس أن يرفع فيرفع. وهذا الأمر يجيء من القائد المسؤول عن تنظيم الجماعة. والغرض هو إيجاد الفسحة في النفس قبل إيجاد الفسحة في المكان.

وعلى طريقة القرآن في استجاشة الشعور عند كل تكليف فإنه يعد المفسحين بفسحة من الله لهم وسعة.. ويعد الناشزين الذين يرفعون من المكان ويخلونه عن طاعة لأمر الرسول برفعة في المقام.. فذلك جزاء تواضعهم وقيامهم عند تلقي الأمر بالقيام. وهكذا يتولى القرآن تربية النفوس وتهذيبها.. فهذا هو دستور الجماعة المسلمة الجديد في اجتماعها العام والخاص مع الرسول ومع أنفسهم. وهو تنظيم لم تعرفه العرب من قبل.. فَفِي مكة كان المسلمون أفراداً من هنا وهناك، وكانت تربطهم قوة العقيدة وشدة المحبة الشخصية.. فكانوا مع رسولهم مثل التلميذ مع أستاذه. أما في المدينة فقد تكونت الجماعة المسلمة على أساس الأمة التي يربطها دستور ويقومها توجيه سليم، ويديرها قائد حكيم.. فمن هنا نظر اليهود إلى هذه الحركة الجديدة بهذا التوجيه القوي نظرة خوف وإشفاق على مستقبلهم ونفوذهم وتدخلهم اجتماعياً واقتصادياً مع العرب الذين كانوا لا يحسبون

لهم أيّ حساب!. ولما تكونت الجماعة المسلمة بنظامها ودستورها وتوجيهات رئيسها ورسولها شرع الله لهم نظاماً مؤقتاً يُعدّل اجتماعهم بالرسول لمن يريد أن يقضي حاجة تخصه: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة.. ذلك خير لكم وأطهر.. فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم..**﴾ فالله سبحانه وتعالى يشعر المؤمنين بتقرير ضريبة للجماعة من مال الذي يريد أن يطلب مكالمة تخصه، في صورة صدقة يقدمها قبل أن يطلب المناجاة والخلوة.. فهي ضريبة تؤخذ من الغني فيها خير له وطهارة من دنس الشح والأثرة. أما الفقير الذي لا يقدر على تقديم هذه الضريبة فلا شيء عليه؛ لأن الله غفور رحيم للقادرين والعاجزين.. ثم جاءت الآية التالية برفع هذا التكليف بعد ما أدى مهمته المرحلية: ﴿**أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات؟.. فإذ لم تفعلوا.. وتاب الله عليكم.. فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة.. وأطيعوا الله ورسوله.. والله خبير بما تعملون..**﴾ فقد وصل المجتمع المسلم إلى المرحلة الأخيرة في سلوكه ونظامه الاجتماعي والمالي.. فقد تنظم اجتماع المسلمين في المساجد المعدّة للعبادة وللتعلم والتعليم والتأهب والتوجيه في كل ما يهم المسلمين من أمر دينهم ودنياهم.. فقد كان رسول الله ﷺ يؤم المسلمين في الصلوات في الجمعة والعيد وسائر الأوقات.. ويعقد مجالس العلم، ويتهيأ لاستقبال الوفود، ويعد المجاهدين للسرايا والغزوات.. وكان نظام الزكاة قد استقر ببيان مصارفها من أشخاص محتاجين أو في جهاد لحفظ كيان المسلمين.. فالأمر الآن لا يحتاج إلا إلى طاعة الله بتنفيذ كتابه.. وإلى طاعة الرسول باتباع نهجه وصوابه.. هذا ما ظهر لي من نص الآيات البينات التي في هذه السورة المحكمة العظيمة! والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

التوجيه الثالث: ﴿ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم..﴾: في هذا التوجيه لفت النظر إلى عمل المنافقين بما يدبرون من مكر، وما يتوقعون بالمسلمين من خطر!.. فيصوّر السياق أحوالهم ومواقفهم.. فيتوعدهم بافتضاح أمرهم وسوء مصيرهم؛ وانتصار الدعوة الإسلامية وأصحابها على الرغم من كيدهم وتدبيرهم!.. فهذه الحملة القوية على المنافقين الذين يتولون قوماً غضب الله عليهم: ﴿**ما هم منكم ولا منهم**﴾!.. ـ وهم اليهود ـ. تدل هذه الجملة على أن المنافقين كانوا يمعنون في الكيد للمسلمين ويتآمرون مع ألد أعدائهم عليهم!..

كما تدل على أن سلطة الإسلام قد عظمت وأصبحت دولة لها كيانها الثابت المستمر.. بحيث يخافها المنافقون.. فيضطرون ـ عندما يواجههم الرسول والمؤمنون بما يكشفه الله من تدبيراتهم ومؤامراتهم ـ إلى الحلف بالكذب لإنكار ما ينسب إليهم من أفعال وأقوال. وهم يعلمون أنهم كاذبون في هذه الأيمان: ﴿**ويحلفون على الكذب وهم يعلمون**..﴾ ثم يواجههم بالجزاء على هذا الفعل والقول: ﴿**أعد الله لهم عذاباً شديداً، إنهم ساء ما كانوا يعملون**﴾!.. فليست أيمانهم هذه حقّاً.. إنما يتقون بها ما يتوقعونه من مؤاخذتهم بما ينكشف من دسائسهم: ﴿**اتخذوا أيمانهم جنة.. فصدوا عن سبيل الله**﴾ وبذلك يستمرون في دسائسهم للصد عن سبيل الله!.. ﴿**فلهم عذاب مهين.. لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً**..﴾ فهذا وعيد الدنيا.. فأما وعيد الآخرة: ﴿**أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعاً.. فيحلفون له كما يحلفون لكم، ويحسبون أنهم على شيء.. ألا إنهم هم الكاذبون**﴾!!.. فهذه الآية تشير إلى أن النفاق قد تأصل في كيانهم.. حتى ليصاحبهم إلى يوم القيامة، وفي حضرة الله ذي الجلال الذي يعلم خفايا القلوب وذوات الصدور!.. ويدمغهم بالكذب الأصيل الثابت.

﴿**استحوذ عليهم الشيطان.. فأنساهم ذكر الله**..﴾ فهذا هو السبب المباشر الذي كشف عن علة موقفهم من النفاق.. فالقلب الذي ينسى ذكر الله يفسد ويتمحض للشر.. ﴿**أولئك حزب الشيطان**..﴾ فهؤلاء هم حزب الشيطان الذين يقفون تحت لوائه ويعملون باسمه وينفذون غاياته. وهو الشر الخالص الذي ينتهي إلى الخسران الخالص: ﴿**ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون**..﴾ فهذه حملة شديدة عنيفة تناسب الشر والأذى والفتنة التي يدبّرونها للمسلمين مع أعدائهم الماكرين.. وتُطمْئِنَ قلوب المسلمين.. فالله سبحانه يتولى عنهم الحملة على أعدائهم المستورين!!.. ولما كان أولئك المنافقون يأوون إلى اليهود شعوراً منهم بأنهم قوة تخشى وترجى، ويطلبون منهم العون والمشورة.. فإن الله ييئسهم منهم، ويقرر أنه كتب على أعدائه الذلة والهزيمة، وكتب لنفسه ولرسوله الغلبة والتمكين: ﴿**إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلّين.. كتب الله لأغلبن أنا ورسلي.. إن الله قوي عزيز**..﴾ فهذا وعد الله الصادق الذي كان والذي لا بد أن يكون، على الرغم مما يبدو أحياناً من الظاهر الذي يخالف هذا الوعد الصادق..

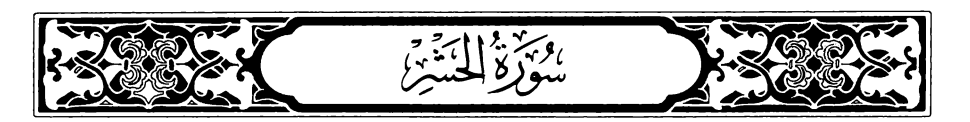
فالذي وقع بالفعل أن الإيمان والتوحيد قد غلبا على الكفر والشرك. . فاستقرت العقيدة في الله في هذه الأرض؛ ودانت لها البشرية بعد كل ما وقف في طريقها من عقبات الشرك والوثنية، وبعد الصراع الطويل مع الكفر والشرك والإلحاد. وإذا كانت هناك فترات عاد فيها الإلحاد إلى الظهور في بعض بقاع الأرض ـ كما يقع الآن في الدول الملحدة فإن العقيدة في الله ظلت هي المسيطرة بصفة عامة. فضلاً على أن فترات الإلحاد والوثنية إلى زوال مؤكد؛ لأنها غير صالحة للبقاء!. . فالمؤمن يتعامل مع وعد الله على أنه الحقيقة الواقعة. . فحين ينظر الإنسان اليوم إلى الحرب الهائلة التي يشنها أعداء الإيمان على أهل الإيمان في صورها المتنوعة، من بطش ومن ضغط ومن كيد بكل صنوف الكيد في عهود متطاولة؛ بلغ في بعضها من عنف الحملة على المؤمنين أن قُتّلوا وشردوا وعذبوا وقطعت أرزاقهم وسلطت عليهم جميع أنواع النكاية. . ثم بقي الإيمان في قلوب المؤمنين يحميهم من الانهيار ويحمي شعوبهم كلها من ضياع شخصيتها وذوبانها في الأمم الهاجمة عليها، ومن خضوعها للطغيان الغاشم إلا ريثما تنقضّ عليه وتحطمه!.

حين ينظر الإنسان إلى هذا الواقع في المدى المتطاول يجد مصداق قول الله تعالى: يجده في هذا الواقع ذاته بدون حاجة إلى الانتظار الطويل!. وعلى أية حال. . فلا يخالج المؤمنَ شكٌّ في أن وعد الله هو الحقيقة الكائنة التي لا بد أن تظهر في الوجود؛ وأن الذين يحادون الله ورسوله هم الأذلّون، وأن الله ورسله هم الغالبون؛ وأن هذا هو الكائن والذي لا بد أن يكون. . ولتكن الظواهر غير هذا ما تكون!!. . وفي النهاية تجيء المفاضلة الكاملة بين حزب الله وبين حزب الشيطان والانحياز النهائي للصف المتميز: ﴿**لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله. .**﴾ فما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه. وما يجمع إنسان في قلب واحد ودّين: ودّاً لله ورسوله وودا لأعداء الله ورسوله!. . فإما إيمان أو لا إيمان. أما هما معاً فلا يجتمعان: ﴿**ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم. .**﴾ فروابط الدم والقرابة هذه تنقطع عند حد الإيمان. . فكان هذا أبلغ ما ارتقى إليه تصور الروابط والقيم في ميزان الله تعالى!!. . ﴿**أولئك كتب في قلوبهم الإيمان**﴾: ثابت لا يزول. . ﴿**وأيدهم بروح منه**﴾؛ أيد الله المؤمنين بجنود من الغيب لم يرها البشر حسب ما نص في سورة آل عمران والأنفال والتوبة. . ﴿**ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها. .**﴾

فهو جزاء ما تجردوا في الدنيا من كل رابطة وآصرة.. ونفضوا عن نفوسهم كل عرض من أعراضها الفانية.. ﴿**رضي الله عنهم ورضوا عنه**﴾: هذه صورة وضيئة راضية مطمئنة.. فربهم راض عنهم.. وهم راضون عن ربهم.. ﴿**أولئك حزب الله**﴾: هم جماعته المتجمعة تحت لواء رسوله، المتحركة بقيادته المهتدية بهديه؛ المحققة لمنهجه؛ الفاعل في الأرض ما قدره الله وقضاه.. فهي قدر من قدر الله؛ ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس!**﴾ ﴿**ألا إن حزب الله هم المفلحون..**﴾ فمن يُفلح إِذَنْ إذا لم يُفلح أنصارُ الله المختارون؟!.. فهكذا تنقسم البشرية إلى حزبين اثنين: حزب الله بقيادة الرسول.. وحزب الكفر بقيادة الشيطان. ﴿**وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً: شياطين الإنس والجن**﴾ وإلى رايتين اثنتين: راية الحق وراية الباطل.. فإما أن يكون الفرد من حزب الله.. فهو واقف تحت راية الحق.. وإما أن يكون من حزب الشيطان.. فهو واقف تحت راية الباطل.. فهما صفان متمايزان لا يختلطان ولا يتميّعان!!.. فلا نسب ولا صهر، ولا أهل ولا قرابة، ولا وطن ولا جنس، ولا عصبية ولا قومية.. إنما هي العقيدة.. والعقيدة وحدها..

فمن انحاز إلى حزب الله، ووقف تحت راية الحق فهو وجميع الواقفين تحت هذه الراية إخوة في الله.. إنما المؤمنون إخوة.. فقد تختلف ألوانهم، وتختلف أوطانهم، وتختلف عشائرهم، وتختلف أسرهم.. ولكنهم يلتقون في الرابطة التي تؤلف حزب الله.. فتذوب الفوارق كلها تحت الراية الواحدة. ومن استحوذ عليه الشيطان.. فوقف تحت راية الباطل، فلن تربطه بأحد من حزب الله رابطة؛ لا من أرض، ولا من جنس، ولا من وطن، ولا من لون، ولا من عشيرة، ولا من نسب ولا من صهر.. فقد أنبتت الوشيجة الأولى التي تقوم عليها هذه الوشائج فأنبتت هذه الوشائج جميعاً.. فالانقطاع لله الذي يرعى هذه الأمة مثل هذه الرعاية هو الاستجابة الطبيعية. والمفاضلة بين حزب الله وحزب الشيطان هي الأمر الذي لا ينبغي غيره للأمة التي اختارها الله للدور الكبير الذي كلفها إيّاه ربّ العالمين السميع البصير!!..

2 ـ موضوع سورة الحشر، بيان موقف المؤمنين وموقف اليهود والمنافقين وأهل الكفر



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿1﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿2﴾ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿3﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿4﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿5﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ﴿6﴾ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ
وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ
كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ
فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿7﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا
مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا
وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿8﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو
الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ
فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ
بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿9﴾
وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا
الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا
رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿10﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا
يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا
وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿11﴾
لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ
وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿12﴾ لَأَنتُمْ

أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَفْقَهُونَ ﴿13﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ
أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا
وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿14﴾ كَمَثَلِ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿15﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ
قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿16﴾
فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا
وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿17﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ
خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿18﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ
نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿19﴾
لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ
هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿20﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ
لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ
ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿21﴾ هُوَ ٱللَّهُ
ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ
ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿22﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ

ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿23﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿24﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**سبح لله ما في السماوات وما في الأرض.. وهو العزيز الحكيم.. هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب**﴾: يهود بني النضير.. ﴿**من ديارهم.. لأول الحشر**﴾: في أول حشر لليهود من جزيرة العرب إلى الشام. وكان آخر حشرٍ لهم عندما أخرج عمر ـ رضي الله عنه ـ اليهود والنصارى من جزيرة العرب. ﴿**ما ظننتم أن يخرجوا.. وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله..**﴾ فقد كان اليهود متحصّنين في المدينة بقراهم المسوّرة وأسلحتهم.. ولم يكن العرب قادرين على مناوأتهم.. ﴿**فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا**﴾: أتاهم الله بمحمد وجنوده الأبطال.. فهُدّ كيانهم وفُل سلاحُهم.. ﴿**وقذف في قلوبهم الرعب**﴾: خوفاً من المسلمين. ﴿**يخربون بيوتهم**﴾: يهدمونها.. ﴿**بأيديهم**﴾: حسرة ويأساً من العودة إليها.. ﴿**وأيدي المؤمنين**﴾: نكاية وخزياً وإهانة!.. ﴿**فاعتبروا يا أولى الأبصار!.. ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء**﴾: الإخراج بعنف وبقوة قاهرة. ومعنى أخرج الذين كفروا: أجلاهم بقوته وجنده الغالب.. ﴿**لعذبهم في الدنيا**﴾: بالاستئصال النهائي..

ولكن الله أبقى اليهود على ما كان منهم من شر.. ليكونوا عبرة لغيرهم في تاريخهم الطويل.. ﴿**ولهم في الآخرة عذاب النار**﴾: نار جهنم خالدين فيها أبداً.. ﴿**ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله**﴾: ذلك واقع بسبب كفرهم ومخالفتهم لرسول الله بنقض العهد الذي عاهدوه عليه.. ﴿**ومن يشاق الله**﴾: فسيعاقبه الله؛ لأن الله

شديد العقاب!. ﴿**ما قطعتم من لينة**﴾: أَيَّ شيء قطعتم: من نخلة كريمة. زاهية في اللون لينة في الطعم!.. ﴿**أو تركتموها قائمة على أصولها**﴾: مقابل قطعتم.. ﴿**فبإذن الله**﴾: بأمره وتشريعه. ﴿**وليُخزى الفاسقين**﴾: اليهود الخارجين عن طاعة الله ورسوله.. فهذا خزي وذل ومهانة!.. ﴿**وما أفاء الله على رسوله منهم.. فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب**﴾: وما أعاد الله على رسوله من مال الكافرين فهو فيء وليس غنيمة.. فلم تأخذوه بقوة السلاح والتعب.. ﴿**ولكن الله يسلط رسله على من يشاء!: مثل هؤلاء اليهود.. والله على كل شيء قدير.. ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى.. فللّه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل**﴾: بيان لمصارف الفيء.. والفيء: ـ كما تقدم ـ ما يحصل من الكفار بلا قتال.. ﴿**كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم**﴾: مصرف الفيء خاص بالفقراء ولم يكن للأغنياء منه شيء ـ بخلاف الغنيمة لأنها في مقابل مجهود ـ أي فلا يُتداول أول ويدور بين الأغنياء.. فتزيد ثروتهم!.. ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾: أنتم مكلفون بالأمر والنهي من الرسول.. فليس لكم أمر كما تريدون.. ﴿**واتقوا الله.. إن الله شديد العقاب. للفقراء المهاجرين: الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم.. يبتغون فضلاً من الله ورضواناً.. وينصرون الله ورسوله**﴾: هذا الفيء الحاصل من أهل القرى يعطى للفقراء المهاجرين الموصوفين بما ذكر.. ﴿**أولئك هم الصادقون**﴾: هؤلاء المذكورون هم الصادقون الراسخون في الصدق حيث ظهر ذلك بما فعلوا ظهوراً بيناً. ﴿**والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم**﴾: وهم الأنصار أهل المدينة الذين بايعوا الرسول على نصرة الإسلام.. فأظهروا الإيمان في المدينة.. فانتشر وعم كل نواحيها. قبل مجيء المهاجرين إليها: ﴿**يحبون من هاجر إليهم**﴾: إظهار لمدح الأنصار بخصال حميدة من جملتها محبتهم للمهاجرين، ورضاهم باختصاص الفيء بهم: ﴿**ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا!!.. ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.. ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون..**﴾

والشح: أشد البخل. وسببه لؤم النفس وحرصها على المال!. ﴿**والذين جاؤوا من بعدهم**﴾: وهم الذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم القيامة.. ﴿**يقولون: ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان.. ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا..**﴾ الغل: الحقد على الغير. ﴿**ربنا إنك رؤوف رحيم.. ألم تر إلى الذين**

نافقوا﴾: هم المنافقون من العرب.. **﴿يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب﴾**: هم اليهود الذين نقضوا العهود.. **﴿لئن أخرجتم لنخرجن معكم.. ولا نطيع فيكم أحداً أبداً!.. وإن قوتلتم لننصرنكم!.. والله يشهد إنهم لكاذبون.. لئن أخرجوا لا يخرجون معهم.. ولئن قوتلوا لا ينصرونهم.. ولئن نصروهم ليولن الأدبار.. ثم لا ينصرون﴾**: هذه الآية تكذب المنافقين في جميع ما قالوه لإخوانهم اليهود!.. **﴿لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله!: ذلك بأنهم قوم لا يفقهون﴾**: هذه الآية تظهر حقيقة اليهود مما فيهم من الجبن والهلع من المسلمين على مدار التاريخ.. **﴿لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر: بأسهم بينهم شديد: تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى: ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾**: هذه الآية بينت حقيقة اليهود مما في أنفسهم من التخالف والتفرق فيما بينهم؛ لأنهم قوم لا يعقلون!. **﴿كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال أمرهم﴾**: هؤلاء اليهود مثل المشركين الذين ذاقوا وبال أمرهم في بدر من قتل وأسر وهزيمة وقهر!!.. **﴿ولهم عذاب أليم﴾**: لهم عذاب أليم في الآخرة.. كذلك هؤلاء اليهود. **﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر.. فلما كفر قال: إني بريء منك: إني أخاف الله رب العالمين﴾**: هذه الآية ضربت مثلاً للمنافقين واليهود بعمل الشيطان مع الإنسان حين يغريه.. ثم يتبرّأ منه.. فقد لعب الشيطان دوراً مع المشركين يوم بدر: إذ قال لهم: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم!.. **﴿فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدَيْن فيها.. وذلك جزاء الظالمين!!.. يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله.. ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾**: يوم القيامة الآتي بعد اليوم ـ يوم الدنيا ـ **﴿واتقوا الله.. إن الله خبير بما تعملون.. ولا تكونوا كالذين نسوا الله.. فأنساهم أنفسهم.. أولئك هم الفاسقون.. لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة: أصحاب الجنة هم الفائزون!.. لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله﴾**: تمثيل لعلوّ شأن القرآن وقوة تأثير ما فيه من المواعظ كما ينطق به قوله تعالى: **﴿وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون.. هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة.. هو الرحمن الرحيم.. هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر.. سبحان الله عما يشركون.. هو الله الخالق البارىء المصور.. له الأسماء الحسنى.. يسبح له ما في السماوات والأرض.. وهو العزيز الحكيم..﴾**

مبحث الإعراب

﴿**سبّح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم**﴾: تقدم إعراب مثله في أول سورة الحديد. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع خبره. ﴿**أخرج**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الذي. والجملة صلة الموصول. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين. ﴿**من أهل**﴾ متعلق بمحذوف حال من الذين كفروا. ﴿**الكتاب**﴾ مضاف إلى أهل. ﴿**من ديارهم**﴾ متعلق بأخرج. ﴿**لأول**﴾ متعلق بأخرج. ﴿**الحشر**﴾ مضاف إلى أول. ﴿**ما ظننتم**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. ﴿**أن يخرجوا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه أن المصدرية الناصبة. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول به. ﴿**وظنوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**أنهم**﴾ أن واسمها. ﴿**مانعتهم**﴾ خبر أنّ. ﴿**حصونهم**﴾ فاعل باسم الفاعل ـ مانعتهم ـ ﴿**من الله**﴾ متعلق بمانعتهم. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول بظنوا. أي: وظنوا ممانعةَ حصونهم. . ﴿**فأتاهم**﴾ فعل ماض مرتب على ما قبله. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الله**﴾ فاعل. ﴿**من حيث**﴾ متعلق بأتاهم.

﴿**لم يحتسبوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي الجازم. ﴿**وقذف**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة معطوفة على «فأتاهم الله» ﴿**في قلوبهم**﴾ متعلق بقذف. ﴿**الرعب**﴾ مفعول به. ﴿**يخربون بيوتهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة بيان لما قبلها. ﴿**بأيديهم**﴾ متعلق بيخربون. ﴿**وأيدي**﴾ معطوف على أيديهم. ﴿**المؤمنين**﴾ مضاف إلى أيدي. ﴿**فاعتبروا**﴾ أمر موجه إلى المخاطبين معقب على ما قبله. ﴿**يا أولى**﴾ منادي منصوب بالياء. ﴿**الأبصار**﴾ مضاف إلى أولى. ﴿**ولولا**﴾ حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط. ﴿**أن كتب الله**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه أن المصدرية الناصبة. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع مبتدأ. أي: ولولا كتابة الله ﴿**عليهم**﴾ متعلق بالفعل المؤوّل. ﴿**الجلاء**﴾ مفعول به. وخبر المبتدإِ محذوف. كما هو معلوم من قول ابن مالك في الألفية: (وبعدَ لولا غالباً حذفُ الخبر) ﴿**لعذبهم**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والجملة جواب شرط لولا. واللام رابط. ﴿**في الدنيا**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ولهم في الآخرة**﴾ متعلقان

بمحذوف خبر مقدم. ﴿**عذاب**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**النار**﴾ مضاف إلى عذاب. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**بأنهم**﴾ أنّ واسمها. ﴿**شاقوا الله**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر أنَّ. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. أي: ذلك كائن بمشاقتهم الله ﴿**ورسوله**﴾ معطوف على الله. ﴿**ومن**﴾ اسم شرط جازم. ﴿**يشاق**﴾ فعل الشرط مجزوم. وحرك بالكسرة لالتقاء الساكنين. والفاعل ضمير يعود على من. ﴿**الله**﴾ مفعول به. ﴿**فإن الله**﴾ إن واسمها. ﴿**شديد**﴾ خبرها. ﴿**العقاب**﴾. مضاف إلى شديد. والجملة جواب شرط مَنْ. والفاء رابط؛ لكون الجملة اسمية. ﴿**ما**﴾ اسم شرط في محل نصب مفعول بـ ﴿**قطعتم**﴾ فعل وفاعل. ﴿**من لينة**﴾ مفعول به. مجرور بحرف الجر الزائد في محل نصب. وهي بيان لما. ﴿**أو تركتموها**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة معطوفة على قطعتم. ﴿**قائمة**﴾ حال من الضمير المفعول. ﴿**على أصولها**﴾ متعلق بقائمة. ﴿**فبإذن**﴾ متعلق بمحذوف خبر لمبتدَإٍ محذوف. أي: فذلك كائن بإذن ﴿**الله**﴾ مضاف إلى إذن. والجملة جواب شرط ما. والفاء رابط. . ﴿**وليخزي**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**الفاسقين**﴾ مفعول به. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور باللام متعلق بما تعلق به الجار والمجرور. بإذن الله. أي ذلك كائن بإذن الله وليخزي الفاسقين.

﴿**وما أفاء الله**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه ما الشرطية والجملة معطوفة على «ما قطعتم» ﴿**على رسوله**﴾ متعلق بأفاء. ﴿**منهم**﴾ كذلك. ﴿**فما أوجفتم**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة جواب شرط ما. والفاء رابط لوجود النفي. ﴿**عليه**﴾ متعلق بأوجفتم. ﴿**من خيل**﴾ مفعول به مجرور بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿**ولا ركاب**﴾ معطوف على خيل. ﴿**ولكن الله**﴾ لكن واسمها. ﴿**يسلط**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر لكن. وجملة ولكن الله يسلط معطوفة على ما قبلها. ﴿**رسله**﴾ مفعول به. ﴿**على من**﴾ متعلق بيسلط. ﴿**يشاء**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة صلة مَنْ. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**على كل**﴾ متعلق بالخبر الآتي. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**قدير**﴾ خبر المبتدإِ. والجملة تذييل. ﴿**ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**فلله**﴾ متعلق بمحذوف خبر لمبتدإ محذوف. أي: فهو كائن

لله. . والجملة جواب الشرط. والفاء رابط. ﴿**وللرسول**﴾ معطوف على الله. ﴿**ولذي**﴾ كذلك. ﴿**القربى**﴾ مضاف إلى ذي. ﴿**واليتامى والمساكين وابن**﴾ معطوفات على لذي القربى. ﴿**السبيل**﴾ مضاف إلى ابن. ﴿**كي لا يكون**﴾ فعل مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة بعد كي. ولا نافية. واسم يكون ضمير يعود على الفيء. ﴿**دولة**﴾ خبر يكون. ﴿**بين**﴾ متعلق بدولة. ﴿**الأغنياء**﴾ مضاف إلى بين. ﴿**منكم**﴾ متعلق بمحذوف حال من الأغنياء. ﴿**وما**﴾ اسم شرط. ﴿**آتاكم**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الرسول**﴾ فاعل. ﴿**فخذوه**﴾ أمر موجه إلى المخاطبين. والضمير المتصل به مفعول. والجملة جواب الشرط. والفاء رابط. ﴿**وما نهاكم**﴾ معطوف على وما آتاكم. ﴿**عنه**﴾ متعلق بنهاكم. ﴿**فانتهوا**﴾ جواب الشرط مثل «فخذوه». ﴿**واتقوا**﴾ معطوف على الأمر السابق. ﴿**الله**﴾ معمول اتقوا. ﴿**إن الله**﴾ إن واسمها. ﴿**شديد**﴾ خبرها. ﴿**العقاب**﴾ مضاف إلى شديد. والجملة تعليلية. ﴿**للفقراء**﴾ متعلق بمحذوف خبر لمبتدإٍ محذوف. أي: الفيء كائن للفقراء. ﴿**المهاجرين**﴾ نعت للفقراء. ﴿**الذين**﴾ في محل جر نعت للمهاجرين. ﴿**أخرجوا**﴾ الفعل ونائب الفاعل صلة الذين. ﴿**من ديارهم**﴾ متعلق بأخرجوا. ﴿**وأموالهم**﴾ معطوف على ديارهم.

﴿**يبتغون فضلاً**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**من الله**﴾ متعلق بمحذوف نعت لـ «فضلاً». ﴿**ورضواناً**﴾ معطوف على «فضلاً». ﴿**وينصرون الله**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة معطوفة على «يبتغون. .». ﴿**ورسوله**﴾ معطوف على الله. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدَأ. ﴿**هم**﴾ ضمير فصل. ﴿**الصادقون**﴾ خبر المبتدإِ. ﴿**والذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للاستئناف. ﴿**تبوأوا الدار**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول. ﴿**والإيمان**﴾ معطوف على الدار. ﴿**من قبلهم**﴾ متعلق بتبوأوا. ﴿**يحبون من**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**هاجر**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. والجملة صلة الموصول. ﴿**إليهم**﴾ متعلق بهاجر وجملة يحبون خبر المبتدأ (الذين تبوأوا) ﴿**ولا يجدون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة معطوفة على جملة يحبون. ﴿**في صدورهم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**حاجة**﴾ مفعول به. ﴿**مما**﴾ متعلق بحاجة. ﴿**أوتوا**﴾ الفعل ونائب الفاعل صلة ما. ﴿**ويؤثرون**﴾ فعل وفاعل. والجملة معطوفة على يحبون. ﴿**على أنفسهم**﴾ متعلق بيؤثرون. ﴿**ولو كان بهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان مقدم. ﴿**خصاصة**﴾

اسمها مؤخر. وجملة ولو كان بهم خصاصة حال من فاعل يؤثرون. ولو هنا وصلية تفيد المبالغة. ﴿**ومن**﴾ اسم شرط جازم. ﴿**يوق**﴾ فعل الشرط مجزوم بحذف الألف. مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**شح**﴾ مفعول به. ﴿**نفسه**﴾ مضاف إلى شح. ﴿**فأولئك**﴾ في محل رفع مبتدَأ. ﴿**هم**﴾ ضمير فصل. ﴿**المفلحون**﴾ خبر المبتدإِ. والجملة جواب الشرط. والفاء رابط. ﴿**والذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**جاؤوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة الذين. ﴿**من بعدهم**﴾ متعلق بجاؤوا. ﴿**يقولون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر المبتدإِ. ﴿**ربنا**﴾ منادي حذف منه حرف النداء. ﴿**اغفر**﴾ فعل دعاء. ﴿**لنا**﴾ متعلق باغفر. ﴿**ولإخواننا**﴾ معطوف على «لنا». ﴿**الذين**﴾ في محل جر نعت لإخواننا. ﴿**سبقونا**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول. ﴿**بالإيمان**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ولا تجعل**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الدعائية. والفاعل ضمير يعود على ربنا.

﴿**في قلوبنا**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**غلا**﴾ مفعول به. ﴿**للذين**﴾ متعلق به. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الذين. ﴿**ربنا**﴾ منادى مثل سابقه. ﴿**إنك**﴾ إن واسمها. ﴿**رؤوف رحيم**﴾ خبران لإنّ. ﴿**ألم تر إلى الذين**﴾: تقدم إعراب مثلها. . ﴿**نافقوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة الذين. ﴿**يقولون**﴾ فعل وفاعل. والجملة بيانية. ﴿**لإخوانهم**﴾ متعلق بيقولون. ﴿**الذين**﴾ في محل جر نعت لإخوانهم. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين. ﴿**من أهل**﴾ متعلق بمحذوف حال من الذين كفروا. ﴿**الكتاب**﴾ مضاف إلى أهل. ﴿**لئن أخرجتم**﴾ الفعل ونائب الفاعل فعل شرط إن. واللام لام القسم. ﴿**لنخرجن**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. والفاعل نحن. والجملة جواب القسم سدت مسد جواب الشرط. واللام رابط لجواب القسم. ﴿**معكم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ولا نطيع**﴾ فعل مضارع منفي بلا. والفاعل نحن. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**فيكم**﴾ متعلق بنطيع. ﴿**أحداً**﴾ مفعول به. ﴿**أبداً**﴾ ظرف زمان متعلق بما تعلق به الجار والمجرور. ﴿**وإن قوتلتم**﴾ معطوف على «إن أخرجتم». . ﴿**لننصرنكم**﴾ جواب القسم مثل لنخرجن. . ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**يشهد**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر المبتدإِ. إنهم إن واسمها. ﴿**لكاذبون**﴾ خبرها. واللام لتوكيد الخبر. وجملة والله يشهد. . تذييل. ﴿**لئن أخرجوا**﴾ مثل لئن أخرجتم في الإعراب. ﴿**لا**

﴿يخرجون﴾ جواب لئن أخرجوا.. **﴿معهم﴾** متعلق بالفعل قبله... **﴿ولئن قوتلوا لا ينصرونهم﴾** معطوف على «لئن أخرجوا». **﴿ولئن نصروهم ليولن الأدبار﴾** مثل ما سبقه في الإعراب. **﴿ثم لا ينصرون﴾** الفعل ونائب الفاعل معطوف بثم على ما قبله. **﴿لأنتم﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿أشد﴾** خبره. **﴿رهبة﴾** منصوب على التمييز. **﴿في صدورهم﴾** متعلق برهبة. **﴿من الله﴾** متعلق بأشد. **﴿ذلك﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿بأنهم﴾** أن واسمها. **﴿قوم﴾** خبرها. **﴿لا يفقهون﴾** فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة نعت لقوم. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء متعلق بمحذوف خبر المبتدإِ «ذلك». **﴿لا يقاتلونكم﴾** فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي. **﴿جميعاً﴾** حال من الفاعل. **﴿إلا في قرى﴾** متعلق بقوله: لا يقاتلونكم. **﴿محصنة﴾** نعت لقُرًى. **﴿أو من وراء﴾** معطوف على في قرى. **﴿جدر﴾** مضاف إلى وراء. **﴿بأسهم﴾** مبتدأ.

﴿بينهم﴾ متعلق بما بعده: **﴿شديد﴾** خبر المبتدإِ. **﴿تحسبهم﴾** فعل مضارع. والفاعل ضمير المخاطب. والضمير المتصل بالفعل مفعول. **﴿جميعاً﴾** مفعول ثانٍ بتحسبهم. **﴿وقلوبهم﴾** مبتدأ. **﴿شتى﴾** خبر المبتدإِ مرفوع بضمة مقدرة على الألف. **﴿ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾**: تقدم إعراب مثل هذه الجملة. **﴿كمثل﴾** الكاف في محل رفع خبر لمبتدإِ محذوف. أي مثلهم مثلُ.. **﴿الذين﴾** في محل جر مضاف إلى مثل. **﴿من قبلهم﴾** متعلق بمحذوف صلة الذين. **﴿قريباً﴾** ظرف متعلق بما بعده: **﴿ذاقوا وبال﴾** فعل وفاعل ومفعول. **﴿أمرهم﴾** مضاف إلى وبال. وجملة ذاقوا وبال أمرهم تفسير للمثل لا محل لها من الإعراب. **﴿ولهم﴾** متعلق بمحذوف خبر مقدم. **﴿عذاب﴾** مبتدأ مؤخر. **﴿أليم﴾** نعت لعذاب. والجملة معطوفة على ما قبلها. أي: ذاقوا وبال أمرهم في الدنيا، ولهم عذاب أليم في الآخرة. **﴿كمثل﴾** مثل ما سبق في «كمثل الذين من قبلهم». **﴿الشيطان﴾** مضاف إلى مثل. **﴿إذ﴾** ظرف متعلق بما قبله. **﴿قال﴾** فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الشيطان. **﴿للإنسان﴾** متعلق بقال. **﴿اكفر﴾** أمرٌ من الشيطان للإنسان. **﴿فلما﴾** ظرف متضمن معنى الشرط. والفاء للتعقيب. **﴿كفر﴾** فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الإنسان. **﴿قال﴾** فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الشيطان. والجملة جواب شرط لما. لا محل لها من الإعراب. **﴿إني﴾** إنّ واسمها. **﴿بريء﴾** خبرها. والجملة مقول القول. **﴿منك﴾** متعلق ببريء. **﴿إني﴾**

إن واسمها. ﴿أخاف﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المتكلم. والجملة خبر إنّ. وجملة إني أخاف تعليلية. ﴿الله﴾ معمول أخاف. ﴿رب﴾ نعت لله. ﴿العالمين﴾ مضاف إلى رب. ﴿فكان﴾ فعل ماض ناقص. والفاء للتعقيب. ﴿عاقبتهما﴾ خبر كان. ﴿أنهما﴾ أن واسمها. ﴿في النار﴾ متعلق بمحذوف خبر أنّ. وأنَّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع اسم كان مؤخر. ﴿خَالِدَيْنِ﴾ حال من المثنى.. ﴿فيها﴾ متعلق بالحال. ﴿وذلك﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿جزاء﴾ خبره. ﴿الظالمين﴾ مضاف إلى جزاء. والجملة تذييل. ﴿يا أيها﴾ منادي مبني على الضم في محل نصب. ﴿الذين﴾ نعت لأيّ في محل نصب باعتبار محلها. ﴿آمنوا﴾ صلة الذين. ﴿اتقوا﴾ أمر موجه إلى المخاطبين المؤمنين. ﴿الله﴾ معمول اتقوا.. ﴿ولتنظر نفس﴾ فعل وفاعل دخل عليه لام الأمر الجازم. والجملة معطوفة على الأمر. ﴿ما﴾ اسم موصول، في محل نصب مفعول به.

﴿قدمت﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على نفس. والجملة صلة ما. ﴿لغد﴾ متعلق بقدمت. ﴿واتقوا الله﴾ مثل ما سبقه في الإعراب. ﴿إن الله﴾ إن واسمها. ﴿خبير﴾ خبرها. ﴿بما﴾ متعلق بخبير. ﴿تعملون﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿ولا تكونوا﴾ تكون واسمها. دخل عليها حرف النهي الجازم. ﴿كالذين﴾ الكاف في محل نصب خبر تكون. والذين في محل جر بالكاف. والجملة معطوفة على الأمر. ﴿نسوا الله﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول. ﴿فأنساهم﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول أول. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿أنفسهم﴾ مفعول ثان. والجملة مرتبة على ما قبلها. ﴿أولئك﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿هم﴾ ضمير فصل. ﴿الفاسقون﴾ خبر المبتدإِ. ﴿لا يستوي أصحاب﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. ﴿النار﴾ مضاف إلى أصحاب. ﴿وأصحاب الجنة﴾ معطوف على أصحاب النار. ﴿أصحاب﴾ مبتدأ. ﴿الجنة﴾ مضاف إلى أصحاب. ﴿هم﴾ ضمير فصل. ﴿الفائزون﴾ خبر المبتدإِ. والجملة بيانية. ﴿لو﴾ حرف امتناع لامتناع متضمن معنى الشرط. ﴿أنزلنا هذا﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿القرآن﴾ عطف بيان لهذا. ﴿على جبل﴾ متعلق بأنزلنا. ﴿لرأيته﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة جواب شرط لو. واللام رابط. ﴿خاشعاً﴾ حال من الضمير المفعول. ﴿متصدعاً﴾ حال ثانية. ﴿من خشية﴾ متعلق بالحال. ﴿الله﴾ مضاف إلى خشية. ﴿وتلك﴾ في محل رفع مبتدَأ. ﴿الأمثال﴾

عطف بيان لتلك. ﴿**نضربها**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل نحن. والجملة خبر المبتدإ. وجملة وتلك الأمثال نضربها تذييل. ﴿**للناس**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**لعلهم**﴾ لعلّ واسمها. ﴿**يتفكرون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر لعل. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الله**﴾ خبره. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع نعت لله. ﴿**لا إله**﴾ لا واسمها مبني على الفتح في محل نصب. ﴿**إلا هو**﴾ في محل رفع خبر لا. وجملة لا إله إلا هو صلة الموصول.

﴿**عالم**﴾ خبر لمبتدإ مقدر. أي: هو عالم ﴿**الغيب**﴾ مضاف إلى عالم. ﴿**والشهادة**﴾ معطوف على الغيب. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الرحمن**﴾ خبره. ﴿**الرحيم**﴾ خبر ثان له. ﴿**هو الله الذي لا إله إلا هو**﴾: تقدم إعراب مثله. ﴿**الملك**﴾ خبر لمبتدإ مقدر. أي: هو الملك. ﴿**القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر**﴾: هذه الأسماء أخبار متعددة لِهُو الملكُ. ﴿**سبحان**﴾ مفعول مطلق. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سبحان. ﴿**عما**﴾ متعلق بسبحان. ﴿**يشركون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**هو الله الخالق البارىء المصور**﴾: هو في محل رفع مبتدَأ. وما بعده أخبار له. ﴿**له**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**الأسماء**﴾ مبتدأ مؤخّر. ﴿**الحسنى**﴾ نعت للأسماء. والجملة بيان لما قبلها. ﴿**يسبح**﴾ فعل مضارع. ﴿**له**﴾ متعلق به. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل رفع فاعل. ﴿**في السماوات**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**وهو العزيز الحكيم**﴾: تقدم إعراب مثله في السورة.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم**﴾: فهذه السورة ـ سورة الحشر ـ لها علاقة بالسورة التي قبلها ـ سورة المجادلة ـ وذلك أن في آخر تلك: كتب الله لأغلبن أنا ورسلي.. وفي أول هذه: فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب.. وفي آخر تلك ذكر من حاد الله ورسوله وفي أول هذه ذكر من شاق الله ورسوله.. وأن في الأولى ذكر حال المنافقين واليهود وتَوَلِّي بعضِهِم بعضاً.. وفي هذه ذكر ما حل باليهود وعدم إغناء تولّي المنافقين إياهم شيئاً.. فابتدأت هذه السورة بالتسبيح لله كما ابتدأت سورة الحديد؛ غير أن هذه كُرّرَ فيها الموصول لزيادة التقرير، والتنبيه على استقلال كل من

الفريقين بالتسبيح: سبح لله ما في السماوات وما في الأرض.. فقوله تعالى: ﴿**هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم..**﴾ بيان لبعض آثار عزته سبحانه وإحكام حكمته عز وجلّ، إثر وصفه تعالى بالعزة القاهرة والحكمة الباهرة على الإطلاق. وصحت إضافة الديار إليهم ـ من ديارهم ـ لأنهم ملكوها بوجه شرعي: بإعمار أو إرث أو شراء أو هبة. وهي الأوجه المشروعة للتملك. واللام في ﴿**لأول الحشر**﴾ لام التوقيت كالتي في قولهم: كتبته لعشر خلون من شوّال مثلاً.. ومآلُها إلى مَعْنَى في الظرفية. ومعناها هنا للاختصاص.. فحادث إخراج اليهود من المدينة قد وقع بقدر من الله من دون ستار لقدرته من فعل البشر!.

ويؤكد فعل الله المباشر في إخراجهم وسوقهم بالجمل التالية في الآية: ﴿**ما ظننتم أن يخرجوا، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله..**﴾ فلا أنتم كنتم تتوقعون خروجهم.. ولا هم كانوا يسلّمون في تصور وقوعه.. فقد كانوا من القوة والمنعة في حصونهم.. حتى لا يتخيل أحد ما حدث.. ﴿**فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا.. وقذف في قلوبهم الرعب: يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين!!.. فاعتبروا يا أولى الأبصار**﴾!. وبهذا تتم حكاية ما وقع لليهود في المدينة التي كانوا شبه سادتها: مالاً وجاهاً وقوةً ومنعة بهذه الحركة المصورة.. وبهذا التعقيب الذي يحرك القلوب ويوجه الأبصار!.. ثم تأتي الآية التالية تقرر أن إرادة الله في النكاية باليهود ما كانت لتعفيهم بأية حالة من نكال يصيبهم في الدنيا غير ما ينتظرهم في الآخرة: ﴿**ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب النار**﴾.. فكتابة الجلاء على اليهود نوع من أنواع التنكيل بهم مصداقاً لقول الله في حقهم: ﴿**وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب**﴾ فهم معذبون ومنكل بهم إلى يوم القيامة. ولولا هذا لأُبِيدُوا عن آخرهم كما وقع لقوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وغيرهم من الأمم الغابرة. وجملة ولهم في الآخرة عذاب النار جيء بها لبيان أنهم إن نجوا من عذاب الاستئصال في الدنيا لم ينجوا من عذاب النار يوم القيامة؛ تكذيباً لزعمهم أن الجنة لهم!. وهي لهم خالصة؛ لأنهم أولياء الله! ﴿**قل: يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين.. ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم! ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله**﴾: فصل الكلام عما قبله فلم يعطف عليه؛ لأنه جاء بياناً لسبب ما أصاب يهود المدينة من الطرد

منها بعد ما كانوا سادتها. . فقد كان اليهود قبل أن تظهر حقيقتهم يستفتحون على الذين كفروا. . فذكر مشاقة اليهود لله ورسوله يحمل بياناً بسبب التنكيل بهم. وبهذا ينطبق عليهم هذا الحكم الداخل تحت طائلة القانون العام: ﴿**ومن يشاق الله**﴾، يعاقبه الله؛ ﴿**فإن الله شديد العقاب. .**﴾ فهذه الشرطية تكملة لما قبلها، وتقرير لمضمونه، وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني. . فكأنه قيل: ذلك الذي حاق بهم من العقاب العاجل والآجل واقع بسبب مشاقتهم لله ورسوله؛ وكل من يشاق الله كائناً من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد!!. . فإذن لهؤلاء اليهود المشاقين عقاب شديد!!.

وهكذا تستقر في القلوب حقيقة مصائر المشاقّين لله في كل أرض وفي كل وقت من خلال مصير الذين كفروا من أهل الكتاب، وما استحقوا به هذا العقاب ثم يطمئن الله المؤمنين على صواب ما أوقعوه بهؤلاء الذين كفروا وشاقوا الله ورسوله من تقطيع تخيلهم أو تركه قائماً، وبيان حكم الله فيه: ﴿**ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله. .**﴾ وليخزي الفاسقين: هذا موصول بالعطف على ما قبله. . ففي هذين الخبرين غرضان: إِذْنُ الله للمؤمنين بتقطيع نخل اليهود أو تركه. وخزي الفاسقين الخارجين عن عهد الله ورسوله. . فهم إذا رأوا المؤمنين يتحكمون في أموالهم كيف أحبوا ويتصرفون فيها حسبما شاؤوا من القطع والترك يزدادون غيظاً ويتضاعفون حسرة!. . فقطع النخيل يخزيهم بالحسرة على قطعه، وتركه يخزيهم بالحسرة على فَوْتِهِ ونفع المؤمنين به!. وإرادة الله وإذنه وراء هذا وذاك على السواء. ﴿**وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب؛ ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير**﴾: هذه الآية وصلت بالعطف على الآية قبلها؛ لبيان حال ما أخذ من أموال اليهود بعد بيان ما حل بأنفسهم من العذاب العاجل والآجل، وما فعل بديارهم ونخيلهم من التخريب والقطع. والمعنى: وما أفاء الله على رسوله منهم فما حصلتموه بكد اليمين وعرق الجبين. . ولكن الله يسلط رسله على من يشاء. . فسنته تعالى جارية على أن يسلط رسله على من يشاء من أعدائهم تسليطاً خاصاً. وقد سلط الله رسوله على هؤلاء اليهود تسليطاً غير معتاد من غير أن تقتحموا مضايق الخطوب، وتُقَاسُوا شدائد الحروب!. . فلا حق لكم في أموالهم. وقوله تعالى: ﴿**ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن**

السبيل..﴾ بيان لمصارف الفيء العام بعد بيان مصرف الفيء الخاص.. ثم تعلل الآية هذه القسمة.. فتضع قاعدة كبرى من قواعد التنظيم الاقتصادي: **﴿كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم..﴾** كما تضع قاعدة كبرى في التشريع الدستوري في المجتمع الإسلامي: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا..﴾** وتربط الآية هاتين القاعدتين في قلوب المؤمنين بمصدرهما الأول.. وهو الله.. فتدعوهم إلى التقوى وتخوفهم عقاب الله: **﴿واتقوا الله إن الله شديد العقاب. للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم: يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، وينصرون الله ورسوله﴾**: استئناف مبين لاستحقاق هؤلاء الفيء بجدارة..

فلذلك وصفوا بالصدق بعملهم هذا: فعلاً وقولاً: **﴿أولئك هم الصادقون﴾**: الذين قالوا كلمة الإيمان بقولهم.. وصدقوها بفعلهم!!.. **﴿والذين تبوّأوا الدار والإيمانَ من قبلهم يحبون من هاجر إليهم﴾**!: فهذه كذلك صورة وضئة صادقة تبرز أهم الملامح المميزة للأنصار. هذه الجماعة التي تفردت بصفات، وبلغت إلى آفاق. لولا أنها وقعت بالفعل لحسبها الناس أحلاماً طائرة، ورؤًى مجنحة، ومُثُلاً عليا قد صاغها خيالُ مُحلِّقٌ!!.. وهو تعبير ذو ظلال ـ تبوأوا الدار والإيمان ـ فقد كان دارهم ونزلهم ووطنهم الذي تعيش فيه قلوبهم.. فقد استقروا بالإيمان كما استقروا في دارهم المدينة قبل هجرة المهاجرين إليهم.. **﴿ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا﴾**: وصل هذا الكلام بالعطف على الخبر قبله زيادة في مدح الأنصار. لقد بلغت محَبّتهْم للمهاجرين حتى آثروهم على أنفسهم بما هم أحوج إليه!.. **﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾**: جملة شرطية معترضة بين الآيات المتصلة؛ لمدح الأنصار والثناء عليهم.. **﴿والذين جاؤوا من بعدهم، يقولون: ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان.. ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا﴾**: هذا الكلام موصول بالعطف على الكلام السابق في مدح الأنصار.. فالآيات الثلاث استوعبت جميع المؤمنين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان في كل زمان ومكان.. فهذه هي قافلة الإيمان السائرة عبر الزمان هتافها: ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان.. ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا.. ربنا إنك رؤوف رحيم!!..

وإنها لقافلة كريمة، وإنه لدعاء كريم. وحين ينتهي السياق من رسم هذه

الصورة الوضيئة، ورفعها على الأفق في إطار النور يعود إلى الحادث الذي نزلت فيه السورة؛ ليرسم صورة لفريق آخر ممّن اشتركوا فيها، فريق المنافقين: ﴿**ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب: لئن أخرجتم لنخرجن معكم. . ولا نطيع فيكم أحداً أبداً. . وإن قوتلتم لننصرنكم. . والله يشهد إنهم لكاذبون. .**﴾ فهذه الآية تحكي ما جرى بين اليهود وبين إخوانهم من المنافقين ـ والذي يظهر من النص أن هناك يهوداً دخلوا في الإسلام لأغراض تُعْلَمُ من عادة اليهود في كل زمان ومكان ـ من الأقوال الكاذبة والأحوال الفاسدة، وتعجيب منها؛ بعد ما حكت محاسن المؤمنين وأقوالهم على اختلاف طبقاتهم. . وجملة يقولون مستأنفة لبيان المتعجب منه. وصيغة المضارع لاستحضار صورته. . وكلمة لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب تدل على أن هؤلاء المنافقين من اليهود. بخلاف ما سبق في قول الله تعالى: ﴿**ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم. .**﴾ فهم من العرب الذين والوا اليهود. . فهم ليسوا إخوان اليهود. انتبه لهذه الدقائق في التعبير القرآني!. وكلام المنافقين إخوان اليهود جاء مؤكداً بالقسم ونون التوكيد وزيادة في التأييد: ولا نطيع فيكم أحداً أبداً!!. . والله سبحانه وتعالى الخبير بحقيقتهم يقرر غير ما يقررون، ويؤكد غير ما يؤكدون: والله يشهد إنهم لكاذبون. . فهم كاذبون في مواعيدهم المؤكدة بالأيْمان الفاجرة. وقوله تعالى: ﴿**لئن أخرجوا لا يخرجون معهم، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم، ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون**﴾ تكذيب لهم في كل واحد من أقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم في الكل على الإجمال. . ثم يقرر السياق حقيقة قائمة في نفوس اليهود وإخوانهم من المنافقين: ﴿**لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله: ذلك بأنهم قوم لا يفقهون. .**﴾ فاليهود وأولياؤهم يرهبون المؤمنين أشد مما يرهبون الله!. . ثم يمضي السياق يقرر حالة قائمة في نفوسهم من حقيقتهم السابقة ورهبتهم للمؤمنين: ﴿**لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر. .**﴾ وجملة ﴿**بأسهم بينهم شديد**﴾ استئناف سيق لبيان أن ما ذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم في أنفسهم. . فإن بأسهم بالنسبة إلى أقرانهم شديد. . وإنما ضعفهم وجبنهم بالنسبة إليكم بما قذف الله في قلوبهم من الرعب!!: ﴿**تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى: ذلك بأنهم قوم لا يعقلون**﴾!.

ولم يكن ما وقع لليهود في المدينة مما أصابهم هو الأول من نوعه. . فقد

سبقه حادث المشركين من العرب في بدر: ﴿**كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال أمرهم..**﴾ فقد هزموا وقتلوا وأسروا وقهروا وذلوا!!.. ﴿**ولهم عذاب أليم في الآخرة..**﴾ ثم ضرب المثل بحالة الشيطان مع المشركين بحالة المنافقين مع اليهود: ﴿**كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر، فلما كفر قال إني بريء منك؛ إني أخاف الله رب العالمين..**﴾ فقد زين الشيطان للمشركين أعمالهم، ﴿**وقال: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم.. فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال: إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون؛ إني أخاف الله والله شديد العقاب**﴾ فقد تماثل الحدثان وفي النهاية: ﴿**فكان عاقبتهما أنهما في النار خَالِدَيْن فيها!: وذلك جزاء الظالمين..**﴾ فهي حقيقة دائمة ينتقل السياق القرآني إليها من تلك الواقعة العارضة، إلى الحقائق المجردة الكامنة في نفس الشيطان وأوليائه المغرورين به!. وبهذا المثل الموحي تنتهي قصة اليهود وإخوانهم المنافقين، وقد تضمنت في ثناياها وفي أعقابها هذا الحشد من الصور والحقائق والتوجيهات، واتصلت أحداثها المحلية الواقعة، بالحقائق الكبرى المجردة الدائمة.. فتفترق روايتها في كتاب الله عن روايتها في كتب البشر بمقدار ما بين صنع الله وصنع البشر من فوارق لا تقاس!!. وعند هذا الحد من رواية الحادث والتعقيب عليه وربطه بالحقائق البعيدة المدى، يتجه الخطاب في السورة إلى المؤمنين: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله..**﴾ فالتقوى حالة في القلب يشير إليها اللفظ بظلاله.. ﴿**ولتنظر نفس ما قدمت لغد..**﴾ فهو تعبير كذلك ذو ظلال وإيحاءات أوسع من ألفاظه.. ولا تنتهي الآية التي تثير كل هذه المشاعر.. حتى تَلحّ على القلوب المؤمنة بمزيد من الإيقاع: ﴿**واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون..**﴾ وبمناسبة ما تدعوهم إليه هذه الآية من يقظة وتذكر، يحذرهم في الآية التالية من أن يكونوا كالذين نسوا الله: ﴿**ولا تكونوا كالذين نسوا الله.. فأنساهم أنفسهم..**﴾ ثم يأتي الحكم النهائي: ﴿**أولئك هم الفاسقون**﴾!. وفي الآية التالية يقرر السياق أنّ هؤلاء الفاسقين هم أصحاب النار، ويشير للمؤمنين ليسلكوا طريقاً غير طريقهم؛ وهم أصحاب الجنة. وطريق أصحاب الجنة غير طريق أصحاب النار: ﴿**لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة: أصحاب الجنة هم الفائزون**﴾!.

وجملة أصحاب الجنة هم الفائزون؛ استئناف مبين لكيفية عدم الاستواء بين الفريقين. والتعبير بأصحاب الجنة هم الفائزون يثبت مصيرهم، ويدع مصير

أصحاب النار مسكوتاً عنه معروفاً.. فكأنه ضائع لا يُعنَى به التعبير!. ﴿**لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله**﴾: فُصل هذا الكلام فلم يعطف عما قبله؛ لأنه يبين خلاصة ما تقدم مما في هذه السورة من العبر والمواعظ والتحريض والتحذير كما تعبر هذه الجمل هنا: ﴿**وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون**﴾!!.. فهو تمثيل لعلو شأن القرآن وقوة تأثيره في القلوب الحية.. فإن لهذا القرآن لثقلاً وسلطاناً وأثراً مزلزلاً لا يثبت له شيء يتلقاه بحقيقته. والذين أحسوا شيئاً من مس القرآن في كيانهم يتذوقون هذه الحقيقة تذوقاً لا يعبر عنه إلا هذا النص القرآني المُشعّ الموحى!. وأخيراً تجيء هذه التسبيحة المديدة بأسماء الله الحسنى؛ وكأنما هي أثر من آثار القرآن في كيان الوجود كله: ﴿**هو الله الذي لا إله إلا هو**﴾!: فتتقرر في الضمير وحدانية الاعتقاد ووحدانية العبادة، ووحدانية الاتجاه، ووحدانية الخلق من مبدئه إلى منتهاه. ﴿**عالم الغيب والشهادة**﴾!: فيستقر في الضمير الشعور بعلم الله للظاهر والمستور. ﴿**هو الرحمن الرحيم**﴾!: فيستقر في الضمير الشعور برحمة الله الذاتية والموهوبة.. ﴿**هو الله الذي لا إله إلا هو**﴾: تعاد هذه الكلمة في أول التسبيحة التالية؛ لأنها القاعدة التي تقوم عليها سائر الأسماء الحسنى.. ﴿**الملك**﴾: فيستقر في الضمير أن لا حاكم إلا الله. ﴿**القدوس**﴾: يدل على القداسة المطلقة والعظمة بلا نهاية.. ﴿**السلام**﴾: يشيع السلامَ والموادعة والطمأنينة في قلوب المؤمنين. ﴿**المؤمن**﴾: واهب الأمن وواهب الإيمان. ﴿**المهيمن**﴾: اسم يوحي بالسلطان والرقابة والإحاطة على كل شيء وبكل شيء. ﴿**العزيز**﴾: الغالب الذي لا يُغلب. والوحيد الذي ليس له مثيل. ﴿**الجبار**﴾: القهار القوي المتين.. ﴿**المتكبر**﴾: الذي لا يحيط به أحد!!.. فهذه الأسماء الثلاث توحي بالقهر والغلبة والجبروت والاستعلاء.. فمن ثَمَّ تجيء ختام الآية: ﴿**سبحان الله عما يشركون**﴾!!.. ثم يبدأ المقطع الأخير في التسبيحة المديدة: ﴿**هو الله**﴾: فهي الألوهية الواحدة.. ﴿**الخالق**﴾: المقدر المصمم.. ﴿**البارىء**﴾: المنفذ المخرج.. ﴿**المصور**﴾: إعطاء الملامح المتميزة والسمات التي تمنح لكل شيء شخصيته الخاصة.. فمن ثم اختص الله بهذه الأسماء.. واستحق هذا التقديس والتعظيم والتنزيه من كل شيء في السماوات والأرض: ﴿**له الأسماء الحسنى!.. يسبح له ما في السماوات والأرض.. وهو العزيز الحكيم.**﴾ وهو مشهد يتوقعه القلب بعد ذكر تلك الأسماء.. ويشارك فيه

مع الأشياء والأحياء.. كما يتلاقى ويترابط فيه المطلع والمقطع.. ففيه براعة رد العجز على الصدر وبراعة الختام؛ في تناسق والْتِئَام!..

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم..﴾: في هذا التوجيه عرض ما وقع باليهود في المدينة من جلاء وتشريد.. فيبدأ هذا العرض أولاً بذكر تسبيح الله وتنزيهه من كل مخلوق في السماوات والأرض، وذكر ما يليق بالله تعالى من الأسماء الحسنى: وهو العزيز الحكيم!: القوي القادر على نصرِ أوليائه وخذلان أعدائه.. الحكيم في تدبيره وتقديره: **﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم..﴾** فاليهود كانوا يملكون في المدينة وحولها الديار والضياع والحصون والأموال والسلاح. وعندما هاجر الرسول والمؤمنون عاهدوه بأن يسالموه، ولا يكونوا عليه.. فأعطاهم العهد على هذا.. ولكن اليهود شعروا بالخطر عليهم من دعوته.. فنقضوا العهد بمؤامراتهم داخل المدينة، واتصالاتهم بالمشركين في مكة وما حولها.. فحصل ما حصل لهم من جراء ذلك. ومن هذه الآية تعلم أن الله هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب اليهود.. **﴿لأول الحشر﴾**: ساق هؤلاء اليهود المخرجين للأرض التي حشروا فيها.. فلم تكن لهم عودة إلى الأرض التي أخرجوا منها.. فصدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده: **﴿ما ظننتم أن يخرجوا!!.. وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله﴾**!..

فقد كان اليهود في المدينة من القوة والمنعة في قراهم وحصونهم بحيث لا تتوقعون أنتم ـ أيها العرب ـ أن تخرجوهم منها، كما أُخرِجُوا!.. فقد اغتر اليهود بما لهم دون العرب من قوتهم ومنعتهم. حتى نسوا قوة الله التي لا تردها الحصون: **﴿فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا!..﴾** فجاءتهم جنود الله من القوم الذين كان اليهود لا يحْسُبُون حسابهم، ولا ينظرون إليهم نظر الند للند.. فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا!.. **﴿وقذف في قلوبهم الرعب: يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين.. فاعتبروا يا أولى الأبصار﴾**!.. فقد كانت الواقعة قاصمة وحاسمة.. فلولا ما كتب الله على اليهود من جلاء وتشريد وذل وقهر في الدنيا لأهلكهم واستأصل أمرهم!: **﴿ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في**

الدنيا..﴾ بالهلاك والدمار كما دمر من قبلهم من الأمم الذين كذبوا الرسل وكفروا بالله.. **﴿ولهم في الآخرة عذاب النار﴾** بهذا الكفر وهذا الفسوق الفاضح الواضح من اليهود في كل مراحل تاريخهم الطويل. مصداقاً لقول الله تعالى: **﴿وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب!﴾** وواقعهم اليوم شاهد على صدق ما قال الله تعالى فيهم!.. فهذا أمر مقرر أن ينالهم النكال من الله تعالى؛ بهذه الصورة التي وقعت، أو بصورة أخرى تخالف ما حدثت!.. فقد استحق اليهود عذاب الله في صورة من صوره على كل حال: **﴿ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله..﴾** فهذا هو السبب فيما حصل لليهود من عذاب وتنكيل على مدى تاريخهم الطويل: **﴿ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب﴾**!.. فهذه قاعدة يدخل تحت حكمها كل مشاق مخالف لأمر الله. وهكذا تستقر في القلوب حقيقة مصائر المشاقين لله في كل أرض وفي كل وقت ومن أي قبيل وفي كل جيل والذين كفروا من أهل الكتاب هم الذين كفروا بدين الله في صورته العليا التي جاء بها هذا الرسول الأمي الذي يجد اليهود وصْفَهُ الكامل الشامل الواضح في كتابهم التوراة! وقد كان اليهود يتنظرونها ويتوقعونها: **﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا.. فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به.. فلعنة الله على الكافرين!!﴾** ثم يعرض السياق الحادثة بأول ما وقع فيها: **﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله..﴾** فقد قطع المسلمون بعض نخل اليهود أول حصارهم في حصونهم.. فتحرجت صدورهم منه؛ وكانوا متهيبين قبل هذا الحادث وبعده عن مثل هذا الاتجاه في التخريب.. فاحتاج هذا الاستثناء إلى بيان خاص، يطمئن القلوب.. فجاءهم هذا البيان بربط الفعل والترك بإذن الله.. فهو الذي تولى بإرادته وإذنه هذه الموقعة، وأراد فيها لِمَا أراد، وأنفذ فيها ما قدره، وكان كل ما وقع من هذا بإذنه وأمره! أراد به أن يعز المسلمين.. **﴿وليخزي الفاسقين..﴾** فبذلك تستقر قلوب المؤمنين المتحرجة، وتشفي صدورهم مما حاك فيها.. فتطمئن إلى أن الله هو الذي أراد، وهو الذي فعل..

والله فعّال ما يريد.. وما كانوا هم إلا أداة لإنفاذ ما يريد: **﴿وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب﴾**: في هذا بيان لحكم الفيء الذي أخذ من اليهود بعد الحصار وجلائهم من المدينة؛ مِمّا لا يتكلف فيه المسلمون غزواً ولا قتالاً.. فهو أول مال رجع إلى المسلمين من اليهود. فالآية

تذكّر المسلمين أن هذا الفيء الذي خلفه اليهود حكمه ليس حكم الغنيمة التي أعطاهم الله أربعة أخماسها.. كما حكم الله في غنائم بدر.. إنما حكم هذا الفيء أنه كله لبيت المال.. كما يأتي تفصيله هذا هو حكم الفيء الذي حصل من اليهود أول مرة الذي بَيَّنَهُ صدر الآية.. ولكن الآية لا تقتصر على هذا الحكم فقط.. بل تبين حقيقة أخرى كبيرة: ﴿**ولكن الله يسلط رسله على من يشاء..**﴾ فهو قَدَرُ الله. وهم طرف من هذا القدر يسلطه على من يشاء: ﴿**والله على كل شيء قدير..**﴾ فبهذا يتصل شأن الرسل بقدر الله المباشر؛ ويتحدد مكانهم في دولاب القدر الدوّار.. فما يتحركون بهواهم، وما يأخذون أو يَدَعون لحسابهم. وما يغزون أو يقعدون، وما يخاصمون أو يصالحون إلا لتحقيق جانب من قدر الله في الأرض منوطٍ بهم وبتصرفاتهم وتحركاتهم في هذه الأرض. والله هو الفاعل من وراء ذلك كله.. والله على كل شيء قدير.

التوجيه الثاني: ﴿**ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول، ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل..**﴾: في هذا التوجيه بيان حكم الفيء العام بعد تعريف الفيء وحكمه الخاص بفيء اليهود في المدينة.. فهو تفصيل لما أجمل في السابق.. فالفيء يرجع إلى بيت المال: لله وللرسول.. ينفق منه وما يستحقه اليتامى والمساكين والفقراء وابن السبيل.. ويصرف بعد ذلك في وجوه الخير لمصلحة الأمة.. إن زاد من حق ما ذكر أولاً.. ﴿**كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم**﴾: تعليل لوضع قاعدة كبرى من قواعد التنظيم الاقتصادي.. فهي تمثل جانباً كبيراً من أسس النظرية الاقتصادية في الإسلام.. فالملكية الفردية معترف بها في هذه النظرية.. ولكنها محدّدة بهذه القاعدة: قاعدة أن لا يكون المال دُولة بين الأغنياء، ممنوعاً من التداول بين الفقراء.. فكل وضع ينتهي إلى أن يكون المال دولة بين الأغنياء وحدهم هو وضع يخالف النظرية الاقتصادية الإسلامية؛ كما يخالف هدفاً من أهداف التنظيم الاجتماعي كله. وجميع الارتباطات والمعاملات في المجتمع الإسلامي يجب أن تنظم بحيث لا تخلق مثل هذا الوضع أو تبقي عليه إن وجد. ولقد أقام الإسلام بالفعل نظامه على أساس هذه القاعدة.. ففرض الزكاة، وجعل حصيلتها في العام اثنين ونصفاً في المائة من أصل رؤوس الأموال النقدية.. وعشرة أو خمسة في المائة من جميع الحاصلات الزراعية.. وما يعادل ذلك في الأنعام.. وقد فصل ذلك في كتب الفقه تفصيلاً

كاملاً.. وجعل الحصيلة في الركاز ـ وهو كنوز الأرض ـ مثلها في المال النقدي.. وهي نسب كبيرة.. ثم جعل أربعة أخماس الغنيمة للمجاهدين فقراء وأغنياء.. بينما جعل الفيء كله للفقراء.. وجعل نظامه المختار في إيجار الأرض هوْ المزارعة.. وحظر الربا وحرم الاحتكار. وهما الوسيلتان الرئيسيتان لجعل المال دولة بين الأغنياء. وعلى الجملة أقام الإسلام نظامه الاقتصادي كله، بحيث يحقق تلك القاعدة الكبرى التي تعد قيداً أصيلاً على حق الملكية الفردية بجانب القيود الأخرى التي فصلت في كتب الفقه.. فالنظام الإسلامي نظام يبيح الملكية الفردية.. ولكنه ليس هو النظام الرأسمالي؛ كما أن النظام الرأسمالي ليس منقولاً عنه، فما يقوم النظام الرأسمالي إطلاقاً بدون ربا وبدون احتكار.. إنما نظام الإسلام نظام خاص من لدن حكيم خبير ـ سبحانه وتعالى ـ نشأ وحده، وسار وحده، وبقي حتى اليوم وحده نظاماً فريداً متوازن الجوانب، متعادل الحقوق والواجبات، متناسقاً تناسق الكون كله، مذ كان صدوره عن خالق الكون؛ والكون متناسق موزون!. وهذه القاعدة الاقتصادية تدخل تحت القاعدة العامة الدستورية: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا..**﴾ فهي كذلك تمثل النظرية الدستورية الإسلامية.. فسلطان القانون في الإسلام مستمد من أن هذا الدستور جاء به الرسول: قرآناً وسنة. والأمة كلها والإمام معها لا تملك أن يخالف عما جاء به الرسول.. فإذا شرعت ما يخالفه لم يكن لتشريعها هذا سلطان.. فَقَدْ فَقَدَ السندَ الأوّل الذي يستمد منه السلطان. وهذه النظرية تخالف جميع النظريات البشرية الوضعية!.. فهي التي تجعل الأمة مصدر السلطات.. فتشرع ما تشاء.. وكل ما تشرعه فهو ذو سلطان!. فمصدر السلطات في الإسلام هو شرع الله الذي جاء به الرسول ـ محمد ـ ﷺ! والأمة تقوم على هذه الشريعة وتحرسها وتنفذها..

ففي هذا تنحصر حقوق الأمة.. فليس لها أن تخالف عما آتاها الرسول في أيّ تشريع.. فأما حين لا توجد نصوص فيما جاء به الرسول بخصوص أمر يعرض للأمة فسبيلها أن تشرع له بما لا يخالف أصلاً من أصول ما جاء به الرسول. وهذا لا ينقض تلك النظرية.. إنما هو فرع منها ـ كما فعل الفقهاء في باب المعاملات والتنظيمات المتجددة للأمة حسب اختلاف الأوقات.. فالمرجع في أي تشريع هو أن يتبع ما جاء به الرسول إن كان هناك نص قطعي لا احتمال فيه مثل العقائد والعبادات والأخلاق وتنظيم الأسرة وأحكام المواريث التي جاءت

نصوصه قاطعة في القرآن وانعقد عليه الإجماع في كل زمان ومكان. وهذا نظام فريد لا يماثله نظام آخر مما عرفته البشرية من نظم وضعية. وهو نظام يربط التشريع للناس بناموس الكون كله. وينسق بين ناموس الكون الذي وضعه الله له والقانون الذي يحكم البشر وهو من الله؛ كي لا يصطدم قانون البشر بناموس الكون.. فيشقى الإنسان أو يتحطم أو تذهب جهوده أدراج الرياح!.. ثم تربط الآية هاتين القاعدتين ـ قاعدة الدستور وقاعدة الاقتصاد ـ في قلوب المؤمنين بمصدرهما الأول.. وهو الله. فتدعوهم إلى التقوى وتخوفهم عقاب الله: ﴿**واتقوا الله إن الله شديد العقاب**..﴾ فهذا هو الضمان الأكبر الذي لا احتيال عليه، ولا هروب منه.. فقد علم المؤمنون أن الله مطلع على السرائر؛ خبير بالأعمال؛ وإليه المرجع والمآب. وعلموا أنه شديد العقاب. وعلموا أنهم مكلفون ألاّ يكون المال دولة بينهم.. وأن يأخذوا ما آتاهم الرسول عن رضى وطاعة، وأن ينتهوا عما نهاهم عنه في غير ترخص ولا تساهل، وأمامهم يوم عصيب!.. ﴿**للفقراء المهاجرين، الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم**﴾: هذه صورة صادقة، تبرز فيها أهم الملامح المميزة للمهاجرين.. أخرجوا من ديارهم وأموالهم.. أكرههم على الخروج الأذى والاضطهاد والتنكر من قرابتهم وعشيرتهم في مكة. لاذنب لهم إلا أن يقولوا ربنا الله.. وقد خرجوا تاركين ديارهم وأموالهم: ﴿**يبتغون فضلاً من الله ورضواناً**..﴾ فاعتمادهم على الله، ولا ملجأ لهم سواه، ولا جناب لهم إلا حماه.. فهم أنهم مطاردون قليلون: ﴿**وينصرون الله ورسوله**..﴾ بقلوبهم وسيوفهم في أحرج الساعات وأضيق الأوقات: ﴿**أولئك هم الصادقون**..﴾ فكانوا صادقين مع الله في أنهم اختاروه. وصادقين مع رسولهم في أنهم اتبعوه. وصادقين مع الحق في أنهم كانوا صورة منه تدب على الأرض ويراها الناس.. فبهذه الأوصاف كلها استحقوا الفيء الذي حصلوا عليه من اليهود الأنجاس!..

ثم يقرر السياق بعد هذا.. فيظهر وصف الأنصار أهل المدينة: ﴿**والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم**..﴾ فهذه كذلك صورة صادقة تبرز أهم الملامح المميزة للأنصار. فقد تبوأوا الدار والإيمان.. فلم يعرف تاريخ البشرية كله حادثاً جماعياً كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين! بهذا الحب الكريم، وبهذا البذل السخيّ، وبهذه المشاركة الرضية، وبهذا التسابق إلى الإيواء واحتمال الأعباء.. ﴿**ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا**﴾: لا يجد الأنصار

شيئاً من ضيق وحرج وحسد مما يناله المهاجرون من مالِ الفيء الذي اختصوا به دون الأنصار! . ومع هذا: ﴿**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**﴾! والإيثار مع الحاجة قِمَّة عليا. . وقد بلغ إليها الأنصار بما لم تشهد البشرية له نظيراً!! . . وكانوا كذلك في كل مرة، وفي كل حالة بصورة خارقة لمألوف البشر قديماً وحديثاً! : ﴿**ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**. .﴾ فهذا الشح ـ شح النفس ـ هو المعوق عن كل خير. وما يمكن أن يصْنَع الخيرَ شحيح! . . ﴿**والذين جاؤوا من بعدهم يقولون: ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان. . ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا. . ربنا إنك رؤوف رحيم**﴾: هذه الصورة الثالثة النظيفة الرضية الواعية تبرز أهم ملامح التابعين؛ كما تبرز أخص خصائص الأمة المسلمة على الإطلاق في جميع الأوطان والأزمان!! . . فهؤلاء الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار، سمة نفوسهم أنها تتوجه إلى ربها في طلب المغفرة؛ لا لذاتها فقط. . ولكن كذلك لسلفها الذين سبقوا بالإيمان. . وفي طلب براءة القلب من الغل للذين آمنوا على وجه الإطلاق، ممن يربطهم معهم رباط الإيمان؛ مع الشعور برحمة الله ورأفته ودعائه بهذه الرأفة وتلك الرحمة: ربنا إنك رؤوف رحيم! . . فتتجلّى من وراء تلك النصوص طبيعة هذه الأمّة المسلمة وصورتها الوضيئة في هذا الوجود: تتجلى الآصرة القوية الوثيقة التي تربط أول هذه الأمة بآخرها، وآخرها بأولها في تضامن وتكافل وتوادّ وتعاطف. وشعور بوشيجة القربى العميقة التي تتخطى الزمان والمكان والجنس والنسب؛ وتتفرد وحدها في القلوب، تحرك المشاعر خلال القرون الطويلة. . فيذكر المؤمن أخاه المؤمن بعد القرون المتطاولة؛ كما يذكر أخاه الحيّ أو أشد في إعزاز وكرامة وحب. ويَحسب السلف حساب الخلَف. ويمضي الخلَفُ على آثار السلف! صفاً واحداً وكتيبة واحدة على مدار الزمان واختلاف الأوطان، تحت راية الله تعالى متطلعة إلى ربها الواحد الرؤوف الرحيم. إنها صورة باهرة تُمثِّل حقيقة قائمة؛ كما تمثل أرفع وأكرم مثال للبشرية يتصورها قلب كريم. صورة تبدو كرامتها وضاءتها على أتمها حين تقرن مثلاً إلى صورة الحقد الذميم والهدم اللّئيم التي تمثلها وتبشر بها أنظمة الإلحاد تَبُثُّ في أنحاء العالم صنوف المكاره وبذور الأحقاد. .

التوجيه الثالث: ﴿**ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب: لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً**. .﴾: في هذا

التوجيه لفت النظر إلى ما وقع بين المنافقين واليهود من تآمر ينذر بالخطر.. فأول لفتة تقرير القرابة بين المنافقين واليهود. ومنافقوا اليهود أشد نكاية وخطورة من منافقي العرب الذين تكلمت عليهم آية: ﴿**ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم**﴾ فهؤلاء إخوان اليهود.. وأولئك ليسوا من اليهود.. فأهل الكتاب هؤلاء كفروا، والمنافقون إخوانهم، ولو أنهم يلْبَسُون رداء الإسلام!.. ثم هذا التوكيد الشديد في وعد المنافقين لإخوانهم اليهود: لئن أخرجتم لنخرجن معكم، ولا نُطيع فيكم أحداً أبداً!!.. ﴿**وإن قوتلتم لننصرنكم..**﴾ فالله الخبير بحقيقتهم يقرر غير ما يقررون، ويؤكد غير ما يؤكدون: ﴿**والله يشهد إنهم لكاذبون. لئن أخرجوا لا يخرجون معهم، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم، ولئن نصروهم ليولن الأدبار.. ثم لا يُنصرون..**﴾ فكان ما شهد به الله، وكذب ما أعلنوه لإخوانهم وقرّروه!!.. ثم يقرر السياق حقيقة قائمة في نفوس المنافقين وإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب: ﴿**لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله**﴾!.. فهم يرهبون المؤمنين أشد مما يرهبون الله. ولو خافوا الله ما خافوا أحداً من عباده.. فإنما هو خوف واحد، ورهبة واحدة. ولا يجتمع في قلب خوف من الله وخوف من شيء سواه. فالعزة لله جميعاً.. فمم يخاف إذنْ ذلك الذي يخاف الله؟!. ولكن الذين لا يفقهون هذه الحقيقة يخافون عباد الله أشد مما يخافون الله: ﴿**ذلك بأنهم قوم لا يفقهون**﴾!.

وهكذا يكشف السياق عن حقيقة القوم الواقعة. ويقرر في الوقت ذاته تلك الحقيقة المجردة. ويمضي يقرر حالة قائمة في نفوس المنافقين من العرب واليهود والذين كفروا من أهل الكتاب، تنشأ من حقيقتهم السابقة ورهبتهم للمؤمنين أشد من رهبتهم لله: ﴿**لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرًى محصنة أو من وراء جُدُر..**﴾ وما تزال الأيام تكشف حقيقة الإعجاز في تشخيص حالة المنافقين وأهل الكتاب حيثما التقى المؤمنون بهم في أي زمان وفي أي مكان، بشكل واضح للعيان.. ولكن المظاهر قد تخدع الإنسان الغافل.. فيرى تضامن الذين كفروا من أهل الكتاب فيما بينهم، ويرى عصبيتهم بعضهم لبعض، وينسى خبر الله الصادق في قوله: فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة عن النصارى.. وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة عن اليهود.. فتوافقهم وتعصبهم إنما هو مظهر خارجي خادع. وبين الحين والحين ينكشف هذا الستار الخدّاع.. فيبدو من ورائه

صدق الخبر في دنيا الواقع المنظور.. فينكشف الحال عن نزاع في داخل المعسكر الواحد، قائم على اختلاف المصالح وتفرق الأهواء.. فما صدق المؤمنون مرة، وتجمعت قلوبهم على أمرالله حقاً إلا وانكشف المعسكر الآخر أمامهم عن هذه الاختلافات وهذا التضارب وهذا الرياء الذي لا يمثل حقيقة الحال. وما صبر المؤمنون وثبتوا إلا وشهدوا مظهر التماسك بين أهل الباطل ينفسخ وينهار، وينكشف عن الخلاف الحاد والشقاق والكيد والدس في القلوب المتشتتة المتفرقة!. إنما ينال المنافقون والذين كفروا من أهل الكتاب.. من المسلمين.. عندما تتفرق قلوب المسلمين.. فلا يعودون يمثلون حقيقة المؤمنين التي عرضتها الآية في المقطع السابق في هذه السورة.. فأما في غير هذه الحالة فالمنافقون أضعف وأعجز.. فهم والذين كفروا من أهل الكتاب متفرقوا الأهواء والمصالح والقلوب: ﴿**بأسهم بينهم شديد.. تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتَّى.. ذلك بأنهم قوم لا يعقلون**﴾!!.. فالقرآن هنا يقرر هذه الحقيقة في قلوب المؤمنين؛ ليهوّن فيها من شأن أعدائهم، ويرفع منها هيبة هؤلاء الأعداء ورهبتهم.. فهو إيحاء قائم على التوجيه المعنوي، وتعبئة روحية ترتكن إلى حق ثابت مستمر.. فمتى أخذ المسلمون قرآنهم مأخذ الجد هان عليهم أمر عدوهم وعدو الله! وتجمعت قلوبهم في الصف الواحد.. فلم تقف لهم قوة في الحياة!!. ولم يكن حادث اليهود هذا هو الأول من نوعه.. فقد سبقه حادث المشركين من العرب يوم خرجوا من مكة بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله.. فجاؤوا إلى بدر..

فحدث ما حدث: ﴿**كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال أمرهم**﴾!.. فهذه هي الواقعة التي يشير إليها القرآن. ويربط أسبابها ونتيجتها برباط واحد: الكفر بما جاء به الرسول محمد ﷺ. ﴿**ولهم عذاب أليم**﴾: لكل من شاق الله ورسوله.. ومن يُشَاقِ الله فإن الله شديد العقاب!. ثم يضرب السياق مثلاً آخر يناسب المثل السابق للمنافقين الذين أغروا إخوانهم اليهود بالمقاومة والوقوف صفاً واحداً متماسكاً أمام الخطر الداهم من المسلمين الذين لم يكن اليهود يحسبون لهم حساباً: فانتهوا بهم إلى تلك النهاية البائسة.. فيضرب لهم مثلاً بحال دائمة: حال الشيطان مع الإنسان الذي يستجيب لإغرائه.. فينتهي وإياه إلى شر مصير: ﴿**كمثل الشيطان إذ قال للإنسان: اكفر.. فلما كفر قال: إني بريء منك. إني أخاف الله رب العالمين.. فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها؛ وذلك جزاء**

الظالمين. .﴾ فهذا مثل الشيطان مع الإنسان. . في جميع أدواره من لدن آدم. . إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. . **﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين!﴾** وقد سبق أن ذكر هذا المثل مع مشركي مكة حين أرادوا أن يخرجوا لِبَدْر، ليستأصلوا المسلمين، ويقضوا عليهم القضاء النهائي: **﴿وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم. . فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه، وقال: إني بريء منكم، إني أرى ما لا ترون؛ إني أخاف الله، والله شديد العقاب﴾** فصورة الشيطان هنا وهناك ودوره مع من يستجيب له من بني الإنسان تتفقان مع طبيعته ومهمته. . فأعجب العجب أن يستمع إليه الإنسان، وحاله هو هذا الحال!. **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله؛ ولتنظر نفس ما قدمت لغد؛ واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾**: نداء من الله للمؤمنين: يناديهم باسم الإيمان. . فيتجه إليهم ليدعوهم إلى التقوى. . وليستعدوا بالعمل الصالح ليلاقوا الله يوم غد!. . واتقوا الله. . فيكررها ليؤكد على التقوى المفيد. . **﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله. . فأنساهم أنفسهم؛ أولئك هم الفاسقون. .﴾** فالذي ينسى الله يهيم في هذه الحياة بلا رابطة تشده إلى أفق أعلى، وبلا هدف لهذه الحياة يرفعه عن السائمة التي ترعى!. . ففي هذا نسيان لإنسانيته. وهذه الحقيقة تنشأ عنها حقيقة أخرى وهي نسيان هذا المخلوق لنفسه. . لا يدّخر لها زاداً للحياة الطويلة الباقية. . **﴿لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة: أصحاب الجنة هم الفائزون﴾**!.

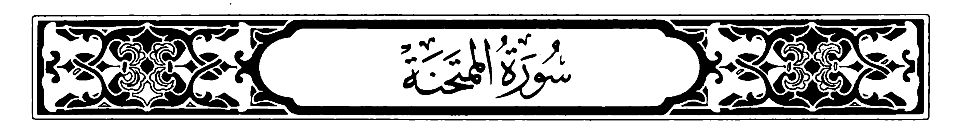
التوجيه الرابع: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله. .﴾: في هذا التوجيه تعريض بالذين كفروا بهذا القرآن من أهل الكتاب والمشركين. . فقد خاطب الله اليهود بقوله: **﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك. . فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾** وقال في معرض الكلام عن المؤمنين: **﴿ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل. . فطال عليهم الأمد. . فقست قلوبهم، وكثير منهم فاسقون﴾** وحكي قول المشركين من العرب: **﴿وقالوا: قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه، وفي آذاننا وقر، ومن بيننا وبينك حجاب. . فاعمل إننا عاملون﴾**!. . فأهل الكتاب من اليهود والنصارى، والمشركون من العرب يقفون هذا الموقف معارضين لهذا القرآن الذي لو أنزل على جبل لخشع وتصدع من خشية الله؛ **﴿الله نزل أحسن الحديث: كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم. . ثم**

تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله: ذلك هدى الله يهدي به من يشاء؛ ومن يضلل الله فما له من هاد!﴾ فالذين أحسوا شيئاً من مس القرآن في كيانهم يتذوقون هذه الحقيقة تذوقاً لا يعبر عنه إلا هذا النص القرآني هنا، وفي كل نصوصه التي مثلت للناس: **﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل.. لعلهم يتذكرون: قرآناً عربياً غير ذي عوج؛ لعلهم يتقون وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾**!!..

فهذه الأمثال والآيات والمواعظ والعبر التي جاءت في هذا القرآن تنزيل من حكيم حميد له الأسماء الحسنى.. فهي أثر من آثار هذا القرآن في كيان الوجود كله؛ ينطق بها لسانه، وتتجاوب بها أركانه.. فهذه الأسماء واضحة الآثار في صميم هذا الوجود: إيجاداً وتنفيذاً وتصريفاً وتدبيراً في اتجاهه وحركته ظاهراً وباطناً: **﴿هو الله الذي لا إله إلا هو: عالم الغيب والشهادة..﴾** فهذه تسبيحة مديدة بهذه الأسماء المجيدة.. فلكل اسم من هذه الأسماء الحسنى أثر في هذا الكون ملحوظ. وأثر في حياة البشر ملموس.. فهي توحي إلى القلب بفاعلية هذه الأسماء.. فليست هي صفات سلبية منعزلة عن كيان هذا الوجود وأحواله وظواهره المصاحبة لوجوده.. فهو عالم الغيب والشهادة!. ومن ثَمَّ تستيقظ مراقبة هذا الضمير لله في السر والعلانية.. ويعمل الإنسان كلَّ ما يعمل بشعور المراقَبِ من الله، المراقِب لله، الذي لا يعيش وحده ولو كان في خلوة لا يراه أحد!. والله في تصور المؤمن لا يطارد عباده.. ولكن يراقبهم.. ولا يريد الشر بهم.. بل يرحمهم ويحب الهدى لهم. فلا يتركهم بلا عون منه وهم يصارعون الشرور والأهواء: **﴿هو الرحمٰن الرحيم..﴾** فلا يملك الرحمة إلا الله. ولا يهبها ويمنحها لعباده إلا هو.. فهو **﴿الملك﴾**! يحكم لا معقب لحكمه، ولا يدخل أحد في تصرفه.. **﴿القدوس..﴾** فهذا الاسم يلقي في ضمير المؤمن هذا الإشعاع الطهور.. فينظف قلبه هو ويطهره؛ ليصبح صالحاً لِتَلَقّى فيوض الملِك القدوس! **﴿السلام..﴾** فهو اسم لله فيه السلامة والطمأنينة.. **﴿المؤمن..﴾** اسم لله فيه الأمن واليمن والبركة.. **﴿المهيمن..﴾** اسم لله يوحي بالسلطان والسيطرة والرقابة. أعم الأسماء كلها، لأنها تتعلق بكل شيء.. **﴿العزيز الجبار المتكبر﴾**: ثلاثة أسماء توحي بالقهر والغلبة والجبروت والاستعلاء.. فلا عزيز إلا الله. ولا جبار إلا الله. ولا متكبر إلا الله.. **﴿سبحان الله عما يشركون﴾**: تعليق على ما

تقدم من الأسماء الحسنى.. ﴿**هو الله الخالق البارىء المصور**﴾: توالي هذه الأسماء المترابطة بها يستجيش القلب لمتابعة عملية الخلق والإنشاء والإيجاد والإخراج مرحلة مرحلة.. حسب التصور الإنساني.. إنما الإنسان يدرك هذه المراحل في حدود طاقته المحددة. ﴿**له الأسماء الحسنى**﴾: الحسنى في ذاتها.. فلا حاجة إلى استحسان أحد من الخلق. والحسنى التي توحي بالحُسن للقلوب وتفيضه عليها.. فهي الأسماء التي يدبرها المؤمن؛ ليصوغ نفسه وفق اتجاهها وتوجيهاتها.. وخاتمة هذه التسبيحة المديدة بهذه الأسماء الحسنى، والسبحة البعيدة مع مدلولاتها الموحية، وفي فيوضها العجيبة، هي مشهد التسبيح لله يشيع وينتشر في جنبات الوجود، وينبعث من كل موجود: ﴿**وإن من شيء إلا يسبح بحمده يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم**..﴾ لتبدأ السورة وتختتم بتسبيح الله الذي له ما في السماوات والأرض.. فيتناسق البدء والختام مع موضوع السورة، ومع دعوة المؤمنين للتقوى والخشوع والتفكر في تدبير الله العزيز الحكيم.

3 - أظهر ما في سورة الممتحنة، النهي عن موالاة الكفار والأمر بامتحان المهاجرة المؤمنة



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ (1) إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ (2) لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (3) قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ (4) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (5) ﴾

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ
وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ (6) * عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (7)
لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم
مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ (8)
إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن
دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (9) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ
فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ
فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ
وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟
ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (10)
وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ
أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ (11)
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ
بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ
وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ

فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿12﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿13﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء**﴾ فهذا نهي للمؤمنين عن موالاة الكافرين. والعدو. مصدر يطلق على المفرد والجمع.. ﴿**تلقون إليهم بالمودة**﴾: تفضون إلى المشركين في مكة المودّة والموالاة؛ ﴿**وقد كفروا بما جاءكم من الحق: يخرجون الرسول وإياكم**﴾: يخرجونكم ـ ﴿**أن تؤمنوا بالله ربكم.**﴾ لأجل إيمانكم.. ﴿**إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي**﴾: لا تتولوا أعدائي إن كنتم أوليائي.. ﴿**تسرون إليهم بالمودة**﴾: تفضون إليهم بمودتكم سراً. ﴿**وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم**﴾: والحال أني أعلم منكم بسركم وعلنكم! فكيف تسرون إليهم بالمودة؟!.. ﴿**ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل**﴾: ومن يفعل ما ذكر منكم فقد أخطأ طريق الحق والصواب. ﴿**إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء**﴾: إن يظفروا بكم ويتمكنوا منكم يُظهروا ما في قلوبهم من العداوة ويرتبوا عليها أحكامها.. ﴿**ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء**﴾: ويمدوا إليكم أيديهم بالقتل والضرب والأسر. ويطلقوا ألسنتهم بالشتم والطعن. ﴿**وودوا لو تكفرون**﴾: وتمنوا كفركم بعد إيمانكم.. فكيف توالون هؤلاء وهم على هذه الحال؟!.. ﴿**لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم**﴾: لن ينفعكم شيء من أصل أو فرع.. فالأرحام: الأصول.. والأولاد: الفروع. ﴿**يوم القيامة يفصل بينكم**﴾: يفصل بين المرء وأقاربه من أصل أو فرع يوم القيامة: ﴿**فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذٍ والله بما تعملون بصير.. قد كانت لكم إسوة حسنة**

في إبراهيم والذين معه﴾: قد كانت لكم قدوة حسنة في إبراهيم والذين معه من الأنبياء؛ **﴿إذ قالوا لقومهم: إنا برآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله: كفرنا بكم، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً.. حتى تؤمنوا بالله وحده.. إلا قول إبراهيم لأبيه: لأستغفرن لك﴾**: هذا القول خاص بإبراهيم لأبيه قبل تبين كفره، فلا يدخل في القدوة والأسوة الحسنة..

﴿وما أملك لك من الله من شيء﴾: غير الاستغفار.. **﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أَنَبْنَا، وإليك المصير﴾**: من تمام قول إبراهيم ومن معه من الأنبياء. وكذلك قولهم: **﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا. واغفر لنا ربنا.. إنك أنت العزيز الحكيم.. لقد كان لكم فيهم﴾**: في إبراهيم ومن معه.. **﴿إسوة حسنة.. لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾**: إيذان بأن من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يترك الاقتداء بإبراهيم ومن معه الذين تبرأوا من موالاة المشركين. **﴿ومن يتول فإن الله هو الغنيّ الحميد.. عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة﴾**: في هذا الكلام تطميع للمؤمنين في تحوّل الحال إلى خلافه؛ بأن يحوّل المشركين إلى الإيمان ويوفقهم له.. فعسى وعد من الله بتحقيق ما سيحصل لأهل مكة. وقد حصل هذا بعد فتح مكة. **﴿والله قدير.. والله غفور رحيم.. لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم﴾**: لا ينهاكم الله عن بر هؤلاء والعدل في معاملتهم.. **﴿إن الله يحب المقسطين..﴾** فمعنى أقسط: عدل، وقسط جار وتعدى. **﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم.. وظاهروا على إخراجكم﴾**: تمالؤوا وتعاونوا على إخراجكم من دياركم في مكة: **﴿أن تولوهم﴾**: ينهاكم عن تولية هؤلاء. وهم عُتاة أهل مكة. **﴿ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾**: حيث تعدوا عليكم ومنعوكم حقوقكم بإخراجكم من دياركم وأموالكم.. **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن﴾**: أمر الله المؤمنين بأن يختبروا النساء المهاجرات من مكة.. **﴿الله أعلم بإيمانهن.. فإن علمتموهن مؤمنات﴾**: بعد الاختبار.. **﴿فلا ترجعوهن إلى الكفار﴾**: أزواجهن الكفرة: **﴿لا هن حل لهم.. ولا هم يحلون لهن..﴾** فالمؤمنة لا تكون زوجة للكافر.. والكافر لا يكون زوجاً للمؤمنة. **﴿وآتوهم ما أنفقوا﴾**: أعطوهم المهور وما يستحقون من حقوق عندهن.. **﴿ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهنّ أجورهن﴾**: لا

حرج على من تزوج بهن من النساء المهاجرات بالنكاح الشرعي ﴿**ولا تمسكوا بعصم الكوافر**﴾: لا يكن بينكم وبين المشركات عصمة نكاح ولا علاقة زوجية. ﴿**واسألوا ما أنفقتم**﴾ من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار. ﴿**ولْيسألوا ما أنفقوا**﴾: من مهور أزواجهم المهاجرات. ﴿**ذلكم حكم الله!. يحكم بينكم**﴾: فيما ذكر من الحكم المتعلق بالنساء والأموال.. ﴿**والله عليم حكيم.. وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا**﴾: هذا حكم خاص بما وقع قبل فتح مكة وبعد صلح الحديبية.. ﴿**واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون.. يا أيها النبئ إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً.. ولا يسرقن.. ولا يزنين.. ولا يقتلن أولادهن.. ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن**﴾: دعوى الزوجة مولوداً ليس من زوجها له بهتاناً وكذباً.. ﴿**ولا يعصينك في معروف.. فبايعهن واستغفر لهن الله.. إن الله غفور رحيم.. يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم**﴾: هذا النهي أعم من النهي الذي في أول السورة، لأنه عام لجميع الكفار.. ﴿**قد يئسوا من الآخرة**﴾: من ثواب الآخرة.. فلا مطمع لهم فيه.. ﴿**كما يئس الكفار من أصحاب القبور**﴾: تشبيه حال الكافرين اللاحقين بحال الكافرين السابقين.. فكل من مات على الكفر وقبر قد يئس من ثواب الآخرة.

مبحث الإعراب

﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ تقدم إعراب مثله.. ﴿**لا تتخذوا عدّوي**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النهي الجازم. ﴿**وعدوكم**﴾ معطوف على عدوّي. ﴿**أولياء**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**تلقون**﴾ فعل وفاعل والجملة تفسيرية لا محل لها من الإعراب. ﴿**إليهم**﴾ متعلق بتلقون.. ﴿**بالمودة**﴾ مفعول به، مجرور بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿**وقد كفروا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق وواو الحال. والجملة حال من فاعل لا تتخذوا. ﴿**بما**﴾ متعلق بكفروا. ﴿**جاءكم**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على ما. وجملة جاءكم صلة ما. ﴿**من الحق**﴾ بيان لما. ﴿**يخرجون الرسول**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة تفسيرية. ﴿**وإياكم**﴾ معطوف على الرسول. ﴿**أن تؤمنوا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه أنْ المصدرية الناصبة. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور

بحرف جر مقدر متعلق بيخرجون. **﴿بالله﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿ربكم﴾** نعت لله. **﴿إن كنتم﴾** كان واسمها دخل عليها حرف الشرط. **﴿خرجتم﴾** فعل وفاعل. والجملة خبر كان. **﴿جهاداً﴾** مفعول لأجله. **﴿في سبيلي﴾** متعلق «بجهاداً». **﴿وابتغاء﴾** معطوف على «جهاداً». **﴿مرضاتي﴾** مضاف إلى ابتغاء. مجرور بكسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة. وكذلك سبيلي. وجواب الشرط محذوف يدل عليه قوله: لا تتخذوا.. والتقدير: إن كنتم خرجتم لأجل ما ذكر فلا تتخذوا عدُوّي وعدوكم أولياء. **﴿تسرون﴾** فعل وفاعل. والجملة بيانية لا محل لها من الإعراب.

﴿إليهم﴾ متعلق بتسرون. **﴿بالمودة﴾** مفعول به. والباء زائدة مثل ما سبق. **﴿وأنا﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿أعلم﴾** أفعل تفضيل، خبر المبتدإ. **﴿بما﴾** متعلق بأعلم. **﴿أخفيتم﴾** فعل وفاعل. والجملة صلة ما. **﴿وما أعلنتم﴾** معطوف على ما أخفيتم. وجملة وأنا أعلم.. حال من فاعل تسرون. **﴿ومن﴾** اسم شرط جازم. **﴿يفعلْه﴾** فعل الشرط مجزوم بالسكون. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. **﴿منكم﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿فقد ضل﴾** فعل ماض دخل عليه حرف التحقيق. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. **﴿سواء﴾** مفعول به. **﴿السبيل﴾** مضاف إلى سواء. وجملة فقد ضل جواب الشرط. **﴿إن يثقفوكم﴾** فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الشرط الجازم. **﴿يكونوا﴾** جواب الشرط مجزوم بحذف النون. والواو اسم يكون. **﴿لكم﴾** متعلق بما بعده: **﴿أعداء﴾** خبر يكون. **﴿ويبسطوا﴾** فعل وفاعل معطوف على الجواب. **﴿إليكم﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿أيديهم﴾** مفعول به. **﴿وألسنتهم﴾** معطوف على أيديهم. **﴿بالسوء﴾** متعلق بيبسطوا.. **﴿وودوا﴾** فعل وفاعل. **﴿لو تكفرون﴾** فعل وفاعل دخل عليه حرف المصدر. ولو وما دخل عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول بودّوا. والجملة معطوفة على جملة الشرط وجوابه. **﴿لن تنفعكم﴾** فعل مضارع منصوب بلن.. والضمير المتصل به مفعول. **﴿أرحامكم﴾** فاعل. **﴿ولا أولادكم﴾** معطوف عليه. **﴿يوم﴾** ظرف صالح للتعلق بما قبله وما بعده. **﴿القيامة﴾** مضاف إلى يوم. **﴿يفصل﴾** فعل مضارع مبني للمجهول. **﴿بينكم﴾** نائب الفاعل. **﴿والله﴾** مبتدأ. **﴿بما﴾** متعلق بالخبر الآتي. **﴿تعملون﴾** فعل وفاعل. والجملة صلة ما. **﴿بصير﴾** خبر المبتدإ. **﴿قد كانت﴾** فعل ماض ناقص دخل عليه حرف التحقيق. **﴿لكم﴾**

متعلق بكانت. ﴿**إسوة**﴾ اسم كانت. ﴿**حسنة**﴾ نعت لإسوة. ﴿**في إبراهيم**﴾ متعلق بمحذوف خبر كانت. ﴿**والذين**﴾ في محل جر معطوف على إبراهيم. ﴿**معه**﴾ متعلق بمحذوف صلة الموصول. ﴿**إذ**﴾ ظرف متعلق بالخبر.. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**لقومهم**﴾ متعلق بقالوا. ﴿**إنا**﴾ إن واسمها. ﴿**برآؤا**﴾ خبر إنّ. ﴿**منكم**﴾ متعلق ببرآءُ. ﴿**ومما**﴾ معطوف على منكم.

﴿**تعبدون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**من دون**﴾ متعلق بتعبدون. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى دون. وجملة إنا برآؤا في محل نصب مقول القول. ﴿**كفرنا**﴾ فعل وفاعل. والجملة بيانية. ﴿**بكم**﴾ متعلق بكفرنا. ﴿**وبدا**﴾ فعل ماض. ﴿**بيننا**﴾ متعلق ببدا. ﴿**وبينكم**﴾ معطوف على بيننا. ﴿**العداوة**﴾ فاعل بدا. ﴿**والبغضاء**﴾ معطوف على العداوة. ﴿**أبداً**﴾ ظرف متعلق ببدا. ﴿**حتى تؤمنوا**﴾ فعل وفاعل. والفعل منصوب بأن مضمرة بعد حتى. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحتى متعلق ببدا. ﴿**بالله**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**وحده**﴾ منصوب على الحال. ﴿**إلا قول**﴾ منصوب على الاستثناء. ﴿**إبراهيم**﴾ مضاف إلى قول مجرور بالفتحة لمنعه من الصرف. ﴿**لأبيه**﴾ متعلق بقول. ﴿**لأستغفرن**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. وكذلك اللام للتوكيد والفاعل ضمير المتكلم. ﴿**لك**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**وما أملك**﴾ فعل مضارع منفي بما. والفاعل ضمير المتكلم. ﴿**لك من الله**﴾ متعلقان بأملك. ﴿**من شيء**﴾ مفعول به. مجرور بحرف الجر الزائد في محل نصب ﴿**ربنا**﴾ منادى حذف منه حرف النداء. ﴿**عليك**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**توكلنا**﴾ فعل وفاعل. ومثله: ﴿**وإليك أنبنا. وإليك**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**المصير**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**ربنا**﴾ مثل السابق. ﴿**لا تجعلنا**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الدعائية. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على ربنا. ﴿**فتنة**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**للذين**﴾ متعلق بفتنة. ﴿**كفروا**﴾ صلة الموصول. ﴿**واغفر**﴾ فعل دعاء ﴿**لنا**﴾ متعلق باغفر. ﴿**ربنا**﴾ منادى مثل ما قبله. ﴿**إنك**﴾ إنّ واسمها. ﴿**أنت**﴾ ضمير فصل. ﴿**العزيز**﴾ خبر إنّ. ﴿**الحكيم**﴾ خبر ثانٍ لإنّ. ﴿**لقد كان**﴾ فعل ماض ناقص دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم. ﴿**لكم**﴾ متعلق بكان. ﴿**فيهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان مقدم. ﴿**إسوة**﴾ اسمها مؤخر. ﴿**حسنة**﴾ نعت لإسوة. ﴿**لمن**﴾ بدل من لكم. ﴿**كان**﴾ اسم كان ضمير يعود على مَنْ. ﴿**يرجو**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**الله**﴾

معمول بيرجو. ﴿**واليوم**﴾ معطوف على الله. ﴿**الآخر**﴾ نعت لليوم. وجملة يرجو خبر كان. وجملة كان يرجو.. صلة مَنْ.

﴿**ومن**﴾ اسم شرط جازم. ﴿**يتول**﴾ فعل الشرط مجزوم بحذف الألف. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**فإن الله**﴾ إن واسمها. ﴿**هو**﴾ ضمير فصل. ﴿**الغني الحميد**﴾ خَبَرَانِ لإنّ. وجملة فإن الله هو الغني الحميد جواب الشرط. والفاء رابط. ﴿**عسى**﴾ فعل ماض ناقص يرفع الاسم ﴿**الله**﴾. ﴿**أن يجعل**﴾ فعل مضارع منصوب بأن المصدرية. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة في محل نصب خبر عسى مؤوّلة بمصدر. ﴿**بينكم**﴾ متعلق بيجعل. ﴿**وبين**﴾ معطوف على بينكم. ﴿**الذين**﴾ في محل جر مضاف إلى بين. ﴿**عاديتم**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة الذين. ﴿**منهم**﴾ متعلق بعاديتم. ﴿**مودة**﴾ مفعول به. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**قدير**﴾ خبره. ﴿**والله غفور رحيم**﴾ مثل ما قبله. ﴿**لا ينهاكم**﴾ فعل مضارع منفيّ بلا. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الله**﴾ فاعل. ﴿**عن الذين**﴾ متعلق بينهاكم. ﴿**لم يقاتلوكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي الجازم. والجملة صلة الذين. ﴿**في الدين**﴾ متعلق بيقاتلوكم. ﴿**ولم يخرجوكم**﴾ معطوف على لم يقاتلوكم. ﴿**من دياركم**﴾ متعلق بيخرجوكم. ﴿**أن تبروهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف المصدر الناصب. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بدل من الذين. أي: عن البر بهم. ﴿**وتقسطوا**﴾ معطوف على تبروهم. ﴿**إليهم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**إن الله**﴾ إن واسمها. ﴿**يُحِبُّ**﴾ فعل مضارع والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر إنَّ. ﴿**المقسطين**﴾ مفعول به. ﴿**إنما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**ينهاكم الله**﴾ مثل ما سبق. ﴿**عن الذين**﴾ متعلق بينهاكم، ﴿**قاتلوكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول. ﴿**في الدين**﴾ متعلق بالفعل. ﴿**وأخرجوكم**﴾ معطوف على قاتلوكم. ﴿**من دياركم**﴾ متعلق بأخرجوكم. ﴿**وظاهروا**﴾ فعل وفاعل عطف على قاتلوكم. ﴿**على إخراجكم**﴾ متعلق بظاهروا. ﴿**أن تولوهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف المصدر الناصب. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بدل من الذين.. ﴿**ومن يتولهم**﴾ جملة شرطية سبق إعراب مثلها. ﴿**فأولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**هم**﴾ ضمير فصل. ﴿**الظالمون**﴾ خبر المبتدإ. وجملة فأولئك هم الظالمون جواب شرط مَنْ. والفاء رابط. ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ علم إعراب هذا مما سبق. ﴿**إذا**﴾ ظرف متضمن

معنى الشرط. ﴿**جاءكم**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول.

﴿**المؤمنات**﴾ فاعل. ﴿**مهاجرات**﴾ حال من المؤمنات. ﴿**فامتحنوهن**﴾ أمر موجه إلى المؤمنين، والضمير المتصل بالأمر مفعول. والجملة جواب شرط إذا. ﴿**الله**﴾ مبتدأ. ﴿**أعلم**﴾ خبره. ﴿**بإيمانهن**﴾ متعلق بأعلم. والجملة اعتراض. ﴿**فإن علمتموهن**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه إن الشرطية. ﴿**مؤمنات**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**فلا ترجعوهن**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النهي الجازم. والجملة جواب الشرط. والفاء رابط. ﴿**إلى الكفار**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**لا هن**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**حل**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**لهم**﴾ متعلق بحل. ﴿**ولا هم**﴾ في محل رفع مبتدَأ. ﴿**يحلون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر المبتدإ ﴿**لَهُنّ**﴾ نعت متعلق بالفعل، والجملة معطوفة على ما قبلها. ولا في الجملتين نافية. والجملتان تعليليتان للنهي. ﴿**وآتوهم**﴾ أمر موجّه إلى المخاطبين. والضمير المتصل بالأمر مفعول أول. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول ثانٍ. ﴿**أنفقوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**ولا جناح**﴾ لا واسمها مبني على الفتح في محل نصب. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر لا. ﴿**أن تنكحوهن**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه أن المصدرية الناصبة. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بفي مقدر متعلق بخبر لا. أي: لا حرج عليكم في نكاحهن. ﴿**إذا آتيتموهن**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه إذا الظرفية ﴿**أجورهن**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**ولا تمسكوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النهي الجازم. ﴿**بعصم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**الكوافر**﴾ مضاف إلى عصم. ﴿**واسألوا**﴾ أمر موجه إلى المخاطبين. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول به. ﴿**أنفقتم**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**وليسألوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه لام الأمر الجازم. ﴿**ما أنفقوا**﴾ إعرابه مثل إعراب ما أنفقتم. ﴿**ذلكم**﴾ في محل رفع مبتدَأ. ﴿**حكم**﴾ خبره. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى حكم. ﴿**يحكم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**بينكم**﴾ متعلق بيحكم. وجملة يحكم بينكم مستأنفة لا محل لها من الإعراب. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**عليم حكيم**﴾ خَبَرَان للمبتدإ. ﴿**وإن فاتكم**﴾ فعل ماض والضمير المتصل به مفعول. ﴿**شيء**﴾ فاعل. والجملة فعل الشرط لإنْ. ﴿**من أزواجكم إلى الكفار**﴾ متعلقان بفاتكم. ﴿**فعاقبتم**﴾ فعل وفاعل مرتب بالفاء على فاتكم. ﴿**فآتوا**﴾ أمر موجه إلى المخاطبين.

﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول أول. ﴿**ذهبت أزواجهم**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة الذين. ﴿**مثل**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل جر مضاف إلى مثل. ﴿**أنفقوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. وجملة فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا جواب شرط إنْ فاتكم.. ﴿**واتقوا**﴾ أمر موجه إلى المخاطبين معطوف على الأمر قبله. ﴿**الله**﴾ معمول باتقوا. ﴿**الذي**﴾ في محل نصب نعت لله. ﴿**أنتم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**به**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**مؤمنون**﴾ خبر المبتدإ. والجملة صلة الموصول. ﴿**يا أيها**﴾ منادى. ﴿**النبئ**﴾ نعت لأيُّ باعتبار لفظها في محل نصب.. ﴿**إذا**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿**جاءك**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**المؤمنات**﴾ فاعل. ﴿**يبايعنك**﴾ فعل وفاعل ومفعول والجملة حال من المؤمنات. ﴿**على أن لا يشركن**﴾ فعل وفاعل. دخل عليه حرف النفي وحرف المصدر الناصب. ﴿**بالله**﴾ متعلق بيشركن. ﴿**شيئاً**﴾ مفعول به. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف على متعلق بيبايعنك. أي: يبايعنك على عدم الإشراك بالله شيئاً. ﴿**ولا يسرقن**﴾ فعل وفاعل منفيٌّ بِلاَ. ﴿**ولا يزنين**﴾ كذلك. ﴿**ولا يقتلن**﴾ مثلهما. ﴿**أولادهن**﴾ مفعول به. ﴿**ولا يأتين**﴾ مثل ما سبق. ﴿**ببهتان**﴾ متعلق بيأتين. ﴿**يفترينه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة نعت لبهتان. ﴿**بين**﴾ متعلق بيفترينه. ﴿**أيديهن**﴾ مضاف إلى بين. ﴿**وأرجلهن**﴾ معطوف على أيديهن. ﴿**ولا يعصينك**﴾ مثل ما سبقه. ﴿**في معروف**﴾ متعلق بيعصينك. ﴿**فبايعهن**﴾ أمر موجه إلى النبي. والضمير المتصل بالأمر مفعول. وجملة فبايعهن جواب شرط إذا. والفاء رابط. ﴿**واستغفر**﴾ معطوف على الجواب. ﴿**لهن**﴾ متعلق باستغفر. ﴿**الله**﴾ معمول استغفر. ﴿**إن الله**﴾ إن واسمها. ﴿**غفور رحيم**﴾ خبران لإنّ. ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ علم إعرابه.. ﴿**لا تتولوا قوماً**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النهي الجازم. ﴿**غضب الله**﴾ فعل وفاعل. والجملة نعت لـ «قوماً». ﴿**عليهم**﴾ متعلق بغضب. ﴿**قد يئسوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق. ﴿**من الآخرة**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**كما يئس الكفار**﴾ فعل وفاعل. وما مصدرية. والكاف في محل نصب نعت لمفعول مطلق مقدر. والتقدير: قد يئسوا من الآخرة يَأْساً مثل يأس الكفار ﴿**من أصحاب**﴾ بيانية. ﴿**القبور**﴾ مضاف إلى أصحاب.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّي وعدوكم أولياء..**﴾: فاتصال هذه السورة ومناسبتها للسورة التي قبلها واضح.. فسورة الحشر فيها اتخاذ المنافقين الكافرين أولياء. وفي هذه السورة النهي عن اتخاذ الكافرين أولياء. ولما تكلم في السورة السابقة عن اليهود والمنافقين ناسب أن يتكلم عن الكافرين من أهل مكة بوجه الخصوص؛ لأنهم هم السبب في أصل النزاع.. فتبدأ السورة بنداء المؤمنين.. يدعوهم ليبصرهم بحقائق موقفهم، ويحذرهم حبائل أعدائهم، ويذكرهم بالمهمة الملقاة على عاتقهم. ويذكرهم بجريرة هؤلاء الأعداء: أعداء الله وأعدائهم!: ﴿**تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق: يخرجون الرسول وإياكم..**﴾ لأجل ﴿**أن تؤمنوا بالله ربكم**﴾ فماذا أبقوا بعد هذه الجرائر الظالمة، للموالاة والمودة؟!.. كفروا بالحق.. وأخرجوا الرسول والمؤمنين.. لا لشيء إلا لأنهم آمنوا بالله ربهم..

فالنص بهذا الأسلوب يهيج في قلوب المؤمنين هذه الذكريات المرتبطة بعقيدتهم؛ وهي التي حاربهم المشركون من أجلها، لا من أجل أي سبب آخر.. فذكرهم بأنه لا محل إذن للمودة بينهم وبين المشركين إن كانوا قد خرجوا من ديارهم ابتغاء رضوان الله وجهاداً في سبيله: ﴿**إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي..**﴾ فلا تتخذوا عدوّي وعدوكم أولياء.. ثم يحذرهم تحذيراً خفياً مما تكنّ قلوبهم وما يسرون به إلى أعدائهم وأعداء الله من المودّة؛ وهو مطلع على خفية القلوب وعلانيتها: ﴿**تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم**﴾!.. ثم يهددهم تهديداً مخيفاً يثير في قلب المؤمن الوجل والهيبة: ﴿**ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل**﴾!.. فهذا التهديد وذلك التحذير يتوسطان تبصير المؤمنين بحقيقة أعدائهم وما يضمرون لهم من الشر والكيد: ﴿**إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء..**﴾ فهؤلاء المشركون لا تعرض لهم فرصة يتمكنون فيها من المسلمين حتى ينصرفوا معهم تصرف العدو الأصيل، ويوقعوا بهم ما يملكون من أذى ومن تنكيل بالأيدي وبالألسنة وبكل وسيلة وفي كل سبيل!!.. والأدهى من هذا كله والأشد والأنكى: ﴿**وودوا لو تكفرون**﴾!!.. ثم تأتي جولة ثانية بلمسة واحدة تعالج مشاعر القرابة ووشائجها المتأصلة؛ والتي تسْتَجِر في القلوب فتجرها جرّاً إلى المودة،

وتنسيها تكاليف التميّز بالعقيدة: ﴿**لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يُفصل بينكم**..﴾

فجملة يفصل بينكم استئناف لبيان عدم نفع الأصول والفروع. أي: لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة: ذلك أنه يفصل بينكم يومئذٍ. ﴿**والله بما تعملون بصير**﴾: جملة تذييلية مقررة لمضمون ما سبق.. فهذا إبراهيم المثل الأعلى في رفض القرابة والتمسك بالعقيدة.. وكذلك الذين معه في المنهج والسلوك.. فلكم فيهم إسوة حسنة: ﴿**قد كانت لكم إسوة حسنة في إبراهيم والذين معه**..﴾ فقد مر إبراهيم والأنبياء مثله بالتجربة التي يعانيها المسلمون المهاجرون وفيهم إسوة حسنة: ﴿**إذ قالوا لقومهم: إنا برآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله: كفرنا بكم.. وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً.. حتى تؤمنوا بالله وحده**..﴾ فالبراءة من القوم ومعبوداتهم وعباداتهم: وهو الكفر بهم والإيمان بالله.. وهي العداوة والبغضاء لا تنقطع حتى يؤمن القوم بالله وحده!.. وفي هذا فصل الخطاب في مثل هذه التجربة التي يمرّ بها المؤمنُ في أيّ جيل. ﴿**إلا قول إبراهيم لأبيه: لأستغفرن لك**﴾: هذا استثناء من قوله تعالى: ﴿**إسوة حسنة**..﴾ فإن استغفار إبراهيم لأبيه ليس مما ينبغي أن يتأسى به أصلاً.. فإبراهيم عندما استغفر لأبيه استغفر له قبل أن يتبين أنه عدو لله.. ﴿**فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ما أملك لك من الله من شيء**﴾: من تمام القول المستثنى.. فليس في طاقتي إلا الاستغفار؛ إظهاراً للعجز وتفويضاً للأمر إلى الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿**ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير**﴾، من تمام ما نقل عن إبراهيم ومن معه من الأنبياء من الأسوة الحسنة.. فتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والإنابة والمصير على الله تعالى. قالوه التجاء إلى الله في جميع أمورهم لا سيما في مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم، كما ينطق به قوله تعالى: ﴿**ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا**..﴾ ثم يُكمل بقية الدعاء: ﴿**واغفر لنا ربنا**﴾. وتكرير النداء للمبالغة في التضرع والإنابة إلى الله.. فيطلبون المغفرة من ربهم.. ثم يختم دعاؤهم وطلبهم وإنابتهم واستغفارهم، يصفون ربهم بصفته المناسبة لهذا الدعاء: ﴿**ربنا إنك أنت العزيز الحكيم**..﴾ ﴿**لقد كان لكم فيهم إسوة حسنة**﴾: كررت هذه الجملة للمبالغة في الحث على التأسي بإبراهيم وبالأنبياء عليهم السلام. ولذلك صدرت بالقسم وقد المفيدة للتحقيق.

وقوله تعالى: ﴿**لمن كان يرجو الله واليوم الآخر**﴾، بدل من لكم؛ فائدته الإيذان بأن من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يترك الاقتداء بهم، وأن تركه من مخايل عدم الإيمان بالله واليوم الآخر؛ كما ينبيء عنه قوله تعالى: ﴿**ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد. . عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودّة**﴾: كلمة عسى هنا رجاء وطمع مترقب بتحقق وقوع خبرها يقيناً؛ لأنه رجاء وطمع من كريم قدير: ﴿**والله قدير، والله غفور رحيم. .**﴾ وإلى أن يتحقق وعد الله الذي دل عليه لفظ الرجاء ـ عسى ـ رخص الله للمؤمنين في موادة من لم يقاتلوهم في الدين ولم يخرجوهم من ديارهم، ورفع عنهم الحرج في أن يبروهم، وأن يتحروا العدل في معاملتهم معهم. . فلا يبخسونهم من حقوقهم شيئاً: ﴿**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم؛ إن الله يحب المقسطين. .**﴾ ولكنه نهى أشد النهي عن الولاء لمن قاتلوهم في الدين وأخرجوهم من ديارهم وساعدوا على إخراجهم. وحكم على الذين يتولونهم بأنهم هم الظالمون: ﴿**إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم: ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون. يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن**﴾: بيان لحكم المؤمنات المهاجرات. . فأول إجراء هو امتحان هؤلاء المهاجرات لتحري سبب الهجرة. . ﴿**فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار. .**﴾ فهو يعتمد على ظاهر حالهن دون بحث عن خفايا الصدور التي لا سبيل للبشر إليها: الله أعلم بإيمانهن. . فإذا ما أقررن بشهادة الإسلام فلا ترجعوهن إلى الكفار ﴿**لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن. .**﴾ ثم مع إجراء التفريق إجراء التعويض. . فيُرَدّ على الزوج الكافر قيمةُ ما أنفق من المهر على زوجته المؤمنة التي فارقته: ﴿**وآتوهم ما أنفقوا. .**﴾ ثم بعد ذلك يحل للمؤمنين نكاح المؤمنات المهاجرات متى آتوهن مهورهن: ﴿**ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن. . ولا تمسكوا بعصم الكوافر**﴾: هذا إبطال لعقد الزواج بين المؤمن والكافرة. . فقد انحل العقد بينهما بالكفر والإيمان. ﴿**واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا**﴾: بيان للعدل بين الناس: ﴿**ذلكم حكم الله. .**﴾ فلا بد أن يُنفّذ حكم الله. .

﴿**يحكم بينكم**﴾: استئناف مؤكد لما قبله وممهد لقولِهِ: ﴿**والله عليم حكيم. .**﴾ فحكم الله هو حكم العليم الحكيم! . ﴿**وإن فاتكم شيء من أزواجكم**

إلى الكفار. . فعاقبتم. . فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا﴾: هذا حكم لمن لم يحصل مما أنفق على زوجته الكافرة ومنع من حقه فعلى الإمام أن يعوضه من غيره. . فيربط هذا الحكم بالضمان الذي يتعلق به كل حكم: **﴿واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون. . يا أيها النبئ إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً، ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن. ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم﴾**: هذه هي مبايعة النساء للرسول ببيان أسسها الأصيلة من صحة العقيدة، ونزاهة السلوك في المعاملة. . فإذا بايعن على هذه الأسس الشاملة قُبلتْ بيعتُهن وعُفِي عما سلف منهن. . وفي الختام يجيء هذا الإيقاع العام: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور. .﴾** فهذا النداء يتجدد ليشمل النهي عن موالاة الكافرين جميعاً بعد النهي عن موالاة المشركين الذين أخْرَجوا المؤمنين من مكة. . فهذا هتاف بتجمّع من كل إيقاعات السورة واتجاهاتها. . فتُختم به كما بُدئت بمثله. . ففيه من البديع رد العجز على الصدر. وفيه براعة المقطع مثل براعة المطلع!: فيكون هذا الإيقاع هو الإيقاع الأخير الذي يترك آثاره وأصداءه في الأسماع والقلوب.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء. .﴾: في هذا التوجيه علاج حاسم وشامل لمشكلة الأواصر القريبة والعصبيّات الصغيرة التي شتَّتَتْ شمل العرب وألحقت بهم الهوان والصغار!. . فقد جاء هذا التوجيه ليخرج به العرب من هذا الضيق المحلي إلى الأفق العالمي الإنساني. . فيناديهم باسم الإيمان. . فيدعوهم ليبصرهم بحقائق موقفهم. . ويذكرهم بما فعل الأعداء بهم من ظلم وتجنٍّ: **﴿تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق: يخرجون الرسول وإياكم؛ أن تؤمنوا بالله ربكم﴾**!. . فماذا أبقوا بعد هذه الجرائر والجرائم الظالمة للموالاة والمودّة؟!. كفروا بالحق الذي جاء به رسول الله الحق. . فأخرجوه وأخرجوا المؤمنين من ديارهم وأموالهم؛ لا لشيء إلا لأنهم آمنوا بالله ربهم!!. . فإذا تمخضت القضية هكذا وبرزت. . فلا محل إذن للمودّة بينهم وبين المشركين: **﴿إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي. .﴾**

فما يجتمع في قلب واحد أن يهاجر جهاداً في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله مع مودة لمن أخرجه من أجل إيمانه بالله وهو عدو الله وعدوّ المؤمنين بالله!.. ﴿**تسرون إليهم بالمودة، وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم!.. ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل..**﴾ فهل يُخيف المؤمنَ شيءٌ، ما يخيفه: أن يضل سواء السبيل بعد الهداية والوصول؟!.. البقية الباقية من موقف المشركين من المؤمنين: ﴿**إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء.. ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء..**﴾ ثم الأدهى من هذا كله: ﴿**وودوا لو تكفرون**﴾!!.. فهذا عند المؤمن أشد من كل أذى ومن كل سوء يصيبه باليد أو اللسان. لهذا يتدرج النص في تهييج قلوب المؤمنين ضد أعداء الله وأعدائهم.. حتى يصل إلى قمته بقوله لهم في النهاية: وودوا لو تكفرون!!.. فهذه هي الجولة الأولى بتوجيهاتها المتعددة.. ثم تليها جولة ثانية: ﴿**لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم.. يوم القيامة يفصل بينكم..**﴾ فالمؤمن يعمل ويرجو الآخرة. يزرع هنا وينتظر الحصاد هناك.. فلمسة قلبه بما يكون في الآخرة من تقطيع وشائج القربى كلها إذ انقطعت ووشيجة العقيدة من شأنها أن تُهوّن عنده شأن هذه الوشائج في فترة الحياة الدنيا القصيرة، وتوجهه إلى طلب الوشيجة الدائمة التي لا تنقطع في دنيا ولا في آخرة. وهي العروة التي لا رباط بغيرها عند الله. ﴿**والله بما تعملون بصير..**﴾ ثم تأتي الجولة الثالثة فتصل المؤمنين بأول هذه الأمة المسلمة الواحدة من لدن نوح.. إلى إبراهيم.. وإلى من أتى من بعده من المرسلين.. فهذه القافلة ممتدة في الزمان، متميزة بالإيمان، متبرئة من كل وشيجة تنافى وشيجة العقيدة. وفيهم إسوة لا في العقيدة وحدها.. بل كذلك في السيرة، وفي التجارب التي عانوها مع عاطفة القرابة.. فَنُوح مع ابنه.. وإبراهيم مع أبيه.. ولوط مع زوجه.. وموسى مع قومه.. وعيسى مع بني إسرائيل!!: ﴿**قد كانت لكم إسوة حسنة في إبراهيم والذين معه، إذ قالوا لقومهم: إنا برآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله..**﴾ فينظر المسلم إلى الوراء.. فإذا له نسب عريق وماض طويل.. وأسوة ممتدة على آماد الزمان.. فيشعر أن له رصيداً من التجارب أكبر من رصيده الشخصي، وأكبر من رصيد جيله الذي يعيش فيه.

إن هذه القافلة الممتدة في شعاب الزمان من المؤمنين بدين الله الواقفين تحت راية الله قد مرت بمثل ما يمر به، وقد انتهت في تجربتها إلى قرار اتخذته.. فليس الأمر جديداً ولا مبتدعاً، ولا تكليفاً يشق على المؤمنين.. ثم إن له لأمة

طويلة عريضة يلتقي معها في العقيدة ويرجع إليها؛ إذا انبتّت الروابط بينه وبين أعداء عقيدته.. فهو فرع من شجرة ضخمة باسقة عميقة الجذور كثيرة الفروع وارفة الظلال.. فقد وقفوا وقفة واحدة وقالوا قولة واحدة: ﴿**كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً.. حتى تؤمنوا بالله وحده..**﴾ فهذه هي المفاصلة الحاسمة الجازمة التي لا تستبقى شيئاً من الوشائج والأواصر بعد انقطاع وشيجة العقيدة وآصرة الإيمان. ﴿**إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك، وما أملك لك من الله من شيء**﴾: قال إبراهيم هذا القول قبل أن يستيقن إبراهيم من إصرار أبيه على الشرك. قاله وهو يرجو إيمانه ويتوقعه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه.. فهذا القول لا يُقتدى فيه إبرهيم؛ لأنه واقعة خاصة بإبراهيم.. فقد وضح إبراهيم موقفه من أبيه. وأنه لا يملك له من الله شيئاً: وما أملك لك من الله من شيء.. ثم يستطرد السياق بيان موقف إبراهيم والأنبياء من ربهم: ﴿**ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير..**﴾ فهو موقف معلوم من الرسل في كثير من مواقفهم مع قومهم في عدّة مواضع في القرآن الكريم..

ثم يزيد السياق توضيحاً في موقف الرسل من تضرع وخشية وإشفاق: ﴿**ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا..**﴾ فلا تسلطهم علينا.. فيكون في ذلك فتنة لهم؛ إذ يقولون: لو كان الإيمان يحمي أهله ما سُلّطنا عليهم وقهرناهم!.. فهي الشبهة التي كثيراً ما تحيك في الصدور حين يتمكن الباطل من الحق، ويتسلط الطغاة على أهل الإيمان، في فترة من الفترات.. ومِن تضرُّع وطلب للمغفرة: ﴿**واغفر لنا ربنا؛ إنك أنت العزيز الحكيم..**﴾ فالأسوة في إبراهيم والذين معه متحققة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر: ﴿**لقد كان لكم فيهم إسوة حسنة: لمن كان يرجو الله واليوم الآخر..**﴾ فهؤلاء هم الذين يدركون قيمة التجربة التي عاناها هذا الرهط الكريم ويجدون فيها إسوة تُتّبع وسابقة تهدى.. فمن كان يرجو الله واليوم الآخر فليتخذ من هؤلاء الكرام أسوة حسنة.. فأما من يريد أن يتولى عن هذا المنهج.. من يريد أن يحيد عن طريق القافلة.. من يريد أن ينسلخ من هذا النسب العريق.. فما بالله من حاجة إليه ـ سبحانه ـ فإن الله هو الغنيّ الحميد. ﴿**ومن يقول فإن الله هو الغني الحميد**﴾ وتنتهي الجولة وقد عاد المؤمنون أدراجهم إلى أوائل تاريخهم المديد، ورجعوا بذكرياتهم إلى نشأتهم في الأرض، وعرفوا تجاربهم المذخورة لهم في الأجيال المتطاولة، ورأوا القرار الذي انتهى إليه من مروا بهذه التجربة..

فوجدوها طريقاً معبدة من قبل؛ ليسوا هم أول السالكين فيها. والقرآن الكريم يؤكد هذا التصور ويكرره ليتصل ركب المؤمنين.. فلا يشعرُ بالغربة أو الوحشة سالك ـ ولو كان وحده في جيل! ـ ولا يجد مشقة في تكليف نهض به السالكون معه في الطريق!!..

التوجيه الثاني: ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة..﴾: في هذا التوجيه فتح الأمل والرجاء والتوقع في حصول شيء تزول به حالة البغضاء والعداوة.. فينضم هؤلاء الأعداء إلى راية الإسلام وإلى صفوف المسلمين. وهذا الرجاء من الله معناه القطع بتحقُّقه. والمؤمنون الذين سمِعُوه لا بد قد أيقنوا به. ولقد وقع بعد هذا بوقت قصير أن فتحت مكة.. وأن أسلمت قريش.. وأن وقف الجميع تحت لواء واحد.. وأن طويت الثارات والمواجد.. وأن عاد الجميع إخوة مؤتلفي القلوب.. **﴿والله قدير، والله غفور رحيم.. لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلونكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم.. إن الله يحب المقسطين﴾**: تلك هي القاعدة في معاملة غير المسلمين. وهي من أعدل القواعد التي تتفق مع طبيعة هذا الدين ووجهته ونظرته إلى الحياة الإنسانية.

وهي أساس شريعته الدولية التي تجعل حالة السلم بينه وبين الناس جميعاً هي الحالة الثابتة، لا يغيرها إلا وقوع الاعتداء الحربي وضرورة الردّ.. **﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم.. ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون..﴾** فهذه هي القاعدة التي تتفق مع التصور الإسلامي الذي يجعل القضية بين المؤمنين ومخالفيهم هي قضية هذه العقيدة دون غيرها؛ ويجعل القيمة التي يضن بها المؤمن وبحرص عليها ويقاتل دونها هي قضية العقيدة وحدها.. فليس بينهم وبين الناس ما يتخاصمون عليه ويتقاتلون إلا حرية الدعوة وحرية الاعتقاد وتحقيق منهج الله في الأرض وإعلاء كلمة الله. وهذا التوجيه يتفق مع اتجاه السورة كلها إلى إبراز قيمة العقيدة وجعلها هي الراية الوحيدة التي يقف تحتها المسلمون.. فمن وقف معهم تحتها فهو منهم، ومن قاتلهم فيها فهو عدوهم، ومن سالمهم فتركهم لعقيدتهم ودعوتهم ولم يصد الناس عنها، ولم يحل بينهم وبين سماعها ولم يفتن المؤمنين بها فهو مسالم

لا يمنع الإسلام من البَرِّ بِهِ والقسط معه. إن المسلم يعيش في هذه الأرض لعقيدته، ويجعلها قضيته مع نفسه ومع الناس من حوله.. فلا خصومة على مصلحة، ولا جهاد في عصبية: من جنس أو أرض أو عشيرة أو نسب.. إنما الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا، ولتكون عقيدته هي المنهج المطبق في الحياة. **﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم. وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم.. يا أيها النبئ حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾** فهذا هو المنهج الذي سار عليه الإسلام من أول الدعوة بقيادة الرسول حتى عهد الخلفاء الراشدين وإلى عهد من بعدهم من الأئمة المهتدين. إن الإسلام دين سلام، وعقيدة حب، ونظام يستهدف أن يظلل العالم كله بِظلّه، وأن يقيم فيه منهجه، وأن يجمع الناس تحت لواء الله إخوة متعارفين ومتحابين. وليس هنالك من عائق يحول دون اتجاهه هذا إلا عدوان أعدائه عليه وعلى أهله.. فأما إذا سالموهم فليس الإسلام براغب في الخصومة ولا متطوع بها كذلك.. فهو حتى في حالة الخصومة يستبقي أسباب الود في النفوس بنظافة السلوك وعدالة المعاملة.. انتظاراً لليوم الذي يقتنع فيه خصومه بأن الخير في أن ينضووا تحت لوائه الرفيع.

ولا ييأس المسلمون من هذا اليوم الذي تستقيم فيه النفوس فتتجه هذا الاتجاه المستقيم. وقد أثبتت التجارب أن أكثر الناس لا يرعون عهودهم إلا ريثما تسنح لهم الفرصة لنقضها وهم الرابحون!.. فانطبقت القاعدة الأخرى: **﴿وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء؛ إن الله لا يحب الخائنين﴾** فكان هذا ضرورة لتأمين القاعدة الإسلامية.. فقد عاهد الرسول ﷺ اليهود على السلم والمسالمة. وعاهد قريشاً عام صلح الحديبية.. فلم يوفوا بعهودهم ولم يراعوا حق المصالحة والمسالمة.. فلم يروا حرمة لهذا كله من أعدائهم المتربصين بالمسلمين من المشركين وأهل الكتاب الذين تكررت غدراتهم ونقضهم للعهود!.. فقد كان اليهود في المدينة ومن حولها يؤلبون العرب على المسلمين.. فلما فشلوا فيه اتجهوا إلى دولة الروم بصفتها حامية النصرانية، ودولة الفرس بصفتها حامية الوثنية.. فلم يحصل السلام المطلوب في القاعدة الأولى: **﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾** فلم يبق بد من تطهير المعسكر الإسلامي من بقية أعدائه قبل الالتحام

في المعارك الخارجية المتوقعة يومذاك!. فقد وقع ما تُوقِّع وقد بقي المسلمون يجاهدون إلى اليوم وإلى بعد اليوم؛ والقاعدتان مرعيتان معمولاً بهما.. فنسالم من يسالمنا، ونعادى من يعادينا! ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين!..

التوجيه الثالث: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن..﴾: في هذا التوجيه نداء من الله للمؤمنين يأمرهم فيه بامتحان المؤمنات المهاجرات من مكة إلى المدينة؛ لتحري سبب الهجرة.. فلا يكون تخلصاً من زواج مكروه، ولا طلباً لمنفعة.. ولا جرياً وراء حب فرديّ في دار الإسلام.. ولا تجسساً لمصلحة الفريق المعادي.. فهذا هو الامتحان، وهو يعتمد على ظاهر حالهن وإقرارهن لكلمتي الشهادة.. فأما خفايا الصدور فأمرها إلى الله لا سبيل للبشر إليها: ﴿**الله أعلم بإيمانهن..**﴾ فإذا أقررن هكذا.. ﴿**فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار.. لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن..**﴾ فقد انقطعت الوشيجة الأولى ـ وشيجة العقيدة ـ فلم تكن هناك وشيجة أخرى يمكن أن تصل هذه القطيعة؛ والزوجية حالة امتزاج واندماج واستقرار. لا يمكن أن تقوم إذا انقطعت هذه الوشيجة الأولى.

والإيمان هو قوام حياة القلب الذي لا تقوم مقامه عاطفة أخرى.. فإذا خوى منه قلب لم يستطع قلب مؤمن أن يتجاوب معه، ولا أن يأنس به، ولا أن يوادّه، ولا أن يسكن إليه ويطمئن في جواره. والزواج مودة ورحمة وأنس وسكن. وكان الأمر في أول الهجرة متروكاً بغير نص.. فلم يكن يفرق بين الزوجة المؤمنة والزوج الكافر، ولا بين الزوج المؤمن والزوجة الكافرة؛ لأن المجتمع الإسلامي لم يكن قد استقرت قواعده بعد.. فأما بعد صلح الحديبية فقد آن أن تقع المفاصلة الكاملة، وأن يستقر في ضمير المؤمنين والمؤمنات، كما يستقر في واقعهم أن لا رابطة إلا رابطة الإسلام، وأن لا وشيجة إلا وشيجة العقيدة، وأن لا ارتباط إلا بين الذين يرتبطون بالله. ومع إجراء التفريق إجراء التعويض ـ على مقتضى العدل والمساواة: ﴿**وآتوهم ما أنفقوا..**﴾ فيرد على الزوج الكافر قيمة ما أنفق من المهر على زوجته المؤمنة التي فارقته تعويضاً للضرر. وبعد ذلك يحل للمؤمنين نكاح المؤمنات المهاجرات متى آتوهن مهورهن: ﴿**ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن، ولا تمسكوا بِعِصَمِ الكوافر..**﴾ فقد انحل ما

سبق من عقد بين الزوجة وزوجها.. ﴿**واسألوا ما أنفقتم**..﴾ فلكم الحق في أخذ ما أنفقتم من مهر بعد حل العقد الأول.. ﴿**وليسألوا ما أنفقوا**..﴾ فلهم الحق في أخذ ما أنفقوا من مهور أزواجهم المهاجرات.. ثم يربط السياق هذه الأحكام كلها بالضمانة الكبرى في ضمير المؤمن ضمانة الرقابة الإلهية وخشية الله وتقواه: ﴿**ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم**..﴾ فهي الضمانة الوحيدة التي يُؤمَن عليها من النقض والالتواء والاحتيال، فإذا فات المؤمنين شيء مما أنفقوا بامتناع الكوافر أو أهليهن من رد حق الزوج المؤمن ـ كما حدث في بعض الحالات ـ عوضوا مما يكون للكافرين الذين هاجرت زوجاتهم من حقوق عليهن في دار الإسلام، أو مما يقع من مال الكفار غنيمة في أيدي المسلمين: ﴿**وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا**..﴾

فيربط هذا الحكم وتطبيقاته كذلك بالضمان الذي يتعلق به كل حكم وكل تطبيق: ﴿**واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون**..﴾ فهي لمسة للمؤمنين عميقة الأثر في القلوب. وهكذا تكون تلك الأحكام بالمفاصلة بين الأزواج تطبيقاً واقعياً للتصور الإسلامي عن قيم الحياة وارتباطاتها؛ وعن وحدة الصف الإسلامي وتميزه من سائر الصفوف؛ وعن إقامة الحياة كلها على أساس العقيدة وربطها كلها بمحور الإيمان؛ وإنشاء عالم إنساني تذوب فيه فوارق الجنس واللون واللغة والنسب والأرض. وتبقى شارة واحدة تميز الناس: شارة الحزب الذي ينتمون إليه. وهما حزبان اثنان: حزب الله تعالى وحزب الشيطان.. ثم يأتي النداء الثاني يبين فيه للرسول ﷺ، كيف يبايع النساء المؤمنات على الإيمان ممن يردن الدخول في الإسلام، وعلى أي الأسس يبايعن: ﴿**يا أيها النبئ إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يَزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم**..﴾ فهذه الأسس هي المقومات الكبرى للعقيدة؛ كما أنها مقومات الحياة الاجتماعية الجديدة: إنها عدم الشرك بالله إطلاقاً.. وعدم انتهاك الحدود: السرقة والزنا.. وعدم قتل الأولاد من وأد أو إجهاض.. وأن لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم.. فيشمل عموم اللفظ هذه الحالة وغيرها من كل بهتان مزوَّر يُدّعى.. فهذه هي الأصول التي يجب أن يحافظ عليها المسلم والمسلمة:

حفظ الدين. وحفظ النفس. وحفظ المال. وحفظ النسب. هذه أربع هنا.. والخامس حفظ العقل الذي من أجله حرم الخمر وكل مسكر ومخدر يزيل العقل. والشرط الأخير في هذه المبايعة: الوعد بطاعة الرسول ﷺ في كل ما يأمرهن به. وهو لا يأمر إلا بمعروف ولكن هذا الشرط هو أحد قواعد الدستور في الإسلام. وهو يقرر أن لا طاعة على الرعية لإمام أو حاكم إلا في المعروف الذي يتفق مع دين الله وشريعته.. وأنها ليست طاعة مطلقة لولي الأمر في كل أمر!.. وهي القاعدة التي تجعل قوة التشريع والأمر مستَمَدّة من شريعة الله، لا من إرادة إمام، ولا من إرادة أمة إذا خالفت شريعة الله.. فالإمام والأمة كلاهما محكوم بشريعة الله. ومنها يستمدّان السلطات!.. ثم يأتي النداء الثالث بالنهي عن تولي الكافرين عموماً: من مشركين وأهل كتاب وغيرهم ممن غضب الله عليهم بكفرهم وضلالهم: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم، قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور.**.﴾ فالقوم الذين غضب الله عليهم قد حرمهم الله من ثواب الآخرة تطبيقاً لقاعدة: ﴿**إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ـ ولو افتدى به ـ أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين**﴾ ﴿**إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار، أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون**﴾!!

4 ـ لم تقولون ما لا تفعلون؟ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون!



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (3) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ (4) وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (5) وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (6) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (7) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (8) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (9)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝10 تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝11 يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝12 وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝13 يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ۝14﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم﴾: هذه هي السورة الثالثة التي ابتدئت بهذا العنوان. وتقدم مَعْنَاه في سورة الحديد. **﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾**؟ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون!. . فالمؤمن الحق لا يخالف قولُه فعله، وكلمة لم: ما الاستفهامية دخل عليها حرف الجر فحذف منها الألف تخفيفاً لكثرة الاستعمال. مثل: عمَّ. وفيمَ. . والمراد به التعجب من قول لا يوافقه فعل. ولهذا جاء بعده: كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون. . فكلمة كبر: بيان لقبح القول دون الفعل. والمَقْتُ: أشد البغض. **﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾**: بيان لما هو مرضيّ عند الله بعد بيان ما هو ممقوت ومبغوض عنده تعالى. والصف:

السطر المستوي من كل شيء معروف، وجمعه صفوف. وصففت القوم فاصطفوا إذا أقمتهم في الحرب صفاً.

وهذا هو المقصود هنا. والبنيان المرصوص: البناء المتماسك الثابت الذي ليس فيه فرجة ولا خلل. ﴿**وإذ قال موسى لقومه يا قوم: لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم**﴾: بيان لحال موسى مع قومه يتعجب من إيذائهم له مع أنه رسول الله إليهم.. ﴿**فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم**﴾: فلما أصروا على الزيغ عن الحق صرف الله قلوبهم عن قبوله. وأصل الزيغ الميل والانحراف والبعد. وزاغ: مال. وزاغه صرفه. ﴿**والله لا يهدي القوم الفاسقين.. وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة، ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد**﴾: هذا ما قاله عيسى ـ عليه السلام ـ لبني إسرائيل: إنه رسول الله إليهم حالة كونه مصدقاً لما قبله من التوراة ومبشراً برسول يأتي بعده، اسمه أحمد.. ﴿**فلما جاءهم بالبينات قالوا: هذا سحر مبين**﴾: فلما جاءهم الرسول المسمى أحمد بالقرآن قال الكفار جميعاً مشركون وأهل كتاب هذا سحر مبين!!.. ﴿**ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام**﴾؟!: أيُّ الناس أشد ظلماً ممن هذا موقفه مع دعوة الحق ووضوح الحجة؟!.. ﴿**والله لا يهدي القوم الظالمين.. يريدون لِيطفئوا نور الله بأفواههم**﴾: يريد الكفار أن يبطلوا دين الله بدعوى أنه سحر جاء به ساحر. وهو قولهم: هذا سحر مبين. والإطفاء بالأفواه النفخ في الشيء المنير حتى يُطفأ نورُه. ﴿**والله مُتِمٌّ نوره**﴾: فلا يطفئه نافخ.. ﴿**ولو كره الكافرون!.. هو الذي أرسل رسوله**﴾ ـ محمداً ـ ﴿**بالهدى**﴾ ـ الهادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ـ ﴿**ودين الحق**﴾: تفسير للهدى، ﴿**ليظهره على الدين كله**﴾: تعليل لما قبله.. فهو أظهر حجة على كل ما سبقه من أديان الرسل حين تبدلت وتغيرت وبقي الإسلام دليلاً عليها. وهو من أدل إظهاره عليها.. فلولا القرآن لم يعرف أي دين من الأديان!.. ﴿**ولو كره المشركون!.. يا أيها الذين آمنوا، هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم؟: تؤمنون بالله ورسوله.. وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم: ذلكم خير لكم، إن كنتم تعلمون.. يغفر لكم ذنوبكم**﴾: إن تؤمنوا وتجاهدوا يغفرْ لكم.. ﴿**ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار.. ومساكن طيبة**﴾: راحة واستقرار ودوام: ﴿**في جنات عدن: ذلك الفوز العظيم**﴾!!.. ﴿**وأخرى**﴾ ـ عاجلة ـ

﴿تحبونها: نصر من الله وفتح قريب.. وبشر المؤمنين.. يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصاراً لله﴾: ناصرين دينه.. **﴿كما قال عيسى ابن مريم للحواريين: مَنْ أنصاري إلى الله﴾**؟.. حواريو عيسى: أصحابه الملازمون له.. **﴿فآمنت طائفة من بني إسرائيل﴾**: آمنت بعيسى.. **﴿وكفرت طائفة﴾**.. فحصل بينهم قتال.. **﴿فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم﴾**: الطائفة الكافرة.. **﴿فأصبحوا ظاهرين﴾**: انتصرت الطائفة المؤمنة على الطائفة الكافرة.. فانتصروا بالسيف أولاً.. ثم بالحجة أخيراً.. حتى جاء محمد بالإسلام الذي بشر به عيسى عليه السلام!.

مبحث الإعراب

﴿سبح لله ما في السماوات وما في الأرض.. وهو العزيز الحكيم﴾: علم إعرابه مما تقدم في سورة الحديد. **﴿يا أيها الذين آمنوا﴾**: علم إعرابه مما تقدم في سورة المجادلة. **﴿لم تقولون ما﴾** فعل وفاعل ومفعول دخل عليه الاستفهام ولام الجر. **﴿لا تفعلون﴾** فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة صلة ما. **﴿كبر﴾** فعل ماض. **﴿مقتاً﴾** تمييز.. **﴿عند﴾** متعلق بكبر. **﴿الله﴾** مضاف إلى عند. **﴿أن تقولوا ما لا تفعلون﴾**: أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع فاعل كبُر. **﴿إن الله﴾** إنّ واسمها. **﴿يحبّ﴾** فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر إنّ. **﴿الذين﴾** في محل نصب مفعول به. **﴿يقاتلون﴾** فعل وفاعل. والجملة صلة الموصول. **﴿في سبيله﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿صفاً﴾** حال من فاعل يقاتلون. **﴿كأنهم﴾** كأنّ واسمها. **﴿بنيان﴾** خبر كأنّ. **﴿مرصوص﴾** نعت لبنيان. والجملة حال ثانية. **﴿وإذ﴾** ظرف متعلق بفعل أمر مقدر.. **﴿قال موسى﴾** فعل وفاعل. **﴿لقومه﴾** متعلق بقال. **﴿يا قوم﴾** منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف. **﴿لم﴾** اسم استفهام دخل عليه حرف الجر. وحذف الألف تخفيفاً. **﴿تؤذونني﴾** فعل وفاعل ومفعول. **﴿وقد تعلمون﴾** فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق وواو الحال. **﴿أنّي﴾** أن واسمها. **﴿رسول﴾** خبر أنّ. **﴿الله﴾** مضاف إلى رسول. **﴿إليكم﴾** متعلق برسول. وجملة وقد تعلمون حال من فاعل تؤذونني. وجملة أنّي رسول الله إليكم مفعول بتعلمون. **﴿فلما﴾** ظرف متضمن معنى الشرط. والفاء للتعقيب.

﴿زاغوا﴾ فعل وفاعل. فعل شرط لمّا. **﴿أزاغ الله قلوبهم﴾** فعل وفاعل

ومفعول. والجملة جواب شرط لمّا. ﴿**والله**﴾ مبتدَأ. ﴿**لا يهدي**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر المبتدإِ. ﴿**القوم**﴾ مفعول به. ﴿**الفاسقين**﴾ نعت للقوم. والجملة تذييل. ﴿**وإذْ قال عيسى**﴾ معطوف على «وإذ قال موسى» ﴿**ابن**﴾ نعت لعيسى. ﴿**مريم**﴾ مضاف إلى ابن.. ﴿**يا بني**﴾ منادى منصوب بالياء. ﴿**إسرائيل**﴾ مضاف إلى بني مجرور بالفتحة.. ﴿**إني**﴾ إنّ واسمها. ﴿**رسول**﴾ خبرها. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى رسول. ﴿**إليكم**﴾ متعلق برسول. ﴿**مصدقاً**﴾ حال من رسول. ﴿**لما**﴾ متعلق بالحال. ﴿**بين**﴾ ظرف متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**يَدَيَّ**﴾ مضاف إلى بين. ﴿**من التوراة**﴾ بيان لما. ﴿**ومبشراً**﴾ معطوف على «مصدقاً» حال مثله. ﴿**برسول**﴾ متعلق بـ «مبشراً». ﴿**يأتي**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على رسول. ﴿**من بعدي**﴾ متعلق بيأتي. ﴿**اسمه**﴾ مبتدَأ. ﴿**أحمد**﴾ خبره. والجملة نعت ثانٍ لرسول. ﴿**فلما**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط مثل ما سبق. ﴿**جاءهم**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على رسول. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**بالبينات**﴾ متعلق بجاءهم. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة جواب شرط لمّا. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**سحر**﴾ خبره. ﴿**مبين**﴾ نعت لسحر. وجملة هذا سحر مبين مقول القول. ﴿**ومن**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**أظلم**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**ممن**﴾ متعلق بأظلم. ﴿**افترى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. والجملة صلة مَنْ. ﴿**على الله**﴾ متعلق بافترى. ﴿**الكذب**﴾ مفعول به. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**يدعى**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على مَن افترى.. والجملة خبر المبتدإِ. وجملة وهو يدعى إلى الإسلام حال من فاعل افترى.. ﴿**إلى الإسلام**﴾ متعلق بيدعى. ﴿**والله لا يهدي القوم الظالمين**﴾ إعراب هذا الكلام مثل إعراب والله لا يهدي القوم الفاسقين. ﴿**يريدون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**ليطفئوا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه لام التعليل. والفعل منصوب بأن مضمرة.. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول بيريدون. ﴿**نور**﴾ مفعول به. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى نور. ﴿**بأفواههم**﴾ متعلق بيطفئوا. ﴿**والله**﴾ مبتدَأ. ﴿**متم**﴾ خبره. ﴿**نوره**﴾ مفعول باسم الفاعل. ﴿**ولو كره الكافرون**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه لو الوصلية وواو الحال. وجملة ولو كره الكافرون حال من الضمير المستكن في متم يعود على الله. ﴿**هو الذي**﴾ مبتدَأ وخبر.

﴿**أرسل**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**رسوله**﴾ مفعول به. وجملة أرسل صلة الموصول. ﴿**بالهدى**﴾ متعلق بأرسل. ﴿**ودين**﴾ معطوف على الهدى. ﴿**الحق**﴾ مضاف إلى دين. ﴿**ليظهره**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والضمير المتصل به مفعول والفاعل ضمير يعود على الله. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بأرسل رسوله.. ﴿**على الدين**﴾ متعلق بيظهره. ﴿**كله**﴾ توكيد للدين. ﴿**ولو كره المشركون**﴾ مثل ولو كره الكافرون، ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ إعراب هذا معلوم مما سبق.. ﴿**هل أدلكم**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف الاستفهام. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير المتكلم. ﴿**على تجارة**﴾ متعلق بأدلكم. ﴿**تنجيكم**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على تجارة. وجملة تنجيكم نعت لتجارة. ﴿**من عذاب**﴾ متعلق بتنجيكم. ﴿**أليم**﴾ نعت لعذاب. ﴿**تؤمنون**﴾ فعل وفاعل. والجملة بيان لما قبلها.. ﴿**بالله**﴾ متعلق بتؤمنون. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف على الله. ﴿**وتجاهدون**﴾ معطوف على تؤمنون. ﴿**في سبيل**﴾ متعلق بتجاهدون. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سبيل. ﴿**بأموالكم**﴾ متعلق بتجاهدون. ﴿**وأنفسكم**﴾ معطوف على أموالكم. ﴿**ذلكم**﴾ في محل رفع مبتدَأ. ﴿**خير**﴾ خبره. ﴿**لكم**﴾ متعلق بخير. ﴿**إن كنتم**﴾ كان واسمها دخل عليها حرف الشرط. ﴿**تعلمون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجواب شرط إنْ مقدر. ﴿**يغفر**﴾ فعل مضارع مجزوم جواباً لفعل أمر مقدر. والتقدير: إنْ تؤمنوا وتجاهدوا يغفرْ.. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**لكم**﴾ متعلق بيغفر. ﴿**ذنوبكم**﴾ مفعول به. ﴿**ويدخلكم**﴾ معطوف على يغفر. والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿**جنات**﴾ مفعول ثانٍ منصوب بالكسرة. ﴿**تجري**﴾ فعل مضارع. ﴿**من تحتها**﴾ متعلق بتجري. ﴿**الأنهار**﴾ فاعل. وجملة تجري نعت لجنات. ﴿**ومساكن**﴾ عطف على جنات. ﴿**طيبة**﴾ نعت لمساكن. ﴿**في جنات**﴾ متعلق بمحذوف نعت لطيبة. ﴿**عدن**﴾ مضاف إلى جنات. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ.

﴿**الفوز**﴾ خبره. ﴿**العظيم**﴾ نعت للفوز. ﴿**وأخرى**﴾ معطوف على ذلك. ﴿**تحبونها**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة نعت لأخرى. ﴿**نصر**﴾ خبر أخرى. ﴿**من الله**﴾ متعلق بمحذوف نعت لنصر. ﴿**وفتح**﴾ معطوف على نصر. ﴿**قريب**﴾ نعت لفتح. ﴿**وبشر**﴾ أمر موجه إلى المخاطب. ﴿**المؤمنين**﴾ مفعول به. ﴿**يا أيها**

الذين آمنوا. . كونوا﴾ فعل أمر من كان. وواو الجماعة اسمها. **﴿أنصاراً﴾** خبر الأمر. **﴿لله﴾** متعلق بالخبر. **﴿كما قال عيسى﴾** فعل وفاعل دخلت عليه ما المصدرية وكاف التشبيه. **﴿ابن مريم﴾** تقدم نظيره. **﴿للحواريين﴾** متعلق بقال. **﴿من﴾** اسم استفهام مبتدأ. . **﴿أنصاري﴾** خبر المبتدإ. مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم. وفتحت ياء المتكلم للتخفيف. **﴿إلى الله﴾** متعلق بمحذوف حال من أنصاري. أي: متوجهاً إلى الله. **﴿قال الحواريون﴾** فعل وفاعل. والجملة جواب الاستفهام لا محل لها من الإعراب. **﴿نحن﴾** في محل رفع مبتدَأ. **﴿أنصار﴾** خبر المبتدإ. **﴿الله﴾** مضاف إلى أنصار، وجملة نحن أنصار الله مقول القول. **﴿فآمنت طائفة﴾** فعل وفاعل. والفاء للتعقيب. **﴿من بني﴾** بيانية. **﴿إسرائيل﴾** مضاف إلى بني. **﴿وكفرت طائفة﴾** معطوف على آمنت طائفة. **﴿فأيدنا﴾** فعل وفاعل تعقيب على ما قبله. **﴿الذين﴾** في محل نصب مفعول بأيدنا. **﴿آمنوا﴾** صلة الذين. **﴿على عدوهم﴾** متعلق بأيدنا. **﴿فأصبحوا﴾** أصبح واسمها. **﴿ظاهرين﴾** خبرها. والجملة تعقيب على ما سبقها.

مبحث الأسلوب البلاغي

مناسبة هذه السورة لما قبلها يؤكدها العنوان: لِمَ تقولون ما لا تفعلون. . الخ. فقد نهى الله المؤمنين في السورة السابقة عن تولية المشركين. . حتى لا يكون لمن يحمل ولاء للمشركين عذر. وقد سبق في سورة الحشر التي ابتدئت بمثل ما ابتدئت به هذه السورة؛ وقد بينت موقف المنافقين من اليهود؛ وأن قولهم لَهُمْ خالف فعلهم. . فجاء العنوان في هذه السورة يحمل التعجب لمن يكون مثل المنافق أو ضعيف الإيمان نحو أعداء الله المغضوب عليهم من أهل الكتاب والمشركين: **﴿سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم. يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون. كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾**!!. . ففي الآية الأولى من مطلع السورة إشارة إلى أن الأمانة التي يقوم عليها المؤمنون حقاً هي أمانة الوجود كله. . وأن العقيدة التي يطلب إليهم الجهاد فيها هي عقيدة كل ما في السماوات وما في الأرض. . وأن ظهور هذا الدين على الدين كله هي ظاهرة كونية تتسق مع اتجاه الكون كله إلى الله العزيز الحكيم. .

فمن براعة هذا المطلع نستنتج خلاصة كل ما تحتويه السورة من أغراض!.

وفي الآية الثانية إشارة إلى ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن الحق من التزامه بتكاليف هذه الأمانة بصدق النية في الجهاد لإظهار دينه على الدين كله.. والآية الثالثة تشير إلى الموضوع المباشر الذي قد يقال فيه ما لم يُفعل من وهن العزيمة وضعف الإرادة: **﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾**!. إن الآيتين: يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون. كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون. تتضمنان العقاب من الله تعالى والاستنكار لأن يقول الذين آمنوا ما لا يفعلون!.. وهما بهذا ترسمان الجانب الأصيل في شخصية المسلم.. الصدق والاستقامة.. وأن يكون باطنه كظاهره.. وأن يطابق قولُه فعلَه.. وفي حدود أبعد مدى من موضوع القتال الذي تشير إليه الآية الثالثة: إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص!. هذا هوّ التعبير المصور لطبيعة الجماعة. ولطبيعة ارتباطات الأفراد في الجماعة: ارتباط الشعور.. وارتباط الحركة داخل النظام المرسوم المتجه إلى هدف مرسوم. بعدئذٍ يذكر السياق قصةَ هذا المنهج الإلهي ومراحلها في رسالة موسى وعيسى قبل الإسلام: **﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم: لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم﴾**؟!.. فكانت النهاية أنهم زاغوا بعد ما بذلت لهم كل أسباب الاستقامة.. فزادهم الله زيغاً؛ وضلوا.. فكتب الله عليهم الضلال أبداً: **﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم؛ والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾**.. فبهذا انتهت قوامة اليهود على دين الله.. فلم يعودوا يصلحون لهذا الأمر، وهم على هذا الزيغ والضلال!. وجملة «والله لا يهدي القوم الفاسقين» اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله من الإزاغة، ومؤذن بعلته.. **﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾**: هذا الكلام وصل بما قبله بالعطف.. **﴿فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾**: هذا الكلام مرتب على ما قبله من كلام عيسى في قوله: ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد.

﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام﴾: تنديد بموقف اليهود والنصارى من النبي «أحمد» الذي بشرت به الإنجيل والتوراة، وبشر به عيسى في هذا النص القاطع.. فهؤلاء أظلم الظالمين.. **﴿والله لا يهدي القوم الظالمين: يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم﴾**!!.. فهذا التمثيل لموقفهم في إبطال

دين الله بموقف من ينفخ في نور الشمس ليطفئه بفيه! ﴿**والله مُتِمٌّ نوره، ولو كره الكافرون**. .﴾ فنور الله لا يمكن أن تطفئه الأفواه!. . فقد جرى قدر الله أن يظهر هذا الدين. . فكان من الحتم أن يكون: ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون**﴾!. . فهذه هي كلمة الفصل التي ليس بعدها زيادة. . وفي ظلال قصة العقيدة، وفي مواجهة وعد الله بالتمكين لهذا الدين الأخير، يهتف القرآن الكريم بالذين آمنوا؛ من كان يواجه ذلك الخطاب ومن يأتي بعدهم من المؤمنين إلى يوم الدين. . يهتف بهم إلى أربح تجارة في الدنيا والآخرة: تجارة الإيمان بالله والجهاد في سبيل الله: ﴿**يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم؟: تؤمنون بالله ورسوله، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم**. .﴾ فصيغة التعبير بما فيها من فصل ووصل. واستفهام وجواب. وتقديم وتأخير. صيغة ظاهر فيها القصد إلى إقرار هذا الهتاف في القلوب بكل وسائل التأثير التعبيرية!. . ثم يعقب السياق على عرض هذه التجارة التي دلهم عليها بالتحسين والتزيين: ﴿**ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾!. . ثم يفصل هذا الخبر في آية تالية مستقلة؛ لأن التفصيل بعد الإجمال يشوق القلب إليه، ويُقرّه في الحسّ، ويُمكّن له: ﴿**يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار، ومساكن طيبة في جنات عدن. . ذلك الفوز العظيم**﴾!!. . فهنا تبلغ الصفقة ذروة الربح الذي لا يعطيه إلا الله تعالى. . فهي المغفرة والجنات والمساكن الطيبة والنعيم المقيم في الآخرة. وهنا يَعنُّ للنفس خاطر أمام هذا الترغيب والتَحبيب. إنها تتعلق بشيء قريب في هذه الأرض يناسب تركيبها البشري المحدود، وهو يستجيب لها فيبشرها بما قدره في علمه المكنون من إظهار هذا الدين في الأرض، وتحقيق منهجه وهيمنته على الحياة في ذلك الجيل: ﴿**وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب**. .﴾ فقد اشتمل النداء على هذه التجارة الرابحة بربحين عظيمين: ربح النصر والفتح. . وربح الجنة والنعيم المقيم!. ﴿**وبشر المؤمنين**﴾: وصلت هذه الجملة بالعطف على ما قبلها دلالة على استمرار فوز المؤمن بهذا النعيم في كل وقت ولِكل جيل. . فليس مقصوراً على ذلك الجيل. .

ثم يأتي نداء آخر جديد. . يحمل طابعاً جديداً: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصاراً لله، كما قال عيسى ابن مريم للحواريين: من أنصاريَ إلى الله؟ قال**

الحواريون: نحن أنصار الله﴾!.. فما أجدر أتباعَ محمد ﷺ أن ينتدبوا لهذا الأمر الدائم، كما انتدب أتباع عيسى ـ عليه السلام ـ للأمر الموقوت!. وهذه هي اللمسة الواضحة في عرض هذا الحوار في هذا السياق. وماذا كانت العاقبة؟.. ﴿**فآمنت طائفة من بني إسرائيل، وكفرت طائفة.. فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم.. فأصبحوا ظاهرين..**﴾ فاستمرت دعوة عيسى بأتباعه وأصفيائه.. حتى جاءت دعوة محمد الذي بشر به عيسى بالتوحيد الخالص.. فأظهره الله وأيد دعاته. فهذه هي الجولة الأخيرة في السورة، واللمسة الأخيرة في السياق.. فيرتبط أولها بآخرها. ويكون ختامها نصر من الله في كل حين ولِكل جيل!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿**سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم. يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون؟ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون!..**﴾: في هذا التوجيه النداء بعد التنزيه، وإعلان تسبيح الكون بما فيه.. ففيه يتضح في ضمير المسلم أن دينه هو دين الله في صورته الأخيرة في الأرض، وأن أمانة العقيدة في البشرية كلها موكولة إليه؛ ليعلم أنه مكلف أن يجاهد في سبيل الله كما يحبّ الله.. فلا يبقى في تصوره غبش، ولا يبقى في حياته مجال للتمتمة والغمغمة في هذه القضية، أو للتردد والتلفت عن الهدف المرسوم والنصيب المقسوم في علم الله وتقديره منذ زمن بعيد. وفي أثناء توجيه المؤمنين إلى هذا الهدف الواضح يوجه كذلك إلى خلق المسلم وطبيعة ضميره. وهو أن لا يقول ما لا يفعل، ولا يختلف له قول وفعل، ولا ظاهر وباطن، ولا سريرة وعلانية، وأن يكون هو نفسه في كل حال متجرداً لله، خالصاً لدعوته صريحاً في قوله وفعله، ثابت الخطو في طريقه متضامناً مع إخوانه كالبنيان المرصوص!: ﴿**إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص..**﴾ فليس هو مجرد القتال.. ولكنه هو القتال في سبيل الله. والقتال في تضامن مع الجماعة المسلمة داخل الصف والقتال في ثبات وصمود..

ففي هذه الآيات الثلاث يتضح امتزاج الخلق الفردي بالحاجة الجماعية في ظل العقيدة الدينية وطبيعتها التي تقتضي تحقيقها في الحياة البشرية في صورة نظام يقوم عليه مَنْ يحرسه ويتولاه. إن الإسلام لا يتشهى القتال ولا يريده حباً فيه.. ولكنه

يفرضه لأن الواقع يحتمه، ولأن الهدف الذي وراءه كبير.. فالإسلام يواجه البشرية بالمنهج الإلهي في صورته الأخيرة المستقرة. وهذا المنهج يكلف النفوس جهداً لتسمو إلى مستواه، ولتستقر على هذا المستوى الرفيع. وهناك قوى كثيرة في هذه الأرض لا تحب لهذا المنهج أن يستقر؛ لأنه يسلبها كثيراً من الامتيازات التي تستند إلى قيم باطلة زائفة يحاربها هذا المنهج ويقضي عليها حين يستقر في حياة البشر. ومن ثَمّ يتعين على حملة الإيمان وحراس المنهج أن يكونوا أقوياء ليغلبوا عملاء الشر وأعوان الشيطان ويتعين عليهم أن يقاتلوا عندما يصبح القتال هو الأداة الوحيدة لضمان حرية الدعوة للمنهج الجديد، وحرية الاعتقاد به، وحرية العمل وفق نظامه المرسوم. وهم يقاتلون في سبيل الله.. لا في سبيل ذواتهم أو عصبيتهم من أي لون.. فهذه الصورة التي يحبها الله للمؤمنين ترسم لهم طبيعة دينهم، وتوضح لهم معالم الطريق، وتكشف لهم عن طبيعة التضامن الوثيق الذي يرسمه التعبير القرآني المبدع: صفاً كأنهم بنيان مرصوص!!.. فهذا هو التعبير المصور للحقيقة، لا لمجرد التشبيه العام. ومن هذا يتضح الفرق بين المؤمن الصادق وبين المنحرف الفاسق حين يعرض النص اللاحق للنص السابق: ﴿**وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم؟!.. فلمّا زاغوا أزاغ الله قلوبهم، والله لا يهدي القوم الفاسقين..**﴾ فإيذاء اليهود لموسى إيذاءٌ متطاول متعدد الألوان.. فصل في آيات عديدة من القرآن.. ثم جاء عيسى ابن مريم، جاء ليقول لبني إسرائيل: ﴿**إني رسول الله إليكم..**﴾ فلم يقل لهم: إنه الله، ولا إنه ابن الله، ولا إنه أقنوم من أقانيم الله!.. ﴿**مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد..**﴾ فبشارة المسيح ثابتة بهذا النص.. كما أنه ثابت من الروايات التاريخية: أن اليهود كانوا ينتظرون مبعث نبي قد أظلهم زمانه.. وكذلك بعض الموحدين المنعزلين الذين بقوا على دين عيسى.. ولكن اليهود كانوا يريدونه منهم.. فلما شاء الله أن يكون من الفرع الآخر من ذرية إبراهيم كرهوا هذا وحاربوه. وعلى أيّةِ حال..

فالنص القرآني بذاته هو الفيصل في مثل هذه الأخبار. وهو القول الأخير. ويبدو أن الآيات التالية في السورة جاءت على الأكثر بصدد استقبال اليهود والنصارى للنبي الذي بشرت به كتبهم، والتنديد بهذا الاستقبال وكيدهم للدين الجديد الذي قدر الله أن يظهره على الدين كله، وأن يكون هو الدين الأخير! ولقد

وقفوا في وجه الدين الجديد وقفة العداء والكيد.. وحاربوه بشتى الوسائل والطرق حرباً شعواء لم تضع أوزارها حتى اليوم. حاربوه بالاتهام: ﴿**فلما جاءهم بالبينات قالوا: هذا سحر مبين!!.. ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام؟!.. والله لا يهدي القوم الظالمين..**﴾ فهؤلاء الظلمة لا زالوا يحاربون المسلمين بشتى الوسائل المتاحة لهم: قوة بالسلاح، وتضليلاً باللسان: ﴿**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره. ولو كره الكافرون..**﴾ فهذا النص القرآني يعبر عن حقيقة، ويرسم صورة تدعو إلى الرثاء والاستهزاء! فهي حقيقة أنهم يقولون بأفواههم: هذا سحر مبين.. فيدسون ويكيدون محاولين القضاء على الدين الجديد.. فقد دأب اليهود في المدينة يؤلبون العرب على المسلمين. ولما فشلوا في سعيهم وانهزموا في بغيهم، اندسوا في المعسكر المحارب للإسلام خارج الجزيرة. مع الروم ومع الفرس.. ثم لما عجزوا عن كيد الإسلام في المخارج اندسوا فيه باسم الإسلام نفاقاً.. وباسم الذمة خداعاً.. فحاربوه بالأكاذيب والإسرائيليات التي دسوها في الحديث وفي السيرة وفي التفسير؛ حين عجزوا عن الوضع والكذب في نص القرآن الكريم.. فظهرت اليهودية والنصرانية في الحروب الصليبية.. وفي حروب النصارى مع المسلمين في القرنين الأخيرين.. وحاولوا القضاء على الإسلام بالقضاء على خلافة العثمانيين. وبعث عصابات تتنكر للإسلام باسم الحرية والديمقراطية.. وإلى الآن المعركة حامية الوطيس، ومسعرة الْأَوَارِبَيْنَ المؤمنين وجميع الكفار بقيادة الشيطان عدو بني آدم إبليس!. والله قد أتم وعده وأظهر نوره من يوم أن أعلن هذا الوعد؛ في حياة الرسول عندما أقام الجماعة الإسلامية صورة حيّة واقعة من المنهج الإلهي المختار. صورة ذات معالم واضحة وحدود مرسومة، تترسمها الأجيال، لا نظرية في بطون الكتب.. ولكن حقيقة في عالم الواقع.. وأظهر نوره.. فأكمل للمسلمين دينهم، وأتم عليهم نعمته ورضي لهم الإسلام ديناً يحبونه ويجاهدون في سبيله..

فتمت حقيقة الدين في القلوب وفي الأرض على السواء. وما تزال هذه الحقيقة تنبعث بين الحين والحين وتنبض وتنتفض، على الرغم من كل ما جرّد على الإسلام والمسلمين من حرب وكيد وتنكيل وتشريد وبطش شديد؛ لأن نور الله لا يمكن أن تطفئه الأفواه، ولا أن تطمسه كذلك النار والحديد في أيدي العبيد! وإن خيل للطغاة الجبارين وللأطفال المصنوعين على أعين النصارى واليهود

أنهم بالِغُوا هذا الهدف البعيد!.. فقد جرى قدُر الله أن يظهر هذا الدين.. فكان من الحَتْم أن يكون: **﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون﴾**!!.. فشهادة الله لهذا الدين بأنه الهدى ودين الحق هي الشهادة!. وهي كلمة الفصل التي ليس بعدها زيادة!. ولقد تمت إرادة الله.. فظهر هذا الدين على الدين كله.. ظهر في ذاته كدين.. فما يثبت له دين آخر في حقيقته وفي طبيعته.. فالديانات الكتابية المنزلة من عند الله فهذا الدين خاتمتها. وهو الصورة الأخيرة الكاملة الشاملة منها.. فهو في الصورة العليا الصالحة إلى نهاية الزمان. وما بقي منها خارج الإسلام فمحرفة مشوهة ممزقة مزيد عليها ما ليس منها!.. فانتهت لحال لا تصلح معه لشيء من قيادة الحياة.. فهذا تحقيق وعد الله من ناحية طبيعة الدين وحقيقته.. فأما من ناحية واقع الحياة فقد صدق وعد الله مرة.. فظهر هذا الدين قوة وحقيقة ونظام حكم على الدين كله.. فدانت له معظم الرقعة المعمورة في الأرض في مدى قرن من الزمان.. ثم زحف زحفاً سلمياً بعد ذلك إلى قلب آسيا وأفريقيا.. حتى دخل فيه بالدعوة المجردة خمسة أضعاف من دخلوا في إبّان الحركات الجهادية الأولى.. وما يزال الإسلام يمتد بنفسه دون دولة ـ منذ أن قضت الصهيونية العالمية والصليبية النصرانية على الخلافة الأخيرة في تركيا، على يدي البطل الذي صنعوه! ـ وعلى الرغم من كل ما يرصد له في أنحاء الأرض من حرب وكيد، ومن تحطيم للحركات الإسلامية الناهضة في كل بلد من بلاد الإسلام على أيدي أبطال آخرين من صنع اليهود والنصارى على السواء!..

فما تزال لهذا الدين أدوار في تاريخ البشرية يؤديها ظاهراً بإذن الله على الدين كله تحقيقاً لوعد الله الذي لا تقف له جهود العبيد المهازيل، مهما بلغوا من القوة والكيد والتضليل!!.. فقد كانت تلك الآيات حافزاً للمؤمنين المخاطبين بها على حمل الأمانة التي اختارهم الله لها بعد أن لم يرعها اليهود والنصارى. وكانت تطميناً لقلوبهم وهم يُنفّذون قدر الله في إظهار دينه الذي أراده ليظهر، وما هم إلا أداة. وما تزال تلك الآيات حافزاً للمؤمنين الواثقين بوعد ربهم؛ وستظل تبعث في الأجيال القادمة مثل هذه المشاعر.. حتى يتحقق وعد الله مرة أخرى في واقع الحياة بإذن الله. ولو كره المشركون!!..

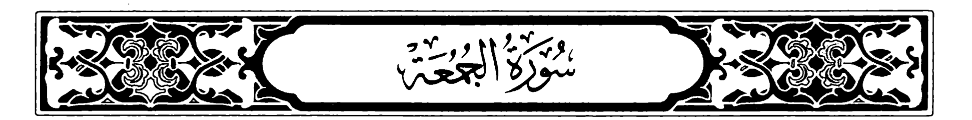
التوجيه الثاني: ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب

أليم؟: تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون..﴾: في هذا التوجيه نداء ثان للمؤمنين يقابل النداء الأول.. ففي هذا التوجيه استفهام يدل على ما فيه كل خير.. وفي التوجيه الأول استفهام يدل على التحذير من كل ما فيه شر.. يبدأ هذا النداء باسم الإيمان كما بدأ النداء الأول.. ويليه الاستفهام الموحي بالاستفزاز والاستنهاض.. فالله سبحانه هو الذي يسألهم ويشوقهم إلى الجواب. ومن ذا الذي لا يشتاق لأن يدله الله على هذه التجارة؟ .. ثم يجيء الجواب وقد ترقبته القلوب والأسماع.. فتشرق قلوب المؤمنين عند سماع شطر الجواب هذا المتحقق فيهم.. ثم يجيء الشطر الثاني من الجواب: وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم.. فهذا هو الموضوع الرئيسي الذي تعالجه السورة. يجيء في هذا الأسلوب، ويكرر هذا التكرير، ويساق في هذا السياق.. فقد علم الله أن النفس البشرية في حاجة إلى هذا التكرار وهذا التنويع وهذه الموحيات؛ لتنهض بهذا التكليف الشاق الضروري الذي لا مفر منه لإقامة هذا المنهج وحراسته في الأرض.. ثم يعقب على عرض هذه التجارة التي دلهم عليها بالتحسين والتزيين: ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون.. فعلم الحقيقة يقود من يعلم إلى ذلك الخير الأكيد.. ثم يفصل هذا الخير ففي آية تالية مستقلة! . **﴿يغفر لكم ذنوبكم..﴾** فهذه وحدها تكفي.. فمن ذا الذي يضمن أن يغفر له ذنبه، ثم يتطلّع بعدها إلى شيء؟.. ولكن فضل الله ليس له حدود: **﴿ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار، ومساكن طيبة في جنات عدن..﴾** فإنها لأربح تجارة أن يجاهد المؤمن في حياته القصيرة..

ثم يعوض عنها تلك الجنات وهذه المساكن في نعيم مقيم.. وحقاً!: **﴿ذلك الفوز العظيم﴾**. وكأنما ينتهي هنا حساب التجارة الرابحة. وإنه لربح ضخم هائل أن يُعطِي المؤمنُ الدنيا ويأخذ الآخرة.. فالذي يتجر بالدرهم، فيكسب عشرة يغبطه كل من في السوق.. فكيف بمن يتجر في أيام قصيرة معدودة في هذه الأرض، ومتاع محدود في هذه الحياة الدنيا.. فيكسب به خلوداً لَيْسَ له نهاية؟! ومتاعاً غير محدود ولا مقطوع ولا ممنوع!!.. ولكن فضل الله عظيم.. وهو يعلم من تلك النفوس أنها تتعلق بشيء قريب في هذه الأرض يناسب تركيبها البشري المحدود: **﴿وأخرى تحبونها: نصر من الله وفتح قريب.. وبشر المؤمنين..﴾** فهنا تبلغ الصفقة ذروة الربح الذي لا يعطيه إلا الله. الله الذي لا تنفد خزائنه.. والذي

لا ممسك لرحمته.. فهي المغفرة والجنات والمساكن الطيبة والنعيم المقيم في الآخرة. وفوقها: فوق البيعة الرابحة والصفقة الكاسبة، النصر والفتح القريب.. فمن ذا الذي يدله الله على هذه التجارة.. ثم يتقاعس عنها أو يحيد؟!. ﴿**يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصاراً لله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين: من أنصاري إلى الله؟ قال الحواريون: نحن أنصار الله**﴾: نداء ثالث في هذه السورة باسم الإيمان يأمر الله فيه المؤمن مخلصاً لدينه حارساً لعقيدته مُوفِياً بعهده مع ربه ورسوله مثل ما قال عيسى لأتباعه: من أنصاري إلى الله؟.. فأجابوا وامتثلوا وجاهدوا وصابروا.. ﴿**فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة..**﴾ فبقيت الطائفة المؤمنة تجاهد وتناضل، تارة بالسيف.. وأخرى بالحجة. حتى جاء محمد رسول الله الذي بشر به عيسى.. فاعتنقه أتباعه الذين بقوا على التوحيد.. ﴿**فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم.. فأصبحوا ظاهرين..**﴾ فالنصر في النهاية لأنصار الله المؤمنين!.

5 ـ أظهر ما في سورة الجمعة
بيان الأعمال المطلوبة والأعمال الممتنعة



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (1) هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (2) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (3) ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (4) مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (5) قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (6) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (7) قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (8)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝١٠ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝١١﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض**﴾: يستمر التسبيح ويدوم من كل ما في السماوات وما في الأرض. ﴿**الملك القدوس**﴾: الحاكم المنزّه عن النقائص. ﴿**العزيز الحكيم. . هو الذي بعث**﴾: أرسل. . ﴿**في الأميين**﴾: العرب الأميين. ﴿**رسولاً منهم**﴾: رسولاً أُميّاً من العرب الأميين. ﴿**يتلو عليهم آياته**﴾: يردد قراءة آيات الكتاب المنزل عليه. ﴿**ويزكيهم**﴾: يطهرهم من الشرك وخبائث الأعمال. . ﴿**ويعلمهم الكتاب**﴾: القرآن؛ كتابة وقراءة وحفظاً وفهماً وفقهاً. . ﴿**والحكمة**﴾: العمل بما تضمنه الكتاب. وهو الفقه في الدين. كما دل عليه القرآن والحديث. ﴿**وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**﴾: وإن الشأن كان العرب قبل بعثة محمد في ضلال لا يُرى ضلال أعظم منه!. ﴿**وآخرين منهم**﴾: من الأميين الذين يأتون بعد الصحابة من التابعين وتابعيهم إلى يوم الدين. . ﴿**لما يلحقوا بهم. . وهو العزيز الحكيم. . ذلك فضل الله**﴾: ذلك الفضل الذي جاء به محمد للناس فضل الله: ﴿**يؤتيه من يشاء. . والله ذو الفضل العظيم. .**﴾ ﴿**مَثَلُ**﴾: صفة ﴿**الذين حملوا التوراة**﴾: كُلّفوا حملها والعمل بما فيها. ومن جملة ما فيها صفة النبي الأمّيّ المبعوث من الأميين. . ﴿**ثم لم يحملوها**﴾: لم يعملوا بما فيها. . ﴿**كمثل الحمار**﴾: مثل صفة الحمار يحمل ما فيه تعبه وشقاؤه: ﴿**يحمل أسفاراً**﴾: ثقالاً

تتعبه وترهقه ولا يستفيد منها. . ﴿**بئس**﴾: ساء. ﴿**مثلُ القوم**﴾: الذين حملوا التوراة. . ﴿**الذين كذبوا بآيات الله**﴾: التوراة والإنجيل والقرآن. . ﴿**والله لا يهدي القوم الظالمين**﴾: الذين وضعوا الشيء في غير موضعه: عملوا الممتنع المنهىّ عنه، وتركوا الواجب المأمور به. . ﴿**قل يا أيها الذين هادوا**﴾: تهوّدوا. . وادّعوا الهداية وأنهم خير الناس!: ﴿**إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين. .**﴾ فهذا إبطال لدعواهم، وأنهم كاذبون فيها: ﴿**ولا يتمنونه أبداً: بما قدمت أيديهم. .**﴾ فلم يتمنّ يهوديّ الموت إلى الآن بعد مرور قرون وقرون من الزمان!!. . ﴿**والله عليم بالظالمين. . قل: إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم. . ثم تردّون إلى عالم الغيب والشهادة. . فينبئكم بما كنتم تعملون**﴾: من فعل الممنوع وترك المشروع!. . ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع. .**﴾ فالمعنى: إذا أذن للصلاة وقت الزوال من اليوم المسمى يوم الجمعة فاحضروا إلى صلاة الجماعة في الجامع المعد لها بنية التقرب إلى الله بسماع ذكر الله في الخطبة والصلاة، واتركوا ما يشغلكم عنها من البيع: ﴿**ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. . فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض**﴾: تفرقوا فيها بالكسب وطلب فضل الله الواسع. . ﴿**واذكروا الله كثيراً. . لعلكم تفلحون. وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها. . وتركوك قائماً. . قل: ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة. . والله خير الرازقين. .**﴾

مبحث الإعراب

﴿**يسبح**﴾ فعل مضارع. ﴿**لله**﴾ متعلق به. ﴿**ما**﴾ في محل رفع فاعل. ﴿**في السماوات**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**وما في الأرض**﴾ معطوف على ما في السماوات. ﴿**الملك**﴾ عطف بيان لله. ﴿**القدوس. العزيز. الحكيم**﴾ كلها مثل الملكِ في الإعراب. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع خبر. ﴿**بعث**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الذي. والجملة صلة الموصول. ﴿**في الأميين**﴾ متعلق ببعث. ﴿**رسولاً**﴾ مفعول به. ﴿**منهم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لـ «رسولاً». ﴿**يتلو**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على «رسولاً». ﴿**عليهم**﴾ متعلق بيتلو. ﴿**آياته**﴾ مفعول به منصوب بالكسرة. . وجملة يتلو عليهم آياته نعت ثانٍ لـ «رسولاً». ﴿**ويزكيهم**﴾ معطوف على يتلو. والضمير المتصل

بالفعل مفعول. والجملة نعت ثالث. . ﴿ويعلمهم﴾ كذلك. وهي نعت رابع. . ﴿الكتاب﴾ مفعول ثانٍ. ﴿والحكمة﴾ معطوف على الكتاب. ﴿وإن﴾ مخففة من الثقيلة. واسمها ضمير الشأن. ﴿كانوا﴾ كان واسمها. ﴿من قبل﴾ متعلق بكانوا. ﴿لفي ضلال﴾ متعلق بمحذوف خبر كان. ﴿مبين﴾ نعت لضلال. وجملة كانوا من قبل لفي ضلال مبين خبر إنْ المخففة. . ﴿وآخرين﴾ معطوف على الأميين. ﴿منهم﴾ متعلق بمحذوف نعت لآخرين. ﴿لما﴾ حرف نفي للماضي والحال جازم للفعل المضارع. ﴿يلحقوا﴾ فعل وفاعل دخلت عليه لما. ﴿بهم﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿وهو﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿العزيز الحكيم﴾ خَبَرانِ للمبتدإِ. ﴿ذلك﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿فضل﴾ خبره. ﴿الله﴾ مضاف إلى فضل.

﴿يؤتيه﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿من﴾ في محل نصب مفعول ثانٍ. ﴿يشاء﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة صلة مَنْ. ﴿والله﴾ مبتدأ. ﴿ذو﴾ خبر المبتدإِ مرفوع بالواو. . ﴿الفضل﴾ مضاف إلى ذو. ﴿العظيم﴾ نعت للفضل. والجملة تذييل. ﴿مثل﴾ مبتدأ. ﴿الذين﴾ في محل جر مضاف إلى مثل. ﴿حُمّلوا﴾ الفعل ونائب الفاعل صلة الموصول. ﴿التوراة﴾ مفعول به. ﴿ثم لم يحملوها﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي الجازم. وحرف العطف. ﴿كمثل﴾ الكاف في محل رفع خبر المبتدإِ. ومثل مجرور بالكاف. ﴿الحمار﴾ مضاف إلى مثل. ﴿يحمل﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الحمار. ﴿أسفاراً﴾ مفعول به. وجملة يحمل حال من الحمار. ﴿بئس﴾ فعل ماض. ﴿مثل﴾ فاعل. ﴿القوم﴾ مضاف إلى مثل. ﴿الذين﴾ في محل جر نعت للقوم. ﴿كذبوا﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة الموصول. ﴿بآيات﴾ متعلق بكذبوا. ﴿الله﴾ مضاف إلى آيات. ﴿والله﴾ مبتدأ. ﴿لا يهدي﴾ فعل مضارع منفي بلا. والفاعل ضمير يعود على الله. وجملة لا يهدي خبر المبتدإِ. ﴿القوم﴾ مفعول به. ﴿الظالمين﴾ نعت للقوم. ﴿قل﴾ فعل أمر. . ﴿يا أيها﴾ منادى مبني على الضم في محل نصب. وها للتنبيه. ﴿الذين﴾ في محل نصب نعت لأي باعتبار محلها. ﴿هادوا﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة الموصول. ﴿إن زعمتم﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الشرط. ﴿أنكم﴾ أنّ واسمها. ﴿أولياء﴾ خبر أنّ. ﴿لله﴾ متعلق بأولياء. ﴿من دون﴾ متعلق بمحذوف حال من أولياء. . ﴿الناس﴾ مضاف إلى دون. ﴿فتمنوا﴾ أمر موجه إلى

اليهود. ﴿**الموت**﴾ مفعول به. والجملة جواب شرط إنْ. والفاء رابط. ﴿**إن كنتم**﴾ كان واسمها دخل عليها حرف الشرط. ﴿**صادقين**﴾ خبر كان. وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله. أي إن كنتم صادقين في زعمكم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت.. ﴿**ولا يتمنونه**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي. ﴿**أبداً**﴾ ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. ﴿**بما**﴾ متعلق بما تعلق به الظرف. ﴿**قدمت أيديهم**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**والله**﴾ مبتدأ.

﴿**عليم**﴾ خبره. ﴿**بالظالمين**﴾ متعلق بعليم والجملة تذييل ﴿**قل**﴾: فعل أمر. ﴿**إن الموت**﴾ إنّ واسمها. ﴿**الذي**﴾: في محل نصب نعت للموت. ﴿**تفرون**﴾: فعل وفاعل والجملة صلة الموصول. ﴿**منه**﴾ متعلق بتفرون. ﴿**فإنه**﴾ إن واسمها. ﴿**ملاقيكم**﴾ خبر إنّ مرفوع بضمة مقدرة على الياء، وجملة فإنه ملاقيكم خبر إنّ. والفاء لتضمن الكلام معنى الشرط. ﴿**ثم تردون**﴾ الفعل ونائب الفاعل معطوف بثُمّ على ما قبله. ﴿**إلى عالم**﴾ متعلق بتردون. ﴿**الغيب**﴾ مضاف إلى عالم. ﴿**والشهادة**﴾ معطوف على الغيب. ﴿**فينبئكم**﴾ فعل مضارع مرتب بالفاء على ما قبله. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والفاعل ضمير يعود على عالم الغيب.. ﴿**بما**﴾ متعلق بينبئكم. ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**تعملون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة كنتم تعملون صلة ما. ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ إعرابه مثل إعراب يا أيُّها الذين هادوا. ﴿**إذا نودي**﴾ فعل ماض مبني للمجهول فعل شرط إذا. ﴿**للصلاة من يوم**﴾ متعلقان بنودي. ﴿**الجمعة**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**فاسعوا**﴾ فعل الأمر وفاعله جواب شرط إذا. والفاء رابط. ﴿**إلى ذكر**﴾ متعلق باسعوا. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى ذكر. ﴿**وذروا**﴾ معطوف على فاسعوا. ﴿**البيع**﴾ مفعول به. ﴿**ذلكم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**خير**﴾ خبره. ﴿**لكم**﴾ متعلق بخير. ﴿**إن كنتم**﴾ كان واسمها، فعل شرط إنْ. ﴿**تعلمون**﴾ فعل وفاعل.. والجملة خبر كان. وجواب الشرط محذوف. أي: إن كنتم تعلمون خيرية السعي فاسعوا.. ﴿**فإذا قضيت الصلاة**﴾ الفعل ونائب الفاعل فعل شرط إذا. والفاء للتعقيب. ﴿**فانتشروا**﴾ جملة الأمر وفاعله جواب شرط إذا. والفاء رابط. ﴿**في الأرض**﴾ متعلق بانتشروا. ﴿**وابتغوا**﴾ معطوف على انتشروا. ﴿**من فضل**﴾ متعلق بابتغوا. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى فضل. ﴿**واذكروا**﴾ معطوف كذلك.. ﴿**الله**﴾ معمول باذكروا. ﴿**كثيراً**﴾ نعت لمفعول مطلق مقدر. ﴿**لعلكم**﴾ لعل واسمها.

﴿**تفلحون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر لعل. ﴿**وإذا رأوا تجارةً**﴾ فعل وفاعل ومفعول. فعل شرط إذا. ﴿**أو لهواً**﴾ معطوف على تجارة. ﴿**انفضوا**﴾ فعل وفاعل. جواب شرط إذا. ﴿**إليها**﴾ متعلق بانفضوا. ﴿**وتركوك**﴾ فعل وفاعل ومفعول. معطوف على انفضوا. ﴿**قائماً**﴾ حال من الضمير المفعول. ﴿**قل**. . **ما**﴾ اسم موصول في محل رفع مبتدأ. ﴿**عند**﴾ ظرف متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿**خير**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**من اللهو**﴾ متعلق بخير. ﴿**ومن التجارة**﴾ معطوف على «من اللهو». وجملة ما عند الله خير. . مقول القول. ﴿**والله**﴾ مبتدَأ. ﴿**خير**﴾ خبر المبتدإِ. ﴿**الرازقين**﴾ مضاف إلى خير. والجملة تذييل.

مبحث الأسلوب البلاغي

وجه ربط سورة الجمعة بسورة الصف: بدئت الأولى بسبّحَ بالماضي وبدئت هذه بِيُسَبِّحُ بالمضارع؛ ليستمر التسبيح ولا ينقطع بسبب وجود الرسول الأخير الخاتم والناسخ. ولما كان عيسى الرسول المبشر صراحة بالرسول أحمد فقد بقي أتباعه على دينه الصحيح حتى بعث النبي الأمي المبشر به في التوراة والإنجيل. . فاندمجوا في الدين الجديد. . وهكذا تستمر الدعوة سائرة مع هذه الأمة التي تسبح الله كما يسبحه كل ما في السماوات وما في الأرض: ﴿**يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض**. .﴾ فهذا هو التسبيح المستمر مع هذه الأمة الباقية المستمرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين. . ﴿**الملك القدوس العزيز الحكيم**﴾: أسماء أربعة لله تعالى لها علاقة بموضوع السورة من أولها إلى آخرها: ﴿**هو الذي بعث في الأمِّيّن رسولاً منهم**. .﴾ فحكمة الله اقتضت أن يبعث من الأميين العرب رسولاً منهم أمياً. . فهو الملك الذي يحكم ولا معقب لحكمه. منزه عما لا يليق من الحكمة. عزيز لا يتدخل في حكمه أحد. . فكان هذا الرسول بشارة عيسى ودعوة إبراهيم عليهم السلام. . فتحققت هذه الدعوة بنصها الذي تعيدُه هذه السورة لتذكر بحكاية ألفاظ إبراهيم. . حتى الأسماء الحسنى في دعاء إبراهيم: «ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم. .» فهي ذاتها التي تعقب على التذكير بمنة الله وفضله هنا: وهو العزيز الحكيم. وجملة ﴿**يتلو عليهم آياته**﴾ وما عطف

عليها أوصاف للرسول الأمي المبعوث للأميين. وهي منّةٌ وفضلٌ عليه وعليهم!.

﴿**ويزكيهم**﴾: قدمت هذه الجملة هنا، وأخرت في سورة البقرة؛ للدلالة على أنها منّة ونعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر.. فلو روعي ترتيب الوجود كما هو في دعاء إبراهيم لتبادرَ إلى الفهم كونُ الكل نعمة واحدة!.. ﴿**ويعلمهم الكتاب والحكمة**﴾: وصلت الجملة بالعطف على جملة يتلو عليهم آياته.. فهي بيان لنتيجة التلاوة.. ﴿**وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**﴾: مبالغة في شدة افتقار الأمّيِّن إلى من يرشدهم.. فهم فاقدون لكل أدوات الإرشاد.. ﴿**وآخرين منهم لما يلحقوا بهم**﴾: وصل هذا الكلام على ما قبله.. فهي تدل على آخرين من غير العرب، وعلى آخرين غير الجيل الذي نزل فيه القرآن.. فكلمة منهم: من أمة محمد. فتشير إلى أن هذه الأمة موصولة الحلقات ممتدة في شعاب الأرض وفي شعاب الزمان. وجملة لما يلحقوا بهم بيان للحاق الآخرين بالأولين بعد نزول الآية.. ﴿**وهو العزيز الحكيم**﴾: جملة تذييلية مقررة لمضمون ما سبق!. ﴿**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**﴾: الإشارة إلى ما تقدم. ﴿**والله ذو الفضل العظيم**﴾: تذييل مبين لعظمة ما أُشير إليه..

﴿**مثل الذين حمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً**﴾: مَثَلٌ ضربه الله لليهود.. فقد كلفهم الله بالعمل بما في التوراة فلم يعملوا.. فصاروا مثل الحمار يحمل أسفاراً ثقالاً.. فلم يَنَلْ منها إلا الكدّ والتعب والمشقة: ﴿**بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله!!.. والله لا يهدي القوم الظالمين.. قل: يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين**﴾: كان اليهود يدّعون أنهم شعب الله المختار وأن الجنة خالصة لهم.. فأمر الله رسوله محمداً ﷺ بأن يتحداهم بهذا الكلام إن كانوا صادقين في دعواهم!!. ولكن اليهود يعلمون حقيقة أمرهم من الله فلم يتمنوا ولن يتمنوا الموت!!: ﴿**ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم..**﴾ فلا تنفي الماضي والحاضر والمستقبل. ولن تنفي المستقبل فقط. وقد جاء القرآن بهما في تكذيب اليهود في مدعاهم. وجملة ﴿**والله عليم بالظالمين**﴾ تذييل مقرر لمضمون ما عليه اليهود من الظلم.. ﴿**قل: إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم**﴾: ولا فائدة من هروبكم من الموت.. فالموت أمامكم بالمرصاد: «أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم

في بروج مشيدة!». **﴿ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾**!.. ثم يوجه الخطاب للمؤمنين يأمرهم فيه بالسعي لحضور صلاة الجمعة طلباً لخير الآخرة: **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع: ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون..﴾** ثُمَّ بَعْدَ قضاء الصلاة والفراغ منها يأمرهم بالسعي إلى طلب الرزق وخير الدنيا: **﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون..﴾**

فهذا هو التوازن التي يتسم به المنهج الإسلامي.. فيجعل لكل وقت ما يناسبه من عمل للآخرة ومن عمل للدنيا. على حد قول الله تعالى: **﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا..﴾** والمؤمن شعاره: ربنا آتِنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة.. فقد كانت الجاهلية لا تفرق بين ما هو مطلوب للعبادة، وما هو مطلوب للعادة: **﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً. قل: ما عند الله. خير من اللهو ومن التجارة، والله خير الرازقين..﴾** فهذا تصوير لما كان عليه الناس في خلطهم لأمور الدين وأمور الدنيا.. ثُمَّ ما صاروا عليه من الفرق بينهما بعد تلاوة الآيات والتعليم والتزكية والتطهير!..

خلاصة المعنى العام وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم..﴾: في هذا التوجيه تقرير حقيقة التسبيح المستمر من كل ما في الوجود لله تعالى: الملك القدوس العزيز الحكيم ثم يبدأ التوجيه في بيان موضوع السورة الرئيسي: **﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم..﴾** فالعرب سُمّوا أميين؛ لأنهم كانوا لا يقرءون ولا يكتبون في الأعمّ الأغلب.. نسبة إلى الأم.. فهي طفولة غالبة يعيشها العرب قبل الإسلام.. فحكمة الله قد اقتضت أن يبعث الله من العرب الأميين نبيئا أميا مثلهم.. فبشرت بهذا الوصف التوراة كتاب اليهود.. وبشر باسمه عيسى؛ كما وصفه كتابه الإنجيل. وكانت قبل هذا دعوة إبراهيم وإسماعيل: تلك الدعوة التي أطلقاها عند بنائهما البيت: «وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم..» إلى أن قالا: «ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة

ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم..» فكانت هنالك هذه الدعوة من وراء الغيب، ومن وراء القرون محفوظة عند الله لا تضيع، حتى يجئ موعدها المقدر في علم الله وفق حكمته..

فقد تحققت هذه الدعوة وفق قدر الله وتقديره بنصبها الذي تعيده السورة هنا لتذكر بحكاية ألفاظ إبراهيم عليه السلام. والمنة ظاهرة في اختيار الله للأميين ليجعلهم أهل الكتاب المبين، وليرسل فيهم رسولا منهم، يرتفعون باختياره منهم إلى مقام كريم؛ ويخرجون من أميتهم بتلاوة آيات الله عليهم وتغيير ما بهم وتمييزهم على العالمين: ﴿**يتلو عليهم ءاياته.. ويزكيهم**﴾: وإنها لتزكية، وإنه لتطهير ذلك الذي كان يأخذهم به الرسول: تطهير للضمير والشعور، وتطهير للعمل والسلوك وتطهير للحياة الفردية والاجتماعية. تطهير ترتفع به النفوس من عقائد الشرك إلى عقيدة التوحيد.. ومن التصورات الباطلة إلى الاعتقاد الصحيح.. ومن نظافة الخلق الإيماني.. ومن دنس الربا والسحت إلى طهارة الكسب الحلال.. تزكية ترتفع بالإنسان وتصوراته عن الحياة كلها وعن نفسه ونشأته إلى آفاق النور التي يتصل فيها بربه، ويتعامل مع الملإ الاعلى، ويحسب في شعوره وعمله حساب ذلك الملإ العلوي الكريم!. ﴿**ويعلمهم الكتاب والحكمة**﴾: يعلمهم الكتاب.. فيصبحون أهل كتاب.. ويعلمهم الحكمة.. فيدركون حقائق الأمور!.. ويحسنون التقدير.. وتلهم أرواحهم صواب الحكم وصواب العمل؛ وهو خير كثير!.. ﴿**وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**﴾: ضلال الجاهلية.. فمع كل ما كانوا عليه من جاهلية ومن ضلال... فقد علم الله أنهم هم حملة هذه العقيدة، الأمناء عليها؛ بما علم في نفوسهم من استعداد للخير والصلاح، ومن رصيد مذخور للدعوة الجديدة ـ وقد فرغت منه نفوس اليهود التي أفسدها الذل الطويل مع الفراعنة والملوك في مصر وفي الشام وفي بابل وفي غيرها من بلدان العالَم.. فامتلأت قلوبهم بالحقد والعُقَدِ والالتواءات والانحرافات.. حتى كتب الله عليهم لعنته وغضبه؛ وانتزع من أيديهم أمانة القيام على دينه في الأرض إلى يوم القيامة!. وقد اختار الله تلك الأمة العربية في شبه الجزيرة الصحراوية؛ لتحمل هذا الدين؛ بما علم في نفوسها وفي ظروفها من قابلية للاستصلاح وذخيرة مرصودة للبذل والعطاء.. فالحرية فيهم مطبوعة والكرم فيهم مغروس، والأنفة ورفع الرأس فيهم معروف!.. فأرسل الله فيهم الرسول يتلو عليهم آياته ويزكيهم

ويعلمهم الكتاب والحكمة. . وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين. . ﴿**وآخرين منهم لما يلحقوا بهم**﴾: هؤلاء هم الذين دخلوا في الإسلام من العرب ومن غيرهم بعد الصحابة الذين ارتشفوا من معين النبوءة مشافهة. .

فما أروع كلمة «منهم»!: من الأمة الإسلامية. فالإسلام لا يقر باختلاف الأجناس والألوان. . بل كل مسلم من أيّ جنس ولون فهو عضو في أسرة الإسلام، وأخو المسلم في أي مكان وفي أي زمان. . ﴿**وهو العزيز الحكيم**﴾: وهو القوي القادر على الاختيار. . الحكيم العليم بمواضع الاختيار. . فاختياره للمتقدمين والمتأخرين فضل وتكريم: ﴿**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. . والله ذو الفضل العظيم**﴾!!. . فإن اختيار الله لأمة أو جماعة أو فرد؛ ليحمل هذه الأمانة الكبرى، وليكون مستودع نور الله، وموضع تلقي فيضه. . إن اختيار هذا الفضل لا يَعْدِلُهُ فضلٌ! فضل عظيم يزيد على كل ما يبذله المؤمن من نفسه وماله وحياته. . فالله سبحانه وتعالى يذكّر الجماعة المسلمة في المدينة والذين يأتون بعدها الموصولين بها، والذين لم يلحقوا بها. يذكرهم هذا الفضل في اختيارهم لهذه الأمانة ولبعث الرسول فيهم: يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة. . ويترك للآتين في أطواء الزمان ذلك الرصيد الضخم من الزاد الإلهي!. . فيذكرهم هذا الفضل العظيم الذي تصغر إلى جانبه جميع القيم وجميع النقم!! كما تصغر إلى جانبه جميع التضحيات والآلام. . فهذه هي مسؤولية العرب أولاً قبل كل أحد. حيث فضلهم ببعثة الرسول الذي ينتسبون إليه نسبا وحسبا، وجعلهم متبوعين بعد أن كانوا أوزاعاً متفرقين، لا وزن لهم ولا قيمة لهم عند غيرهم من الأمم!!. .

التوجيه الثاني: ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين. .﴾: في هذا التوجيه تنبيه اليهود حيث حملوا التوراة وكلفوا بها وعلموا بما فيها. . ثم لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بما فيها بالحمار يحمل كتباً كباراً من كتب العلم. . فهو يمشي بها ولا يعلم عنها شيئاً. . فسيرة بني إسرائيل كما عرضها القرآن الكريم ـ وكما هي في حقيقتها ـ لا تدل على أنهم قدروا هذه الأمانة حق قدرها، ولا أنهم فقهوا حقيقتها ولا أنهم عملوا بها. . فمن ثَمَّ كانوا كالحمار يحمل الكتب

الضخام، وليس له منها إلا ثقلها.. فهو ليس صاحبها وليس شريكاً في الغاية منها!!.. فهي صورة مزرية بائسة، ومثل سيىء شائن.. ولكنها صورة معبرة عن حقيقة صادقة: بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله!!. ومثل الذين حملوا التوراة.. ثم لم يحملوها: كل الذين حُمّلوا أمانة العقيدة الصحيحة.. ثم لم يحملوها..

فالمسلمون الذين مرت عليهم أجيال كثيرة، والذين يعيشون في هذا الزمان، وهم يحملون أسماء المسلمين ولا يعملون عمل المسلمين؛ وبخاصة أولئك الذين يقرأون القرآن والكتب؛ وهم لا ينهضون بما فيها.. أولئك كلهم: كالحمار يحمل أسفاراً.. فهم كثيرون كثيرون!!.. فليست المسألة مسألة كتب تحمل وتدرس.. إنما هي مسألة فقه وعمل بما في الكتب.. وكان اليهود يزعمون ـ كما يزعمون اليوم ـ أنهم شعب الله المختار، وأنهم هم أولياؤه من دون الناس، وأن غيرهم من الأميين الذين لا قيمة لهم.. إلى آخر هذه الدعاوي التي تفترى الكذب على الله بغير دليل!.. فهذا الكلام هنا يتحدى اليهود.. حتى تظهر حقيقة أمرهم أمام الأشهاد: ﴿**قل: يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين**﴾!.. فإذا كان اليهود أولياء لله من دون الناس ـ كما يقولون ـ فما يخيفهم إذن من الموت؟!، ويجعلهم أجبن خلق الله؟!. وهم حين يموتون ينالون ما عند الله مما يلقاه الأولياء والمقربون!!.. ثم عقب على هذا التحدي بما يفيد أنهم غيرُ صادقين في ما يدّعون. وأنهم يعلمون أنهم لم يقدموا بين أيديهم ما يطمئنون إليه، وما يرجون الثواب والقربى عليه.. إنما قدموا المعصية التي تخيفهم من الموت وما وراءه.. فالذي لم يقدم الزاد يجفل من ارتياد الطريق: ﴿**ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم!.. والله عليم بالظالمين..**﴾

وفي نهاية الجولة مع اليهود يقرر السياق حقيقة الموت وما بعده، ويكشف لهم عن قلة الجدوى في فرارهم من الموت.. فهو حتم لا مهرب منه، وما بعده من الرجوع إلى الله؛ وحساب على العمل حتم كذلك لا ريب فيه: ﴿**قل: إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم.. ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة.. فينبئكم بما كنتم تعملون..**﴾ فهذه لفتة من اللفتات القرآنية الموحية للمخاطبين بها وغير المخاطبين. تقر في الأخلاد حقيقة ينساها الناس، وهي تلاحقهم أينما

كانوا.. فهذه الحياة إلى انتهاء، والبعد عن الله في هذه الحياة ينتهي للرجعة إليه.. فلا ملجأ منه إلا إليه. والحساب والجزاء بعد الرجعة كائنان لا محالة.. فلا مهرب ولا فكاك!.. فهي صورة متحركة موحية عميقة الإيحاء مؤثرة ظاهرة التأثير.. فهذه الحقيقة لا بُدّ أن تستقر في نفوس حملة أمانة الله في الأرض؛ لينهضوا بتكاليفها، وهم يعرفون طريقها.. فلا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل.. فطال عليهم الأمد.. فقست قلوبهم. وكثير منهم فاسقون!..

التوجيه الثالث: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع..﴾: في هذا التوجيه المقطع الأخير في السورة خاصاً بتعليم وتوجيه يتعلق بصلاة الجمعة.. فصلاة الجمعة هي الصلاة الجامعة، التي لا تصح إلا جماعة. وهي صلاة أسبوعية بدل من صلاة الظهر. يتحتم أن يحضرها الذكر البالغ العاقل الحاضر الصحيح.. فيجتمع فيها المسلمون ويلتقون ويستمعون إلى خطبة الإمام تذكرهم بالله.. فهي عبادة تنظيمية على طريقة الإسلام في الإعداد للدنيا والآخرة في التنظيم الواحد وفي العبادة الواحدة، كلاهما عبادة. وهي ذات دلالة خاصة على طبيعة العقيدة الإسلامية الجماعية.. فقد وردت الأحاديث الكثيرة في فضل صلاة الجمعة والحث عليها والاستعداد لها.. فهي مفروضة بالكتاب والسنة والإجماع. والآية الأولى في هذا المقطع تأمر المؤمنين بأن يتركوا البيع وسائر نشاط المعاش بمجرد سماعهم للآذان. وترغبهم في هذا الأمر بترك شؤون المعاش والدخول في ذكر الله في هذا الوقت: **﴿ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾**!!.. فهذا الترغيب يوحي بأن الانخلاع من شؤون التجارة والمعاش كان يقتضي هذا الترغيب والتحبيب. وهو في الوقت ذاته تعليم دائم للنفوس.. فلا بد من فترات ينخلع فيها القلب من شواغل المعاش وجواذب الأرض ليخلو إلى ربه؛ ويتجرد لذكره، ويتذوق هذا الطعم الخاص للتجرد والاتصال بالملإ الأعلى!.. فيملأُ قلبه وصدره من ذلك النقي الخالص العطر ويشرق شذاه!.. ثم يعود إلى مشاغل المعاش مع ذكر الله: **﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون..﴾**.

فهذا هو التوازن الذي يتسم به المنهج الإسلامي بالتوافق بين مقتضيات الحياة في الأرض، من عمل وكد ونشاط وكسب، وبين عزلة الروح فترة عن هذا الجو

وانقطاع القلب وتجرده للذكر. وهي ضرورة لحياة القلب لا يصلح بدونها للاتصال والتلقي والنهوض بتكاليف الأمانة الكبرى. وذكر الله لا بد منه في أثناء ابتغاء المعاش والشعور بالله فيه.. فهو الذي يحول نشاط المعاش إلى عبادة.. ولكنه مع هذا لا بد من فترة للذكر الخالص والانقطاع الكامل والتجرد المحض؛ كما توحي هاتان الآيتان. فبهذا ارتقت الجماعة الإسلامية إلى مستواها الذي بلغت إليه. وأزيل كل ما كان فيها من جواذب الجاهلية مما تصوره الآية الأخيرة في هذه السورة: ﴿**وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً**..﴾ فهذا الحادث قد وقع فعلاً في وقت كانوا مطالبين فيه للتفرغ لذكر الله واستماع الرسول لخطبته. ﴿**قل: ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة**..﴾ ففي الكلام تلويح لهم بما عند الله وأنه خير من اللهو الذي سمعوه ومن التجارة التي رأوها وانفضوا إليها.. وتذكير لهم بأن الرزق من عند الله: ﴿**والله خير الرازقين**﴾. وهذا الحادث يكشف عن مدى الجهد الذي بذل في التربية وبناء النفوس حتى انتهت إلى إنشاء تلك الجماعة الفريدة في التاريخ.. فهذه هي النفس البشرية بخيرها وشرها؛ تُصَوِّرُها الآية بمَا لها وما عليها..

6 ـ أظهر ما في هذه السورة، كشف ما يخفي المنافقون من أفعال وأقوال كانت مستورة.



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ
لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (1) اتَّخَذُوا
أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ (2) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ
فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (3) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا
تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ
عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (4)
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ
وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (5) سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (6) هُمُ الَّذِينَ
يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا

وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿7﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿8﴾ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿9﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿10﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿11﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**إذا جاءك المنافقون**﴾: حضروا مجلسك واجتمعوا بك. والخطاب للرسول ﷺ والمنافقون: جمع منافق، وهو كل من يظهر الإسلام بقوله ويخفي الكفر في قلبه. ﴿**قالوا: نشهد إنك لرسول الله**﴾: شهادة قول مجرد عن الحقيقة مؤكدين قولهم هذا تمويهاً وتلبيساً على الرسول.. ﴿**والله يعلم إنك لرسوله**﴾: والله يعلم إنك لرسوله دون شهادة من المنافقين الكاذبين: ﴿**والله يشهد إن المنافقين لكاذبون**﴾ في دعواهم.. فهم بهذه الأيمان الكاذبة يجعلونها وقاية وحماية لأموالهم وأنفسهم فقط: ﴿**اتخذوا أيمانهم جنة.. فصدوا عن سبيل الله**﴾:

صدوا غيرهم عن اتباع طريق الحق: ﴿**إنهم ساء ما كانوا يعملون! : ذلك بأنهم آمنوا.. ثم كفروا.. فطبع على قلوبهم.. فهم لا يفقهون**﴾!!.. فبهذه الأمور كلها ظهرت حقيقة أمرهم.. فلا يغررك ما تراه ظاهراً من حالهم: ﴿**وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم.. وإن يقولوا تسمع لقولهم..**﴾ فهم أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام!. ﴿**كأنهم خشب مسندة..**﴾ فالخشب المسندة تأخذ حيزاً من الفراغ بلا فائدة.

﴿**يحسبون كل صيحة**﴾: يحسبون كل صيحة واقعة ﴿**عليهم**﴾ وضارة لهم لخيفتهم ورعبهم وشكهم في موقفهم: ﴿**يحذر المنافقون أن تُنزَّل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم هم العدو**﴾: العدو المخالط أقوى ضرراً من العدو المفارق!! ﴿**فاحذرهم**﴾: فما داموا هم كذلك فيجب الحذرُ منهم، وترقبُ أحوالهم.. حتى لا يغترّ بهم أحد!.. ﴿**قاتلهم الله: أنى يؤفكون؟!. وإذا قيل لهم: تعالوا**﴾: من المكان الخطر إلى مكان الأمن: ﴿**يستغفر لكم رسول الله.. لووا رؤوسهم**﴾: كان جوابهم هذا الفعل.. وَلَوُّ الرؤوسِ إشارةٌ إلى الامتناع عن الفعل. وهي إشارة معروفة عند جميع الناس الكبار والصغار. ﴿**ورأيتهم يصدون**﴾: يعرضون عنك استكباراً: ﴿**وهم مستكبرون. سواء عليهم: أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم**﴾: ما دام موقفهم هذا فسواء عليهم استغفارك وعدمه: ﴿**لن يغفر الله لهم..**﴾ فلا غفران لهم أبداً؛ لإصرارهم على الفسق ورسوخهم في الكفر: ﴿**إن الله لا يهدي القوم الفاسقين: هم الذين يقولون: لا تنفقوا على من عند رسول الله.. حتى ينفضوا**﴾!!.. فهذا وجه فسقهم. وهو قول فيه خبث ومكر وضرب على الوتر الحساس. والانفضاض: اندفاع من مكان إلى مكان. انفضوا إليها: اندفعوا عنك إليها. حتى ينفضوا: حتى يندفعوا من المدينة إلى مكة التي جاءوا منها. ﴿**ولله خزائن السماوات والأرض.. ولكن المنافقين لا يفقهون..**﴾ فهم يهرفون بما لا يعرفون. وزيادة على ذلك: ﴿**يقولون: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل!!.. ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين.. ولكن المنافقين لا يعلمون.. يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله**﴾: لا يشغلكم الاهتمام بتدبير أمور الأموال، والاعتناء بشؤون الأولاد عن الاشتغال بذكر الله من الصلاة وسائر العبادات.. ﴿**ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون**﴾: ومن يتلّه بالدنيا عن الدين فهو الكامل في الخسران حيث باع العظيم

الباقي بالحقير الفاني. . ﴿**وأنفقوا من ما رزقناكم**﴾: أعطوا بعض ما أعطيناكم تفضلاً من غير أن يكون حصوله من جهتكم ادّخاراً للآخرة. ﴿**من قبل أن يأتي أحدكم الموت**﴾: قبل أن يفوت الوقت بحلول وقت الموت. . ﴿**فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب**﴾: هلاّ أخرتني يا رب إلى مدة قصيرة أتدارك بها ما فاتني. . ﴿**فأصّدّق. . وأكن من الصالحين؟!. . ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها**﴾: ولكن جرت سنة الله أنه لا يؤخر نفساً إذا أتت ساعة موتها التي قدرت لها. ﴿**والله خبير بما تعملون. .**﴾ فسارعوا في الخيرات، واستعدوا لما هو آت!.

مبحث الإعراب

﴿**إذا**﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه. ﴿**جاءك**﴾ فعل ماض ، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**المنافقون**﴾ فاعل. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة جواب شرط إذا عامل فيها النصب. ﴿**نشهد**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. والجملة مقول القول. ﴿**إنك**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لرسول**﴾ خبرها. واللام لتقوية الخبر. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى رسول. وجملة إنك لرسول جواب القسم - نشهد -. ﴿**والله**﴾ مبتدَأ. ﴿**يعلم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر المبتدإِ. ﴿**إنك**﴾ إن واسمها. ﴿**لرسوله**﴾ خبرها. واللام للتوكيد. والجملة معترضة. ﴿**والله يشهد**﴾ إعرابها مثل إعراب والله يعلم. . ﴿**إن المنافقين**﴾ إن واسمها. ﴿**لكاذبون**﴾ خبرها. والجملة جواب القسم. ﴿**اتخذوا أيمانهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**جنة**﴾ مفعول ثان. والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب. ﴿**فصدوا**﴾ فعل وفاعل. والفاء للتعقيب. ﴿**عن سبيل**﴾ متعلق بصدوا. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سبيل. ﴿**إنهم**﴾ إن واسمها. ﴿**ساء**﴾ فعل ماض. ﴿**ماء**﴾ اسم موصول في محل رفع فاعل ساء. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**يعملون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة كانوا يعملون صلة ما. وجملة ساء ما كانوا يعملون خبر إنّ. وجملة إنهم ساء ما كانوا يعملون تعليلية. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**بأنهم**﴾ أنّ واسمها. ﴿**آمنوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر أنّ. وأنَّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بباء السببية متعلق بمحذوف خبر المبتدإِ. ﴿**ثم كفروا**﴾ معطوف على آمنوا. والتقدير: ذلك كائن بسبب إيمانهم باللسان ظاهراً واستمرارهم على الكفر باطناً. . ﴿**فطبع**﴾ فعل ماض مبني للمجهول تعقيب

بالفاء على ما قبله. ﴿على قلوبهم﴾ متعلق بِطُبِعَ. ﴿فهم﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿لا يفقهون﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة خبر المبتدإِ. وجملة فهم لا يفقهون تعقيب على ما قبله.

﴿وإذا رأيتهم﴾ فعل وفاعل ومفعول فعل شرط إذا. ﴿تعجبك﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. ﴿أجسامهم﴾ فاعل. والجملة جواب شرط إذا. ﴿وإن يقولوا﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الشرط الجازم. ﴿تسمع﴾ جواب شرط إن مجزوم بالسكون. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿لقولهم﴾ متعلق بتسمع، بمعنى تنصت. ﴿كأنهم﴾ كأنّ واسمها. ﴿خشب﴾ خبر كأنّ. ﴿مسندة﴾ نعت لخشب. والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب. ﴿يحسبون﴾ فعل وفاعل. ﴿كل﴾ مفعول به. ﴿صيحة﴾ مضاف إلى كل. ﴿عليهم﴾ متعلق بمحذوف مفعول ثانٍ. ﴿هم﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿العدو﴾ خبره. والجملة مستأنفة. ﴿فاحذرهم﴾ أمر موجه إلى الرسول ﷺ والضمير فيه مفعول به. والفاعل ضمير المخاطب ـ أنت ـ ﴿قاتلهم﴾ فعل ماضٍ. والضمير المتصل به مفعول. ﴿الله﴾ فاعل. والجملة دعائية لا محل لها من الإعراب. ﴿أنى﴾ في محل نصب ظرف متضمن للاستفهام العامل فيه ما بعده: ﴿يؤفكون﴾ فعل ونائب الفاعل. ﴿وإذا قيل﴾ فعل ماضي مبني للمجهول. فعل شرط إذا. ﴿لهم﴾ متعلق بقيل. ﴿تعالوا﴾ أمر موجه إلى المنافقين المخاطبين. والجملة مقول القول. ﴿يستغفر﴾ فعل مضارع مجزوم في جواب الأمر. ﴿لكم﴾ متعلق به. ﴿رسول﴾ فاعل. ﴿الله﴾ مضاف إلى رسول. ﴿لووا رؤوسهم﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة جواب شرط إذا. وجملة وإذا قيل لهم تعالوا.. معطوفة على «إذا جاءك المنافقون» مثل «وإذا رأيتهم تعجبك». ﴿ورأيتهم﴾ فعل وفاعل ومفعول. معطوف على لوَوْا. ﴿يصدون﴾ فعل وفاعل. والجملة حال من المفعول. ﴿وهم﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿مستكبرون﴾ خبره. والجملة معطوفة على ما قبلها ـ يصدون ـ الحالية. ﴿سواء﴾ خبر مقدم. ﴿عليهم﴾ متعلق بسواء. ﴿أستغفرت﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿لهم﴾ متعلق باستغفرت. ﴿أم لم تستغفر﴾ فعل مضارع مجزوم بلم معطوف بأم. والفاعل ضمير يعود على المخاطب. وهو الرسول ﷺ. ﴿لهم﴾ متعلق بالفعل قبله. والجملة مؤولة بمصدر مرفوع مبتدأ مؤخر. أي: استغفارك وعدمه سواء.. ﴿لن يغفر الله﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي الناصب. ﴿لهم﴾ متعلق

بيغفر. والجملة تأكيد لما قبلها.. ﴿إن الله﴾ إن واسمها. ﴿لا يهدي﴾ فعل مضارع منفيّ بلا. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر إنّ. وجملة إن واسمها وخبرها تعليلية.

﴿القوم﴾ مفعول به. ﴿الفاسقين﴾ نعت للقوم. ﴿هم﴾ في محل رفع مبتدَأ. ﴿الذين﴾ في محل رفع خبر المبتدإِ. ﴿يقولون﴾ فعل وفاعل والجملة صلة الذين. ﴿لا تنفقوا﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النهي الجازم. والجملة مقول القول. ﴿على من﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿عند﴾ متعلق بمحذوف صلة مَنْ. ﴿رسول﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿الله﴾ مضاف إلى رسول. ﴿حتى ينفضوا﴾ فعل وفاعل والجملة مؤولة مع أن بمصدر مجرور بحتى متعلق بلا تنفقوا. ﴿ولله﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿خزائن﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿السماوات﴾ مضاف إلى خزائن. ﴿والأرض﴾ معطوف على السماوات. والجملة تذييلية.. ﴿ولكن المنافقين﴾ لكن واسمها. ﴿لا يفقهون﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة خبر لكنّ. وجملة ولكن المنافقين لا يفقهون معطوفة على ما قبلها. ﴿يقولون﴾ فعل وفاعل. والجملة مستأنفة. ﴿لئن رجعنا﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الشرط وحرف القسم. ﴿إلى المدينة﴾ متعلق برجعنا. ﴿ليخرجن﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. ﴿الأعزُّ﴾ فاعل. والجملة جواب القسم سدت مسد جواب الشرط بدليل وجود اللام في جواب القسم. ﴿منها﴾ متعلق بيخرجن. ﴿الأذلَّ﴾ مفعول به. ﴿ولله﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿العزة﴾ مبتدَأ مؤخر. ﴿ولرسوله﴾ معطوف على لله. وكذلك: ﴿وللمؤمنين﴾. ﴿ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ مثل ﴿ولكن المنافقين لا يفقهون﴾ في الإعراب. والجملتان تذييل مثل ما سبق.. ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ إعراب هذا معلوم مما سبق.. ﴿لا تلهكم﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. وعلامة جزمه حذف الياء. والضمير المتصل به مفعول. ﴿أموالكم﴾ فاعل. ﴿ولا أولادكم﴾ معطوف على الفاعل. ﴿عن ذكر﴾ متعلق بتلهكم. ﴿الله﴾ مضاف إلى ذكر. ﴿ومن﴾ اسم شرط جازم. ﴿يفعل﴾ فعل الشرط مجزوم بالسكون. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿ذلك﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿فأولئك﴾ في محل رفع مبتدَأ. ﴿هم﴾ ضمير فصل. ﴿الخاسرون﴾ خبر المبتدإِ. والجملة جواب الشرط. والفاء رابط. ﴿وأنفقوا﴾ أمر موجه إلى المؤمنين المخاطبين. معطوف على النهي. ﴿من﴾ في محل نصب بمعنى بعض

مفعول به. ﴿ما﴾ في محل جر بمن.. ﴿رزقناكم﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول. ﴿من قبل﴾ متعلق بأنفقوا. ﴿أن يأتي﴾ فعل مضارع منصوب بأن.

﴿أحدكم﴾ مفعول به. ﴿الموت﴾ فاعل. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور مضاف إلى قبل. أي: أنفقوا من قبل إتيان الموت أحدَكم. ﴿فيقول﴾ معطوف على أن يأتي منصوب مثله. ﴿رب﴾ منادى حذفت منه ياء النداء. وياء المتكلم المضافة إلى رب. ﴿لولا﴾ هلاّ حرف تحضيض. ﴿أخرتني﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿إلى أجل﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿قريب﴾ نعت إلى أجل. ﴿فأصّدّق﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية، والفاعل ضمير المتكلم. ﴿وَأَكُنْ﴾ فعل مضارع ناقص مجزوم في جواب شرط مقدر. واسم أكن ضمير المتكلم. ﴿من الصالحين﴾ متعلق بمحذوف خبر أكُنْ. والتقدير: إن أخرتني أتصدق وأَكُنْ.. ﴿ولن يؤخر الله نفساً﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي الناصب. ﴿إذا﴾ ظرف متعلق بيؤخر. ﴿جاء أجلها﴾ فعل وفاعل. ﴿والله﴾ مبتدَأ. ﴿خبير﴾ خبره. ﴿بما﴾ متعلق بخبير. ﴿تعملون﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. وجملة والله خبير بما تعملون تذييلية مقررة لمضمون ما سبقه من الوعد الكريم على الإنفاق والوعيد الشديد على عدمه.

مبحث الأسلوب البلاغي

وجه ربط هذه السورة بما قبلها يتضح في موقف المنافقين الذين كانوا متعاونين مع اليهود ومع المشركين في عدة مواقع كما فصل في السور التي تقدمت قبل هذه السورة.. فكانت هذه السورة خلاصة لأقوال المنافقين وأفعالهم: ﴿إذا جاءك المنافقون، قالوا نشهد إنك لرسول الله﴾!.. فهم يؤكدون هذا القول أمام الرسول بالشهادة من أعماق أنفسهم دون ريب ولا شك: إنك لرسول الله!!.. ﴿والله يعلم إنك لرسوله﴾: هذه الجملة جاءت معترضة: تحفظاً واحتراماً من أن تُفْهم الجملةُ التالية فَهْماً غير مقصود: ﴿والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾!.. فالله سبحانه وتعالى يبادر بتثبيت الرسالة قبل تكذيب مقالة المكذبين. ولولا هذا التحفظ لأوهم ظاهر العبارة تكذيب المنافقين في موضوع شهادتهم وهو الرسالة. وليس هذا هو المقصود.. إنما المقصود تكذيب إقرارهم..

فهم لا يقرون الرسالة حقاً ولا يشهدون بها خالصي الضمير! ولهذا جاءت الآية التالية توضح حقيقة أمرهم، وتبين مقصودهم من هذه الأيمان الطويلة العريضة: ﴿**اتخذوا أيمانهم جنة.. فصدوا عن سبيل الله.. إنهم ساء ما كانوا يعملون**﴾!.. فاتخاذ الأيمان الفاجرة جنة عبارة عن إعدادهم وتهيئتهم لها إلى وقت الحاجة؛ ليحلفوا بها ويتخلصوا من المؤاخذة. واتخاذ الجنة لا بد أن يكون قبل المؤاخذة وعن سببها أيضاً كما يفصح عنه الْفَاءُ في قوله تعالى: ﴿**فصدوا عن سبيل الله..**﴾ فاستمروا على ما كانوا عليه من الصد والإعراض عن سبيل الله: إنهم ساء ما كانوا يعملون.. ففي ساء معنى التعجب وتعظيم أمرهم الشنيع عند السامعين.. ثم يعلل السياق حالهم هذه من الشهادة مدخولة كاذبة.. وأيمان فاجرة خادعة.. وصد عن سبيل الله.. وسوء عمل: ﴿**ذلك بأنهم آمنوا.. ثم كفروا.. فطبع على قلوبهم.. فهم لا يفقهون**﴾!!.. ثم يرسم لهم السياق صورة فريدة مبدعة: تثير السخرية والهزء والزراية بهذا الصنف الممسوخ!.. بل ينصبهم تمثالاً وهدفاً للسخرية: ﴿**وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم!.. وإن يقولوا تسمع لقولهم!.. كأنهم خشب مسندة**﴾!!.. فشبهوا في جلوسهم في مجالس الرسول مستندين فيها بخُشُب مسندة إلى الحائط.. فهذا الجمود الراكد البارد صورة خارجية.. ويقابله من ناحية أخرى حالة داخلية من التوجس الدائم.. والفزع القائم: ﴿**يحسبون كل صيحة عليهم..**﴾ فالتعبير يرسمهم أبداً متلفتين حوالَيْهِمْ.. يتوجسون من كل حركة ومن كل صوت ومن كل هاتف!.. ﴿**هم العدو.. فاحذرهم!.. قاتلهم الله.. أنى يؤفكون؟!.. وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم**﴾: وصل هذا الكلام بالعطف على قوله تعالى: ﴿**إذا جاءك المنافقون..**﴾ الخ.

تبين حالين للمنافقين: عند المواجهة يشهدون: إنك لرسول الله.. وعندما يكونون في أمن من المواجهة، ونصحهم ناصح بالتوبة وطلب الاستغفار أَبَوْا وتكبروا: ﴿**ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون**﴾!!.. فمن ثَمَّ يتوجه الخطاب إلى رسول الله ﷺ بما قضاه الله في شأنهم على كل حال، وبعدم جدوى الاستغفار لهم بعد قضاء الله: ﴿**سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم، لن يغفر الله لهم**﴾؛ لإصرارهم على الفسق ورسوخهم في الكفر: ﴿**إن الله لا يهدي القوم الفاسقين**﴾: الكاملين في الفسق الخارجين عن دائرة الاستصلاح المنهمكين في

الكفر والنفاق. والإظهار في موقع الإضمار لبيان غلوهم في الفسق!. ﴿**هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا**﴾: استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم الذي استوجب قضاء الله فيهم.. وقوله تعالى: ﴿**ولله خزائن السماوات والأرض**﴾ ردٌّ وَإِبْطَال لما زعموا من أن عدم إنفاقهم يؤدي إلى انفضاض المؤمنين من حول الرسول، ببيان أن خزائن الأرزاق بيد الله سبحانه وتعالى! ﴿**ولكن المنافقين لا يفقهون..**﴾ فما أغباهم وأقل فقههم!، وهم يحاولون قطع الرزق عن الآخرين.. ثم يقولون قولتهم الأخيرة: ﴿**يقولون: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذل**﴾!.. فرد عليهم ذلك بقوله تعالى: ﴿**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين..**﴾ ثم يوجه الله النداء الأخير في السورة للمؤمنين الذين أوقفهم الله في صفه مع رسوله وجعل عزتهم من عزته؛ ليرتفعوا إلى هذا المكان الكريم: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله.. ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون**﴾: تحذير من وقوع المؤمنين في هذا الملهى الخطر!. ﴿**وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت.. فيقول رب: لولا أخرتني إلى أجل قريب؟!.. فأصدّق وأكن من الصالحين**﴾.. فهذا الأمر الذي صار بعد النهي تحريض عليه وتحذير من قوته عند حضور الموت.. فيتمنى الرجوع بعد فوات الأوان: ﴿**ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها**﴾!!.. فجملة ﴿**والله خبير بما تعملون**﴾ وعد على الإنفاق ووعيد على البخل والشح كما فعل أهل النفاق. وهذا قطع للمعذرة على الإطلاق. وهذا التذييل يربط السورة بعضها ببعض في البدء والختام!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿**إذا جاءك المنافقون قالوا: نشهد إنك لرسول الله..**﴾ فهذه السورة ـ سورة المنافقون ـ تتضمن حملة عنيفة على موقف المنافقين من أكاذيبهم ودسائسهم ومناوراتهم.. وما في نفوسهم من البغض والكيد للمسلمين، ومن اللؤم والجبن وانطماس البصائر والقلوب. وموضوع السورة كلها ذكر المنافقين وأحوالهم وأقوالهم وأفعالهم. وليس فيها غير هذا؛ إلا لفتة في نهايتها إلى الذين آمنوا لتحذيرهم من كل ما يلصق بهم صفة من صفات المنافقين ولو من بعيد. وحركة النفاق التي بدأت بدخول الإسلام المدينة واستمرت، ولم تنقطع.. فهذه الحركة

ذات أثر واضح في سيرة هذه الفترة التاريخية في أحداثها.. فقد ورد ذكرها في القرآن مرات كثيرة تدل على ضخامة هذه الحركة وأثرها البالغ في تاريخ الإسلام.. فهذه السورة تبدأ بوصف طريقتهم في مداراة ما في قلوبهم من الكفر، وإعلانهم الإسلام والشهادة بأن النبي هو رسول الله.. فهم كانوا يجيئون إلى رسول الله فيشهدون بين يديه برسالته باللسان لا يقصدون بها وجه الحق.. إنما يقولونها للتقيّة، وليخفوا أمرهم وحقيقتهم على المسلمين.. والتعبير في قوله تعالى: ﴿**والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون**﴾ فيه من الدقة والتحفظ بصورة تثير الانتباه!. والمنافقون هم من عدة طوائف: اليهود الذين دخلوا في الإسلام خداعاً.. ﴿**وقالت طائفة من أهل الكتاب: آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار، واكفروا آخره، لعلهم يرجعون. ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم**﴾ وأهل المدينة من العرب الذين رأوا في الإسلام خطراً على مستقبلهم ومصيرهم. والأعراب حول المدينة. ﴿**وممن حولكم من الأعراب منافقون، ومن أهل المدينة مردوا على النفاق، لا تعلمهم، نحن نعلمهم اتخذوا أيمانهم جنة**﴾: هذه الجملة توحي بأنهم كانوا يحلفون الأيمان كلما انكشف أمرهم، أو عرف عنهم كيد أو تدبير.. أو نقلت عنهم مقالة سوء في المسلمين.. فيجعلون أيمانهم وقاية وحماية يحتمون وراءها؛ ليواصلوا كيدهم وإغواءَهم للمخدوعين فيهم: ﴿**فصدوا عن سبيل الله..**﴾ فصدوا أنفسهم وصدوا غيرهم مستعينين بتلك الأيمان الكاذبة: ﴿**إنهم ساء ما كانوا يعملون!!: ذلك بأنهم آمنوا.. ثم كفروا.. فطبع على قلوبهم.. فهم لا يفقهون..**﴾ فهذا تعليل بأنهم كفروا بعد الإيمان واختاروا الكفر بعد أن عرفوا الإسلام! فهم عرفوا الإيمان إذن!.. ولكنهم اختاروا العودة إلى الكفر.. وما يعرف الإيمان، ثم يعود إلى الكفر قلب فيه فقه..

فهذه العملية من توجيهات اليهود: ﴿**آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون**﴾ فاليهود في المدينة لعبوا دوراً خطيراً في الخداع والتمويه.. فقد تنكروا للإسلام بعد غزوة بدر، ورأوا بوادر الخطر في مستقبلهم.. ثم جاهروه بالكفر والعداء والمكر؛ ولم يلبث أن انعقد بينهم وبين المنافقين من العرب داخل المدينة وخارجها حلف طبيعي على توحيد المسعى والتضامن في موقف المعارضة والكيد.. حتى ليمكن القول: إن المنافقين لم يقووا ويثبتوا ويكن منهم ذلك الأذى الشديد والاستمرار في الكيد والدس إلا

بسبب ما لقوه من اليهود من تعضيد وتأييد.. وما انعقد بينهم من تضامن وتوافق. ولم يضعف شأنهم ويخفَّ خطرهم إلا بعد أن مكن الله لنبيئه من هؤلاء وأظهره عليهم وكفاه شرهم بعد جلائهم من المدينة وحولها.. وفتح خيبر الحصن المنيع لليهود!.. فهذه هي مواقف اليهود والمنافقين من الإسلام والمسلمين.. فهذه صورتهم كما تراها العين، وهذا منطقهم كما تسمعه الأذن: ﴿**وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم، وإن يقولوا تسمع لقولهم..**﴾ ولكنهم في الباطن خواء: أشباح بلا أرواح، وأجسام بلا أحلام: ﴿**كأنهم خشب مسندة.. يحسبون كل صيحة عليهم**﴾: يعرفون في صميم نفوسهم أنهم منافقون مستورون بستار قد يكشف يوماً ما!.. فهم يخشون في كل لحظة أن يكون أمرهم قد افتضح وسترهم قد انكشف وهم بهذا يمثلون العدو الأول للرسول ﷺ: ﴿**هم العدو..**﴾ فهم العدو الحقيقي.. العدو الكامن داخل المعسكر المختبىء في الصف.. فهو أخطر من العدو الخارجي الصريح.. ﴿**فاحذرهم..**﴾ فهو توجيه رباني سار عليه الرسول مع المنافقين إلى آخر المطاف.. فأخذهم بخطة فيها حكمة وسعة وثقة بالنجاة من كيدهم.. ﴿**قاتلهم الله.. أنى يؤفكون**﴾؟!.. فالله مقاتلهم حيثُما صُرفوا وأنى توجهوا.

والدعاء من الله حكم بمدلول هذا الدعاء، وقضاءٌ نافذ لا راد له ولا معقب عليه.. وهذا هو الذي كان في نهاية المطاف.. ﴿**ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون!**﴾ ويستطرد السياق زيادة في وصف تصرفاتهم خارج المدينة عندما يكونون في غزوة من غزوات الرسول.. فيتبرمون ويظهرون العداء للرسول والمسلمين المهاجرين، الدالة على دخل قلوبهم، وكذبهم عند المواجهة؛ وهي مجموعة من الصفات اشتهر بها المنافقون: ﴿**وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون.. سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم؛ إن الله لا يهدي القوم الفاسقين: هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السماوات والأرض؛ ولكن المنافقين لا يفقهون..**﴾ فهم يفعلون الفعلة ويطلقون القولة.. فإذا عرفوا أنها بلغت الرسول جبنوا وتخاذلوا وراحوا يقسمون بالأيمان يتخذونها جنة.. فإذا قال لهم قائل: تعالوا يستغفر لكم رسول الله ـ وهم في أمن من مواجهته ـ لووا رؤوسهم ـ ترفعاً واستكباراً ـ وهم يستكبرون ويعرضون ويلوون

رؤوسهم ما داموا في أمان من المواجهة.. حتى إذا وُجهوا كان الجبن والتخاذل والأيمان!.. فهؤلاء الذين استوجبوا الحرمان من التوبة والغفران: هم الذين يقولون: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا.. فهي قولة يتجلى فيها خبث الطبع ولؤم النفس الأمارة بالسوء!.. فهؤلاء هم الذين ﴿**يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.. ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين.. ولكن المنافقين لا يعلمون!. يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله!.. ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون**﴾!.. فلا تكونوا كالمنافقين الذين يغترون بالأموال والأولاد ويشتغلون بتدبيرها ورعايتها عن ذكر الله: عن عبادته والجهاد في سبيله.. ﴿**وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت.. فيقول رب: لولا أخرتني إلى أجل قريب؟!.. فأصدّق.. وأكن من الصالحين.. ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها..**﴾ فليس بعد هذا البيان بيان!. ﴿**والله خبير بما تعملون..**﴾ فلهذا تميز الفريقان: النفاق والإيمان.. فهكذا يبين الله للناس حقائق هذا القرآن!.